

تفسير

الملا علي القاري

المسمى

أنوار القرآنت وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأئمة وأحوال الألباء ذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان المروي الديلمي الحنفي

الشهير بـ: الملا علي القاري

المتوفى ١٠٤٦ هـ

مقدمه

للشيخ ناجي التويري

المجلد الرابع

من أول سورة الشعراء إلى آخر سورة الفتح

مستورات

مركز علي بن ابي طالب

دار الكتب العلمية

DKI

بيروت - لبنان

تَقْسِيمٌ

المجلد الثاني القاري

المسمى

أنوار القران وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي

الشهيد: الملا علي القاري

المتوفى ١٠١٤ هـ

تحقيق

الدكتور ناجي السويدي

المجلد الرابع

من أول سورة الشعراء إلى آخر سورة الفتح



دار الكتب العلمية

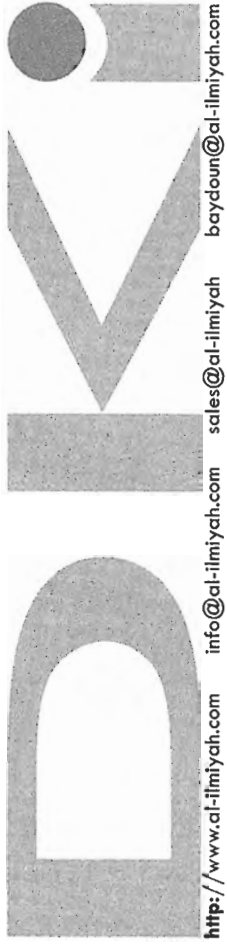
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah

DKI

أسستها محمد باقر بن محمد باقر سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب : تفسير الملائة علي القاري

Title : **TAFSIR**
AL-MULLA 'ALI AL-QARI
AL MULLA ALI AL-QARI'S
EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Holy Qur'an

المؤلف : الملائة علي القاري (ت ١٠١٤ هـ)

Author : Al-Molla Ali Al-Qari (D. 1014 H.)

المحقق : الدكتور ناجي السويد

Editor : Dr. Naji As-souwayd

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (5 Volumes) 2592 عدد الصفحات (٥ مجلدات)

Size 17x24 cm قياس الصفحات

Year 2013 A.D.-1434H. سنة الطباعة

Printed in : Lebanon بلد الطباعة : لبنان

Edition : 1st (2 Colors) الطبعة : الأولى (لونان)

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

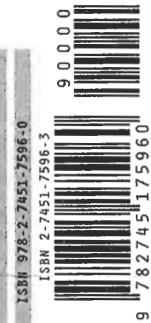
جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob
Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠





[مَكِّيَّة]

وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز رضي من الزاهد بترك دنياه ومن العابد بمخالفة هواه ومن القاصد بقطع مناه، ولا يرضى من العارف أن يساكن شيئاً غير مولاه.

﴿طَسَمَ﴾ [الآية 1] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة وحمزة بإظهار نونه والجمهور على أن معنى حروفه: الله أعلم بما في مراده.

وقال جنيد: الطاء طرب التائبين في ميدان الرحمة والسين سرور العارفين في ميدان الوصلة، والميم مقام المحبين في ميدان القربة. وقال بعضهم: الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى ﷺ.

وأفاد الأستاذ: إن المعنى ارتقى بحمد ليلة الإسراء عن شهود شجرة طوبى حتى بلغ سدرة المنتهى فلم يساكن شيئاً من المخلوقات في الدنيا والعقبى. ويقال: الطاء طرب أرباب الوصلة على بساط القرب بوجدان كمال الروح، والسين سرور العارفين بما كوشفوا به من بقاء الأحذية باستقلالهم بوجوده، والميم إني موافقهم لله بترك التخير على الله وحسن الرضا باختيار الحق لهم، وعند قوم إن الطاء إشارة إلى طهارة عزه وتقدُّس علوه، والسين دلالة على سناء جبروته، والميم دلالة على مجد جلاله في آزاله. ويقال: الطاء إشارة إلى طيب قلوب الفقراء عند فقد الأسباب لكمال الأُنس بمعرفة وجود الرزق بدل طيب قلوب العوام بوجود الإرفاق والأرزاق. ويقال: الطاء

إشارة إلى طيب أسرار أهل التوحيد، والسين إشارة إلى سلامة قلوبهم عن مساكنة كل مخلوق، والميم إشارة إلى منة الحق عليهم بذلك.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 2] أي السورة أو آيات القرآن أو هذه الحروف ﴿ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الآية 2] الظاهر إعجازه وصحته أو المظهر أحكامه وحجته.

﴿لَمَّا كَبُحَّ بِحَاجِّكَ فَسَأَكَ﴾ [الآية 3] أي قاتلها ومهلك لها، ولعل الإشفاق 1/316 المخاطب أي اشفق على نفسك أن تقتلها ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 3] / لأجل أن لا يؤمنوا أو مخافة أن لا يوقنوا.

قال سهل: لعلك تشغل نفسك عنا بالاشتغال بهم حرصاً على إيمانهم بنا فما عليك إلا البلاغ لنا فلا يشغلك ما لنا عنا.

وقال الأستاذ: أي لحرصك على إيمانهم وامتناعهم من إيقانهم فأنت قريب من أن تقتل نفسك من الأسف على تركهم اتباعك فلا عليك إذ ليس الأمر إليك ولا تبديل لحكمنا أصلاً، فمن حكمنا له بالشقاوة لا يؤمن أبداً فليس عليك إلا البلاغ عني والدلالة عليّ فإن آمنوا وإلا فكلهم إليّ فسيرون يوم القيامة ما يستحقون من العقوبة.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ [الآية 4] دلالة واضحة ملجئة إلى إيمانهم أو بلية قاهرة على إيقانهم ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَفُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الآية 4] منقادين خاشعين.

قال الأستاذ: أخبر عن قدرته على تحصيل مراده من عباده فهو قادر على أن يؤمنوا كرهاً لأن البقاء عن تحصيل المراد يوجب النقص في الربانية والقصور عن الإلهية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ [الآية 5] طائفة من القرآن أو موعظة للإيمان ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الآية 5] يوجبه من كمال رحمته إلى نبيه الرحيم بأتمه ﴿مُحَدَّثٍ﴾ [الآية 5] أو مجدد إتيانه وتبينه لتكرير التذكُّر وتنويع التقدير ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 5] إلا حددوا إعراضاً عن ذكرهم وإصراراً على ما كانوا عليه من كفرهم.

قال سهل: ما أحدث لهم علماً بما أنزلناه عليهم إلا أعرضوا عنه وادعوه لأنفسهم.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ [الآية 6] بالذكر بعد إعراضهم عن الشكر بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به من صريح الكفر ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ [الآية 6] إذا مسهم عذاب الله في الدنيا أو العقبي ﴿أَنْتَوُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 6] من أنه كان حقيقاً بأن يصدق ويعظم أمره أو يكذب فسيخف قدره.

وقال الأستاذ: أي ما نجدد لهم شرعاً وما نرسل إليهم رسولاً إلا أعرضوا عن تأمل برهانه وقابلوه بالتكذيب بدل إيمانه، ولو أنهم أنعموا النظر في آياتهم لانتضح لهم صدقهم في حالاتهم ولكن المقسوم لهم من الخذلان في سابق الحكم منعهم عن الإيمان، فقد كذبوا وعلى تكذيبهم أكبوا فسيأتيهم عاقبة أعمالهم بالعقوبة الشديدة الجامعة بين الحرقه والفرقة.

﴿وَأَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الآية 7] أو لم ينظروا إلى / عجائبها وما فيها من 316/ب غرائبها ﴿كَرَّ أَنْبَتُنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 7] صنف محمود كثير المنفعة عديم المضرة.

قال أبو بكر بن طاهر: أكرم زوج من نبات الأرض آدم وحواء فإنهما كانا السبب في إظهار الأنبياء والأصفياء.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 8] أي في إتيان كل من أصناف النبات ﴿لَايَةً﴾ [الآية 8] لدلالة على أن منبتها تام القدرة كامل الحكمة سابغ النعمة شائع الرحمة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 8] في علم الله وقضائه ولذا لا ينفعهم تبليغ أنبيائه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 9] بأوليائه.

وأفاد الأستاذ: أن فنون ما ثبت من الأرض في وقت الربيع لا يأتي عليها الحصر لكثرة أنواع البديع، ثم اختصاص كل شيء منها بلون وطعم ورائحة مخصوصة وكذا لكل شكل وهيبة وورق وزهر ونور مختلفة إلى ما تلطف عنه العبارة وتضعف عنه الإشارة ففي ذلك آيات لمن استبصر ودلالات لمن نظر وتفكر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 9] القاهر الذي لا يقهر القادر الذي لا يقدر
﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 9] المحسن بعباده المرید لسعادة أوليائه.

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ [الآية 10] أي اذكر حين نادى ﴿أَنْ أَتَى﴾ [الآية 10]
أي إئت أو بأن أتت ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 10] لكفرهم بربهم وتعديهم على
غيرهم من استعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 11] بدل أو بيان، والاقتصار على القوم من باب الاكتفاء
وللايماء إلى برهان الأولى فإنه رأس الضلال ومنشأ الإضلال ولأن ظلم غيره
راجع إلى حكمه وأمره ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الآية 11] استئناف تعجيباً له من إفراطهم في
ظلمهم واجترائهم على فعلهم، والمعنى ألا يخافون عقائدهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الآية 12] أي في دعوى الرسالة
﴿وَيَصِيقُ صَدْرِي﴾ [الآية 13] في تلك الحالة ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ [الآية 13] من
الكلالة ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هُرُونًا﴾ [الآية 13] ليدفع عني الملامة وليس ذلك تعلاً منه
ولا توقفاً عنه في تلقي الأمر بل طلباً لما يكون معونة على امتثاله وتمهيداً للعذر
كما أشار إليه بقوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾ [الآية 14] أي تبعة ومطالبة. والمراد قتل
القبطي المخالف لمتابعته وإنما سماه ذنباً لأنه لم يكن مأموراً بمقابلته ولهذا عدّ
من خطيئته قبل بعثته وظهور توبته ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [الآية 14] بمقابلته قبل أداء
الرسالة، وهو استدفاع/ للبلية المتوقعة، كما أن ما قبله استهان في أمر الدعوة. 317/أ

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا﴾ [الآية 15] أي اذهب أنت وأخوك ﴿بِأَيِّنَّا﴾ [الآية 15]
بمعجزاتنا ودلالاتنا على أنكما من أرباب رسالاتنا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [الآية 15] يعني
موسى وهارون وفرعون ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ [الآية 15] سامعون لما يجري بينكما وبينه
فأظهركما عليه بإلقاء خوفي عليه ورعبي لديه. وقال أبو عبد الله الروذباري: ظاهره
سؤال وباطنه نوال سأل الحق تعالى عن علمه بحاله فأجاب بقوله كلا ثم بدأ
فقال: ﴿فَاذْهَبَا بِأَيِّنَّا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الآية 15]، فتقدير سؤاله هل في سبق
علمك وواجب حلمك أن يقتلوني. واستدل على ذلك بجواب الحق له كلا، ثم
خاطبه هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما أمر موسى بالذهاب إلى فرعون وقومه ودعائهم إلى ربهم به علم أنه شديد الخصومة قد غرته نفسه بالحكومة وهو لا يبالي بما يفعل فأخذ يتعلل لا على وجه الإباء والمخالفة ولكن على وجه الاستغناء والاستقالة إلا أن علم أن الأمر به جزم والحكم به عليه حتم فسأل أن يشرك هارون معه في الرسالة وأخبر أنه قتل منهم نفساً قبل هذه الحالة وأن في حكم فرعون أن دماً عليه لا محالة. فقال: وأخاف أن يقتلون قبل الرسالة، إلى أن قال له الحق كلا وهي كلمة ردع وتنبية أي كلا لن يكون الأمر كما توهمت هنالك فارتدع عن تجويز ذلك وانتبه بأني معكما بالنصرة والقوة والكفاية والرحمة والسلطان لكما دون غيركما وأنا أستمع ما يقولون وما يقال لكما.

﴿فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا ﴿[الآية 16] أي كل واحد منا ﴿رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الآية 16] أو أفرد لاتحادهما في الأخوة أو في أحكام الملة ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿[الآية 17] أي خلهم يذهبوا معنا إلى حيث أردنا.

قال الأستاذ: ويقال في القصة إن موسى وهارون عليهما السلام كانا يترددان إلى باب فرعون سنة كاملة لم يجدا طريقاً إليه ثم بعد سنة عرضا الرسالة عليه فكان من القصة ما كان من العصاة لديه.

﴿قَالَ ﴿[الآية 18] فرعون لموسى ﴿أَلَمْ نُزَكِّهِ فِينَا ﴿[الآية 18] في منازلنا وفي بيتنا ﴿وَلِيدًا ﴿[الآية 18] طفلاً مولوداً سمي به لقربه من الولادة ﴿وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمَّرِكَ سِنِينَ ﴿[الآية 18] والمعنى كنت في تربيتنا زماناً كثيراً حال كونك صغيراً وكبيراً، قيل: لبث فيهم ثلاثين ثم خرج إلى مدين / عشر سنين ثم دعا إليهم 317/ ب يدعوهم إلى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين.

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ الَّتِي فَعَلْتَ ﴿[الآية 19] وهي قتل القبطي الذي كان في خدمتي ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿[الآية 19] بنعمتي لك في تربيتي.

قال محمد بن علي: ليس من الفتوة تذكار الصنائع بالمنة، ألا ترى فرعون لما لم يكن له فتوة كيف أتى بذكر صنعه وامتن على موسى بفعله.

وقال ابن عطاء: التربية توجب حقاً في الفتوة من ذلك حق الأبوة والبنوة، ألا ترى كيف ذكر الله تعالى في قصة موسى: ﴿الْمَرْ تَرْبِكَ فِينَا وَلِيدَا﴾ [الآية 18] فإذا أوجب تربية الأعادي حقاً أوجب الدين حفظه وحرمة فتربية الحقيقة الذي هو من الحق إلى عباده أولى لرعاية حقوقه وذمته، وهو معنى قوله: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَى﴾ [الصفات: الآية 126].

﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا﴾ [الآية 20] أي تلك الفعلة ﴿إِذَا﴾ [الآية 20] أي إذ فعلت ﴿وَأَنَا مِنْ الصَّالِينَ﴾ [الآية 20] أي في حال كوني من الجاهلين، كما قرىء به. والمعنى من الجاهلين لوقوع الوكزة قتلاً أو المخطئين لأنه لم يتعمد قتله بل أراد به تأديبه.

قال الأستاذ: فلم يكن لموسى جواب إلا الإقرار والاعتراف فقال كل ذلك كان بلا خلاف.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [الآية 21] فأكرمني الله بالنبوة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 21] إليكم بالدعوة. قال بعضهم: الفرار عندما لا يطاق من سنن المرسلين. قال الله حكاية: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾ [الآية 21] كذا في تفسير السلمي، وفيه إن فراره إنما كان قبل النبوة وبعثة الرسالة ولا يجوز بعدها إليهم في هذه النسبة، وأما خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة سنة الهجرة فإنما كان بالإجازة المقرونة بالحكمة. وقيل: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء، كذا ذكره السلمي أيضاً، وهو محمول على كمال الخوف من الله وعدم الالتفات إلى خوف ما سواه.

وقال ابن عطاء: أي فررت من مجاورتكم لما خفت من جرأتكم على ربكم لما لم تحفظوا مراتب حقوقه على وجه تحقيقه ولم أر عليكم علامات توفيقه. وقال أبو بكر الوراق: المؤمن من يفر بدينه من موضع إلى موضع إذا خاف على دينه من الهوى والبدع والضلالات.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يجحد حق تربيته / والإحسان إليه في ظاهر حالته ولكنه بين أنه إذا أمر الله بشيء وجب اتباع أمره. وقوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾ [الآية 21] يجوز حمله على ظاهره وأنه خاف منهم على نفسه والفرار عند

عدم الطاقة غير مذموم عند كل أحد. ويقال: فررت منكم لما خفت عليكم أن تنزل بكم عقوبة من الله بشؤم شرككم.

﴿وَتَلَكَّ﴾ [الآية 22] التريبة ﴿بِمَهْمَةٍ تَمْنَاهَا عَلَيَّ﴾ [الآية 22] أي ظاهراً وهي في الحقيقة راجعة إلي ﴿أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الآية 22] أي سبب عن تعبيدك بني إسرائيل وقصدك ذبح أبنائهم فإنه سبب وقوعي إليك وحصولي في تربيتي لديك، فلا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم هنالك ولذا قيل إنه مقدر بهمزة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها عليّ وهي أُمِّي عبدت والمعنى ليس ذلك نعمة ولا لك عليّ فيها منة.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿ [الآيتان 23، 24] عرفه بإظهار خواصه وآثاره من مصنوعاته الدالة على كمال صفاته المسيرة إلى جلال ذاته ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الآية 24] مصدقين الأنبياء أو محققين الأشياء.

قال الأستاذ: نطق اللعين بجهله وسأل عن النحو الذي يليق بفيه فسأل بلفظ ما وما إنما ستخبر عن ذاته ما لا يعقل أي غالباً فقال: وما رب العالمين، وكان الواجب أن يقول: ومن رب العالمين، فأعرض موسى عن لفظه ومقتضاه وأخبر عما صح في وصف الله.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ إِلَّا تَسْمِعُونَ﴾ (٢٥) [الآية 25] تعجباً من مقوله في جوابه على وجه عدوله لأنه سأل عن حقيقته وأجاب عنها بذكر فعله وصفته مع أن هذا من كمال حكمته وإظهار رأفته ورحمته على أمته ولذا ورد النهي عن التفكير في ذات الله كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [الآية 110]، ولا تدرکه الأبصار فهو الظاهر بصفاته الباطن بذاته.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ (٢٦) [الآية 26] زاد في البيان وأوضح في البرهان إذ لا يتصور أن يكون فرعون اللعين رب الأولين والأولون هم سبب الآخرين فبطل دعواه أنه إله، ولما عجز عن جواب الحجة وأراد فتح باب العداوة على طريقة / الجملة ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُتِيبَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية 27] أي على زعمه

﴿لَمَجْنُونٌ﴾ [الآية 27] لنقصان عقله أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر على وجه تكرر. وقيل: سماه رسولاً على السخرية فتدبر.

وقال عمرو المكي: لما سأل موسى هذا السؤال وأجابه بقوله ربكم ورب آبائكم الأولين علم فرعون أن الحجة قد وجبت لكن خاف الافتضاح عند قومه فأعرض عن مساءلة موسى ورجع إلى قومه بقوله إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون بزعمه.

وأفاد الأستاذ: أن فرعون حماه عن سنين الاستقامة في المخاطبة وأخذ في السفاهة فقال: إن رسولكم الذي أرسل إليكم يعني بزعمه لمجنون ولم يكن في شيء مما كان يجري من موسى عليه السلام ما يتعلق به فقال إنه من صفة المجانين في الكلام.

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 28] علم أنه لا جواباً لكم غير ذلك ففي الأول لا يفهم لما رأى شدة شكايتهم حاسبهم وعارضهم بمثل مقالتهم.

﴿قَالَ لَيْنِ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ [الآية 29] عدل عن المحاجة بعد انقطاع الحجة كما هو آداب الجهلة عند الغلبة أن يظهروا العداوة بالمشاتمة والمضاربة والمقاتلة.

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 30] أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك بحجة ظاهرة هنالك من المعجزة بين صدق دعاوي بالرسالة المتضمنة للدلالة على وجود الصانع وحكمته في آثار صفاته الجلالة.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الآية 31] في أن لك بينة فإن دعوى النبوة يقتضي حجة ﴿فَأَلْفَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 32] ظاهر ثعبانيته ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾ [الآية 33] فيها شعاع كاد يغشي الأبصار ويبيد أفق الفلك الدوار، ولعل إظهار الآيتين لتكامل نصاب الشهادتين وليتأكد الحجة على المعاند بالقضيتين.

وأفاد الأستاذ: أنه أظهر معجزته بإلقاء العصا وقلبه سبحانه ثعباناً في الفضاء وكاد يلتقم دار فرعون بمن فيها ووثب فرعون هارباً من فوق قصره واختفى تحت سريره وانتفض من الخوف ظهره وتلطح بالوحشة ثوبه وافتضح في دعوى ألوهيته واتضح عجزه في حالته، ثم إنه استقال / موسى واستغاث 319/أ به واستجاره فأخذ موسى الثعبان فأداره فرده الله عصا كما أراده فلما فارقه موسى عليه السلام تداركته الشقاوة وأدركه شؤم الكفر في ذلك المقام واستولى عليه الحرمان من الإسلام وانقياد الأحكام كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضني عاد إلى نكسه⁽¹⁾

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ﴾ [الآية 34] مستقرين عنده منقادين له ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية 34] فائق في علم السحر وما هو في طريق الكيد والمكر ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ [الآية 35] ويكون الملك والملك تحت أمره ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الآية 35] في دفعه وقهره بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مؤامرة القوم من العسكر والرعية وتنفيرهم عن موسى بإظهار الاستشعار عن ظهوره وغلبته واستيلائه على مملكته.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الآية 36] أخر أمرهما وقيل احبسهما ﴿وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الآية 36] جمعاً يحشرون السحرة ويأتون بهم للمعارضة فإنه أهون في دفع دعوى الفتنة وأسهل في رفع المحنة ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ﴾ [الآية 37] مبالغ في أمر السحر ﴿عَلِيمٍ﴾ [الآية 37] بأساليب المكر فبعثوا فذهبوا فحشروا ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الآية 38] لما وُقَّت فيه من ساعات يوم معين ونهار مبين، وهو وقت الضحى من يوم الزينة⁽²⁾.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ [الآية 39] أي اجتمعوا في تلك الحال لتشاهدوا ما جرى في آخر المال ﴿لَمَلْنَا نَبْعُ السَّحَرَةَ﴾ [الآية 40] في دينهم الذي

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس . انظر العقد الفريد (1/ 234) والتمثيل والمحاضرة (19/1).

(2) يعتبر من أكبر أيام مصر في قديم الزمان . انظر تاج العروس (1/ 8060).

هم عليه ﴿إِنْ كَانُوا هُمْ الْفَالِغِينَ﴾ [الآية 40] على موسى وما لديه ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا﴾ [الآية 41] أي مالاً ومنالاً وجاهاً وقدرأً ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَالِغِينَ﴾ [الآية 41] فيما أظهر أمراً.

في تفسير السلمي دل ذلك أن طالب الأجر على عمله مبطل لسعيه ومضيق لأمله ومن عمل لله وأخلص في طلب رضاه كان عمله بعيداً في طلب الأعواض منزهاً عن ملاحظة الأعراض، ألا ترى أن الأنبياء عليهم السلام كيف اتفقوا على هذا الأمر حيث قالوا لأممهم: ﴿مَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: الآية 57].

﴿قَالَ﴾ [الآية 42] أي فرعون ﴿نَعَمْ﴾ [الآية 42] لكم الأجر المبين ﴿وَإِن كُنْتُمْ إِذَا لِمَنْ الْمُتَقَرَّبِينَ﴾ [الآية 42] في أمر الدنيا والدن.

قال ابن عطاء: رب قرب أوث بعداً ورب بعد أوث قريباً، من ب/319 ب/تقرب/ إليّ بشيء غير الله أورثه ذلك بعداً عن مولاه. والمتقرب على الحقيقة إلى الله من تقرب إليه به لا بشيء سواه.

وأفاد الأستاذ: أنهم نطقوا بخساسة همتهم فضمن لهم عطاء أجرتهم ومن يعمل بأجرة لغيره ليس كمن يكون لله في عمله، ومن لا يكون له ناصرأً لا بضمان الجعالة فعن قريب سيخذله لا محالة. ثم من طلب عند مخلوق مقام القربة كان ما يصل إليه من المذلة يزيد على ما أمله من المعزة. قيل: ذلك التقريب هو أن يكونوا هو أول من يدخل عليه يوم اللقاء، فعلى هذا المقربون من الله من لهم الوصول إلى مقام رضاه والناس بوصف الغفلة ولهم على الله دخلة والخلق في أسر الحجة.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ [الآية 43] أي بعدما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين، ولم يرد به أمرهم بالسحر بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه من المكر توسلاً به إلى إظهار الحق وإيضاح الأمر ﴿فَالْقَوْمُ جَاهِلَةٌ وَعَصِيَّتُهُمْ﴾ [الآية 44] المزوقة بالزئبق ونحوه من التموهيات الموحية للتخييل بأنها الحيات الساعيات. قيل: كانت سبعين، وقيل سبعين ألفاً.

وأفاد الأستاذ: أنها كانت أوتاراً ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ ﴿[الآيتان 44، 45] أي بعزة الإله وأمره ورضاه ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ [الآية 45] أي حية تسعى ﴿تَلَقَّفُ﴾ [الآية 45] وقرأ حفص بالتخفيف أي تتبلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الآية 45] ما يقلبونه عن وجهه من الجمادية بتمويهاتهم وتزويراتهم الخيالية أنها الحيات الحقيقية.

﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾ (٤٦) [الآية 46] فألقاهم الله على وجوههم منقادين للدين عند ظهور حجة اليقين ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ الْغَالِبِينَ﴾ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿[الآيتان 47، 48] عطف بيان لدفع توهم أنه يراد به فرعون اللعين ﴿قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ﴾ [الآية 49] أي برب موسى وهارون أو لموسى ﴿قَبَلْ أَنْ ءَأَذَنْ لَكُمْ﴾ [الآية 49] أي آمركم بالإيمان به ﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية 49] أي موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [الآية 49] ولذا غلبكم أو توطأتم على عملكم ﴿فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ﴾ [الآية 49] وبال صنيعكم كما بيّنه بقوله: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبَنَّاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 49].

﴿قَالُوا لَا ضَيْرٌ﴾ [الآية 50] لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الآية 50] لراجعون إلى ثواب ما هنالك.

قال / ابن عطاء: من اتصلت مشاهدته بالحقيقة احتمل معها كل ما يرد 320/أ عليه من النعمة والمحنة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 51] من أتباع فرعون اللعين.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ [الآية 52] أي بعد سنين يدعوهم إلى الدين ﴿أَنْ أَسْرِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الآية 52] بني إسرائيل وغيرهم من المؤمنين ﴿إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ [الآية 52] يتبعكم فرعون وقومه أجمعون ﴿فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 53] حين علم بخروجهم ﴿فِي الْمَدْيَنَ حَشْرِينَ﴾ [الآية 53] جمعاً يجمعون العساكر ليتبعوهم قائلين ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ [الآية 54] طائفة قليلة ﴿فَقِيلُونَ﴾ [الآية 54] أي في غاية القلة، وإنما كانوا قليلين مع كونهم العرفاء من ستمائة وسبعين بالإضافة إلى جنوده المجتمعين، إذ روي أنه خرج وكانت مقدمته ستمائة ألف.

﴿وَأَنبَأَهُمْ لَنَا لَفَاطُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الآية 55] ما يغيظنا في بابهم فلا بد من لحوقهم وعقابهم ﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون أي ومن عاداتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمر للحذر ولذا جمعنا العسكر ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] أي فخلقنا داعية الخروج في قلوبهم حتى خرجوا كأنهم مضطرون في خروجهم ﴿مِن جَنَّتٍ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] بساتين مشتملة على أشجار ذات أزهار وأثمار ﴿وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] جارية في أنهار ﴿وَكُؤُوزٍ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] ودفائن من درهم ودنانير ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] منازل علية ومجالس بهية.

﴿كَذَلِكَ ﴿٥٩﴾﴾ [الآية 59] الأمر هنالك ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الآية 59] أي أعطيناهم بعد هلاك أعدائهم جزاء لما صبروا على بلائهم ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] أي فاتبعوهم بما ترى ﴿مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] داخلين في وقت شروق الشمس.
﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] أي كل منهما الآخر بالعيان ﴿قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] لملحقون ﴿قَالَ كَلَّا ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم ﴿إِنَّ مَعِيَ رَقِي ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] بالمعونة ﴿سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] سيدلني إلى طريق النجاة عنهم.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] النيل أو القلزم (1) وهو الذي يتوصل أهل مصر منه إلى الطور وإلى الحرمين الشريفين ﴿فَأَنفَقَ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] أي فضرب فانفراقاً فرقاً بينها مسالك اثني عشر بعدد الأسباط ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] أي كل قطعة عظيمة من الماء الواقف في الهواء ﴿كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] كالجبل المتين الثابت في مقره من الأرضين فدخلوا في شعابها كل/ سبط في شعب منها ﴿وَأَزَلَّفْنَا ﴿٦٤﴾﴾ [الآية 64] قربنا ﴿ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الآية 64] فرعون وقومه من البحر أو من بني إسرائيل حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم.

﴿وَأَنبَأْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الآية 65] فحفظ البحر على تلك الهيئة السننية إلى أن عبروا بالكلية ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الآية 66] بإطباق البحر

(1) المكان الذي غرق فيه فرعون. انظر لسان العرب (12/ 492) ويطلق عليه البحر الأحمر.

عليهم أجمعين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 67] ما ذكر من الإغراق والإنجاء من البلية ﴿لَايَةً﴾ [الآية 67] أي وأية آية ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ [الآية 67] أي أكثر قوم فرعون ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 67] كما قال تعالى: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ [يونس: الآية 83] على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 68] المنتقم من العصاة ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 68] بالمطيعين.

﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [الآية 69] أي على مشركي العرب حيث ادعوا أهم على دين آبائهم وإن إبراهيم من أنبيائهم ﴿تَبَّأَ إِزْرَهُمْ﴾ [الآية 69] ليعلموا أنه كان رئيس أهل التوحيد والدين القويم ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الآية 70] سألتهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ [الآية 71] أجساداً وأجساماً ﴿فَنظَّلْنَا مَا عَنكَبِينَ﴾ [الآية 71] فندوم لأجلها ملازمين واقفين.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ﴾ [الآية 72] أي دعاءكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الآية 72] حين تدعونهم فيستجيبون لكم ﴿أَوْ يَفْعَلُونَكُمُ﴾ [الآية 73] على عبادتكم لهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الآية 73] من أعرض عنهم ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الآية 74] فإننا بهم مقتدون اعترافاً بأنهم جاهلون مقلدون ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ﴾ [الآية 75] أي انتبهتم فعلمتم ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 75] أي أي شيء تعبدونه ﴿أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ [الآية 76] مما لا ينفعون ولا يضررون ﴿فَأَنبَتْهُمْ عُدُوًّا﴾ [الآية 77] في أمر الدين ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 77] استثناء منقطع، أي لكن محبة ثابتة في قلوب المؤمنين.

قال الأستاذ: فكأنه ضرب بلطف أضرب عن ذكرهم صفحاً وتوصل إلى ذكر الله نصحاً ثم لما أخذ في شرح وصفه كان لا يسكت فقال: والذي والذي، في تعداد نعتة ومن أمارات المحبة كثرة ذكر الحبيب والإعراض عن ذكر الرقيب، فتنزه المحبوبون بالتقلب في رياض ذكر محبوبهم والزهاد يعدون أورادهم وأرباب الحوائج يعدون مآربهم فيطنبون في دعائهم لمطالبهم والمحبون يشهدون في ثناء محبوبهم.

وقال سمنون: لا تصح المحبة لمن لم ينظر إلى الأكوان وما فيها بعين

أ/321 العداوة حتى يصح / له بذلك محبة الله والرجوع إليه بالانقطاع عما سواه.

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الآية 78] إلى طريق الدين وتحقيق اليقين.

قال الواسطي: لما استغرق إبراهيم في الخلة احتشم من ذكر خليله بالتصريح فرجع إلى الصفات وجعل يقول الذي ولم يصرح بل كنى ولما كان في ابتداء مقاماته وأوائل جذباته ولم يستغرق في الخلة وحالاته جعل يصرح ويقول ربي ربي .

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان مهتدياً، فالهداية التي ذكرها فيما يستقبله من الأزمنة الآتية أن يهديني إليّ فإنني محو في وجوده فليس لي خير عني فبعد أن يكونوا مستغرقين في نفوسهم لا يهتدون من نفوسهم إلى معبودهم فيهديهم عنهم إلى ربهم فيصرون في نهايتهم مستهلكين في وجوده فانين على أوصافهم ويصير مفارقهم بعدما كانت ضرورة ذاهبة منهم ضعيفة فيهديهم إليهم .

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي﴾ [الآية 79] قال النهرجوري: الذي يطعمني حلاوة ذكره ﴿وَيَسْقِينِي﴾ [الآية 79] كأس محبته، أي لسكري في شكره.

وقال الأستاذ: لم يشر إلى طعام معهود وشراب مألوف ولكن أشار إلى الاستدلال به من حيث أن المعرفة لهم بدل استقلال غيرهم بطعامهم وإلى شراب محبته الذي يقوم بدل استقلال غيره بشرابهم .

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ [الآية 80] وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مراده تعداد نعمة الله عليه والمقام يقتضي التأدب لديه، ولأن المرض يتبع الأكل والشرب غالباً وهو أثر فعل العبد كسباً كما قال ابن الرومي:

فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب⁽¹⁾

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب (1/278)، وبهجة المجالس وأئس المجالس (1/149).

قال ابن عطاء: إذا أمرضني رؤية الأغيار كان شفائي الرجوع إلى مشاهدة الجبار.

وقال الأستاذ: لم يقل أمرضني لأنه حفظ أدب الخطاب. ويقال: لم يكن ذلك مرضاً معلوماً ولكنه أراد تمارضاً موهوماً كما يتمارض العشاق طمعاً في عيادة الأحياء، كما قال قائلهم:

يود بأن يمشي سقيماً لعلها إذا سمعت منه بشكوى تراسله⁽¹⁾
وقال بعضهم:

إن كان يمنعك الوشاة زيارتي / فادخل عليّ بعلة العواد⁽²⁾ 321/ب

ويقال: ذلك الشفاء الذي أشار إليه الخليل هو أن يبعث الله جبريل ويقول له يقول مولاك: كيف كنت البارحة.

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ [الآية 81] في الدنيا ﴿ثُمَّ يُحْيِينِي﴾ [الآية 81] في العقبى. وأسند الإمامة إليه لأنه لا قدرة لغيره عليه مع أن الموت تحفة المؤمن وهدية الموقن لكونه وصلة إلى نيل الدرجات العلية والمثوبات الجليلة التي يستحقق دونها اللذات الدنيوية مع ما فيه من الخلاص من أنواع المحن والبلىة. قال بعضهم: يميتني ظاهراً ثم يحييني بالاستتار ويحييني بالتجلي باطناً.

وقال أبو عثمان: يميتني بخوفه ويميتني برجائه. وقال الواسطي: يميتني بالاستتار ويحييني بالتجلي والإظهار. وقال جنيد: يميتني بالغفلة ثم يحييني بالذكر والطاعة. وقيل: الذي يميتني بالمحنة ثم يحييني بالنعمة.

وقال محمد بن حامد: يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة.

وقال الأستاذ: يميتني بإعراضه عني وقت تعززه مني ويحييني بإقباله عليّ حين إفضاله. ويقال: يميتني عني ويحييني به.

(1) نسب إلى كثير عزة. انظر الزهرة (1/108)، ودواوين العرب (2/186).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (5/428).

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الآية 82] لعله أراد بالخطيئة الغفلة والتقصير في الطاعة كما قال بعضهم: حسنات الأبرار سيئات الأحرار.

قال أبو عثمان: أخرج سؤاله على حد الأدب حيث لم يحكم بالمغفرة على الرب ولكنه قال: والذي أطمع أي طمع العبيد في مواليتهم وإن لم يكونوا مستحقين شيئاً لهم عليهم.

وأفاد الأستاذ: إن خطيئة الأحابب شهودهم محبتهم ونفسهم عند شدة البلاء عليهم وشكواهم ما يمسه من برحاء الاشتياق لديهم. وفي معناه أنشدوا:

وإذا محاسني اللائي أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر⁽¹⁾

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ [الآية 83] كمالاً في العلم والعمل والصدق أستعد به خلافة الحق ورياسة الخلق ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِ﴾ [الآية 83] الكاملين في مقام الصلاح وحالة الفلاح القائمين بحقوق الله وحقوق عباده وفق رضاه.

وقال الأستاذ: حكماً على نفسي أولاً فإن من لا حكم له على نفسه لا حكم له على غيره.

﴿وَجَعَلَ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الآية 84] أي ثناءً حسناً وصيتاً / 322 أوجاهاً في الدنيا يبقى أثره إلى العقبى ولذا ما من أمة إلا وهم محبوبون له مثنون عليه ومنتسبون إليه.

قال سهل: ارزقني الثناء في جميع أمم الأنبياء.

وقال ابن عطاء: أطلق السنة أمة محمد بالثناء عليّ والشهادة لي فإنك جعلتهم شهداء مقبولين في الثناء.

وقال الأستاذ: أي لا أذكرك إلا بك ولا أعرف إلا بك.

﴿وَلَجَّلَنِي مِنَ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الآية 85] في الدار المقيم ﴿وَأَغْفِرْ

(1) ذكره القشيري في تفسيره (430/5).

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الآية 86] بالتوبة عن العصيان والهداية إلى الإيمان ﴿إِنَّكَ كَانَتْ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الآية 86] طريق اليقين ولا يبعد كون هذا الاستغفار قبل علمه عليه السلام أن أباه من الكفار.

وأفاد الأستاذ أنه عليه السلام قاله قبل يأسه من إيمان أبيه وهذا على لسان العادة للعلماء، وأما على بيان الإشارة للعرفاء، فذكره في وقت غلبات البسط ويتجاوز ذلك عنهم هنالك وليست إجابة العبد واجباً عليه سبحانه وأكثر ما فيه أن لا يجيبه، ثم لهم سلوة في ذكر أمثال هذا الخطاب ولا يهتدي كل أحد إلى هذا الباب.

﴿وَلَا تُحْزِنُنِي﴾ [الآية 87] لا تفضحني بمعاتبتي على تفريطي وتقصيري أو بتعذبي لجوازه عقلاً أو لتعليم الأمة لخفاء العقوبة مع أن الأنبياء معصومون عن سوء الخاتمة. قال بعضهم: خافوا الأنبياء على أنفسهم مع عظم مكانهم وسني مراتبهم فقال الخليل: ﴿وَلَا تُحْزِنُنِي﴾ [الآية 87] فمن أمره على نفسه فما هو إلا لغفلة له أو الاستدراج عليه.

وقال الأستاذ: أي لا تخجلني بتذكيري خلتي فإن شهود ما من العبد عند أرباب القلوب وأصحاب الخصوص أشد عقوبة ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 87] أي الخلائق أجمعون لأنهم معلومون.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الآية 88] أي أحداً أبداً ﴿إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الآية 89] أي مخلصاً موحداً سليم القلب عن معصية الرب أو لا ينفعان إلا حال من هذا شأنه وبنوه وأعوانه حيث اتقوا ما له في سبيل البر وأرشد نبيه إلى طرق الخير.

قال ابن عطاء: بقلب سليم أي تسليم من عند رب كريم. وقيل: القلب السليم اللديغ، ولعله إشارة «لدغت حية الهوى كبدي».

وقال الأستاذ: قيل هو الذي سلم من الضلالة ثم من البدعة ثم من الغفلة ثم من الغيبة ثم من/ الحجية ثم من المضاجعة ثم من المساكنة ثم من 322/ب الملاحظة هذه كلها آفات والأكابر سلموا منها والأصاغر امتحنوا فيها.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الآية 90] قُرِبَتْ لَهُمْ بِحَيْثُ يَرُونَهَا مِنَ الْمَوْقِفِ فَيَسْتَبْشِرُونَ بِأَنَّهَا مَحْشُورُونَ إِلَيْهَا ﴿وَبُرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الآية 91] أَظْهَرَتْ لَهُمْ فَيَتَحَسَّرُونَ عَلَمًا بِأَنَّهَا مَنجَرُونَ إِلَيْهَا، أَوْ الْمَعْنَى يَعْضُونَ عَلَى النَّارِ وَيَعْرِضُ عَنْهُمْ مَنَازِلَ الْأَشْرَارِ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿[الآيتان 92، 93]﴾ عَلَى زَعْمِ أَنَّهُمْ شَفَعَاءُ ﴿هَلْ يَبْصُرُونَكُمْ﴾ [الآية 93] بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ ﴿أَوْ يَنْصِرُونَ﴾ [الآية 93] بِدَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لِأَنَّهَا وَالْهَتَمُ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِجَمَلَتِهِمْ لِقَوْلِهِ: ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الآية 94] أَيِ الْآلِهَةِ وَعِبَدَتِهِمْ ﴿وَجُودُ إِبْلِيسَ﴾ [الآية 95] أَيِ شَيْطَانِيَّتِهِ أَوْ سَائِرِ أَتْبَاعِهِ ﴿أَجْمَعُونَ﴾ [الآية 95] أَيِ الْأَوْلَادِ وَالْآخَرُونَ.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الآية 96] جُمْلَةٌ مَعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْقَوْلِ وَمَقُولِهِ مَبِينَةٌ لِلْقَضِيَّةِ ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ إِذْ سُؤِيَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الآيتان 97، 98] أَيِ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ أَوْ اشْتِرَاكِ الْإِرَادَةِ.

وقال الأستاذ: لا فضيحة أفضح ولا عيب أشنع مما يعترفون به على أنفسهم بقولهم: ﴿إِذْ سُؤِيَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الآية 98] وأقبح أنواع الشرك وأشنع أنواع الكفر والجحود هو التشبيه في صفة المعبود.

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الآية 99] أَيِ الشَّيْطَانِيِّينَ أَوْ الرُّؤْسَاءِ الْأَقْدَمُونَ ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الآية 100] كَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ ﴿وَلَا صَلِيقٍ جِئِمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الآية 101] قَرِيبٍ أَوْ مِنْهُمْ إِذْ ﴿الْأَجْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بِمَعْشِرِهِمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: الآية 67] وَجَمَعَ الشَّافِعَ وَوَحَدَ الصَّدِيقَ لِكَثْرَةِ الشَّفَعَاءِ وَقِلَّةِ الْأَصْدِقَاءِ أَوْ لِأَنَّ الصَّدِيقَ الْوَاحِدَ يَسْعَى فِي وَقْتِ الْبَلَاءِ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْعَى فِي وَقْتِ الشِّفَاءِ.

قال الأستاذ: في بعض الأخبار أنه يجيء يوم القيامة عبد يحاسب فتستوي حسناته وسيئاته ويحتاج إلى حسنة واحدة يرضي عنه خصومه فيقول الله له: عبدي بقيت لك حسنة واحدة إن كانت أدخلتك الجنة انظر وتطلب من الناس لعل واحداً منهم يهبك حسنة واحدة، فيأتي العبد في الصفيين ويطلب من أبيه ثم من أمه ثم من أصحابه فيقول الكل في بابه فلا يجيبه أحد إلى ما به وكل

يقول له: أنا اليوم فقير إلى حسنة واحدة، فيرجع إلى مكانه فيسأله الحق سبحانه/ فيقول: ماذا أجبت به، فيقول: يا رب لم يعطني أحد حسنة من حسناته، 323/أ فيقول الله تعالى: عبدي ألم يكن لك صديق فيّ، فيذكر العبد فيقول فلان كان صديقاً لي، فبدله الحق عليه فيأتيه فيكلّمه في بابه فيقول: بلى لي عبادات كثيرة قبلها اليوم عني فقد وهبتها منك، فيسير هذا العبد فيجيء إلى موضعه فيخبر بذلك ربه فيقول الله: قد قبلتها منه ولم أنقص من حقه شيئاً وقد عفوت لك وله. وهذا معنى قوله: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١١٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١١١﴾﴾ [الآيتان 101، 100].

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴿١٠٢﴾﴾ [الآية 102] أي فليت لنا رجعة في العقبى ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 102] في الدنيا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الآية 103] فيما ذكرنا من القصة ﴿لَايَةً ﴿١٠٣﴾﴾ [الآية 103] لحجة وعظة وعبرة للمستبصرين والمعتبرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ ﴿١٠٣﴾﴾ [الآية 103] أكثر قومه ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 103] به أو بربه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴿١٠٤﴾﴾ [الآية 104] الغالب على مراده ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 104] بعباده.

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [الآية 105] أي أمته ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 105] إليهم، وقوم نوح ومن قبله ولأنه تكذيب واحد واحد منهم تكذيب لجميعهم ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [الآية 106] لأنه كان منهم ﴿أَلَا نُنْفِوْنَ﴾ [الآية 106] الله فتركوا عبادة من سواه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الآية 107] مشهور بالأمانة عندكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الآية 108] مخالفته أو عقوبته ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 108] فيما أمركم به من التوحيد لله والطاعة لرضاه ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴿١٠٩﴾﴾ [الآية 109] أي على تبليغ الأمر ﴿مِنَ الْجَزْرِ ﴿١٠٩﴾﴾ [الآية 109] نوعاً من الأجر ﴿إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 109] فأجره أعلى وأعلى في القدر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 110] ﴿﴾ [الآية 110] كرهه للتأكيد وللإيحاء إلى أن اجتناب السيئات وارتكاب الطاعات هو المطلوب في جميع الحالات يستوي فيه المبتدأ والمنتهى في المقامات.

قال الواسطي: التقوى أوائل المنازل وأواخرها ولا غاية له في المناهل وذلك أنه ليس للمتقي غاية ينتهي إليها ولا نهاية يستغني عنها ثم حقيقة التقوى أن يتقي العبد من تقواه. وقيل التقوى هو التخلي عن كل مذموم في

التحلي بكل محمود.

﴿ قَالُوا أَنْوَمُنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ [الآية 111] الأقلون جاهاً ومالاً

وهذا من سخافة عقلهم في الأمور الدينية وقصور نظرهم عن الحطام الدنية ب/323
الدينية حتى جعلوا أتباع المقلين فيها مانعاً عن أتباع المكثرين/ بها وجعلوا
إيمان الفقراء بما يذعن إليه الأغنياء دليلاً على بطلانه وحجة على ضعف شأنه،
وأشاروا بذلك إلى أن اتباع الضعفاء ليس عن نظر وبصيرة بل إنما هو لتوقع مال
ورفعة فلذا قال: ﴿ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَمَلُونَ ﴾ [الآية 112] إنهم عملوه
خالصاً من رياء وسمعة أو طمعاً في حصول طعمة وأنا ما أحكم إلا بالظواهر
والله أعلم بالسرائر.

﴿ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي ﴾ [الآية 113] ما جزاؤهم من ثوابهم وعقابهم على
مقتضى بواطنهم إلا على الله المطلع على أحوالهم ﴿ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ [الآية 113] ذلك
لعلمهم ما هنالك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون.

قال الأستاذ: وكذلك أتباع كل رسول إنما هم الأضعفون لكنهم في
حكم الله هم المتقدمون الأكرمون ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الآية 114] أي
من الفقراء لتوقع إيمان الكافرين من الأغنياء حيث استكفوا باتباع الضعفاء ﴿ إِنَّ
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الآية 115] ما أنا إلا منذر للمكلفين عن الكفر والمعاصي
سواء كانوا أعزاء أو أذلال فكيف لي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء.

﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَنْتُحِ ﴾ [الآية 116] عما تقول من الدين ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الآية 116] من المضروبين بالحجارة أو المشتومين ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي
كَذِبُونَ ﴾ [الآية 117] فيما بلغتهم من طريق الصدق اليقين ﴿ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
فَتْحًا ﴾ [الآية 118] باب الحكم في نصرة الدين ﴿ وَيَجِيئِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
[الآية 118] من قصد فعلهم أو شؤم عملهم.

﴿ فَأَجْبَنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴾ [الآية 119] المملوء ﴿ ثُمَّ أَعْرَفْنَا
بَعْدَ ﴾ [الآية 120] بعد إنجائه ﴿ الْبَاقِينَ ﴾ [الآية 120] من قومه الكافرين ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً ﴾ [الآية 121] شاعت للحجة وذاعت للعبرة ﴿ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[الآية 121] في علمه القديم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 122] القادر على الاستئصال ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 122] بتأخير العقوبة عنهم اليوم بالإمهال.

وزاد الأستاذ فيما أفاد من أنه لم يقطع الرزق عنهم مع قبح أفعالهم وهو عزيز لا يستنصر بقبائح أعمالهم وما كان لو جمعوا على طاعته ليتجمل بأفعالهم.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ [الآية 123] أي قبيلتهم ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 123] أي جملتهم ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفِونَ﴾ [الآية 124] مخالفة الدين ﴿إِنِّي لَكُمُ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿فَأَنقَرُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الآيتان 125، 126] في أمر البقين ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 127] كالطامعين ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّي الْعَلِيِّنَ﴾ [الآية 127] في تصدير القصص فهذه الجملة دلالة على أن البعثة مقصورة/ على الدعوة إلى المعرفة 324/أ والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعد عن عقابه، وعلى أن الأنبياء مبرؤون عن المطامع الدنية والأعراض الدنيوية.

قال أبو جعفر: أزيلت الأطماع عن الرسل أجمع لدناءة الطمع.

وأفاد الأستاذ: أن من عمل لله فلا ينبغي أن يطلب الأجر من سواه وفيه تنبيه للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء أن يتأدبوا بأدابهم فلا يطلبوا من الناس شيئاً في بث علومهم ولا يرتفقون منهم بتعليمهم وتذكيرهم ومن ارتفق من المستمعين في بث ما يذكره من أمر الدين ويعظ به المسلمين فلا يبارك الله للناس فيما يسمعون ولا للعلماء أيضاً بركة فيما منهم يأخذون ويبيعون دينهم الخطير بالعرض اليسير ثم لا بركة لهم فيه يبقون به عن الله ولا ينتفعون وسيقعون على سخط من الله وعذابه.

﴿أَتَسْتَبُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ [الآية 128] مكان مرتفع ﴿ءَأَيَّةَ﴾ [الآية 128] علامة للمارة ﴿تَبْتُونَ﴾ [الآية 128] بنائها لاستغنائهم عنها أو قصوراً مفتخرون بها ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَافِحَ﴾ [الآية 129] مأخذ الماء وقصوراً مشيدة البناء أو حصوناً مرتفعة بالهواء ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَدُونَ﴾ [الآية 129] تسكنون بها وتدومون فيها فتحكمون أساس بنائها ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ [الآية 130] بسوط أو سيف أو لطمة ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الآية 130]

متسلطين ظالمين بلا رأفة ورحمة ولا قصد تأديب ونظر في عاقبة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 131] بترك هذه الأفعال الدنية ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 131] فيما أدعوكم إليه من الأعمال الرضية فإنه أنفع لكم في الأحوال الدنيوية والأخروية ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 132] بما تعرفونه منه أنواع النعم الجليلة ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ﴾ [الآية 133] كثيرة ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 134] غزيرة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 135] في الدنيا والعقبى فإنه سبحانه كما قدر على الإنعام قادر على الانتقام.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ﴾ [الآية 136] أنصحت لدينا ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الآية 136] فإننا لا نرجع عما نحن عليه من الدين ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 137] ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب المرسلين الأولين. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزمة بضميتين أي ما هذا الذي جئتنا به إلا عادة الأولين كانوا يزخرفونه ويزورونه من أمر الدين ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الآية 138] لا في الدنيا ولا في العقبى ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 139] أي نبههم هوداً ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الآية 139] ب/324 أجمعين بسبب/ تكذبيهم للتوحيد والنوبة بريح صرصر عاتية ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 139] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْكَزِبُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: الآيتان 139، 140] في نفي الإيمان عن أكثرهم إيماناً بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا في الدنيا بكفرهم وإشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه.

﴿كَذَبَتْ تَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 141] إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 141] إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الآية 142] فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 142] وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَلَائِكِينَ﴾ [الآية 143] أَتَتَزَكُّونَ فِي مَا هَلُمْنَا ءَامِنِينَ﴾ [الآيات 141-146] إنكاراً لأن يتركوا على حال تنعمهم مقيمين دائمين كما بيّنه بقوله: ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 147] وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الآيتان 147، 148] لطيف لين اللطف ثمره الكريم ﴿وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ [الآية 149] وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين أي بطرين آثرين مفتخرين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 150] فيما تؤمرون ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 151] ولا تنقادوا لأمر المجرمين من الرؤساء

والمنكرين من الأغنياء ﴿الَّذِينَ يُسِيدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصَلِّحُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾ [الآية 152] ولا يتداركون.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾ [الآية 153] الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقلهم فصاروا كالمجانين ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [الآية 154] من الأكليين والشاربين ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ [الآية 154] من أنواع الدلالة ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 154] في دعوى الرسالة.

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ [الآية 155] أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها ﴿هَآ شِرْبٌ﴾ [الآية 155] نصيب من المال ﴿وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الآية 155] فاقترضوا على شربكم ولا تزاخموها في شربها ﴿وَلَا تَسْهَوْهَا بِسُوءٍ﴾ [الآية 156] بضرب وجرح ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ [الآية 156] عظم اليوم لعظم ما يحل فيه من العذاب الأليم فهو أبلغ من العذاب العظيم.

﴿فَمَقْرُوهَا﴾ [الآية 157] أسند الفقر إليهم لأن عاقرها إنما عقرها برضاهم ولذا أخذوا جميعهم ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ [الآية 157] على قصرهم وكفرهم خوفاً من العقوبة لا توبة من المعصية أو عند المعاينة حين لا تنفعهم التوبة.

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الآية 158] أي العذاب الموعود في الدنيا ﴿وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: الآية 127]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْفِقُ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَأَنْفَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الآيات 158-164] العالم بأحوال/ العالمين.

أ/325

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٥﴾ [الآية 165] أي مما بين من عداكم من العالمين لا يشارككم فيه غيركم حتى البهائم التي ليس لها ملة ودين وعقل ويقين ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ [الآية 166] لاستمتاعكم ﴿رَبُّكُمْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ﴾ [الآية 166] بيان لما، وأريد بهن جنس الإناث ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الآية 166] متجاوزون عن حد الشهوة أو مفرطون في المعصية لارتكاب هذه الجريمة.

﴿قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْهَ يَلُوطُ﴾ [الآية 167] عن أمرنا ونهينا وتقبيح مرادنا ﴿لَتَكُونَنَّ

مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿الآية 167﴾ عن بلادنا.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الآية 168] من المبغضين ﴿رَبِّ نَجِّي وَأَهْلِي مِمَّا يَمْعَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الآية 169] أي من شؤمه وعذابه ﴿فَنَجِّنُهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 170] أي أهل بيته والمتبعين له على ملته بإخراجهم من بينهم وقت قرب حلول العذاب لهم ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ [الآية 171] هي امرأة لوط ﴿فِي الْفَلْدَيْنِ﴾ [الآية 171] الباقيين في القرية المتشاركين في العقوبة.

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الآية 172] أهلكنا غير المؤمنين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ [الآية 173] بالإنزال من السماء فوقهم حجراً ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾ [الآية 173] مطر هؤلاء المجرمين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّجِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمَرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الآيات 174-176] الأيكة المفيضة تنبت ناعم الشجرة، والمراد بماء غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعبياً كما بعث إلى مدين وكان أجنبياً منهم فكذا ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ [الآية 177] ولم يقل أخوهم ﴿أَلَا نُنْفِقُونَ﴾ [الآية 177] وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليلة وهي اسم بلدتهم.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [الآية 178] معروف بالديانة دون الخيانة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 179] في المخالفة ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 179] في الموافقة ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 180] بل تبليغي عنهم بلا غرم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 180] فأجره أتم وثوابه أعم.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ [الآية 181] أتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الآية 181] حقوق الناس على وجه التعميم ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ [الآية 182] بالميزان السوي القويم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْثَلَهُمْ﴾ [الآية 183] لا تنقصوا أشياء من حقوقهم ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية 183] بنحو القتل والغارة وقطع طريق المارة ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحِجْلَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الآية 184] الخليفة الذين قبلكم.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴿[الآيتان 185، 186]

أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين/ للرسالة بخلاف قوم صالح 325/ ب
فإنهم تركوا الواو لإرادة التأكيد والاستئناف ﴿وَإِنْ نَطُنُّكَ لِمَنْ أَلْكَدِيدِينَ﴾ [الآية 186]
في دعواك بالنبوة وتهديدك لمن خالفك بالعقوبة.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية 187] قطعاً منها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 187] بنزول العذاب عنها ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾
[الآية 188] بأعمالكم وأحوالكم فينزل بكم ما أوجه عليكم في وقته الذي قدره أن
يصل إليكم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَّوْمٍ أُظْلَمَ﴾ [الآية 189] بأن سلط الله عليهم الحر
سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلمت سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً
فأحرقوا بها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٩٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ
﴿١٩١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الآيات 189 - 191] هذا آخر القصص السبع
المذكورة على طريق الاختصار تسلية لسيد الأبرار وتهديد للمكذبين له من الكفار
﴿وَإِنَّهُ﴾ [الآية 192] أي القرآن أو ما سبق من البيان ﴿لَنَنْزِلُ رَبِّ الْأَمِينِ﴾ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ
الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٩٥﴾ [الآيات
192-195] فصيح المبني واضح المعنى. وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي
بتشديد الزاي ونصب الروح الأمين.

وأفاد الأستاذ: أن كلام الله العزيز منزل على قلب رسوله الكريم غير
منفصل وبغير الله غير متصل، وهو على الحقيقة لا على المجاز منزل ومعناه:
إن جبريل كان في السماء فسمع من الرب فحفظ ونزل وبلغ إلى الرسول فمرة
كان يدخل عليه حال تأخذه عنه عند نزول الوحي عليه فيرد جبريل ذلك على
قلبه ومرة كان يتمثل له الملك فيسمعه، وكان الرسول يحفظه ويؤديه والله
ضمن له أن سيقربه حتى لا ينساه فكان يجمع الله له الحفظ في قلبه ويسهل
القراءة على لفظه، ولما عجز الناس بأجمعهم عن معارضته مع تحديد إياهم
للإتيان بمثله علم صدقه أنه من قبل ربه من طريق قلبه.

﴿وَإِنَّهُ﴾ [الآية 196] أي ذكر القرآن ومعناه بحسب البيان ﴿لَقَدْ زُيِّرَ الْأَوَّلِينَ﴾

[الآية 196] كتب المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ﴿أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾ [الآية 197] علامة على صحة القرآن مع قطع النظر من دلالة المعجزة أو على رسالة محمد إلى هذه الأمة ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الآية 197] أي يعرفوه بنعمته المذكورة في كتبهم. وقرأ ابن عامر تكن بالتأنيث وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر/ لهم وأن يعلمه بدل من الآية.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ [الآية 198] جمع أعجمي على التحقيق ويؤيده أنه قرئ بالتشديد ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا﴾ [الآية 199] أي أكثرهم ﴿بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 199] لتكبرهم وكثرة تعللهم ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ [الآية 200] أدخلنا القرآن المبين ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 200] أي منهم ومن غيرهم فعرفوا مبانيه وإعجازه ومعانيه ثم من عاندهم لم يؤمنوا بما فيه ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الآية 201] الملجىء إلى التوبة حين لا تنفعهم الندامة.

﴿فِي آيَاتِهِمْ بَغْتَةً﴾ [الآية 202] فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 202] بإتيان العقوبة لكمالهم في الغفلة واشتغالهم بالنعمة ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ [الآية 203] تحسراً وتأسفاً على ما كانوا يفعلون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنه لو نزل بغير لسانهم هذا الكتاب لم يهتدوا إلى طريق الصواب وقالوا لو كان بلساننا لعرفناه ولأما به واتبعناه، فأزاح عنهم العلة وأكد عليهم الحجة ثم أخبر عن صادق علمه منهم وسابق حكمه فيهم بالشقاوة عليهم وهو إنهم لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم في القيامة حتى لا ينفعهم الإيمان ولا الندامة.

﴿أَفِعْدَابًا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 204] حيث يقولون ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: الآية 48]، ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ [٢٠٥] ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ [الآيات 205-207] لم يغن عنهم تمتعهم في دفع عذابهم.

وقال الأستاذ: إن أرخينا لهم المدة وأمهلناهم أزمته كثيرة وهم بوصف الغفلة فما الذي كان ينفعهم إذا أخذهم العذاب بغتة ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبٍ إِلَّا

لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ [الآية 208] أنذروا أهلها إلزاماً للحجة ﴿ذَكَرْنَا﴾ [الآية 209] تذكراً وتبصرة ونصبها على العلة ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الآية 209] ولو أهلكننا العالمين بلا خطيئة.

﴿وَمَا نُنزِّلُ بِهِ الشَّيَاطِينَ﴾ [الآية 210] كزعم الكفرة أنه من قبيل ما يلقي الجن على الكهنة ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ [الآية 211] وما يصح لهم أن يتنزلوا به إليه ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الآية 211] وما يقدرون عليه ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ [الآية 212] أي بالمواجهة لكلام الملائكة في السماء من الوحي النازل للأنبياء ﴿لَمَعْرُؤُونَ﴾ [الآية 212] لعدم وجود المشاركة في صفاء الذات وضيء الصفات وقبول فيضان الكلمات على الكمالات وانتعاش بالصور الملكوتية لكون نفوس الشياطين في غاية من الخباثة الظلمانية.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ/ فَتُكُونَ مِنَ الْمَعْدِينِ﴾ [الآية 213] تهيج 326/ ب
لازدياد المخلصين ولطف لسائر المكلفين ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الآية 214] الأقرب فالأقرب منهم فإن الاهتمام بشأنهم أهم من غيرهم.

قال الأستاذ: وذلك بتعريفه أنه لا ينفعهم قرابته منهم ولا تقبل شفاعته فيهم على تقصيرهم وعدم إيمانهم فليس هذا الأمر من حيث النسب بل باعتبار التقوى والحسب. هذا نوح لما كفر ابنه لم ينفعه بنوّه وهذا إبراهيم لما كفر أبوه لم تنفعه أبوته، وهذا محمد ﷺ وكثير من أقاربه كانوا أشد الناس عليه في عداوته فلم ينفعهم نسبه وقرابته.

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ [الآية 215] ألن جناحك وكن من المتواضعين ﴿لِمَنْ أُوْبِعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 215].

قال الأستاذ: قاربهم في الصحبة واسحب ذيل المجاوزة على ما ينذر منهم في تقصير الخدمة واحتمل منهم سوء الأعمال وعاشرهم بجميل الأحوال وتحمل عنهم وارحم كلهم فإن مرضوا فعدهم وإن حرموك فأعطهم وإن ظلموك فتجاوز عنهم وإن قصرُوا في حقك فاعف عنهم واشفع لهم واستغفر لهم.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ [الآية 216] ولم يتبعوك فيما يؤمرون ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا

تَعْمَلُونَ ﴿ [الآية 216] من أعمالكم إذ ليس لي اطلاع على أحوالكم في مآلكم.

وفي تفسير السلمي قيل: برىء كل نبي عن مَنْ عصاه من ذرية الأنبياء ﷺ شرف مرتبته وعظم قربته لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ [الآية 216] بارتكاب العصيان بعد تحقق الإيمان ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ﴾ [الآية 216] من أعمالكم لا بريء منكم في آجالكم فإن لك محل الشفاعة والشفاعة تزيل عنهم ظلمة المعصية.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الآية 217] الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم. وقرأ نافع وأبو عامر فتوكل بالفاء على البدل من الجزاء.

قال جنيد: التوكل أن تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه فإن حاجتك في الدارين إليه فلا تعتمد إلا عليه.

وقال الأستاذ: انقطع إلينا واعتصم بنا وتوسل بنا إلينا وكن بنا وإذا قلت فقل بنا وإذا وصلت فصل بنا واشهد تقلبك في قبضتنا وتحقق بأنك بتناولنا. ويقال: توكل على العزيز تجد العز بتوكلك عليه وانقيادك إليه وتفويض/ بالكلية عما دونه أمرك إليه فإن العزيز من وثق بالعزيز الرحيم الذي يقرب من تقرب إليه ويجزل الخير لمن توسل إليه وتوكل عليه.

أ/327

﴿الَّذِي يَرَبُّكَ جِنَّةً تَقُومُ﴾ [الآية 218] إلى الصلاة وحدك من المتطوعين أو المتهجدين ﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ [الآية 219] وتصرفك في أركان الصلاة فيما بين المصلين. والمعنى يزجيك إذا صليت بوصف الوحدة وإذا صليت في الجماعة يعني توكل على مَنْ يراك في حال اجتهادك لمرضاة مولاك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 220] لأقوالك وأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 220] لأحوالك وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه اقتطعه بهذه الآية عن شهود الخلق فأمن علم أنه بمشهد من الحق وأعاد فائق حالاته وحقائق طاعته ثم هوّن عليه معاناة مشاق عباداته برويته له في تقلباته إذ لا مشقة في حمل البلوى لمن يعلم أنه بمرأى من المولى لأن تحمل الجيل الرواسي يهون لمن حملها على شفرة من جفن عينه على مشاهدة ربه. وقوله: ﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ [الآية 219] فهم

نجوم وأنت بدر، وهم بدور وأنت شمس، وهم شمس وأنت للشمس شمس. ويقال: تقلبك في أصلاب أباتك من المسلمين الذين عرفوا الله فسجدوا له من دون من لا يعرفوه ولم يدخلوا في الدين، إنه هو السميع لأئین المحبين العليم بحنين العارفين. ويقال: السميع لأئین المذنبين العليم بأحوال المطيعين.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الآيتان 221، 222] كثير الكذب عظيم الإثم من الكهنة والمنجمين ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كَذِبًا﴾ [الآية 223] أي يسترق المسموع من السماء فيختطفون كلمة من الملائكة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس مع مائة من الكذب، ففي الصحيحين الكلمة يختطفها الجني فيقرأها في أذن وليه ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة⁽¹⁾ وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقى قبل أن يدركها.

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الآية 224] أي الضالون يعني شعراء الكفار يهجون سيد الأبرار والصحابة الكبار ويقولون نحن نقول مثل ما يقول محمد، فبعض الغواة يجتمعون إليهم ويستمعون / منهم ويرون عنهم.

ب/327

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ ﴿٢٢٥﴾﴾ [الآية 225] من أودية الكلام ﴿يَهيمُونَ﴾ [الآية 225] يذهبون كالمجنون ويخوضون في كل لغو وهم متحIRON فتارة للباطل يمدحون وتارة للحق يذمون.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الآية 226].

وأفاد الأستاذ: أن المراد بهم الشعراء الذين في الباطل يهيمون وفي أعراض الناس يقعون وفي التشبهات عن حد الاستقامة يخرجون ويعدون في أنفسهم ما لا يفون ويسلكون سبيل الكذب فيما يتفوهون.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية 227] في سائر الأوقات والحالات.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7561)، ومسلم في الصحيح (2228/122).

قال جنيد: الذكر الكثير هو دوام المراقبة في جميع الأحوال وطرده الغفلة عن القلب عن جميع الأفعال ﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ﴾ [الآية 227] استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين المكثرين لذكر الله حيث أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ومتابعة رضاه ولو قالوا مهاجاة أو أدلى به الانتصار ممن هاجاهم من الكفار مكافأة. روي أنه لما نزلت ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ [الآية 224] جاء حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إليه ﷺ وهم يبكون لديه فقال: قد علم الله حين أنزل هذه الآية من السماء أنا شعراء فأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 227] الآية، رواه ابن جرير وغيره⁽¹⁾.

والسورة وإن كانت مكية لكن أربع آيات منها وهي والشعراء إلى آخر السورة مدنية كما صرح به محيي السنة وغيره من الأئمة ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الآية 227] أي مرجع يرجعون بعد الموت أو حين الفوت وقرىء أي منفلت ينفلتون أي أي منصرف ينصرفون، والمعنى إذا عوقبوا على ظلمهم تحققوا آيسوا ما عملوا وندموا على ما أسلفوا وصدقوا ما كذبوا.

وقال ابن عطاء: سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منا. هذا وسياق الآية وإن كان في الكفار وشعرائهم لكنه عام لكل ظالم فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولذا كتب الصديق الأكبر عند الوصية لعمر رضي الله عنه: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر ابن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إنني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذلك ظني به ورجائي فيه وإن يَجُرْ ويبدل فلا أعلم الغيب» ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الآية 227] نقله ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله تعالى عنها⁽²⁾.

أ/328

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (5/ 277) رقم (26051)، وانظر تفسير الطبري (19/ 418) وتفسير ابن كثير (6/ 175).

(2) تفسير ابن كثير (6/ 177)، وتفسير ابن أبي حاتم (11/ 54) رقم (16846).



[مَكِّيَّة]

وهي ثلاث وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: إنه اسم عزيز قصده العاصي لطلب تخفيفه فظل وزره مغفوراً، اسم كريم قصده العابد لطلب تشريفه فصار أجره موفوراً، اسم جميل أمه الولي لطلب تشريعه فظل سعيه مشكوراً، اسم عظيم تعرض الفقير لوجوده فمحفته العزة وطوحته السطوة فصار كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، جلت الأجدية فأنى بالوصول وتقدّست الصمدية فمن الذي له أهل ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ [المدثر: الآية 55].

وكم باسطين إلى وصلنا أكفهم لم ينالوا نصيباً⁽¹⁾

﴿طَسَّ﴾ [الآية 1] بطهارة قدسي وسناء أنسي لا أخيب أمل من أمل لطفي. ويقال: بوجود بري يطيب قلوب أوليائي وبشهود وجهي يغيب أسرار أصفياي. ويقال: طلب القاصدين مقابل تعطفي وسعي العاملين معامل بلطفي ﴿تِلْكَ﴾ [الآية 1] آيات هذه السورة ﴿ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 1] لما أودع فيه من الحكم والأحكام أو لصحته بإعجازه الأنام. وفي عطف إحدى الصفتين إيماء إلى أنه مقروء بالسنتنا ومكتوب بأيدينا وجامع لما يحتاج إليه في ديننا وتأخيرته عن القرآن هنا باعتبار تعلق علمنا وتقديمه في الحجر باعتبار وجود اللفظ بعد شهود الخط والحظ.

(1) نسب إلى العباس بن الأحنف. انظر الشعر والشعراء (1/180).

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 2] حالان من الآيات أي هادية ومبشرة للمصدقين ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الآية 3] أي الذين يعملون الصالحات، وخصاً بالذكر لأن الصلاة أم العبادات البدنية والزكاة أم الطاعات المالية، فالمراد بهم الكاملون في الأمور الدينية ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 3] فيتحملون التكاليف الشاقة لخوف لحوق العقابة ووثوق المحاسبة.

قال بعضهم: التنبيه في إقامة الصلاة أن لا يواصلك بها ولا يفاصلك ب/328 ب بتركها لكن اتباع الأوامر تعظيماً لأمرها. / قيل: لا يكن حظك من صلاتك إقامتك بها دون السرور بما أهلت لها من القربة والمناجاة بسببها.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآيات وهذا الكتاب الجامع للبينات بيان وشفاء ونور وضياء وذكرى وبشرى لمن خلقنا له، الإيمان على ما أكدنا له الأمان وضمنا له الإحسان الذين يديمون المواصلات ويستقيمون في إدام المباحات ويؤدون عن أموالهم وأحوالهم وسكناتهم وحركاتهم الزكوات بما يقومون في حقوق المسلمين أحسن مقام في كل باب وينوبون عن ضعفائهم أحسن مناب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الآية 4] القبيحة حتى رأوها حسنة بجعلها محبوبة للطبع مكروهة للشرع ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الآية 4] عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع لها.

وقال الأستاذ: أغشيناهم فهم لا يبصرون أعمينا عليهم المسالك فهم عن الطريقة المثلى يعدلون أولئك الذين في ضلالتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [الآية 5] في الدنيا وسوء الحساب في العقبى ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [الآية 5] أخسر الناس في الخسارة وأنجسهم في التجارة لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة.

قال الواسطي: من أعرض عن الله أو خالف شيئاً من أمر مولاة جعل عقوبته في دنياه بتزيين عمله في قلبه وتحسينه في مهواه حتى لا يرى المخالفة

مخالفة وفضل بالكلية عن طريق رشده وسبيل هداه فيكون إذ ذاك الهلاك والوقوع في الفتنة هنالك .

وأفاد الأستاذ: أن سوء العذاب هو أن يجد الآلام والأسقام ولا يجد التسلي برؤية المبلى في ذلك المقام ولا يحمل عنه ثقل البلاء والعذاب شهود المبلي في ذلك الباب وذلك للكفار وأهل الحجاب، فأما المؤمنون فيخفف عنهم العقاب في الآخرة حسن رجائهم بالله ثم تضرعهم إلى الله ثم فضل الله معهم بالتخفيف في حال البلاء ووقت العناء ثم ما يوقع عليهم من الغشية والإقامة كما في الخبر إلى إخراجهم من النار .

﴿وإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ [الآية 6] لتؤتاه أحسن الإتيان ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾

[الآية 6] أي حكيم وأي عليم وجمع بينهما في معرض البيان للإشعار بأن / علوم 329/ أ القرآن منها ما هي حكمة وأحكام كالعقائد والشرائع ومنها علوم مجردة كالقصص والإخبار عن المغيبات والبدائع .

وقال أبو بكر ابن طاهر: إنك لتلقى القرآن من الحق حقيقة وإن كنت تأخذه في الظاهر عن جبريل بالواسطة قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرَّحْمَنُ: الآيتان 1، 2]. وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم .

وقال الأستاذ: أي الذي أكرمك بإنزال القرآن عليك من السماء هو الذي يحفظك عن الأسواء والأعداء وصنوف البلاء .

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾ [الآية 7] أي اذكر أسرار قصته التي هي من آثار علم الله وأنوار حكمته، والمراد بأهله زوجته وأهل بيته ﴿إِنِّي ءَأَسْتُ﴾ [الآية 7] أبصرت ﴿نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا﴾ [الآية 7] من أهلها ﴿بِخَيْرٍ﴾ [الآية 7] عن حال الطريق وكان قد فعله لقلة الفريق وظلمة العميق ﴿أَوْ ءَاتِيكُمْ بِسِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [الآية 7] بشعلة نار مقبوسة، ونوته الكوفيون على أن القبس بدل منه والعدتان على سبيل غلبة الرجاء عند حصول القصص ولذا عبر عنها بصيغة الترجي في طرود القصص والترديد للإيمان إلى أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أخذهما ثقة بعادة ربه أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [الآية 7] رجاء أن يستدفئوا بها من البرد

القوي فإنهم كانوا في الليل الشتوي.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ [الآية 8] قارب النار موسى ﴿تُودِي أَنْ بُورِكَ﴾ [الآية 8] أي بورك أو بأن بورك ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الآية 8] في طلبها أو في مكانها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الآية 8] أي ومن هو حولها من الملائكة وهو البقعة المباركة في قوله تعالى: ﴿تُودِي مَنْ شَطِطِي الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّوَ إِنْتَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصاص: الآية 30]، وهنا قال: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 8] تنزيلاً له عما لا يليق بذاته ولا ينبغي لصفاته وتصدير الخطاب ببورك إشارة إلى البشارة وهي أنه قد قضي له أمر عظيم يقصر عنه العبارة. وعن ابن عباس وغيره: أي قدس من في النار وهو الله سبحانه والنار نور والأنوار عليك ومخاطبة يعني أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها.

وقال ابن عطاء: أصابتك بركة النار بوارد الأنوار عليك ومخاطبة الحق ب/329 لديك فإنك أنست في الظاهر ناراً وكانت في الحقيقة أنواراً/ فأزال عنك أنسك بها وخصك الأنس بنورها وكلمك وأنباك عند الكلام وخصصت به فيما بين الأنام.

وأفاد الأستاذ: إنه عليه السلام لما سار بأهله من مدين شعيب متوجهاً إلى مصر وطنه ودجا عليه الليل وأخذ امرأته الطلق وشدة الويل وهبت الرياح الباردة وقدم النار فلم يورد الزند بالشرارة الشاردة وضاق على موسى الأمور الواردة حيث تشتت به الهم واستولى على قلبه الشغل الأهم، فرأى ناراً من بعد فقال لأهله: امكثوا إنني أبصرت ناراً. وفي القصة أنه تشتت أغنامه وكانت له بقور وثيران تحمل متاعه فشردت فقالت امرأته: كيف تتركنا وتمضي والوادي مسبع، فقال: امكثوا إنني لأجلكم أمضي وأتعرف أمر هذه النار لعلي آتيكم منها إما بقبس وشعلة أو بخبر عن قوم نزول عليها لنا بهم استعانة ومن جمعتهم منفعة. وكان في رأي عينه أن تلك النار التي لاحت له قريبة وكان يمشي موسى والنار تتباعد حتى قرب من النار فرأى شجرة رطبة تشتعل كلها ناراً من أولها إلى آخرها وهي نار مضيئة فجمع خشبات من

حولها وأراد أن يقتبس منها فعند ذلك سمع النداء من الله: ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ [الآية 9] فكان موسى عند الشجرة فسمع النداء من الله لا من الشجرة كما توهم المخالفون من أهل البدعة وحصل الإجماع أن موسى تلك الليلة سمع كلام الله سبحانه ولو كان النداء في الشجرة لكان التكلم بذلك الشجرة ولا ينكر في الجواز أن يكون الله أسمع موسى كلامه بإسماع خلقه له وخلق كلاماً في الشجرة أيضاً، فموسى سمع كلامه القديم، وسمع كلاماً مخلوقاً في الشجرة أيضاً وهذا من طريق العقل جائز إلى يا موسى إنه الضمير للشأن أو للمتكلم وهو أوفق في البيان لما في طه والقصص ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: الآية 30] فأنا خير والله بيان له ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية 9] صفتان ممهدتان لما أراد أن يظهره أي القوي القادر على مراده الفاعل بمقتضى مشيئته وفق حكمته في عباده وبلاده.

وقال الأستاذ: الذي يخاطبك أنا الله العزيز في استحقاق جلالي الحكيم في جميع أفعالي.

/ ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الآية 10] أي ونودي أن ألقِ عصاك قال: فألقاها فإذا هي 330/أ حية تسعى ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ [الآية 10] تتحرك وتضطرب سريعة ﴿كَأَنهَا جَانٌّ﴾ [الآية 10] حية خفيفة ﴿وَلَوْ مُدْبِرًا وَلَوْ يَعْقِبُ﴾ [الآية 10] لم يرجع إلى عقبه من كمال رعبه في قلبه من جهة ربه كما أشار إليه بقوله: ﴿يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ [الآية 10] أي من غيري ثقة بي ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 10] أي لا يخافون حين يوحى إليهم من فرط استغراقهم بي ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [الآية 11] منهم أو من غيرهم ﴿ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ [الآية 11] صدر عنهم ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية 11] بهم.

قال الواسطي: إلا من ظلم برؤية النفس والالتفات إليها والإقبال عليها. وقيل: إلا من خاف غيرنا أي وغفل عن أن الأمر كله لنا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراه في عصاه من البرهان المبين حتى يحصل له كمال اليقين فقلبها الله حية صغيرة ثم حية كبيرة فأوجس في نفسه خيفة وولى مدبراً هارباً من الحية وكان خوفه من الله أن يسلمها عليه لما كان معلوماً لديه بأن الله أن يعذب من يشاء بما يشاء كيف شاء، فقال له الحق:

يا موسى لا تخف إنني لا يخاف لدي المرسلون، أي لا يتبقى لهم أن يخافوا إلا من ظلم وهذا يدل على جواز الذنب على الأنبياء فيما لا يتعلق بتبليغ الرسالة بشرط عدم الإصرار على الذلة فأما من لم يجوز عليهم الخطيئة فيحمل هذا على ما قبل النبوة. فلما رأى موسى انقلاب العصا علم أن الحق هو الذي يكاشفه بالنداء.

ويقال: كيف علم موسى أن الذي سمعه كلام الله، والجواب: أنه يتعريف منه إياه فيجوز أن يكون ذلك العلم فيه ضرورياً ويجوز أن يكون كسبياً ويكون الدليل له الذي علم به صدقه في قوله إنني أنا الله هو ما ظهر على يده في الوقت من المعجزة كقلب العصا وإخراج اليد البيضاء كما قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [الآية 12] لأنه كان عليه مدرعة صوف لا كم له ﴿مَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوِّءٍ﴾ [الآية 12] آفة كبرص ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ [الآية 12] في جملتها أو معها ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ [الآية 12] أي مرسلأ إليهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتِيئِينَ﴾ [الآية 12] خارجين عن طاعة ربهم.

قال الأستاذ: وفي القصة أن موسى عليه السلام ذكر انشغال قلبه ب/330 ب بحدِيث أهله وما أصابه تلك الليلة من الأحوال التي أوجبت انزعاجه / وقصده إلى طلب النار فقال تعالى: إِنَّا كَفَيْنَاكَ ذَلِكَ الْأَمْرَ وَوَكَلْنَا بِأَمْرَاتِكَ وَأَسْبَابِكَ فَجَمَعْنَا أَغْنَامَكَ وَسَلَّمْتَ تِلْكَ الْمَرْأَةَ.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾ [الآية 13] بأن جائهم موسى بها على طريق خرق العادة ﴿مُبْصِرَةً﴾ [الآية 13] بيّنة واضحة وظاهرة لائحة أو مبصرة كل من نظر إليها وتأمل فيها ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 13] صريح سحرية.

﴿وَحَمَدُوا بِهَا﴾ [الآية 14] أي أنكروها وكذبوا بها ﴿وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [الآية 14] أي والحال أنها استيقنتها ﴿ظُلْمًا﴾ [الآية 14] لأنفسهم بالعصيان والعدوان ﴿وَعُلُوًّا﴾ [الآية 14] ترفعاً عن الإيمان وتجاوزاً عن الكفران، ونصبها على العلة أو الحالية ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 14] وهي الإغراق في الدنيا والأحزان في العقبى.

قال الأستاذ: ولم يظهر الله سبحانه آية على رسول من أنبيائه إلا كانت في الوضوح بحيث لو وضعوا النظر فيها موضعه لوصلوا إلى حصول العلم وثلج الصدر في حقيقة الأمر، ولكنهم قصرُوا في بعضها بالإعراض عن النظر فيها وفي بعض عرفوها فقابلوها بجحدها وكما يحصل من الكفار الجحد يحصل من العاصين في بعض الإلمام ببعض الأنام حالة يعلم فيها بالقطع إن ما يفعله غير جائز ويتوالى على قلبه الخواطر الزاجرة للداعية له عن فعلها من غير أن يكون متغافلاً عنها أو ناسياً لها، ثم يقدم على ذلك غير محتفل موافقة لشهوته هنالك، وهذا الجنس من المعاصي أكثرها شؤماً وأكبرها لوماً وأشدّها في العقوبة وأبعدها في المغفرة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [الآية 15] لدينا وحكماً مبيناً فقاما بشكره وعملا بأمره ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 15] ممن لم يؤت علمهما. وفيه تنبيه على فضل العلم وشرف أهله وتحريض للعالم على أن يحمد الله على ما آتاه من فضله ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير من مثله، وإيماء إلى أن العلم في الحال والمآل خير من الملك والمال ولذا لم يدخلها في غير مقال الحمد للملك المتعال.

قال ابن عطاء: أي علماً بربه وعلماً بنفسه فأثبت لهم علمهم بالله علم أنفسهم وألسنتهم على أنفسهم حقيقة العلم بالله ولذا/ قال علي رضي الله 331/أ عنه: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»⁽¹⁾.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [الآية 16] أي النبوة أو المعرفة الخاصة أو الملك والحكومة بأن قام مقام أبيه دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر.

قال جنيد: أعلمناهما بسم الله الرحمن الرحيم فورث سليمان ذلك من أبيه داوود فكتبه وصدر كتبه فلذلك قالت: ﴿إِنِّي أُلْقِي إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ﴾ [الآية 29] إنه افتتح بسم الله الرحمن الرحيم، ولم تر قبله مفتتحاً بهذه الفاتحة أي التي هي

(1) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (189/1) رقم (349)، والمقاصد الحسنة (657/1) رقم (1149)، وكشف الخفا (262/2) رقم (2532).

كثيرة الفاتحة ﴿وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مِّنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 16] من أنواع البر وأصناف الخير. قاله تحدثاً بنعمة الله واشتهاراً لا تكبراً وافتخاراً ودعا للناس على وجه الاستئناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظام ما أوتيته من الخير ومن ذلك ما حكى أنه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال: يقول إذا أكلت نصف تمره فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاخنة فقال: تقول ليت الخلق لم يخلقوا، والصواب أن العلم بمنطق الطير على حقيقة المقال دون ما يفهم من قرينة الحال كما توهم من قال: لعل كان صوت البلبل عن الشيع وفراغ البال وصياح الفاخنة عن مقاساة شدة الحال وتألم القلب والبال، فإنه حينئذ لم يكن خرق عادة بل مجرد فراسة ناشئة عن كياسة مع أن مثل هذه المقالة لم تتصور في قضية النمل والهدهد.

هذا وقد قال أبو عثمان المغربي: مَنْ صدق مع الله في أحواله فهم عنه كل شيء وفهم عن كل شيء ما صدر من مقاله فيكون له في أصوات الطيور وصرير الأبواب علماً يعلمه ويتنبأ في جميع الفصول والأبواب. ولعل هذا أحد معاني فصل الخطاب والله أعلم بالصواب.

وأفاد الأستاذ: أن في قوله علمناه منطلق الطير دلالة على معجزته فأظهرها لقومه وأمته ليعلموا بها صدق إخباره عن نبوته ومن كان صاحب بصيرة وحضور قلب بالله يشهد الأشياء كلها بالله ومن الله فيكون مكاشفاً بها من حيث التفهيم لها فكأنه سمع من كل شيء. وتعريفات الحق سبحانه للعبد 331/ ب كل شيء من كل شيء لا نهاية له وذلك موجود/ فيهم ومحكي عنهم، وكما أن ضرب الطبل مثلاً دليل تعرفون بالمواصفة بسماعه وقت الرحيل والنزول فالحق يخص أهل الحضور بفنون التعريفات من سماع الأصوات وشهود أحوال المرئيات في اختلافها من الحالات، كما قيل:

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة⁽¹⁾

(1) ربما يكون لأبي فراس. انظر المدهش (1/ 231).

﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الآية 16] ما ذكر من العلم والمعرفة والنبوة والمعجزة ﴿هُوَ
الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [الآية 16] الذي لا يخفى على أهل الخبرة أن ليس فوقه منقبة
﴿وَحِشْرٌ﴾ [الآية 17] أي جمع ﴿لِسُلَيْمَانَ جُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ [الآية 17]
ولعل ذكر الإنس في الوسط إشعار بأنه من أهل الإنس ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [الآية 17]
يحسبون يكفّ أولهم ليتلاحق آخرهم.

وقال الأستاذ: سخر الله لسليمان عليه السلام الجن والطيور فكان الجن
مكلفين والطيور له كانت مسخرة لأنه كان عليها شريعة محررة ولذا الحيوانات
التي كانت في وقت حتى النمل والهدهد وغيره كان يعرف سليمان خطابهم
وكان ينفذ عليهم حكمه في بابهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ [الآية 18] أي مروا على واد بالشام كثير النمل
وأرادوا أن ينزلوا في ذلك المحل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ آدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا
يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُودُهُ﴾ [الآية 18] نهي لهم عن الحطم بحسب الظاهر، والمراد
نهيها عن التوقف في مكانها بحيث يحطمونها كقولهم: لا رأيتك ها هنا، فهو
استئناف أو بدل من الأمر لا جواب له على أن تكون لا نافية فإن النون لا تدخله
في السعة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 18] إنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يعقلوا
وكانها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء مباشرة وتسبيهاً للأشياء.

قال جنيد: قال سليمان لعظيمة النمل: لم قلت ادخلوا مساكنكم أخفت
عليهم ظلماً، قالت: لا ولكن خشيت أن يفتنوا بما يروا من ملكك فيشغلهم
عن طاعة ربهم ذلك.

وقال الأستاذ: قيل إن سليمان استحضر أمير النمل الذي قال لقومه
ادخلوا مساكنكم فقال له: أما علمت أنني معصوم وإني لا أمكن عسكري أن
يطؤوكم أو يؤذوكم، فكان يجوز له أن يقول لم أعلم ذلك لأنه ليس بواجب
أن يكون النمل عالماً بعصمة سليمان، ولو قال قلت: لعلكم أبيع لكم
وطوناً، لكان هذا أيضاً/ جائزاً ها هنا. وقيل: إن ذلك النمل قال لسليمان: إني 332/أ
أحمل قومي على الزهد في الدنيا فأمرتهم بدخول مساكنهم لئلا يتشوش عليهم

زهدهم في الدنيا ورغبتهم إلى المولى. ولئن صح هذا ففيه دليل على وجوب سياسة الكبار لما هو من رعيتهم من الصغار. وفي الآية دلالة على حسن الاحتراز مما يخشى وقوعه وإن ذلك مما تقتضيه عادة النفس وما فطروا عليه من التمييز. ويقال: إن ذلك النمل قال لسليمان: ما الذي أعطاك الله من الكرامة، فقال: سخر لي الريح، فقال: أما علمت أنا، الإشارة فيه أنه ليس بيدك مما أعطيت إلا الريح وقد بينه الكبير على لسان الصغير.

﴿فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [الآية 19] تعجباً من حذرها وتحذيرها واهتداء بها إلى مصالح تدبيرها أو سروراً مما خصه الله من إدراك كلامها وفهم مرامها ولذا سأل توفيق شكره ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ [الآية 19] ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الآية 19] لدي ﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَتِي﴾ [الآية 19] أدرج فيه ذكر والديه تكثيراً للنعمة فإن النعمة عليهما نعمة له كما أن النعمة عليه يرجع نفعها إلى والديه لا سيما النعمة الدينية والمنح الأخروية ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الآية 19] استدامة للنعمة واستزادة للرحمة ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 19] في عمارة الجنة.

قال ابن عطاء: حبني إلى عبادك الصالحين أي من الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: إنه سؤال لحسن العاقبة لأن الصالح من عباده من هو محتوم له بالسعادة ثم التبسم من الملوك ببدر لمراعاتهم حكم السياسة وذلك يدل على رضاهم واستحسانهم لما منه يحصل التقسيم، ولقد استحسنت سليمان من كبير النمل حسن سياسته لمراعاة رعيتيه. وفي القصة إنه استعرضه جنده ليراهم كم هم فعرضهم عليه وكانوا يأتون فوجاً فوجاً حتى مضى شهر وسليمان واقف ينظر إليهم معتبراً فلم ينتهوا فمر سليمان عليه السلام. وفي قوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ [الآية 19] إلخ دليل على أن نظره إليهم كان نظر اعتبار وأنه رأى تعريف الله إياه ذلك وتنبهه عليه من جملة نعمه يجب له الشكر عليها. وفي 332/ ب قوله: ﴿وَعَلَىٰ وَلَدَتِي﴾ [الآية 19] دليل على / أن شكر الشاكرين لله لا يختص بما

أنعم عليه على الخصوص من نفسه بل يجب على العبد أن يشكر الله على ما حُصَّ وعمَّ من نعمه.

﴿وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ﴾ [الآية 20] تمامها فلم يجد الهدهد فيها ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاكِينِ﴾ [الآية 20] أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر في مكانه ولا يراه لمانع من ساتر أو غيره فقال: ما لي لا أراه ثم احتاط في أمره فلاح له أنه غائب عن نظره فأضرب عن قوله وقال: هو غائب عن محله، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له عن غيره.

﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الآية 21] كنتف ريشه وإلقائه وإبقائه في الشمس أو جعله مع ضده في قفص الحبس ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ [الآية 21] لتعتبر به أبناء الجنس ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِّي﴾ [الآية 21] وقرأ ابن كثير أو ليأتيني ﴿بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 21] ببرهان يبين أمره ويظهر عذره.

قال جنيد: لأفرقن بينه وبين إلفه.

وقال أبو علي الروذباري: أضيقت الشجون في البلاء معاشرة الأضداد. وقيل: لأبعدنه عن مجالس الذاكرين من الزهاد والعباد.

وقال الأستاذ: وتفقد الطير أي تطلبه فلما لم يره في مرتبته تعرف ما سبب تأخره وغيبته ودل ذلك على تيقظ سليمان عليه السلام في مملكته وحسن قيامه وتكفله بأمور أمته ورعيته حيث لم يخف عليه غيبة طير هو من أصغر الطيور ساعة واحدة من حضرته ثم تهدده إن لم يكن له عذر بعذاب شديد وذلك دليل كمال سياسته ثم خفف عنه ذلك إن كان له عذر ودل ذلك على عدله في مملكته وقال قوم: إنما عرف غيبته لأن الهدهد يعرف عمق الماء بإلهام حُصَّ به من رب السماء وأن سليمان نزل منزلاً لم يكن ماءً هنالك فطلب الهدهد ليهديهم إلى ذلك ولعله كان مخصوصاً بزيادة المعرفة أو رئيساً لتلك الطائفة المعروفة. وروى ابن عباس رضي الله عنهما: سئل عن هذا وقيل إن هذا الهدهد يرى لما تحت التراب ويعرف فكيف لا يرى الفخ

مخفياً تحت التراب ولم يجرف⁽¹⁾، فقال: إذا جاء القضاء ضاق الفضاء وإذا جاء القدر عمي البصر. ويقال: إن الطير كانت تقف فوق رأس سليمان مصطفة وكانت تستر انبساط الشمس وشعاعها بأجنحتها ملتفة فنظر سليمان فرأى موضع الهدهد خالياً منه فعرف بذلك غيبته عنه، وهذا أيضاً يدل على كمال تفقده وتمام تيقظه وتعهدده. ثم في الآية دلالة على أن العقوبة على قدر الجريمة ولا عبرة بصغر الجثة وكبر الهيبة وفيه دليل على أن الطير في زمانه كانت في جملة أهل التكليف وبرهانه ولا يبعد أن يكون عليها شرع وأحكام ولهم من الله إلهام وإعلام. ويقال: من العذاب الشديد إلزامه خدمة أقرانه وهو أن يمنع حلاوة الخدمة فيجد ألم المشقة أو هو أن يقطع عنه حسن التولي لشأنه فيوكل إلى حوله ونفسه أو يمتحن بالحرص في طلبه ثم يحال بينه وبين مطلوبه من العذاب الشديد الطمع في لئيم القدر ثم لا يرتفع الأمر، ومن ذلك سلب القناعة وفقد حلاوة الطاعة، ومنه عدم الرضا بما يجري من القضاء، ومن ذلك توهم الحدثن وحسابه من الخلق في ظهور الشأن، ومن ذلك الحاجة إلى الأنسة، ومن ذلك ذل السؤال مع الغفلة عن شهود التقدير في الحال والمآل، ومن ذلك الابتلاء بمباشرة الأضداد في البلاد، ومن ذلك ضعف اليقين وقلة الصبر في الدين، ومنه حسابان الباطل بصفة الحق والتباس الحق في صورة الباطل، ومنه أن يطالب بما لا يتسع له ذات يده في ذلك المطلب، ومنه الفقر في القرية كذا ذكره الأستاذ خلطاً بين أنواع العذاب الشديد مما لا يتحقق إلا من الله ومما يتصور من بعض العبيد.

﴿فَمَكَتْ﴾ [الآية 22] وقرأ ابن عاصم بفتح الكاف أي فلبث ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [الآية 22] أي زماناً غير مديد من وقت التهديد، يريد به سرعة الدلالة على رجوعه خوفاً من حكم سليمان وأمره ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ﴾ [الآية 22] يعني حال صباه وبنائه كما بيّنه بقوله: ﴿وَحِثُّكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الآية 22] وفي مخاطبته إياه إيماء إلى أن في أدنى خلق الله من أحاط علماً بما لم يحط به ليتحافر نفسه

(1) تفسير ابن أبي حاتم (91/11) رقم (16973)، والدر المنثور (6/349).

إليه ويتصاغر علمه لديه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سبأً غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة. روي أنه عليه السلام لما تمَّ له بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ما شاء الله ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً فوافى في صفا ظهيرة فأعجبه نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء فيها وكان الهدهد رآه لأنه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده هنالك إذ حلَّق حين نزل سليمان عليه السلام فرأى هدهداً واقفاً في ذلك المقام فانحط إليه لتمام المرام فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع وحكى ما حكى. وفي عجائب قدرة الله ومراده وما خصَّ به خواص عباده أشياء أعظم مما خص به هذا النبي المكرم يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها.

333/ب

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً﴾ [الآية 23] يعني بلقيس وهي بالكسر ملكة سبأً ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ [الآية 23] أي سبأً إن أريد به القبيلة أو أهلها إن أريد به البلدة ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 23] تحتاج الملك في الملك القويم ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 23] أي بالنسبة إلى عروش أمثالها أو بالنسبة إليها لا إلى سليمان لعدم المناسبة بينه وبينها. قيل: كان ثمانين ذراعاً في ثمانين عرضاً وسمكاً من ذهب وفضة وبالجواهر مكللة.

﴿وَجَدْتُهُا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 24] لأنهم كانوا يعبدونها ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 24] أي عبادة الشمس وغيرها من قبائح أفعالهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية 24] سبيل الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 24] إلى طريق الصدق.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي﴾ [الآية 25] أي قصدهم لئلا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل بعض من أعمالهم. وقيل: لا زائدة والمعنى لا يهتدون إلى أن يسجدوا. وقرأ الكسائي: ألا يا اسجدوا بتخفيف اللام على أن لا للتنيه ويا للنداء ومناداه محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا، فعلى هذا صح أن يكون استثناءً من الله والوقف على يهتدون وأن يكون أمراً بالسجود. وعلى قراءة التشديد وما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجدة إما عند قراءتها أو

في الجملة ﴿يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 25] أي يظهر ما خفي على غيره من إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات وإيجاد الكائنات من العدم إلى الوجود ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [الآية 25] وقرأ حفص والكسائي بالخطاب فيهما.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية 26] الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها، فبين العظيمين بون عظيم.

﴿قَالَ سَنْظُرُ﴾ [الآية 27] أي سنعرف أو سنبصر ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الآية 27] أي أم كذبت، ولعل التغيير في التغيير للمبالغة أو لمحافظة الفاصلة.

قال الأستاذ: وفي ذلك دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم فيجب التوقف فيه على حد/ التجويز. وفيه دلالة على أنه لا يطرح بل يجب أن يتعرف هل هو صدق أم كذب. ولما عرف سليمان هذا العذر عذر الهدهد فترك ما توعد به من عقوبته فكذا سبيل الوالي يجب أن يمنعه عدله من الحيف على رعيته ويقبل عذر من وجده في صورة المجرمين إذا صدق في معذرتة.

﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهٗ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى﴾ [الآية 28] تنح ﴿عَنْهُمْ﴾ [الآية 28] إلى مكان قريب منهم ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 28] يردون من الجواب بعد قراءة الكتاب.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يذكر بين يدي الملوك كل كلمة فإنه يجر العناء بذلك إلى نفسه، وقد كان لسليمان كثير من الحشم والخدم فلم يستعمل واحداً في هذا التكليف إلا الهدهد ليخرج من عهدة ما قال. ويقال: لما صدق فيما أخبر وبذل النصح لملكه عوّض عليه حتى أهّل للرسالة والسفارة على ضعف صورته وحقارة هيئته فمضى الهدهد وألقى إليها الكتاب وتنحى إلى جانب ينظر ماذا يُجاب.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓءَائِ أَيُّ الْقِيٓءِ إِلَىٰ كَيْفٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 29] لكرم مضمونه وبرهانه أو لشرف مرسله، فإنها كانت عالمة بعظمة سليمان وسلطانه وقد قيل كرم

الكتاب عنوانه أو لأنه كان مختوماً وفي الحديث كرم الكتاب ختمه.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل لأن الرسول كان طيراً فعلمت أن من يكون الطير مسخرة له عظيم شأنه ويقال لأنه لم يكن في الكتاب ذكر الطمع في الملك وما يتعلق بهواه بل كان الدعاء إلى الله ويقال: أخذ الكتاب بمجامع قلبها وفنדהا فلم يكن جواب لها غير أن تقول: إني ألقى إليّ كتاب كريم، ولما عرفت قدر الكتاب وصلت باحترامها إلى بقاء ملكها ورزقت الإسلام وصحبة سليمان عليه السلام. وقيل: لأنه كتب اسم نفسه أولاً. وقيل: لأنه كان فيه البسمة مسطراً كما يشير إليه قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ [الآية 30] أي إن الكتاب أو العنوان ﴿وَإِنَّهُ﴾ [الآية 30] أي المكتوب أو المضمون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآيتان 30، 31] أي لا تتكبروا لدي أو بأن لا تعلوا عليّ معاندين ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 31] مؤمنين أو منقادين، وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود في بيان الإفادة لاشتماله على/ البسمة 334/ ب الدالة على ذات الصانع وصفاته الكاملة الشاملة والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل والأمر بالإسلام الجامع للفضائل وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على الرسالة، فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة.

قال ابن طاهر: لما قال الله تعالى للقلم اكتب قال: ما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أي بك ظهرت جميع الأشياء لا بغيرك، فلما رأت بلقيس كتابه مفتوحاً بما افتتح به اللوح المحفوظ قالت: ﴿أَلْقَى إِلَيْنَا كِتَابًا كَرِيمًا﴾ [الآية 29].

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ [الآية 32] أجيبوني في الأمر الحادث واذكروا لي ما تستصوبون ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَقًّا تَشْهَدُونَ﴾ [الآية 32] تحضرون وتستأمرون، استعطفتهم بهذه الملازمة ليمالئوها إلى الإجابة.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً﴾ [الآية 33] عدداً وعدداً إذ روي أن الملائكة كانوا ثلاثمائة واثنى عشر أميراً مع كل منهم عشرة آلاف ﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية 33] أصحاب شجاعة وخدعة ومكيدة ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [الآية 33] موكول في أمور المملكة

﴿فَانظُرِي﴾ [الآية 33] أي تفكري ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [الآية 33] من المصالحة والمقاتلة نطع أمرك ونتبع رأيك.

قال الأستاذ: أجابوا على شرط الأدب قالوا: ليس منا إلا بذل الوسع وما بنا إلا إظهار النصح ولا علينا إلا متابعة الأمر وتمشية الأمر وإمضاؤه إليك.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ [الآية 34] أي قهراً وعنوة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ [الآية 34] أخرجوها من حيز العمارة ﴿وَجَعَلُوا أَعْرََّةَ أَهْلِهَا أَذًى﴾ [الآية 34] بنهب أموالهم وتخريب ديارهم وتضييع أحوالهم من الإهانة والأسر في أهاليهم ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 34] تأكيد لما وصفت من بيان شأنهم وتقرير بأن ذلك من عاداتهم المستقرة المستمرة في أزمانهم وذلك لأنها كانت ناشئة في بيت الملك فرأت ذلك وسمعت ما هنالك فذكرت لهم عاقبة الحرب ومغبتها فإنها سجال لا تدرى عاقبتها. وأشارت إلى أن الصلح خير إن تيسر في قضيتها كما صرحت بقولها.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ [الآية 35] أي رسلاً بها ﴿فَنَظَرُوهُ بِمَ بَرِّجِ الْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 35] فمنتظرة بأي شيء يرجعون من عنده من / صلح أو غيره حتى أعمل بحسبه. نقل محيي السنّة عن ابن عباس وغيره إنها قالت: إن قبل الهدية فهو ملك نحاربه وإن لم يقبل فهو نبي نتبعه⁽¹⁾.

هذا وقال الأستاذ وفي معنى أفسدوها قيل عطلوها عن أكابرها وأربابها وأزالوا عنها ما تعودوا أصحابها من سيرهم وسنهم فيها، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 34] تصديقاً لها، ويقال تغيير الملوك إذا دخلوا قرية عن صفتها معلوم عند أهلها إلا أنه ينظر في داخلها فإن كان عادلاً أزال سنة الجور وأثبت سنة العدل وإن كان جائراً أزال الحق وأثبت الباطل فخراب البلاد بسوء

(1) تفسير القرطبي (13 / 202).

الولادة من العباد فتستولي أسافل الناس وأراذلهم على الأعزة وأكابرهم وأعاليمهم
كما قيل:

يا دولة ليس فيها من المعالي شظية
زولي فمما أنت إلا على الكرام بلية⁽¹⁾

بعمارة الدنيا بولادة الرشد والهدى يكسرون رقاب الغاغة والجهلة
ويخلصون الكرام من أسرار قلة فيأخذ القوس بأزلها وتطلع شمس العدل من
برج شرفها وأعاليمها كذلك المعرفة والخصال الحميدة إذا باشرت قلب عبد
أخرجت عنه الشهوات والمنى وسفساف الأخلاق الناشئة من الهوى كالحسد
والفخر والشح وصغر الهمة وغير ذلك من الأوصاف الذميمة وتثبت بدلها من
الأحوال العلية والأوصاف الرضية ما به نظام العبد وتتمام سعاداته وأبطل منه
نضارته فتخرب أوطان الحقائق وتداعت مساكن الأوطان الحميدة للأفول
والزوال فعند ذلك تراكمت المحن وعظم الوبال والنكال. وقد جاءت في
القصة إنها بعثت إلى سليمان بهدايا وفي جملتها لبنة مصوغة من فضة وأخرى
من الذهب وإن الله سبحانه أخبر سليمان بما آتاه وأوحى إليه في معناه وأمر
سليمان الشياطين حتى يبنا إيواناً بساحة منزله ميداناً وفرشوه بهيئة اللبن
المصوغ من الذهب والفضة من أوله إلى آخره وأمر بأن توقف عليها الدواب
وأن لا ينظف من آثارها من أوراثها وغيرها وكانت اللبنتان معهم ملفوفتين في
حرير وأمر حتى ترك موضع لبنتين خالياً من الميدان مما كان على طريقهم
فلما وقعت أبصار الرسل على ذلك صغر في عينهم ما كان معهم هنالك
وخجلوا من تقديمها إلى سليمان فوقعوا في الفكرة كيف يتخلصون/ مما 335/ ب
معهم، فلما رأوا موضع اللبنتين فارغين ظنوا أنهم سرق ذلك من بينهما فقالوا:
لو حضرنا هذا نسبنا إلى أنا سرقناهما من هذا الموضع فطرحوهما في الموضع

(1) نسب إلى أبي سهل المعقلي الطوسي. انظر يتيمة الدهر (2/ 99)، وقرى الضيف (4/ 405).

الخالى ودخلوا على سليمان عليه السلام. وروي أنها بعثت منذر ابن عمرو في وفد وأرسلت معهم غلماناً على زي الجوارى وجوارى على زي الغلمان وخفاء فيه درعة وجرعة معوجة الشعب وقالت: إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرّة ثقباً مستويّاً وسلك في الخرزة خيطاً فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظمة شأنه وقدره تقاصرت إليهم نفوسهم وما في أيديهم من تقايسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل وأعلمه بالحال الذي هم عليه وأخبر بما يظهرون إليه، فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرّة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجذعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدهد إليهم كما أخبر بقوله:

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ [الآية 36] أي وصله من أرسل إليه أو ما أهديت لديه
 ﴿قَالَ أَمِيدُونَ بِمَالِ﴾ [الآية 36] والخطاب للرسول والمرسل تغليباً. وقرأ حمزة بالإدغام ونافع وأبو عمرو بإثبات الياء وصلاً، وابن كثير وحمزة بإثباتها مطلقاً
 ﴿فَمَا ءَاتَيْنَاهُ اللَّهُ﴾ [الآية 36] من النبوة والملك والمال الذي لا مزيد عليه ﴿خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَيْتُمْ﴾ [الآية 36] فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي في تعليية مرتبتكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَيْدِيَتِكُمْ﴾ [الآية 36] بما يهدى إليكم ﴿فَنَفَرُونَ﴾ [الآية 36] حباً لزيادة أموالكم أو بما تعدونه افتخاراً على أمثالكم لأنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وتغفلون عن أمور العقبى.

قال جعفر الصادق: الدنيا أصغر عند الله وعند أنبيائه وأوليائه من أن يفرحوا بها ويحزنوا عليها.

﴿أَرْجِعْ﴾ [الآية 37] أيها الرسول ﴿إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 37] إلى بلقيس وقومها
 ﴿فَلَمَّا بَيْنَهُمْ يَحْزُونَ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ [الآية 37] لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ [الآية 37] من سبأ ﴿أَذَلَّةً﴾ [الآية 37] بذهاب ما كانوا فيه من المعزة ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ [الآية 37] أسرى مهانون.

قال الأستاذ: فلما رجعوا إلى بلقيس وأخبروها بما شاهدوا وسمعوا من

الإعلام/ والأعلام علمت أنه لا وجه لها سوى الاستسلام أو الإسلام⁽¹⁾، 336/أ
 فعزمت إلى المسير إلى خدمته عليه السلام. فلما أوحى الله إلى سليمان بأنها
 عزمت مستسلمة أو خرجت مسلمة ﴿قَالَ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَكْثَمُ بِأَنِّي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
 مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 38] أراد بذلك أن يريها بعض ما خصَّه الله به من المعجزة الدالة
 على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر
 أتعرفه أم تنكره.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ [الآية 38] خبيث مارد من الجن ﴿أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ
 مَقَامِكَ﴾ [الآية 39] أي مجلسك للحكومة وكان مجلسه إلى الظهيرة ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾
 [الآية 39] على حمله ﴿لَقَوِيُّ أَمِينٌ﴾ [الآية 39] على تقطيع شيء منه وتبديله.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية 40] آصف بن برخيا وزيره أو الخضر
 نصيره وجبريل أو قيل ملك أيده الله به. والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو
 اللوح أو الاسم الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ﴿أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
 طَرْفُكَ﴾ [الآية 40] أي نظرك ومنه قول القائل:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
 رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر⁽²⁾

والمعنى إنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل أن ترده إليك أحضر عرشها
 بين يديك، وهذا غاية السرعة العرفية وأتيك في الموضعين صالح للفعلية
 والاسمية والمقصود إظهار الكرامة بخرق العادة الدالة على صدق النبوة
 ودعوى الرسالة حيث كان مسيره شهرين تلك المسافة ﴿فَلَمَّا رَآهُ﴾ [الآية 40]
 أي العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ [الآية 40] ثابتاً لديه حاضراً بين يديه ﴿قَالَ﴾ [الآية 40]
 تلقياً للأنعام بالشكر عليه ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [الآية 40] تفضلاً عليّ من غير
 استحقاق بي ﴿لِبَلْوَنِي ءَأَشْكُرُ﴾ [الآية 40] بأن أراه فضلاً منه بلا حول وقوة مني
 وأقوم بحق نعمته ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ [الآية 40] بأن أجد في البين نفسي وأفصر في أداء

(1) في المخطوطة: الإسلام.

(2) نسب إلى جارية. انظر بهجة المجالس (1/177)، ومحاضرات الأدباء (1/373).

طاعته ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 40] لأنه به مستجلب لها دوام النعمة وتمامها ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَفِيٌّ﴾ [الآية 40] عن شكره وشكر غيره ﴿كَرِيمٌ﴾ [الآية 40] لا يمنع إنعامه عنه بكفره.

وأفاد الأستاذ: إنه لم يرغب سليمان عليه السلام في قول العفريت لأنه بنى القول فيه على دعوى الحول والقوة وكان آصف صاحب كرامات ب/336 وكرامات الأولياء ملتحقة بمعجزات الأنبياء إذ/ لو لم يكن النبي صادقاً في دعوته لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه ويكون من جملة أمته ومن المعلوم إنه ليس في وسع البشر من القدرة والقوة قطع المسافة البعيدة في لحظة ولا يصح تقديره في الجواز إلا بأحد وجهين: إما بأن يعدم الله المسافة بين عرشها وبين منزل سليمان وإما بأن يعدم الله ذلك العرش ثم يعيده بحضرة سليمان في ذلك الزمان. ثم حقيقة الشكر على لسان العلماء هو الاعتراف بنعمة المنعم على جهة الخضوع الدائم والأحسن أن يقال الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه فيدخل في هذا شكر الله من العبد لأنه ثناء منه على العبد بذكر إحسان العبد وشكر العبد من الله لأنه ثناء على الله بذكر إحسانه، إلا أن إحسان الحق هو إنعامه وأثر رحمته وإحسان العبد قيامه بطاعة الله وخدمته وما هو الحميد من صفته. فأما على طريق أهل المعاملة وبيان الإشارة فالتفكر صرف النعمة على وجه الخدمة. ويقال: الشكر أن لا يستعين بنعمته على معصيته. ويقال: الشكر شهود المنعم من غير المساكنة إلى النعمة. ويقال: الشكر على قسمين شكر العوام على شهود المزيد قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية 7] وشكر الخواص ما يكون مجرداً عن العرض وطلب العوض. ويقال: حقيقة الشكر قيد النعم وارتباطها لأن بالشكر بقاؤها ودوامها.

﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [الآية 41] بتغيير بعض هيئته عن حالته ﴿نَظَرُ أَنَّهُدَى﴾ [الآية 41] إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 41] إلى حقيقته أو إلى جواب مسألته.

وأفاد الأستاذ: أنه جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه لأنه أراد أن

يتمتعها ويختبر عقلها .

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَشُكَ﴾ [الآية 42] تشبيهاً عليها زيادة في امتحان ما لديها ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [الآية 42] لم تقل لا ولا بلى ولا هو هو لاحتمال أن يكون مثله إذ قد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس والحجّاب، وهذا من كمال فهمها في العبارة والإشارة في فصل الخطاب. ولما تبين لها أنه هو وأنه أظهره سليمان معجزة له وغيره لاختبار عقلها قالت: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ [الآية 42] بكمال قدرة الله وصحة نبؤتك/ ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾ [الآية 42] قبل هذه الحالة وهذه 337/أ الكرامة بما سبق من ظهور المعجزة ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 42] منقادين لله بالوحدة ولسليمان بالنبوة.

ثم أخبر الله سبحانه عن حالها المتقدمة بقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 43] أي ومنعها عبادتها الشمس عن طاعة مولاها، أو صدها الله عن عبادتها بتوفيق الإيمان لها ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الآية 43] استئناف فيه معنى التعليل ولذا قوي بالفتح. والمعنى إن سبب صدها عن عبادة ربها تشوهاً بين كفر بخالقها وإلا فمقتضى عقلها وفطرتها أن لا تعرض عن طاعة مولاها.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ [الآية 44] أي القصر وكان بنى صحنه من زجاج أبيض في غاية من الصفاء وأجري من تحته الماء وألقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في الصدر فجلس عليه العظيم القدر ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ [الآية 44] أي فلما أبصرته ظننته ماء راكداً إليها فشمردت ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ [الآية 44] فرأى سليمان حسن رجلها وكان وصف لسليمان إنها جنية الأنساب ورجلاها كحافر الدواب ﴿قَالَ إِنَّهُ﴾ [الآية 44] أي ما تظنينه ماء ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ [الآية 44] مملس ﴿مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ [الآية 44] من الزجاج ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [الآية 44] بعبادتي الشمس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 44] فيما أمر به عباده المسلمين، والمشهور إنه تزوجها سليمان، وقيل زوجها من ذي تبع ملك هملان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الآية 45] بأن اعبدوه

ووحده وأطيعوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية 45] أي ففاجؤوا التفرق والاختصام فأمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين واختصاصهم قد سبق في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: الآية 75] الآية.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [الآية 46] بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا على ما مر في الأعراف ﴿قَبْلِ الْحَسَنَةِ﴾ [الآية 46] قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقوبة ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ [الآية 46] قبل حلولها ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية 46] بقبولها.

﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا﴾ [الآية 47] أصله تطيرنا أي تشاءمنا ﴿بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ﴾ [الآية 47] ممن آمن بك وتبعك لأن من ابتداء إنشاء هذا الإنبياء تتابعت علينا شدائد البلاء ب/337 ووقع/ بيننا افتراق الأبناء والآباء ﴿قَالَ طَبَّئِرْكُمْ﴾ [الآية 47] سببكم الذي جاء منه شركم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 47] وهو ما قدره من القضاء أو عملكم المكتوب عنده في اللوح المحفوظ في السماء ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [الآية 47] تمتحنون بتعاقب السراء والضراء.

﴿وَكَاثَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [الآية 48] تسعة رجال وإنما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين نفرين من الثلاثة أو السبعة إلى العشرة، والنفر من الثلاثة إلى التسعة، والغاية فيها غير خارجة ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الآية 48] لا يتداركون بإصلاح البلاد بعد الإفساد.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 49] أي بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [الآية 49] مقول أو خبر وقع بدل أو حالاً ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [الآية 49] لنباغتن صالحاً وأهل بيته ليلاً في إهلاكهم ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَهُ﴾ [الآية 49] لولي دمه. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء الفوقية المضمومة بعد اللام فيهما وبضم الحرف الرابع منهما على خطاب بعضهم لبعض ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ [الآية 49] فضلاً أن تولينا إهلاكهم وهو يحتمل التعدي والزمان والمكان وكذا ﴿مَهْلِكَ﴾ [الآية 49] في قراءة حفص كمرجع. وقال أبو بكر بالفتح فيكون فصلاً ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الآية 49] أي نحلف إننا

لصادقون وهم كاذبون، أو واو الحال إننا لصادقون فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً أو لأن ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك: ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين.

﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا﴾ [الآية 50] بهذه المواضع في خطابهم ﴿وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾ [الآية 50] بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم وعقابهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 50] بسوء ما بهم. روي أنه كان صالح عليه السلام في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا: زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوقع صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في أماكنهم بالصخرة الواقعة على جميعهم⁽¹⁾ كما أشار إليه قوله سبحانه: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمِينَ﴾ [الآية 51] وقرأ الكوفيون بفتح أنا على أنه خبر محذوف تقديره هو أو بدل من اسم كان.

قال الصادق: مكر الله أخفى من ديب النملة العرجاء على صخرة سوداء في الليلة الظلماء.

وقال الشبلي: اخترنا طريق التصرف سلامة من مكر الله فإذا كأنه مكر أي/ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأفاد الأستاذ: أن مكرهم ما أظهروا في الظاهر من موافقة صالح وعقرهم الناقة خفية ومكر الله فيهم جزاؤهم على مكرهم بأخذ ما أراد بهم من العقوبة عنهم ثم إحلالها بهم بغتة، والمكر من الله تخليته إياهم مع مكرهم بحيث لا يعصمهم ويزين ذلك في أعينهم ويحبب ذلك إلى قلوبهم ولو شاء لعصمهم ومن عظيم مكره انتشار الصيت بالصلاح والعمل في السر بخلاف ما يتوهم بهم من نوع الفلاح وفي الآخرة وسوقها لا يجوز مثل هذه الأعمال وسوقها.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [الآية 52] خالية أو ساقطة منهدمة ﴿بِمَا

(1) تفسير ابن كثير (6/200)، وتفسير الطبري (19/479) والكشاف (5/89).

ظَلَمُوا ﴿ [الآية 52] بسبب ظلمهم على أنفسهم من الكفر والمعصية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 52] فيتعظون بالموعظة.

قال سهل: الإشارة في البيوت إلى القلوب فمنها عامرة بالذكر والطاعة ومنها خراب بالكفر.

وقال أبو حفص: خراب القلب من قلة الحزن إذ الحزن للرب عمارة القلب ألا ترى إلى قول النبي الأمين: «إن الله يحب كل قلب حزين»⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر «لو كان الظلم بيتاً في الجنة لسَلَطَ اللهُ عليه الخراب»⁽²⁾، فالنفوس إذا أظلمت بزلاتها خربت بلحوق شؤم الذلة حتى تعود صاحبها الكسل واستوطن مركب الفشل وحرَمَ التوفيق وتوالى على صاحبها الخذلان وقسوة القلب وخمود العين وانتفاء تعظيم الشريعة من القلب وأصحاب القلوب إذا ظلموا بالغفلة ولا يطردونها عن قلوبهم خربت قلوبهم حتى قست بعد الرقة وجفت بعد الصفوة، فخراب النفوس باستيلاء الشهوة والهفوة وخراب القلوب باستيلاء الفتنة والوحشة.

﴿وَأَبْجَسْنَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 53] أي صالحاً ومن آمن معه من الأمة ﴿وَكَاثُوا يَنْفُوتُ﴾ [الآية 53] الكفر والمعصية فلذا خصوا بالنجاة من العقوبة.

﴿وَلُوطًا﴾ [الآية 54] أي واذكر لوطاً ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [الآية 54] أنفعلونها ﴿وَأَنْتُمْ بُصُورٌ﴾ [الآية 54] تعلمون قبحها أو ترون فعلها.

﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ [الآية 55] بيان لإتيان الفاحشة ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ [الآية 55] التي خلقن للشهوة ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مَّجْهُلُونَ﴾ [الآية 55] العاقبة فلا تخافون العقوبة.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (4/ 351) رقم (7884)، والبيهقي في شعب الإيمان (515/1).

(2) سبق تخريجه.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الآية 56] بعد سماع قوله ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الآية 56] أي بعضهم لبعض من سفهائهم ﴿أَخْرَجُوا/ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرَيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنطَهَرُونَ﴾ [الآية 56] يتزهون عن فعلتكم ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ [الآية 57] أي من آمن به من قومه وبناته ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْفَاحِشَاتِ﴾ [الآية 57] قدرنا كونها من الباقيين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ [الآية 58] كان حجراً ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُؤَدِّينَ﴾ [الآية 58] المخوفين أن لا يفعلوا قدراً.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 59] ما قدر وقضى ﴿وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾ [الآية 59] والخطاب للوط وللمصطفى لأن يحمد شكراً على ما أنعم عليه من إخوانهم وعرفاناً لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في أمر دينهم.

قال سهل: خلق الله تعالى السر وجعل حياته في ذكره وخلق الظاهر وجعل حياته في حمده وشكره وجعل عليهما الحقوق من الطاعات وفق أمره.

وقال ابن عطاء: من سلم الله عليه في أزاله سلم من المكاره في أبده. وقرىء هذه الآية بين يدي جعفر بن محمد فبكى ثم قال: سبحان من اصطفاهم لمعرفته وسلم عليهم قبل المعرفة بنعته. وقيل: الذين اصطفى هم أهل القرآن يلحقهم من الله السلام في العاجل بقوله: ﴿وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾ [الآية 59] والسلام في الآجل بقوله: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: الآية 58]. قلت: ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: الآية 32].

وأفاد الأستاذ: أنهم هم الذين سلم الحق عليهم في أزاله وهم في كتم العدم متناول علمه ومتعلق قدرته لم يكونوا أعياناً في العدم ولا آثاراً في القدم فلما أظهرهم في الوجود سلم عليهم بذلك السلام ويسمعهم في الآخرة ذلك المرام، والذين سلم عليهم هم الذين سلموا اليوم من الشرك والشبهة، ثم من فنون البدعة ثم من وجود الألم والسقم، ثم من ضروب الذلل وصنوف الخلل، ثم من الغيبة والحجة وما ينافي دوام القربة. ويقال: اصطفاهم ثم هداهم وآواهم وسلم عليهم بذلك السلام ويسمعهم في الآخرة ذلك المرام

والذي سلم عليهم هم الذين سلموا اليوم من الشك والشبهة، ثم من فنون البدعة، ثم من وجود الألم، ثم من ضروب الذلل وصنوف الخلل، ثم من الغيبة والحجبة وما ينافي القربة. ويقال: اصطفاهم ثم هداهم وآواهم وسلم عليهم قبل أن خلقهم وأبدأهم وبعد/ أن سلم عليهم بوده لقاءهم. 1/339

﴿ءَآلَهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 59] إلزام لهم بإرجاء العنان في ميدان البيان وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم إذ من المعلوم أن لا خير فيمن هو مبدأ كل خير بل مصدر كل شيء من نفع وضر. وقرأ أبو عمرو وعاصم بالغيبة، والمعنى أم الذين بشركه تلك الأمم المهلكة ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية 60] التي هي أصول الكائنات ومبادئ المنافع للمخلوقات ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾ [الآية 60] لأجلكم نفعاً ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الآية 60] في محلهم ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتٍ بِهَجَةٍ﴾ [الآية 60] نزهة من أشجار وأثمار وأزهار ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [الآية 60] فضلاً عن أن تنبتوا ثمرها ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ [الآية 60] أيقرؤون بسواه ويجعل غيره شريكاً للحق وهو المتقوي بالخلق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية 60] عن التوحيد التي هي طريق أهل التفريد وأرباب التمجيد وأصحاب التحميد.

وأفاد الأستاذ: إن ثمرات الظواهر غذاء النفوس وثمرات البواطن ضياء القلوب فلا يبقى في وقت الربيع من وحشة الشتاء بقية ولا يبقى في قلوبهم وأوقاتهم من الغيبة والحجبة والنفرة والنهمة شظية.

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾ [الآية 61] ولأهلها استقراراً ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ [الآية 61] وسطها ﴿أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَواسِيَ﴾ [الآية 61] جبلاً ثوابت يتكون فيها معادن المنافع وينبع من حضيضها المنابع ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الآية 61] العذب والمالح ﴿حَاجِزاً﴾ [الآية 61] برزخاً ظاهراً في نظر المصالح ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ [الآية 61] أي لا إله سواه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 61] طريق هداة وتحقيق رضاه.

قال جعفر: من جعل قلوب أوليائه مستقراً للمعرفة وجعل فيها أنهار الزوائد من بره في كل نفس ولمحة وأثبتها بجبال التوكل وزينها بأنوار

الإخلاص واليقين والمحبة وجعل بين القلب والنفس حاجزاً من القدرة لئلا يغلب عليه النفس بالظلمة وجعل الحاجز بينهما بالتوفيق والمعرفة.

وأفاد الأستاذ: أن نفوس العابدين قرار طاعتهم وقلوب العارفين قرار معرفتهم وأرواح الواجدین قرار محبتهم وأسرار الموحدين قرار مشاهدتهم وفي أسرارهم أنهار الوصلة وعيون القرية بها يسكن اشتياقهم وهيجان قلقهم واحتراقهم، جعل لها رواسي من الرغبة والرغبة. ويقال: الرواسي/ في 339/ ب الأرض الأبدال والأوتاد والأولياء بهم يديم إمساك الأرض والسماء، ببركاتهم يدفع عن أهلها البلاء. ويقال: الرواسي هم أئمة الدين الذين يهدون المسترشدين إلى طريق اليقين. ويقال: جعل بين العبودية وأحكامها والحقيقة وأعلامها حاجزاً بالقدرة العلية فلو غلبت العبودية كان جحداً للحقيقة ولو غلبت الحقيقة كان طياً للشرية. ويقال: السنة المرادين مقر ذكره وأسماعهم محل الإدراك الموصل إلى الفهم من مرة العيون مقر الاعتبار من صنع.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [الآية 62] المضطر الذي أحوجه شدة ما به إلى اللجوء إلى الله والرجاء من بابه.

وقال سهل: المضطر المتبري من الحول والقوة والأسباب المدمومة.

وقال ابن عطاء: حال المضطر أن يكون كالغريق أو كالمتعطل في مفازة قد أشرف على الهلاك ولم يعرف الطريق.

وقال سهل: دعوة صنفين من الناس مستجابة لا محالة مؤمناً أو كافراً، دعاء المضطر ودعاء المظلوم، تُرفع فوق الحجاب يقول الله تعالى: «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»⁽¹⁾ ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [الآية 62] ويرفع عن الإنسان ما شاء ويزيله متى ما شاء.

وفي تفسير السلمي: إن من يقدر على كشف المحن عن قلوب عباده إلا

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (84/4) رقم (3718)، والبيهقي في شعب الإيمان (409/5) رقم (7101).

مَنْ أْبْلَاهُمْ بِهَا ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 62] بأن ورثكم سكنها والتصرف فيها ممن قبلكم بها ﴿أَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [الآية 62] الذي حفكم بهذه النعمة العامة وخصكم بهذه المنحة الخاصة ﴿فَلَيْلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ [الآية 62] أي تذكرون آلاءه ونعماءه، أي تذكراً قليلاً، وما زائدة، والمراد بالعلة القدم أو الحقارة المربحة للفائدة إذ فائدة التذكر هي توحيد الله سبحانه بالعبادة ولا يترتب على تذكرهم تلك العائدة. وقرأ أبو عمرو وهشام بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه فصل بين الإجابة بالكلام والكشف بالإنعام، ودعاء المضطر ليس له حجاب ودعاء المظلوم مستجاب لكن لكل أجل كتاب. ويقال: للجناية سراية فمن كان في الجناية على نعت المختار فليس يسلم له دعوى الاضطراب عند سراية جرمه الذي سلف منه وهو مختار فيه فأكثر الناس يتوهمون أنهم مضطرون وذلك الاضطراب/ سراية ما بدر منهم في حال اختيارهم، وما دام العبد يتوهم من نفسه شيئاً من الحول والحيلة ويرى شيئاً من الأسباب يعتمد عليه ويستند إليه فليس بمضطر إلى أن يرى نفسه كالغريق في البحر أو كالضال في متاهة البر، بل المضطر يرى عنانه بيد سيده وزمامه في قبضته كالميت في يد غاسله ولا يرى لنفسه استحقاقاً لأن يُجاب لاعتقاده في نفسه أنه من أهل السخط والعذاب. وينبغي للمضطر أن لا يستعين بأحد في أن يدعو له لأن الله وعد الإجابة له لمن يدعو له ثم كان وعد للمضطر الإجابة وكشف سوءه، وعده أن يجعله من خلفاء الأرض ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: الآية 5] ولم يقل العسر أزاله ولكنه قال ﴿مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: الآية 5] كذلك قال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 62] فنهار اليسر حاصل بعد ظلام العسر. ثم قال: ﴿أَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ فَلَيْلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ [الآية 62] لأن العبد إذا زال عنه عسره وكشف عنه ضره نسي أمره مما كان فيه قبله كما قال القائل:

كأن الفتى لم يَعْرِ يوماً إذا اكتسى ولم يك صعلوكاً إذا ما تموّلاً⁽¹⁾

(1) نسب إلى جابر بن الثعلب الطائي. انظر الحماسة البصرية (1/ 48)، والتذكرة السعدية (28/1).

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الآية 63] بالنجوم السماوية والعلامات الأرضية والظلمات ظلمات الليالي والإضافة لأدنى الملابس أو مشتبهات الطرق الملتصقة ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الآية 63] من المطر الذي سبب نعمته ﴿أَلَمْ يَأْتِ اللَّهَ مَعَهُ﴾ [الآية 63] ويقدر على ذلك سواء ﴿تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 63] تعالى القادر والخالق عن مشاركة العاجز المخلوق. قال بعضهم: أي من يدلکم على عيب نفوسکم وفساد طاعتکم ويزيل عنکم وساوس قلوبکم ويعينکم على استقامة طريقکم إلا الله، ومن يرسل رياح فضله بين يدي معرفته سواء.

وقال الأستاذ: إذا أظلم عليه الوقت في معارض الخواطر عند استيهام وجه صواب ما في الضمائر وضاق الوقت على صاحبه بوحشة التدبير وظلمات أحوال التجويز والتحيُّر عند طلب ترجيح بعض الخواطر على بعض بشواهد العقل والبصائر فمن الذي يرشدكم لوجه الصواب بترك التدبير والاستسلام لحكم القدير/ والخروج عن مجوزات العقول إلى قضاء شهود 340/ب التقدير وتفويض الأمر إلى اختيار الحق في الأحكام والاستسلام لما سبق بها الأقدار وجرى بها الأقسام وجف عنها الأقلام، ومن الذي يرسل رياح فضله بين يدي اختيار أنوار اختياره بمحو آثار واختبار نفسه واعتباره وتعجيل حسن الكفاية بمقداره، تعالى الله عما يشركون من إحالة المقادير على الأسباب والتدابير.

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 64] بأسباب سماوية وأرضية كما يريدہ ﴿أَلَمْ يَأْتِ اللَّهَ مَعَهُ﴾ [الآية 64] يرزق عبيده ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الآية 64] على أن غيره يقدر على شيء يظهر شأنكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 64] في إشراككم في العبودية فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية. قال ابن عطاء: صححوا برهانكم لتعلموا أن لا برهان لكم.

وقال الأستاذ: أي يظهر ما يظهر بقدرته على مقتضى سابق حكمته والتخصص بما تعلق به محض مشيئته وحقق فيه قوله وحكمه وسبق به قضاؤه

وقدره فإذا زال وكفى وانتفى وعدم بعض ما يظهره ويخلقه فمن الذي يعيده مثل ما بداه ومن الذي يضيق الرزق ويوسعه ويقبض في بعض الأوقات وعلى بعض الأشخاص وفي وقت آخر وعلى قوم آخرين يبسط، هل في قدرة أحد غير الله ذلك أن لا توهمهم شيئاً هنالك فأوضحوا بذلك حاجتكم وإن قد عجزتم فهلا صدقتم وبالتوحيد أقررتم .

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 65] أي من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما الغيب أي شيئاً من ﴿الْفَيْبِ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الآية 65] علّام الغيوب المطلع على عيوب القلوب ﴿وَمَا يَسْعُرُونَ﴾ [الآية 65] أي الخلق أجمعون ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 65] متى يحشرون وأي متى ينشرون لعدم علمهم بالساعة.

﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية 66] أي انتهى وتكامل فيها أسباب علمهم من الآيات الدالة عليها بأن القيامة كائنة لا محالة لكن كما ينبغي لا يعلمونها ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [الآية 66] متحيرون فيها لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم بها وقصور نظرهم/ وتفكرهم عنها. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: بل أدرك، بمعنى تتابع حتى استحكم.

1/341 أ

وأفاد الأستاذ: أن الغيب ما لا يعلم بالاضطرار وليس للخلق عليه دليل في الاستبصار، فهذا الذي يستأثر بعلمه الحق ويتقاصر عنه علوم الخلق، ثم ما يريد الله أن يخص قوماً بعلمه أفردهم به ثم قال: بل أدرك علمهم في الآخرة، ففي الجملة يشكون ولا يبتغون ولا بالقطع يجحدون وهكذا حكم مريض القلب لا حياة له في الحقيقة ولا راحة اليأس من الطريقة .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءَابَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [الآية 67] وفي قراءة الشامي والكسائي إننا لمخرجون من القبور إلى البعث والنشور ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 68] قبل وعد محمد عليه السلام، وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر ها هنا هو البعث وتأخيره فيما تقدم لأن المقصود به المبعوث ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [الآية 68] أسمار المتقدمين.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 69]
 تهديد لهم على تكذيب صدر عنهم وتخويف أن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين
 عنهم، والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون رفعا للمؤمنين في ترك الجرائم التي هي
 صفة المكذبين.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 70] على تكذيبهم وإعراضهم بمقتضى فساد
 أغراضهم ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾ [الآية 70] حرج صدر ونكد أمر ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾
 [الآية 70] من كيد ومكر فإن من حفر بئر لأخيه وقع فيه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [الآية 71] العذاب الموعود ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
 [الآية 71] في إيعادكم الموعود ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ [الآية 72] تبعكم
 ولحقكم أو دنا منكم ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 72] في حلوله وهو عذاب يوم
 بدر بعد نزوله وعسى ونحوها في مواعيد الملوك كالجزم بها وإنما يطلقونها
 إظهاراً لوقارهم في مقام اعتبارهم وإشعاراً بأن التلويح منهم كالتصريح من غيرهم
 على طبقه ووقفه جرى كلامه سبحانه في وعده ووعيده مع زيادة الإيماء إلى أنه
 لا يجب عليه شيء من الأشياء.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [الآية 73] جميعهم بتأخير عقوبتهم على
 معصيتهم وتقصيرهم في طاعتهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 73] حق
 النعمة/ بل يستعجلون بحملهم وقوع العقوبة.

ب/341

قال سهل: منعه فضل وعطاؤه فضل ولكن لا يعرف مواضع فضله في
 المنع إلا الفضلاء من خواص الأولياء، وما أحسن قول ابن عطاء:

ربما منعك فأعطاك وربما أعطاك فمنعك⁽¹⁾

وقال الأستاذ: لأنهم لا يميزون بين محنهم ومنحهم وعزيز من يعرف
 الفرق بين ما هو نعمة من الله له أو محنة وإذا تقاصر علم العبد عما فيه
 صلاحه وعسى أن يحب شيئاً ويظنه خيراً وبلاؤه فيه، وعسى أن يكون شيئاً

(1) شرح الحكيم العطائية (1/77) . .

آخر بضده ورب شيء يظنه نعمة يشكره عليها ويستديمه وهي محنة له يجب صبره عنها ويجب شكره لله على صرفها عنه وبعكس هذا كم من شيء يظنه الإنسان بخلاف ما هو به .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ [الآية 74] ما تخفيه وتستتره ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 74] من عداوتك ومحبتك فيجازيهم بحسب ما قاموا في حضرتك وغيبتك .

وقال الأستاذ: لا تلتبس على الله أحوالهم باستواء ظاهره وباطنه فموافق يعلمه ومناقض يخالف باطنه ظاهره يلتبس على الله حاله وهو سبحانه يعلمه وكافر يستوي في الجحد سره وجهره يعلمه وهو يجازي كلاً على ما عمله، كيف لا وهو قدره وعلى ما عليه قضاءه له وقسمه .

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ﴾ [الآية 75] خافية، والتاء للمبالغة ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 75] أي كائنة في الجهات العلوية والسفلية ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 75] من اللوح القلمي أو العلم الأزلي .

وقال الأستاذ: مثبت في اللوح المحفوظ حكمه، ماضٍ فيه مشيئته، متعلق به علمه، حق فيه قوله .

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ﴾ [الآية 76] يصرِّح وينص ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 76] كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وسائر الأسرار .

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [الآية 77] أي القرآن ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 77] وخصوا لكونهم المنتفعين ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 78] بين بني إسرائيل ﴿بِحُكْمِهِ﴾ [الآية 78] الحق المقترن بالحكم المحقق ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 78] الغالب في مراده ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 78] بأحوال عباده .

وأفاد الأستاذ: أن بني إسرائيل يخفون بعضاً من الكتاب وبعضاً منه يظهرون ومع ما يهوون يدورون . وخص هذه الآية بحفظ الله له/ عن التغيير

والتبديل فيما يدينون وهذه نعمة عظيمة قليل منهم الذين يشكرون وكتابهم الذي هو القرآن هدى ورحمة للمؤمنين لا كتابهم الذي أخبر الصادق أنهم له محرّفون مبدّلون وهو العزيز المعز للإسلام وأهله الكريم العليم فيما يستحقه كل أحد من الثواب العظيم والعذاب الأليم.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 79] ولا تبال بعبادة من سواه ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [الآية 79] وفي طريق اليقين. قال بعضهم: التوكل على ربك أن لا تعصيه من رزقك.

وقال الأستاذ: اجتهد في أداء فرضه وثق بالله لصدق وعده في نصره ورفده وكفايته وعونه لعبده ولا يهولنك ما يجري على ظواهرهم من أذى يتصل بك منهم فإنما ذلك كله بتسليطنا إن كان محذوراً وبتسهيلنا إن كان ميسوراً وإنك لعلى حق وضياء وصدق وهم على شك وفي ظلمة شرك.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [الآية 80] فاقطع طمعك عن مشايعتهم ومعاضدتهم ولا تبال بمخالفتهم في متابعتهم لأنهم كالموتى في عدم انتفاعهم باستماع ما يتلى من كلام المولى ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [الآية 80] ولو أعلنت النداء ﴿إِذَا وَلَوْ أُمَّدَّيْنِ﴾ [الآية 80] أي لا سيما في حال إدمارهم فإنهم حينئذ لا يدركون شيئاً بالإشارة والإيماء. وقرأ ابن كثير: ولا يسمع الصم الدعاء.

قال يحيى بن معاذ: العارفون لله أحياء وما سواهم موتى. وقال أيضاً: الميت من تكون حياته بحركته والحي من تكون حياته بربه.

وأفاد الأستاذ: إن الذين أمانت الله قلوبهم بالشرك وأصمهم عن سماع الحق وليس في قدرتك أن تهديهم للرشد وتنقذهم عن أسر الشرك.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الضَّالِّينَ﴾ [الآية 81] وقرأ حمزة تهدي العمي ﴿إِنْ تَسْمِعُ﴾ [الآية 81] ما يجدي إسماعك ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 81] إلا من هو في علم الله إنهم مؤمنون ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية 81] منقادون مخلصون.

وقال الأستاذ: أي تهديهم من حيث الدعاء والدلالة ولكن لا تهدي

أحداً من حيث إزالة القلب من الباطل والإمالة إلى العرفان إذ ليس بقدرتك
ب/342 ب الإزالة والإمالة ما تسمع/ إلا مَنْ أسمعناهم حيث التوفيق والإرشاد إلى سواء
الطريق.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 82] أي دنا ووقع معناه إليهم وما هو وعد
وأمن البعث والحساب لديهم ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 82] وهي
الحساسة. روي أن طولها ستون ولها قوائم وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها
طالب. وروي أنه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال: «من أعظم المساجد حرمة
على الله»⁽¹⁾ يعني المسجد الحرام ﴿تُكَلِّمُهُمَّ﴾ [الآية 82] من الكلام، وقيل من
الكلم إذ قرئ بالتخفيف. وروي أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان
فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في أنف
الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه⁽²⁾، وفي الأولتين للدالتين إشارة خفيفة إلى
تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ [الآية 82] وقرأ الكوفيون
بالتفتح ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 82] أي المتلوّة أو من القرآن أو المنصوبة من البرهان.
وقيل: من خروجها وسائر أحوالها فإنها من آياته سبحانه ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 82]
بل يشكّون والجملة حكاية لقوله سبحانه عند ذلك أو علة لخروجها هنالك.

وأفاد الأستاذ: إنه إذا حق الوعد بإقامة القيامة أوضحنا اشتراطها من
كلام الدابة وغير ذلك من العلامات الدالة وعند ذلك لا ينفع الإيمان ولا
يقبل العذر عن العصيان.

﴿وَيَوْمَ نَخْتَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ [الآية 83] جماعة وهو يوم القيامة ووقت
الندامة ﴿مَمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 83] من الثانية بيانية للجماعة المحشورة
والأولى تبعية لأن أمة كل نبي سائلة لجماعة من المصدقة والمكذبة ﴿فَهُمَّ

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2/176) رقم (1635)، وانظر تخريج
الأحاديث والآثار (3/9) رقم (929).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/340) رقم (3187)، وانظر تخريج
الأحاديث والآثار (3/19) رقم (928).

يُورِثُونَ ﴿ [الآية 83] يساقون ويحبس أولهم ليتلاحق آخرهم وهو عبارة عن كثرتهم وتباعدهم.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا ﴾ [الآية 84] إلى مكان الحساب وموقف العذاب ﴿ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِتَابِي وَكَمْ تَحِطُّوا بِهَا عِلْمًا ﴾ [الآية 84] أي أجمعتم من التكذيب بها وعدم العلم بتحقيقها ﴿ أَمَاذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الآية 84] أم أي شيء كنتم تعملونه غير ذلك، والاستفهام للتبكيك والتوبيخ هنالك.

﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الآية 85] حلّ العذاب الموعود/ بهم من دخولهم في 343/أ النار ﴿ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ [الآية 85] بسبب ظلمهم في كسبهم وهو تكذيبهم بآيات ربهم ﴿ فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ [الآية 85] باعتداد لهم لشغلهم بعناء عذابهم وبلاء حجابهم أو بأعدار تنفعهم أو تدفع عنهم ما نزل بهم أو لا ينطقون مطلقاً لشدة أحوالهم وفضاعة أهوالهم.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ﴾ [الآية 86] بالنوم والقرار ﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [الآية 86] أي ليبصروا فيه سبباً من أسباب معاشهم في هذه الدار ويأخذوا فيها زادهم لمعادهم من دار القرار ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الآية 86] أي لا لغيرهم حيث لا ينتفعون.

﴿ وَيَوْمَ يُفْخُ فِي الصُّورِ ﴾ [الآية 87] أي القرن أو في الصور بفتح الواو كما قرىء به وهو جمع صورة والنفخة هي الثانية ﴿ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الآية 87] من هول القيامة أو من هيبة النفخة، وعبر بالماضي لتحقق الواقعة ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الآية 87] أي لا يفزع به لتثبيت قلبه من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين والشهداء الصالحين ﴿ وَكُلُّ أُنُوفٍ ﴾ [الآية 87] حاضروا موقفه أو راجعوا أمره. وقرأ حفص وحمزة: أتوه بصيغة الماضي ﴿ دَاخِرِينَ ﴾ [الآية 87] صاغرين خاضعين خاشعين.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك اليوم يوم إزهاق الأرواح وإخراجها عن الأجساد والأشباح فمن روح ترقى إلى عليين ومن روح تنزل إلى سجين، هؤلاء في حواصل طير تسرح في الجنة وتأوي بالليل إلى تحت العرش في

قناديل معلقة صفتها التسبيح والروح والراحة، ولبعضها الشهود والرؤية ثم هم على مقادير استحقاقهم في عقابهم على ما كانوا عليه في دنياهم، وأرواح الكفار في النار يعذبون على مقادير الأوزار.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ [الآية 88] أي تبصرها ﴿تَحْسَبَهَا جَامِدَةً﴾ [الآية 88] ثابتة في مكانها ﴿وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [الآية 88] في سرعة سيرانها، وذلك لأن أجرام الكفار في هيبتها إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتعين حركتها ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ [الآية 88] أي تشاهد صنعه بعين بصرك وبصيرتك ﴿الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية 88] أحكم خلقه وسوؤه على ما ينبغي فعله ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [الآية 88] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالثنية أي عالم بظواهر الأعمال وبواطن الأحوال.

343/ب قال ابن عطاء: الإيمان ثابت في قلب العبد / كالجبل أنواره تخرق الحجب.

وقال الصادق: نور قلب المؤمنين الموحدين وانزعاج أنيس المشتاقين تمر مر السحاب لا يلتفت إلى شيء غير الله ولا له قرار مع سواه. كذا في تفسير السلمي. وقيل للجنيد في أواخر الحال: ما لك عند السماع أن لا تتغير بكلام القوال، فقرأ للجواب: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [الآية 88].

وقال الأستاذ: وكثير من الناس اليوم من أصحاب التمكين السالكين بنفوسهم السابحون في الملوك بأسرارهم. قالوا: إن الإشارة اليوم إليهم كما قالوا: العارف كائن بائن أو كائن معهم بظواهره وبائن عنهم بسريره.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [الآية 89] إذ ثبت له النفيس بالخسيس والباقي بالفاني وسبعماية بواحدة ﴿وَهُمْ مِّنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [الآية 89] أي من خوف عقوبة يوم القيامة. وقرأ الكوفيون بالثنون ونافع معهم بفتح الميم.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [الآية 90] بالشرك والمعصية ﴿فَكَتَبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [الآية 90] فكبروا فيها على وجوههم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 90] ما تجزون إلا جزاء أعمالكم وفق أحوالكم.

﴿إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبَدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا﴾ [الآية 91] من التعرض لها ولأهلها أو جعلها محترمة لصادرها وأوردها، وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها فلا يمانعه قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهَا خَلْقًا مَلَكًا﴾ [الآية 91] المنقادين المخلصين الثابتين في الأزمان.

﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ [الآية 92] وأن أواظب على تلاوته أو متابعتة ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ [الآية 92] باتباعه ﴿فَلِنَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 92] فإن منافعه عائدة إليه ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ [الآية 92] بمخالفته ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الآية 92] فلا علي من وبال ضلاله شيء لأن مضاره واقعة عليه ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [التور: الآية 54] وقد بلغت كما هو ظاهر لديه.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام أخبر أنه أمر بالدين الحنيفي والتبري من الشرك الجلي منه والخفي وأخبر أن من اتبعه وصدقته أوجب الحق زمامه وحقه.

﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 93] على نعمة النبوة وسائر أصناف المنحة ﴿سِيرِيكُمْ أَيُنَيْدِي﴾ [الآية 93] القاهرة في الدنيا والآخرة / ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [الآية 93] لكن حين لا 344/أ تنفعكم المعرفة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 93] وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالخطاب، والمعنى لا تحسبوا أن تأخير عذاب الأعمال للغفلة عن الأحوال بل للإمهال لا للأعمال، أو المعنى لا تظنوا أنه غافل عن أعمالكم فأحسنوا جميع أحوالكم.

وقال الأستاذ: سيريككم عن قريب آياته فطوبى لمن رجع قبل وفاته والويل على من رجع بعد ذهاب الوقت وفواته.

سورة القصص

[مَكِّيَّة]

وهي ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باسمه يسعد الصباح والروح، وباسمه يرجى الفلاح والنجاح، وباسمه
نعمة الدنيا ومنحة الأخرى، فله الآخرة والأولى، فطوبى لمن داوم على ذكره
وواظب على شكره واشتغل به في صحوه وسكره.

وأفاد الأستاذ: إنه اسم عزيز من تعرّض لحوله أيسر في دنياه وعقباه
ومن اشتاق إلى لقياه استعذب منه ما يلقاه من بلواه، فإن طلب مؤنساً مما
سواه في عقباه أو دنياه ضلّ من يدعو إلا إياه.

﴿طَسَّرَ﴾ [الآية 1] الطاء تشير إلى طهارة نفوس العابدين عن عبادة
غير الله وطهارة قلوب العارفين عن تعظيم غير الله، وطهارة أرواح الواجدين عن
محبة غير الله، وطهارة أسرار الموحدين عن شهود غير الله. والشين تشير إلى سر
الله مع العاصين بالنجاة ومع المطيعين بالدرجات ومع المحبين بدوام النجاة.
والميم تشير إلى منّة على كافة المؤمنين.

﴿تَكَ ءَايَتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الآية 2] الظاهر في معجزاته والمظهر
لحكوماته ﴿نَتَلُوْا عَلَيْكَ﴾ [الآية 3] نقرأ بإلقاء جبريل إليك ﴿مِنْ نَّبَاِ مُوسَى
وَفِرْعَوْنَ﴾ [الآية 3] بعض أنبائنا إليهم من أنبائهما ﴿بِالْحَقِّ﴾ [الآية 3] الثابت عن
وصف الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ﴾ [الآية 3] لأنهم به المنتفعون.

وأفاد الأستاذ: إن سماع قصة الحبيب من الرب توجب سلوة القلب

وزهاب الكرب وبهجة السرور وزبدة المراد وثلج الفؤاد. وكرّر الحق ذكر قصة موسى تفخيماً لشأنه وتعظيماً لقدر برهانه ثم زيادة في البيان لبلاغة القرآن ثم إفادة لزوائد من المذكور قبله في كل موضع كرّره.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 4] استكبر في أرض مصر وتجبر على أهلها.

قال جنيد: ادعى ما ليس له.

وقال ابن عطاء: / استكبر وافتخر بنفسه ونسي عبودية ربه. وقيل: أظهر 344/ ب ظلمه في أهل ملكه.

وقال الأستاذ: تكبر بغير حق فأقماء بحق وتجبر بغير استحقاق فأذله الله باستحقاق ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [الآية 4] فرقاً مختلفة يشيعونه فيما يريد من أحكام مؤتلفة، فصناً في حرمة وصناً في حفرة وصناً في خرقه وغير ذلك من صنعه ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 4] وهم بنو إسرائيل من ذرية الأنبياء وخلاصة الأصفياء، وهذا من أكبر ظلمه ﴿يَدِيحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [الآية 4] أي صبيانهم ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ [الآية 4] يستبقي بناتهم حتى يصرن نسائهم وذلك لأنه كان كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فإنه لو صدق لم يندفع بالقتل وإن كذب فما وجد الفشل ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 4] في العمل ولذا اجترأ على قتل كثير من ذرية أرباب النبوة لتخيّل فاسد ظهر من أصحاب الكهانة.

وقال الأستاذ: إنه سبحانه حكم بالفساد فيهم والله لم يرض بترك تلافيهم.

﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 5] أي نفضل عليهم بإنقاذهم من يده ﴿وَنَجْعَلَهُمْ آيَةً﴾ [الآية 5] مقدمين في أمر الدين وما يتعلق به ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [الآية 5] لما كان في مملكة فرعون وقومه.

﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 6] نسلطهم على أرض مصر والشام ﴿وَرِيَّ

﴿فَرَعُونَ وَهَمَكَنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ﴾ [الآية 6] من بني إسرائيل ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [الآية 6] من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم فإن القبط قد سمعوا ذلك من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل عليه السلام على ما ذكره ابن عباس. وقرأ حمزة والكسائي وقرىء بصيغة الغائب ورفع ما بعده.

وقال الأستاذ: أي نريد أن نمّنّ عليهم بالتخليص من أيديهم بأن نجعلهم أئمة بهم يهتدي الخلق ومنهم يتعلم سلوك طريق الصدق ونبارك في أعمارهم فيصيرون وارثين لأعمار من يناوئهم ويصير إليهم مساكنهم ومنازلهم، فهم هداة وأعلام وسادة وقادة بهم يقتدى وبنورهم يهتدى، ﴿وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 6]، نزيل عنهم الخوف من/ الأغيار ونرزقهم البسطة والأقدار، ونمد لهم في الأجل باعتبار الأقدار، ونري فرعون وهامان وجنودهما وقومهم ما كانوا يحذرون من زوال ملكهم على أيديهم، وإن الحق سبحانه سيعطي وإن كان عند الخلق أنه يبطل.

1/345 أ

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى﴾ [الآية 7] بإلهام أو رؤيا منام أو على لسان نبي أو ملك وصفي ﴿أَنَّ أَرْضِيَّ﴾ [الآية 7] ما أمكنك أن تخفيه ﴿فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ﴾ [الآية 7] بما ينافيه ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [الآية 7] نهر النيل الذي شبه البحر ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ [الآية 7] عليه الضيعة ولا الشدة ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ [الآية 7] لفراقه في الهجرة ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 7] بالقربة ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 7] إلى الأمة.

قال جنيد: إذا خفت حفظه بواسطة عدوه فسلميه إلينا واقطعي عنه شفقتك وتديبرك لدينا ليكون مفوضاً إلى تديبرنا فإن حفظه علينا.

وقال ابن عطاء: ما دمت تحفظ نفسك بتديبرك فهي على شرف الهلاك فإذا أزلت عنها تديبرك وسلمتها إلى مدبرك يرجى لها الخلاص.

وقال الواسطي: الذي حفظه في اليم قادر أن يصرف عنه الهم من فرعون وما قصده من الألم، كذا في تفسير السلمي. وروي أنه لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبال بني إسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث

منعها من السعاية، فأرضعته أمه ثلاثة أشهر ثم أتى فرعون في طلب المواليد واجتهدت العيون في تفحصها فأخذت له تابوتاً وجعلته فيه فقذفته في النيل فوقع التابوت في نهر كان يجري منه إلى بيت فرعون فأخذه أهل داره.

وقال الأستاذ: أي ألقينا في قلبها وألهمنا إليها فانجذب في ذلك خاطرها وجرى ذلك منها وهي مختارة بإخبار أدخل عليها. ويقال: قتل فرعون ذلك اليوم كثيراً من الولدان المولودة لبني إسرائيل رجاء أن يقتل مَنْ رأى في النوم ما عبر له أن ذهاب ملكه على يد إسرائيل يوجد ويولد. ثم إنه ربّاه في حجره ذلك اليوم ليعلم أن الأقدار لا تُغَالَب، فجعلته في تابوت وقيبر رأسه وألقته/ في نيل مصر فجاء الماء به إلى بركة كان فرعون جالساً على 345/ب حافته، فأخذه وحملوه إليه وفتحوا رأس التابوت لديه، وكان كما قاله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: الآية 39]، قيل: كان الله قد خلق ملاحظة في عيني موسى مَنْ وقع عليه بصره لم يتمالك من حبه فلما رآه فرعون أخذت رؤيته بمجامع قلبه وكذلك تمكّن حبه من قلب امرأته، ﴿فَأَلْقَتْهُ سَالِماً إِلَى نِجْمِ اللَّيْلِ إِذْ أُوذِيَ السُّوْءَ وَكَانَ مُجْتَرِباً﴾ [الآية 8]، تعليل لانتقاطهم إياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيهاً له بالعرض الحامل عليه. وقرأ حمزة والكسائي حزناً بضم فسكون.

قال السلمي: ﴿فَأَلْقَتْهُ سَالِماً إِلَى نِجْمِ اللَّيْلِ إِذْ أُوذِيَ السُّوْءَ وَكَانَ مُجْتَرِباً﴾ [الآية 8] فرحاً وسروراً ولم يعلموا أن ما أضمر القدرة فيه من تصيره لهم ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ﴾ [الآية 8] في فكرهم فأخطؤوا في تربية عدوهم بعد أن قتلوا ألوفاً لأجله بيدهم أو كانوا مذنبين في أمرهم فعاقبهم الله بأن ربي عدوهم في حجرهم.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 9] حين رآته ﴿فَرَّتْ عَيْنٌ لِي وَلَكِ﴾ [الآية 9] هو قرّة عين لنا، لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحياه. وروى النسائي عن ابن عباس أنه أجابها بقوله: أما لكم فنعم وأما لي فلا⁽¹⁾. فكان كذلك. وفي رواية

(1) تفسير الطبري (524/19) وتفسير ابن كثير (222/6) وتفسير القرطبي (11/196).

قال: لك لا لي⁽¹⁾. ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ [الآية 9] خطاب بلفظ الجمع للتعظيم، وخاطبت الجند كما قصد الشفاعة للكليم ﴿عَسَىٰ أَنْ يَفْعَلَنَا﴾ [الآية 9] فإن فيه مخايل اليمن والبركة ودلائل الفهم والمنفعة ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُمْ وَلَدًا﴾ [الآية 9] أي نتبناه فإنه أهل له ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 9] إلى ماذا يؤول أمره أو إنهم على الخطأ في التقاطه أو في طمع النفع منه أو التبني له وذلك لأنهم ظنوا أنه جاء من أرض أخرى لأنه أكبر من ابن سنة وفرعون لا يخاف إلا من أولاد تلك السنة.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا﴾ [الآية 10] خالياً من كل شيء كالمجنونة في غم ولدها لما وهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون أو من الهم لفرط وثوقها بوعد الله أو لسماعها إن فرعون عطف عليه وتبناه ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ﴾ [الآية 10] إنها قاربت لتظهر / مصرحة بموسى وأمره من فرط الضجر لما وقع فيه أو من كثرة الفرح لسماع تبنيه ﴿لَوْلَا أَنْ رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبَهَا﴾ [الآية 10] بالصبر والثبات فيه ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 10] من المصدقين بوعد الله في رده وحفظه لا بتبني فرعون وعطفه.

أ/346

وفي تفسير السلمي: أي لتظهر أنها في السر من حفظ موسى ورده إليها ومنع أيدي الظلمة عنه.

وقال ابن عطاء: لولا أنا أمرناها بالكتمان لحالها لأظهرت في موسى ما ضمن الله لها.

وقال الصادق: الصدر معدن التسليم والقلب معدن اليقين والفؤاد معدن النظر والفكر والضمير معدن السر والنفس مأوى كل حسنة وسيئة.

وقال الأستاذ: ولما ألقته أمه في الماء سکن الله قلبها وربطه عليها وألهمها الصبر لديه إن كادت لتبدي به من ضعف البشرية ولكن ربط قلبها بالتأييدات الإلهية.

(1) تفسير الطبري (19/525)، والكشاف (5/123).

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ [الآية 11] لأخت موسى وهي مريم أو أم كلثوم
 ﴿فُصِيهَ﴾ [الآية 11] تتبعي أثره وتفحصي خبره ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ [الآية 11]
 أي فقصت فأبصرته عن بُعد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 11] إنها تقصه أو إنها
 أخته.

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [الآية 12] تحريماً قديماً، ومعناه منعناه أن يرتضع
 من المرضعات ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 12] قبل تتبعها أمره ﴿فَقَالَتْ﴾ [الآية 12] أخته
 ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ [الآية 12] يضمونونه ويرضعونه لأجلكم
 ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾ [الآية 12] لا يقصرون في إرضاعه وتربيته. روي أنه قيل لها:
 إنك لتعرفيه فأخبرينا بحاله، فقالت: إنما أردت أنهم للملك ناصحون فأمروها أن
 تأتي بمن يكفله فأتت بأماها فلما وجد ريحها استأنس بها والتقم ثديها فقيل لها:
 من أنت منه حتى أبي كل ثدي إلا ثديك، فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن
 ما أوتي بصبي إلا قبلني، فدفعهو إليها وأجري الأجر والعتاء عليها فذهبت به إلى
 بيتها من يومها شاكرة لحالها ومنالها وراجية لحسن مآلها.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [الآية 13] برؤية ولدها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾
 [الآية 13] برفاقه ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ [الآية 13] علم مشاهدة وصدق ﴿أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 13] إن وعده حق وقوله صدق.

وقال الأستاذ: فمن بالغدوة كانوا في اهتمام قتله كيف يقتلونه أمسوا
 وهم في جهد/ كيف يغذونه ويربونه، ثم كانوا يدعون أمه حاضنة ومرضعة له 346/ب
 ولم يضرها ذلك، وكانوا يقولون لفرعون إنه أبوه ولم ينفعه هنالك. ولما أخذته
 أمه علمت بتصديق الله ظنها وسكن عن الانزعاج قلبها.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [الآية 14] مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوءه وذلك سن
 الوقوف لمثله وهو من ثلاثين إلى أربعين فإن العقل يكمل حينئذ باليقين. وروي
 أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين ﴿وَأَسْتَوَىٰ﴾ [الآية 14] اعتدل قده أو تكمل
 عقله ﴿ءَأَبْتَهُ حَكَمًا﴾ [الآية 14] حكمة وفهماً ﴿وَعِلْمًا﴾ [الآية 14] بالدين ومعرفة.
 وقيل: المراد بهما النبوة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية 14] ومثل ما فعلنا بموسى وأمه ﴿تَجْرِي

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 14] على إحسانهم في طاعة الله وأمره.

قال جنيد: لما تكامل عقله وصحت بصيرته آتيناها حكماً في نفسه بما يتجدد عنده من موارد زوائد الموائد عليه من ربه.

وقال الأستاذ: لما كمل سنه وتمَّ عقله واستوى خصال كماله ﴿ءَلَيْتَهُ حُكْمًا﴾ [الآية 14] وأتمنا له التحصيل ووفرنا له علمه بحاله وبذلك جرت سنتنا مع الأنبياء والأصفياء من قبله.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ [الآية 15] أي مصر أو غيرها أتينا من قصر فرعون ونحوها ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [الآية 15] في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقع حصولها وهو وقت القيلولة كما صرح به ابن عباس وقتادة وجماعة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ [الآية 15] يقصد كل قتل الآخر منهما ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [الآية 15] أحدهما ممن شايعه على دينه وهو السبطي والآخر من مخالفه وهو القبطي، والإشارة على الحكاية ﴿فَأَسْتَفْتَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ [الآية 15] فسأله أن يغيثه بالإعانة ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾ [الآية 15] فضرب القبطي بجمع كفه أو دفعه بطرف أصبعه ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [الآية 15] فقتله، وأصله أنهى إليه العمر من قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: الآية 66]، ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [الآية 15] لأنه لم يؤمر بقتل الكفار في ذلك الزمان ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ من جهته وإنما عدّه من عمل الشيطان، وسماه ظلماً واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات صدرت عنهم ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 15] ظاهر العداوة والإضلال أو مظهر طريق الضلال وما يترتب عليه/ الوبال. أ/347

وقال الأستاذ: وكزه موسى ليدفعه عن الإسرائيلي ولم يرد قتله، فمعنى أنه لو دفعه بأيسر مما دفعه ولم ينسب القتل إلى الشيطان ولكن دفعه عنه بالغلظة نسبة إليه بأن حمله على تلك الحدة لديه، وإذا أراد الله أمراً أجرى أسباباً يحصل بها مراده ولولا أنه أراد فتنه موسى ووقفه بدفعه لما قبض روحه بوكزه وقد يُضرب الرجل الكبير من الضرب بالسياط الكثيرة ثم لا يموت، فموت القبطي إجراء لما أراد من قضائه وقدره.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [الآية 16] بقتله ﴿فَأَعْرِضْ لِي فَعَفَرَ لَهُ﴾ [الآية 16] ما جرى من وكزه ﴿إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ [الآية 16] لذنوب عباده ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 16] بهم على وفق مراده.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الآية 17] أي أقسم بإنعامك عليّ وإحسانك إليّ بإعطاء القوة وسائر النعمة لأوتيتن من مثل هذه الوكزة ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 17] فلن أستعمل قوتي في مظاهر أعدائك بل أصرفها في مناصرة أوليائك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يستثن فابتلى به مرة أخرى⁽¹⁾ أي لم يقل فلن أكون إن شاء الله أولاً فابتلى بالعون للمجرمين ثانياً، وفيه إشكال ولم يبتلى بالعون للمجرمين بل على المجرمين لأجل المجرمين المحترمين.

﴿فَأَصْحَبَ فِي الْمَدِينَةِ حَافِئًا يَتَرَِّبُ﴾ [الآية 18] ينتظر سوءاً من فرعون لما له من شدة الغضب.

قال ابن عطاء: خائفاً من قومه يتربقب مناجاة ربه. وقيل: خائفاً من نفسه يتربقب نصرة ربه. وقيل: مستوحشاً من ضده منتظراً المؤنس يأنس به. وقيل: خائفاً من زلة الجناية منتظراً للكفاية رجعاً للعصمة والحماية ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾ [الآية 18] يستغيث للإنس ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 18] بين الغواية حيث تتسببت لقتل رجل ثم تدعوني إلى آخر في هذا اليوم.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ [الآية 19] أي بالقبطي لأنه لم يكن على دينهما ﴿قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قَتَلْنَا نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [الآية 19] قاله القبطي، وقيل السبطي، ولا يلائمه قوله ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 19] متطاولاً على / أهلها غير ناظر إلى العواقب ومآلها ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الآية 19] بين الناس على وجه الاستئناس.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ [الآية 20] قيل هو مؤمن آل فرعون وابن عمه ﴿مِّنْ أَقْصَا

(1) تفسير القرطبي (13/ 263)، والكشاف (5/ 127).

الْمَدِينَةَ ﴿[الآية 20] آخَرَهَا ﴿يَسْعَى﴾ [الآية 20] يُسْرِعَ فِي سِيرِهِ إِلَى أَدْنَاهَا ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ لَأَمْلَأُ﴾ [الآية 20] أَشْرَافَ الْجَنْدِ ﴿يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾ [الآية 20] يَتَشَاوِرُونَ بِسَبَبِكَ وَيُرِيدُونَ أَن يَعْلَمُوا فَرَعُونَ بِصَنَعِكَ ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ [الآية 20] ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّكَ قَتَلْتَ الْقَبْطِيَّ بِقَصْدِكَ ﴿فَأَخْرَجُ﴾ [الآية 20] مِنَ الْمَدِينَةِ ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الآية 20] فِي أَمْرِكَ.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [الآية 21] أَن يَدْرِكَهُ الطَّلَبُ، وَقِيلَ يَتَرَقَّبُ الْكِفَايَةَ وَالْحِمَايَةَ مِنَ الرَّبِّ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 21] خَلَصَنِي مِنْ شَرِّهِمْ وَاحْفَظْنِي مِنْ مَكْرِهِمْ.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ [الآية 22] تَجَاهَهَا وَقِبَالَتِهَا وَهِيَ قَرْيَةٌ شَعِيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ تَكُنْ فِي سُلْطَةِ فَرَعُونَ مَعَ أَن بَيْنَهَا وَبَيْنَ مِصْرَ مَسِيرَةٌ ثَمَانُ لَيَالٍ ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الآية 22] أَي الطَّرِيقِ الْمَسْتَوِيِّ، قَالَهُ تَوَكُّلاً عَلَىٰ رَبِّهِ وَحَسَنَ ظَنٍّ بِهِ وَكَانَ لَا يَعْرِفُ طَرِيقَ مَقْصَدِهِ فَعَنَّ لَهُ ثَلَاثُ طُرُقٍ فَأَخَذَ فِي أَوْسَطِهَا وَجَاءَ الطَّلَابُ عَقِيْبَهُ فَأَخَذُوا فِي الْآخِرِينَ مِنْهَا ظَنًّا إِنَّهُ لَا يَسِيرُ عَلَىٰ الْجَادَةِ فِيهَا.

قال جعفر: توجه إلى ناحية مدين ببدنه وتوجه بقلبه إلى ربه طالباً منه سبيل الهداية فأكرمه بالكلام والرسالة فكل من أقبل على الله بالكلية فإن الله يبلغه مأموله البتة.

وقال الأستاذ: توجه بنفسه تلقاء مدين من غير قصد إلى مدين أو غيرها بل خرج على الفتوح وتوجه بقلبه إلى ربه ينتظر أن يهديه إلى النحو الذي هو خير له فقال: عسى ربي أن يهديني لأرشد سبيل لي.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [الآية 23] وَصَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ مَا كَانُوا يَسْتَسْقُونَ لَدَيْهِ ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 23] فَوْقَ شَفِيرِهِ ﴿أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾ [الآية 23] جَمَاعَةً كَثِيرَةً مُخْتَلِفِينَ ذَهَاباً وَإِبَاباً لِلْمَنَاوِبَةِ عَلَىٰ مَا هُوَ الْمَعْتَادُ فِي السَّقَايَةِ ﴿يَسْقُونَ﴾ [الآية 23] الْمَاشِيَةَ ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ [الآية 23] فِي مَوْضِعٍ أَسْفَلَ مِنْ مَكَانِهِمْ ﴿أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [الآية 23] تَمْنَعَانِ أَغْنَامَهُمَا انْتِظَاراً لَخُلُوعِ الْمَاءِ لِهَمَا ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾

[الآية 23] ما شأنكما لا تسقيان غنمكما ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ﴾
 [الآية 23] بصرف مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرجال/ بالنساء. وقرأ أبو 348/أ
 عمرو وابن عامر بفتح الياء وضم الدال أي حتى ينصرف الرعاء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ
 كَبِيرٌ﴾ [الآية 23] في السن لا يستطيع أن يخرج لسقي الماء فيرسلنا اضطراراً مع
 الرعاء.

قال ابن طاهر: ورد في الظاهر ماء مدين وورد في الحقيقة على مالك
 مياه الأنس والمحبة وبساتين المعرفة ووجد عليه أمة أي خواص جماعة من
 العباد الصفوة يرتقون في تلك البساتين من الروضة فأشربهم وشرب معهم من
 تلك المياه شربة أورثه ورود ذلك الموارد والمورود على مخاطبة الحق وأورثه
 شرب ذلك الماء الثبات في حال المخاطبة.

﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [الآية 24] مواشيها رحمة عليهما مع ما كان به من النصب
 والجوع ووصب جراحة القدم وغيرهما، وقد صح عن عمر رضي الله عنه أنه لما
 فرغ الناس جعلوا صخرة لا يستطيع رفعها إلا عشرة على رأس البئر فرفع موسى
 الحجر وحده ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً ودعا بالبركة وأروي عنهما. وقيل:
 كانت بئر أخرى صخرة كبيرة عليها فرفعها واستقى منها، وهذا هو الأظهر فتدبر
 ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [الآية 24] ظل شجرة أو جدار خربة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا
 [الآية 24] لأي شيء ﴿أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية 24] من طعام يسير أو كثير
 ﴿فَقِيرٌ﴾ [الآية 24] محتاج وسائل من غير وسائل. وقيل: معناه إني فقير من الدنيا
 لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين والغرض من هذا
 الكلام في خطابه إظهار الفرح به والشكر على ما به في بابه.

قال أبو بكر ابن طاهر: لما طال عليه البلوى أنس بالشكوى فقال: إني
 لما أنزلت إلي من خير فقير، يناجيه بلسان الافتقار وليس في الشكوى إلى
 المحبوب نقص في الاختيار.

وقال الحسين: إني لما خصصتني به من علم اليقين فقير إلى أن تردني
 إلى عين اليقين ثم حق اليقين.

وقال جعفر: فقير طالب لديك زيادة الفقر إليك إني لا أستغني عنك بشيء سواك.

وقال الأستاذ: لما وافى موسى مدين شعيب كان وقت الهاجرة وكان لهم بئر يستقون منها فيصبون الماء في الحياض ويسقون عنهم مواشيهم، وكان شعيب كف عنه بصره لكثرة بكائه، ففي القصة أنه بكى حتى ذهب بصره فرد ب/348 ب الله/ عليه بصره، ثم بكى حتى رد الله عليه بصره، ثم بكى ثالثاً فأوحى الله إليه إن كان بكاؤك لخوف النار فقد أمتتك منها وإن كان لأجل الجنة فقد أبحاثها لك، فقال: لا يا رب ولكن شوقاً إليك، فأوحى الله إليه لأجل ذلك أخدمتك نبيي وكليمي عشر حجج. وكان لشعيب أغنام ولم يكن له أجير وكانت ابنتاه تسوقان الغنم مكان الرعاة ولم يكن لهم قوة استقاء الماء من البئر وكان الرعاة يستقون الماء من البئر ويسقون مواشيهم فإذا انفضوا فإن بقي في الحوض بقية من الماء فبنات شعيب كانتا تسقيان غنهما، فلما وافى موسى ذلك اليوم وشاهد ذلك الحال من القوم رق قلبه لهما، فلما انصرف الرعاة سقى عنهما ثم تولى إلى ظل جدار بعدهما وكان جائعاً مسافراً لم يتعود قط العربة والرحلة ولم يكن معه مال في تلك الحالة فطلب قوتاً يزيل جوعه ويسد رمقه، وقيل: سأل حال يستقل بها ولا يضطرب معها، وكان شعيب يخرج إلى ظاهر الصحراء في طريق الماشية فمسها بيده فوجد أكثر الزيادة في تلك الكرة فسألها فذكرتا له القصة، فقال شعيب: إنه جائع البتة. فبعث إحداهما لتدعوه إلى الضيافة.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [الآية 25] مستحياً مستترة بكم ذراعها. قيل: كانت الصغرى وقيل الكبرى، وهي التي تزوجها موسى.

قال ابن طاهر: لتمام إيمانها وشرف عنصرها وكريم نسبها أتته على استحياء فقد ورد: «الحياء من الإيمان»⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أنها إنما استحيت لأنها كانت تخاطب من لم يكن

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (24)، ومسلم في الصحيح (59/36).

محرمًا لها. وقيل: لما دعت للضيافة كانت مستحية والكريم يستحي من الضيافة ﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [الآية 25] جزاء سقيك لغنمنا. ولعل موسى إنما جاء ليتبرك برؤيته ويتطهر بمعرفته لا طمعاً في أجرته، بل روي أنه لما جاء قدم إليه طعاماً فامتنع عنه وقال: إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَبِيعَ دِينِنَا بَدْنِيَانَا، فقال شعيب: هذا من دأبنا مع كل من ينزل بنا على أن كل من فعل معروفاً فأهدي بشيء لم يحرم أخذه.

وقال الأستاذ: لم تطب نفس شعيب لما أحسن موسى إليه أن لا يكافئه بما قدر عليه وإن كان موسى لم يرد المكافأة لديه. ويقال: ورد بظاهره ماء / مدين وورد بقلبه موارد الأنس والروح. والموارد مختلفة فموارد القلوب رياض 349/أ البسط بكشوفات المحاضرة فيطربون بأنواع الملاطفة، ومورد الأرواح مشاهد الأرواح فيكاشفون بأنوار المشاهدة فيتغيبون عن الإحساس بالنفس وما لها من المجاهدة، وموارد الأسرار ساحات التوحيد فعند ذلك الولاية لله لا نفس ولا حس ولا قلب ولا أنس استهلاك في الصمدية وفناء بالكلية. ويقال: الأجنبية والبعد من المحرمية توجب إمساكه عن مخاطبتهما والإعراض والسكوت عن سؤالهما ولكن الذي بينهما من المشاكلة والموافقة بالسر لهما استنطقه حتى سألهما عن قصتهما، كما قيل:

أجارتنا إننا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب⁽¹⁾

ويقال: لما سألهما وأخبر عن حالهما لزمه القيام بأمرهما ليعلم أن من تفقد أمر الضعفاء وحالهم ووقف على موضع فاقتهم لزمه إزالة شكائتهم. ويقال: من كمال البلاء على موسى أنه وافى الناس وكان جائعاً ومقتضى الرفق أن يطعموه، فقبض القلوب عنه واستوجابه واستقباله من موجبات حكم الوقت أن يعمل عمل أربعين رجلاً لأن الصخرة التي نَحَّاهَا عن رأس البئر وحده كان يقتلعها أربعون رجلاً. تولى إلى الظل، وقال: أرأيت إن يطعمني بعد مقاساة اللثيا واللثي فذلك فضلك، قاله بلسان الانبساط ولا لسان أحلى

(1) نسب إلى امرئ القيس. انظر العقد الفريد (1/196)، وخزانة الأدب (3/271).

من ذلك وهي شبه الشكوى ولكن إليه لا منه بل منه إليه . ويقال: تولى إلى الظل وروح البسط واستقلال السر بحقيقة الجود. ويقال: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [الآية 24] فزدني فقراً فإن فقري إليك يوجب استغنائي بك.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ [الآية 25] موسى ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ [الآية 25] وحكى لشعيب صورة ما جرى ﴿فَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ﴾ [الآية 25] في هذا المكان المكين ﴿مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 25] فرعون وقومه أجمعين.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ [الآية 26] وهي التي استدعته ﴿يَتَأَبَّتُ أَسْتَشْجِرَةً﴾ [الآية 26] لرعي الغنم ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَسَجَرْتَ ألقوى الأَمِينُ﴾ [الآية 26] فيه إيماء إلى أنه عليه السلام ما كان يلقي أخيراً جائعاً بين القوة في الخدمة والأمانة في الديانة. ب/349 وروي أن شعيباً قال لها: وما أعلمك بقوته وأمانته، فذكرت إقلاله الحجر ورفع رأسه صوب رأسه حين يلقنه أمره، وأمرها بالمشي خلفه.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكحُكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَلْتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ [الآية 27] أي تأجر نفسك مني ﴿فَلَمَنِي حِجَجٌ﴾ [الآية 27] ظرف للإجارة ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾ [الآية 27] عمل عشر حجج ﴿فَمَنْ عِنْدَكَ﴾ [الآية 27] فإنما مد من عندك تفضلاً وتبرُّعاً من عندي عليك إلزاماً شرعاً، وهذا استدعاء للفقه لا نفسه حيث.

قال أريد ولم يقل أنكحتك مع ما في كلامه من إبهام المنكوحة ويمكن في ذلك اختلاف الشريعة ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ [الآية 27] إلزام إتمام العشر الموجب للصعوبة لديك أو المنافسة في مراعاة الأحوال واستيفاء الأعمال ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 27] في الوفاء بالمواعدة وحسن المعاملة، ولكن الصحبة والعشرة أو المجاملة.

﴿قَالَ﴾ [الآية 28] موسى ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 28] الذي عاهدتني فيه ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [الآية 28] قائم بيننا لا يخرج عما شرطنا ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ [الآية 28] أطولهما أو أقصرهما ﴿فَضَيَّتْ﴾ [الآية 28] وفيت ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ [الآية 28] لا نعتدي على طلب الزيادة فلي الخيار مطلقاً في الإرادة ﴿وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ﴾

[الآية 28] من المشاركة ﴿وَكَيْلٌ﴾ [الآية 28] شاهد حفيظ على ما وقع من عقد الإجارة.

وقال الأستاذ: في القصة أن شعيباً قال لموسى: أدخل هذا البيت وأخرج بما فيه من العصي عصا، وكان بيتاً مظلماً، فدخل وأخرج العصا التي كانت لموسى وأظهر أدبه فيها معجزة وجاء في القصة: إنها كانت لآدم عليه السلام وقعت إلى شعيب من نبي إلى نبي وذلك إنه لما أهبط آدم إلى الأرض صال عليه ما على وجه الأرض من السباع فأنزل عليه عصا من الجنة وأمره جبريل أن يرد السباع عن نفسه بتلك العصا فلما أخرج موسى تلك العصا. قال شعيب: رده إلى البيت وأخرج عصا أخرى، ففعل غير مرة ولم يحصل كل مرة في يده إلا تلك العصا، فلما تكرر الأمر هنالك علم شعيب أن له شأناً فأعطاه ذلك. ثم القصة أن اليوم الأول الذي ساق غنمه قال له شعيب: إن طريقك تتشعب شعيبين على أحدهما كلاً كثير فلا تسلكه في الرعي فإن فيه ثعباناً واسلك الشعب. / فلما بلغ موسى مفرق الطريقين تفرقت الغنم ولم 350/أ تطاوعه وسامت في الشعب الذي فيه الكلا، وأن موسى تبع الأغنام ووقع عليه المنام فلما انتبه رأى الثعبان مقتولاً وعصاه كانت قد قتلت الثعبان، فلما انصرف أخبر شعيباً بذلك فسر به هنالك. وكان موسى يرى في العصا آيات كثيرة ولذا قال: ﴿وَلِي فِيهَا مَثَابٌ أُخْرَى﴾ [طه: الآية 18].

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ [الآية 29] أي الأطول على ما صح في البخاري عن ابن عباس وروي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرًا آخر ثم عزم على الرجوع إلى محله ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [الآية 29] وكان في ليلة مظلمة شديدة البرودة والطرق مختلفة ﴿ءَأَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ [الآية 29] أبصر من الجهة التي تلي الطور ﴿نَارًا﴾ [الآية 29] عظيمة وعن النظر بعيدة.

قال أبو علي الروذباري: الجبل الذي كلم الله عليه موسى كان من العقيب ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [الآية 29] من الطريق ممن يوجد عندها من الفريق ﴿أَوْ جَدْوَى﴾ [الآية 29] وقرأ عاصم بالفتح

وحمزة بالضم شعلة مقتبسة ﴿بِرَبِّ النَّارِ﴾ [الآية 29] أو قطعة منها ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [الآية 29] تستدفئون بها.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ [الآية 30] جاءها ﴿نُورِيكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ [الآية 30] أتاه النداء من الجانب الأيمن لموسى أو من الوادي الأبرك ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾ [الآية 30] بجميع أطرافها وجملة أكنافها ﴿مِنَ الشَّجَرِ﴾ [الآية 30] بدل من شاطئ، بدل الاشتمال لأنها كانت ثابتة في تلك المحال ﴿أَنْ يَمْوَسِيَ﴾ [الآية 30] أي يا موسى ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 30] أي الذي يكلمك رب العالمين، وهذا أو ان خالف ما في طه والنمل في بعض المعاني، فهو طبقه ووفقه في المقصود من المعاني.

قال ابن عطاء: فلما تم له أجل المحنة ودنا أيام القربة والرأفة والمنحة وإظهار أنوار النبوة وأسرار الجنة وسار بأهله ليشتركوا معه في لطائف الصنعة.

قال جعفر: أبصر ناراً دلّه على الأنوار ولا تدري أي النور على هيئة النار، فلما دنا منها شملته أنوار القدس وأحاطته جلايب الأنس فخطوب بالطف خطاب واستدعى منه أحسن / جواب فصار بذلك مكلماً شريفاً مقرباً ب/350 مكماً لطيفاً أعطي ما سأل وأمن مما خاف.

وأفاد الأستاذ: إنه تعالى أخفى تعيين موضع قدم موسى على الظنون بهذا الخطاب حيث قال في الكتاب: ﴿مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ [الآية 30] ثم قال: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾ [الآية 30] وعندها سمع خطاب مولاه بلا واسطة، وأعز الأماكن عند أولي الأبواب مشهد الأحباب كما قيل في هذا الباب:

وإني لأهوى الدار ما تستقرني لها ألود إلا أنها من دياركا⁽¹⁾
ويقال: كم قدم وطئت تلك البقعة ولكن لم يسمع صاحبها بها سينه
وكم ليلة أجتت تلك البقعة ولم يظهر من تلك النار فيها شعلة. ويقال: شتان

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 133).

بين شجرة وشجرة، شجرة آدم عندها ظهور محنته وفتنته وشجرة موسى فتح نبوته وبدئ رسالته. أقول: ويمكن أن يقال هذه الشجرة من ثمرة تلك الشجرة لأن المحنة توجب المنحة والبلاء يورث الولاء ويكون وجه تسمية شجرة آدم بشجرة العلم والله أعلم. ويقال بتفضيل نوع تلك الشجرة وما يدري ما الذي كان لتلك الشجرة من الثمرة بل هي شجرة الوصلة ثمرها القرية أصلها ثابت في أرض المحبة وفرعها باسق في سماء الصفوة، أوراقها الزلفة وأزهارها وأنوارها تفتق عن نسيم الروح والبهجة. فلما سمع الكلام موسى عليه السلام تغير عليه الحال في ذلك المقام، وفي القصة أنه غشي عليه وأرسل الله الملائكة إليه حتى روحوا بمراوح الأنس لديه وكان هذا في ابتداء الأمر والمبتدئ مرفوق به، وفي المرة الأخرى خرّ موسى صعقاً وكان يفيق والملائكة تقول له: يا ابن الحيز مثلك من يسأل الرؤية⁽¹⁾، كذا في الحديث. والقصة في البداية لطف وفي النهاية عنف. ويقال: في الأولى ختل وفي الأخرى قتل.

فلما دارت الصهباء دعا بالنطع والسيف
 كذا من يشرب الراح مع النيين في الصيف
 ونظيره ما وقع لآدم عليه السلام من تشريفه أولاً وتعنيفه آخرأ بناء على
 أن الولاء يعقبه البلاء.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الآية 31] عطف على أن يا موسى داخل تحت ما نادى

أ/351

سبحانه/ وتعالى.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى يا موسى اخلع نعليك وأقم عندنا هذه الليلة فقد تعبت في الطريق لديك إن لم يكن هذا في النقل والآثار فهو ما يليق بتلك الحال عند الاعتبار، يا موسى كيف سعدت وكيف صوبت وكيف شرقت وكيف غربت ما كنت في الطريق وحدك، يا موسى أحصينا خطاك

(1) تفسير الخازن (90/3)، وتفسير البغوي (278/3).

إحصاء كل شيء عدداً، يا موسى تعبت فاسترح، يا موسى بعدما جئت فلا تبرح كذا العبد غداً إذا قطع المسافة في القيامة وتبوأ من منزله في الجنة وآخرون يمضون من الطريق إلى بساط الزلفة كذا العبد والخادم إذا دخل بلد سلطانه يبتدىء أولاً بخدمة السدة العالية ثم بعده ينصرف إلى منزله بالعافية وكذا اليوم أمرنا إذا أصبحنا كل يوم أن لا نشتغل بشيء من أمور الخلق حتى نفتح النهار بالخطاب مع الحق ونحضر بساط الخدمة وهو الصلاة من العبادة بل نحضر بساط الدنو والقربة لقوله: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: الآية 19]، المصلي مناجي ربه لو يعلم المصلي من يناجي ما التفت أي لم يخرج عن صلواته فيلتفت يميناً وشمالاً في التسليم الذي هو التحليل من عبادته.

﴿فَلَمَّا رَأَاهَا﴾ [الآية 31] أي لما ألقاها فصارت حية كبيرة ﴿نَهَزَتْ﴾ [الآية 31] تتحرك بسرعة كبيرة ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [الآية 31] حية صغيرة في جثتها وهيئتها أو في سرعة حركتها ﴿وَلَىٰ مُدِيرٌ﴾ [الآية 31] منهزماً من خوف ما رأى ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [الآية 31] لم يرجع إلى الوراء ﴿يَمْسُوعٌ﴾ [الآية 31] أي نودي بهذا النداء ﴿أَقِيلْ﴾ [الآية 31] إلينا واعتمد علينا ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ [الآية 31] من غيرنا ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ [الآية 31] لدينا فإنه لا يخاف لدي المرسلون، فرجع إلى مكانه الأول ووقف في مقامه الأكمل.

قال سري السقطي: الخوف على ثلاثة أوجه: خوف في الدين وهو خوف العامة، وخوف العارض عند تلاوة القرآن وهو خوف الخاصة، وخوف مزعج يجفل القلب ويهتز البدن ويذهب بالنوم ويورث الحزن وهو خوف أهل الحقيقة.

وقال الأستاذ: انقلب العصا حية فولى موسى مدبراً خيفة ولم يقف لمحة وكان موضع أن يقول حديث أوله تسليط الثعبان من ذا يطيق هذا الشأن، فقيل: لا تخف يا موسى إن الذي يقدر أن يقلب العصا حية يقدر أن يخلق لك منها سلامة إنك من الأمنين، / ليس المقصود من هذا خوف بلدناك إنما أثبت هذا إلا سلطه على عدوك وهذا معجزتك على قومك.

﴿أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [الآية 32] أدخلها في جيب قميصك ﴿تَخْرُجُ يَبْصَاءَ﴾ [الآية 32] كأنه قطعة قمر نور ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [الآية 32] عيب كبرص وداء ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [الآية 32] المراد بأحد الجناحين اليد اليمنى وبالأخر اليد اليسرى وكل منها مضموم ومضموم إليه بإدخال كل منهما تحت عضد الأخرى ﴿مِنْ الرَّهْبِ﴾ [الآية 32] من أجل الرهب إذا غلبك الرعب. عن ابن عباس وغيره: إذا خاف أحد ووضع يده على فؤاده يخف خوفه ويزول رعبه. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء. وقرأ حفص بفتح فسكون ﴿فَذَلَّلْنَاكَ﴾ [الآية 32] وقرأ ابن كثير بتشديد النون والإشارة إلى العصا واليد وتذكيرهما باعتبار الخبر وهو قوله: ﴿بُرْهَانَيْنِ﴾ [الآية 32] أي حجتان ومعجزتان ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 32] مرسلهما ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿[الآية 32] خارجين عن حدهم وأمر ربهم.

وقال الأستاذ: قيل إنما قيل له اسلك يدك في جيبك لأن الدرعة التي كانت عليه لم يكن لها كم، وفي هذا إشارة لأن عند كل أحد أنه يصل إلى مقصوده ومراده بتشمُّره وحده واجتهاده وإخراج يده من كمه، والله قال لموسى: أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء وألق عصاك نجعلها ثعباناً بلا ضرر بك ولا استعمالك لها، يا موسى الأمر بنا لا بك، وأنا لا أنت في فعلتك، فذاتك برهانان من ربك يا موسى في وصف خضوعك تجدني وبتبرئك من حولك وقوتك تصل إلي.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [الآية 33] فأعني وادفعهم عني لأقوم بتبليغهم عني ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [الآية 34] وأوضح مني بياناً ﴿فَأَرْسَلْنَا مَعِيَ رِدْءًا﴾ [الآية 34] وقرأ نافع بالنقل أي معيناً ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ [الآية 34] بإتمام الحججة ورفع الشبهة ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الآية 34] ولساني لا يطاوعني عند الحاجة. وقرأ عاصم وحمزة: يصدقني بالرفع على أنه صفة.

قال أبو بكر ابن طاهر: هو أفصح مني لساناً مع الخلق وكيف أكون

أ/352 فصيحاً معهم وقد سمعت لذيذ كلامك، وكيف أخاطبهم أو كيف/ أجعل لهم، وزناً مع ما آتيتني وخصصتني به شأناً ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [الآية 35] سنقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا﴾ [الآية 35] غلبة وشأناً أو حجة وبرهاناً. قيل: هيبة في قلوب الأعداء ومحبة في قلوب الأولياء وسلطاناً على أنفسكما فلا يقدر الشيطان أن يغلبكما أو أصابه في أحكام الحدود على اتباعكما ﴿فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية 35] باستيلاء أو حجاج وإيذاء ﴿بِأَيِّنَّا﴾ [الآية 35] بسبب إظهار معجزاتنا ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغٰلِبُونَ﴾ [الآية 35] بإرادتنا وقدرتنا.

وقال الأستاذ: تعلق موسى عليه السلام بكل وجه رجاء أن يعافى من مشقة التبليغ ومقاساة البلاء لا علم أن النبوة فيها مشقة فلم يجد الرخصة والإعفاء عما كلف من تحمّل أعباء النبوة، وأجاب سؤاله في أخيه وضمن لهما النصره ثم إنهما لما أتيا فرعون قابلهما بالتكذيب في الرسالة ورماهما بالسحر والمكيدة وجاوباه بالحجة ودعواه إلى سواء المحجة فأبى إلا الجحد إلى اللحد وهذا معنى قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 36] من المعجزات ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 36] ظاهرات الدلالات ﴿قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى﴾ [الآية 36] تخييل لا حقيقة له في الكائنات ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا﴾ [الآية 36] ادعاء النبوة ﴿فِي ءَابَايِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 36] الأمم المتقدمة.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّيٰ أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ [الآية 37] ومن يتبع الهدى في دينه. وقرأ ابن كثير قال بغير واو على أنه استئناف وقع جواباً لمن سأل عن جوابه ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُ عَنقِبَةُ الدَّارِ﴾ [الآية 37] العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الحميدة هي الجنة. وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 37] لا يفوزون بالهدى في الدنيا وبحسن العاقبة في العقبى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُو آيٰهَا أَلْمَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلٰهِ غَيْرِ فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطَّيْنِ﴾ [الآية 38] أطبخ لي الأجر ﴿فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ [الآية 38] قصرأ عالياً ﴿لَعَلِّي أَطِيعُ إِلٰهَ إِلٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِينَ﴾ [الآية 38] في أن لكم إله غيري وإنه رسوله في الدين.

وأفاد الأستاذ: إنه ادعى الانفراد بالإلهية فزاد على عبدة الأصنام الذين جعلوا أصنامهم شركاء بل وسائل وشفعاء ومن زيادة ضلاله توهمه أن المعبود في جهة العلو وأنه يمكن الوصول إليه، ولعمري لو كان جهة لا يكون / تقدير 352/ ب الحصول لديه.

﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الآية 39] بغير استحقاق من جانب الحق ﴿وَوَطَّنُوا أُنْهَمُ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [الآية 39] اعتقدوا أنه لا قيامة لدينا ولا معاد إلينا. وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الآية 40] فطرحناهم فيه ككف رماد في ساحة الهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 40] ما حال المجرمين.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ [الآية 41] قدوة للضلال بالحمل على الإضلال ﴿يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ﴾ [الآية 41] إلى موجباتها من الكفر والمعاصي وما يتبعها من الأنكال والأغلال ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾ [الآية 41] بدفع العذاب عنهم في جميع الأحوال.

﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [الآية 42] طرد عن الرحمة أو لعن اللاعنين من الملائكة والمؤمنين ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [الآية 42] سود الوجوه زرق العيون بين المخلوقين.

قال ابن عطاء: نزع عنهم أنوار التوفيق وأسرار التحقيق في ظلمات نفوسهم كالغريق لا يدلون غيرهم على سبيل الرشد والتوفيق ولا يسلكون بأنفسهم سوء الطريق فساماهم الله أئمة يدعون إلى الحريق.

وقال الأستاذ: واستكبر هو وجنوده وأبى إلا أن يدوم جحوده وعوده فغرقه الله في البحر كما غرق قلبه في بحر الكفر وجعلهم أئمة لا يشرفهم لكن بسبب تلقيهم قدمهم في الخزي والمهانة على كل أمة فهم أئمة لكن لم يرشدوا إلا إلى الضلال ولم يدلوا الخلق إلا على المحال وما حصلوا إلا على سوء الحال وما ذاقوا إلا خزي الوبال، أفاضوا على متبعيهم من ظلمات

قلوبهم وافتضحوا في خسة مطلوبهم وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين، كانوا في الدنيا مبعدين عن معرفته وفي الآخرة مبعدون عن مغفرته فانقلبوا من طرد إلى طرد ومن هجر إلى بُعد ومن افتراق إلى احتراق.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الآية 43] التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ [الآية 43] أقوام نوح وهود وصالح ولوط وقوم فرعون بعدهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 43] حال كون الكتاب أنواراً لقلوبهم يتبصر به الحقائق ويتميز بها بين الحق والباطل من أحوال الخلائق ﴿وَهَدَى﴾ [الآية 43] وسبب هداية دلالة إلى معرفة الشريعة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 43] / وموجب رحمة ونعمة في الدنيا والآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 43] ليكونوا على حال يرجى منهم التذكرة. 353/أ

وأفاد الأستاذ: أنه إنما يطلب المنازل إذا خلا من الأجانب ورؤيتهم وأطيب المساكن ما كان رؤيتها يفقد الرقباء وغيبتهم فلما أهلك الله فرعون وقومه وأورث بني إسرائيل أموالهم وديارهم ومحي عن جميعها آثارهم طاب عليهم العيش في العبادة وطلعت عليهم شمس السعادة..

﴿وَمَا كُنْتَ﴾ [الآية 44] يا محمد حاضراً ﴿بِجَانِبِ الْفَرْقِ﴾ [الآية 44] من الوادي أو الطور فإنه كان في شق الغرب من مقام موسى عند ظهور النور ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [الآية 44] أوحينا إليه أمر الرسالة ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الآية 44] لذلك حتى تعرف القصة وترى الحالة فما هو إلا من إعلام الله بالأمر الغيبية كالمعجزة الدالة على صحة النبوة. وقيل: أراد بالشاهدين السبعين المختارين.

﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا﴾ [الآية 45] خلقنا بعد موسى ﴿قُرُونًا﴾ [الآية 45] أمماً مختلفة ﴿فَنَطَّأُولُ عَلَيْهِمُ الْعُمُرَ﴾ [الآية 45] أي الأزمنة فحرّفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم والآثار وانطمست الأسرار وانطفأت الأنوار إلى أن ظهر سعيد الأبرار وسند الأحرار ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [الآية 45] من شعيب

والمؤمنين به ﴿تَتْلُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 45] نقرأ عليهم تعلماً منهم ﴿إِنبَأْنَا﴾ [الآية 45] التي فيها قصتهم فيحكي ما رأيت فيهم ونقلت منهم ﴿وَلَنَكُنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الآية 45] إياك ومخبرين بما أتاك.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [الآية 46] موسى وقلنا له: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مریم: الآية 12] فالأول عبارة عن النبوة والآخر إشارة إلى الرسالة. وعن بعض السلف معناه: إذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم حين سألتني موسى رؤيتك ورؤيا أمتك وقلت له: إنك لن تصل إلى ذلك لكن إن شئت أسمعت صوته⁽¹⁾. رواه النسائي عن أبي هريرة وكذا نقل عن ابن عباس وغيره.

قال ابن عطاء: أحببنا سؤال من دعا على الطور وجعلنا ما طلبه لأمتك إجلالاً لقدرك وعظيم محللك. وحكى ابن أبي يزيد أنه قرأ هذه الآية بين يديه فقال: الحمد لله الذي لم أكن ثمة، كذا في تفسير السلمي، ولعله ذكره على وجه الغيرة.

وقال الأستاذ: وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وكلمناه ولكن خاطبناه / في بابك وفي باب أمتك فلم تقدح غيبتك في الحال وكوني لكم 353/ب خير من كونكم لكم، أي في حسن المأل، وزين المنال وفراغ البال. ويقال: لما خاطب موسى وكلمه وسأل موسى أنني أرى في التوراة أمة صفتهم كذا وكذا من هم، فسأل عن أوصاف وعن الجميع كان الله يجيب إنهم أمة أحمد، فاشتاق موسى إلى لقائه فقال تعالى إنه ليس اليوم وقت ظهورهم فإن شئت أسمعت كلامهم، فأراد أن يسمع كلامنا فنأدى سبحانه وقال: يا أمة أحمد، فأجاب الكل من أصلاب آبائهم فسمع موسى عليه السلام كلامهم بعد ندائهم، ثم لم يتركهم الله بذلك من غير نفع هنالك فالغني إذا سأل فقيراً فأجابه لا يرضى بأن يرده من غير إحسان إليه فقال سبحانه: أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، ثم فما كان موسى عليه السلام يتلو

(1) تفسير ابن كثير (6/240)، وتفسير الرازي (12/90).

عليهم من آياته ذكر نبينا ﷺ بالجميل وكراماته بحسن الثناء عليهم فنحن في الوجود محدث مخلوق وفي ذكره قديم متعلق لا باستفتاح زمان لم يكن في العدم ولا أشياء ولكن كنا بتعلق القدرة متناول العلم والمشية مذكوراً للخطاب الأزلي والكلام الصمدي والقول الأبدي، فمن طلب موسى عليه السلام لأتمه جعلناه لأمتك وكما نادينا موسى وهو في الوجود والظهور ناديناكم وأنتم في كتم العدم وأنشدوا:

كن لي كما كنت لي في حال لم أكن
﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً﴾ [الآية 46] أوجبت إليك نعمة ﴿مَنْ رَبِّكَ﴾ لِنَذِيرٍ قَوْماً مَا
أَتَلَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴿[الآية 46] لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى عليه
السلام وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل على أن دعوة موسى
وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل وما حواليهم. هذا وقيل بين عيسى ورسولنا
عليهما السلام أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد ابن سنان
العبيسي ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 46] لكي يتفركوا ويتدبروا فيتعظوا ويعتبروا.

﴿وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً﴾ [الآية 47] عقوبة ﴿يَمَّا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ﴾
[الآية 47] من الكفر والمعصية ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾ [الآية 47] هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا
رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ [الآية 47] في ما أمرتنا/ ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] أ/354
المصدقين فيما أخبرتنا لما أرسلناك، والمعنى إن أرسلناك إليهم قطعاً للمعذرة
لديهم وإلزاماً للحجة عليهم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الآية 48] أي الرسول المصدق بنوع من المعجزات
الدالة على صدق نبوته أو الكتاب المحقق ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ [الآية 48] من لدنا
﴿قَالُوا﴾ [الآية 48] عناداً وتعنتاً واقتراحاً ﴿لَوْلَا﴾ [الآية 48] هلا ﴿أَوْقَى﴾ مثل ما
أَوْقَى مُوسَى ﴿[الآية 48] من الكتاب جملة واليد والعصا معجزة ﴿أَوْلَمْ يَكْفُرُوا﴾
[الآية 48] يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمن موسى ﴿يَمَّا أَوْقَى
مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 48] قبل زمان محمد عليه السلام. والمعنى إذا كفر أولئك مع
رؤية تلك الآيات لكفر هؤلاء المقترحون أيضاً لاتحادهم في سوء الحالات ﴿قَالُوا

سِحْرَانِ ﴿ [الآية 48] يعنون موسى وهارون، وقيل موسى ومحمد فيتعين أن يكون فاعل يكفروا ضمير قريش فإنهم كفروا بنبوة موسى أيضاً حين جاءهم الرهط الذين أرسلوهم إلى يهود المدينة يسألنهم عن محمد عليه السلام بخيرهم ﴿تَظَاهَرَا﴾ [الآية 48] تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين من التوراة والفرقان وقرأ الكوفيون ساحران بتقدير مضاف أو إرادة مبالغة أو المراد بهما التوراة والقرآن ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ﴾ [الآية 48] بكل منهما أو بكل الأنبياء معهما.

قال الأستاذ: تمنوا في زمان الفترة أن يعث الله إليهم رسولاً ليهدتوا به في الديانة ووعدوا من أنفسهم الإيمان والإجابة، فلما أتاهم الرسول كذبوه وقالوا: هلا خص بمثله بمعجزات موسى من العصا واليد البيضاء وكان ذلك منهم خطأ واقتراحاً في غير موضع الحاجة وتحكماً بعد إزاحة العلة.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ملّ الوصال وقال كان وكاناً⁽¹⁾

﴿قُلْ فَاتَوْا يَكْتَلِبْ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِّنْهُمَا﴾ [الآية 49] مما نزل على موسى وعلى من التوراة والقرآن ﴿اتَّبِعْهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 49] إنا ساحران أو هما ساحران مختلفان وفيه تنبيه على أن الكتابين كليهما معجزتان.

﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ [الآية 50] دعاك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى واختاروا طريق الأردى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية 50] لأنهم من عنادهم بعدما لزمتهم الحجة ما تركوا آراءهم/ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى 354/ب مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية 50] لا أضل ممن تبع هواه وترك هداه وقد ورد: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به من هداه»⁽²⁾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 50] الذين ظلموا أنفسهم بمخالفة الهدى وموافقة الهوى.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ [الآية 51] أنزلنا عليهم القرآن نزولاً متصلاً بعضه ببعض في الأزمان ﴿لَقَلَّهْمُ يَذْكُرُونَ﴾ [الآية 51] لكي يتعظون فيؤمنوا ويطيعوا.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (6/54).

(2) جامع الأحاديث (16/492) رقم (17365).

وفي تفسير السلمي قال بعضهم: إما تبعنا الموعظة والرسول الرسول والدليل الدليل لعلهم يتذكرون ويتبهنون من رقدة الغفلة.

زاد الأستاذ فيما أفاد: فما ازدادوا إلا كفرأً ونبوأً وجحداً وعتوأً فلا إلى الحق رجعوا ولا إلى الاستقامة جنحوا.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الآية 52] يعني اليهود والنصارى ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الآية 52] قبل نزول القول المراد به القرآن ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 52] أي هم الذين يؤمنون بالقرآن ويصلون إلى مقام العرفان ولا يبعد أن يكون المراد من آتيناه الكتاب سابقاً أسمعناه الخطاب لاحقاً.

وقال الأستاذ: أي من كحلنا بصيرته بنور الهداية صدقوا بمقتضى مساعدة العناية ومن أعميناه عن شهود التحقيق ولا يساعده ساعد وجود التوفيق انعكس في غوايته وانهمك في ضلالته.

﴿وَإِذَا يَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 53] القول الحق النازل من عندنا ﴿قَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 53] منقادين ومصدقين لما رأى وذكره في الكتب المتقدمة قبل نزول القرآن وتلاوته عليهم وتبين صحته لديهم في الجملة.

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية 54] مرة على إيمانهم بكتابهم والعمل بخطابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن واتباعه على وجه الإحسان ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ [الآية 54] بسبب صبرهم وثباتهم على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده من الزمان ﴿وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ الْسَيِّئَةَ﴾ [الآية 54] ويدفعون بالطاعة المتجددة المعصية المتقدمة كقوله عليه السلام: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»⁽¹⁾، رواه الترمذي وحسنه، أو لا يقابلون الأذى بمثله بل يعفون عن فاعله أو يجازون الإحسان في مقابله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 54] في سبيل الخير/ ووجوبه.

أ/355

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/121) رقم (178)، والطبراني في المعجم الكبير (20/145) رقم (297)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/244) رقم (8023).

وقال الأستاذ: بما صبروا على ارتكاب الأوامر واجتناب الزواجر يؤتون أجرهم مرتين مرة في عاجلهم ومرة في آجلهم مرة في الآخرة وهي المثوبة وأخرى في الدنيا وهي لطائف القربة.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ [الآية 55] القبيح من القول كشتهمهم ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [الآية 55] تَكْرُمًا بهم ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 55] جواباً لقومهم ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [الآية 55] كما يجازى بعمله منا ومنكم ﴿سَلَّمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 55] متاركة لهم وتوديعاً منهم ودعاء لهم بالسلامة عنهم ﴿لَا تَبْنِي الْجَنَّةَ﴾ [الآية 55] لا نطلب صحبتهم ولا نريد طريقتهم.

قال أبو عثمان: كل شيء سوى القرآن وذكر الله فهو لغو.

وأفاد الأستاذ: أن اللغو ما يلهي عن الله. وقيل: اللغو ما لا يوجب وسيلة عند الله. ويقال: اللغو ما لا يكون بالحق للحق. ويقال: هو ما صدر عن قلب غافل. ويقال: اللغو ما يوجب سماعه اللهو.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الآية 56] أي نفسه أو هدايته والمعنى لا تقدر أن تدخله في الإسلام ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 56] بأن يخلق في قلبه الاهتداء على ما حققه أكابر العلماء والحاصل أي نفسه أو هدايته والمعنى لا يقدر أن يدخله في الإسلام إن الهداية تستعمل في خلق الاهتداء وبيان طريق الهدى في الابتداء وكلا المعنيين مستقيم في حقه سبحانه، وأما الرسول فليس له إلا المعنى الثاني وبيانه فلا ينافي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فُضِّلَتْ: الآية 17] ولا قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: الآية 52]، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: الآية 117] المستعدين لقبول الدين. والجمهور على أن الآية نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله ﷺ وقال: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله، قال: يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق ولكن أكره أن يقال جزع عند الموت»⁽¹⁾ رواه الشيخان.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1360) رقم (1294)، ومسلم في الصحيح (24) (39).

وأفاد الأستاذ: إن الهداية في الحقيقة إمالة القلب من الباطل إلى الحق وذلك من خصائص قدرة الحق. وتطلق الهداية بمعنى الدعاء إلى الحق توسعاً وذلك جائز بل واجب في صفته عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: الآية 52]، ويقال لك: شرف النبوة ومنزلة الرسالة وجمال السفارة والمقام المحمود والحوض المورود وأنت سيد ولد آدم وتحية أهل العالم ولكنك لا تهدي من أحببت لأن خصائص الربوبية لا تصلح لمن وصفه البشرية ونعته العبودية.

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 57] بعض قريش ﴿إِنْ نَبَّيْحَ أَهْدَىٰ مَعَكَ﴾ [الآية 57] نؤمن بك ﴿تُنْخَظُفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [الآية 57] نخرج من بلادنا لإجماع أهل مكة على خلاف مرادنا فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ﴾ [الآية 57] ألم نحسن إليهم ولم نجعل مكانهم ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ [الآية 57] ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه يتفاخر العرب حوله وهم آمنون به ﴿يُجِبِّي إِلَيْهِ﴾ [الآية 57] وقرأ نافع بالتأنيث أي يحمل إلى الحرم وتجمع فيه ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا﴾ [الآية 57] أي ثمرات كثيرة من كل ناحية ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ [الآية 57] أي رزقاً لدينا من فضلنا وجودنا لتمام شهودنا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 57] جهلة لا يتفطنون ولا يتأملون، والمعنى هذا مع كفرهم في الدين فكيف نفرضهم التخوف والتخطف إذا كانوا موجودين فصاروا في عذرهم كاذبين معاندين.

وأفاد الأستاذ: إن من قام بحق الله سبحانه سخر له الكون بجملته ومن اشتغل برعاية سره الله وقام بحق الله واستفرغ أوقاته في عبادة الله سكن من التصرف بهمته في مملكة الله، فالخلق له مسخر والوقت طلوع أمر والحق سبحانه متوالي أعماله وآماله يحقق ظنه ولا يضيع حقه ومن ضيعه يهلك في أودية ضلاله وبتيه في متاهة حزنه ويبور بوزر هوانه.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبٍ﴾ [الآية 58] أي جماعة كثيرة من أهلها ﴿بَطَرْتِ﴾ [الآية 58] أشرت وطغت وبغت ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ [الآية 58] في معيشتها أو كفرت نعمتها ﴿فَإِنَّكَ مَسْكُونُهُمْ﴾ [الآية 58] حاوية وخالية ﴿لَوْ تَسْكُنُ مِنْ بَدْرِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[الآية 58] من السكنى أو لا يسكنها إلا المارة يوماً ما ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [الآية 58] منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر آثارهم.

وقال الأستاذ: لم يعرفوا قدر نعمتهم ولم يشكروا سلامة حالتهم وانتظام أمور معيشتهم فهاوموا في أودية الكفران على وجوههم وخرّوا في وهدة الصغر على أذقانهم فأذاقهم كاسات الهوان لما كسر خمار بطرهم فمساكنهم عنهم خالية/ وسقوفهم عليهم خاوية وغراب التدبير فيهم ناعية. 356/أ

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ [الآية 59] عاداته ﴿مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ﴾ [الآية 59] أصلها التي هي سوادها وأعمالها لأن أهلها أكثر فطانة وأعظم نباهة مع أنها مرجع غيرها ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الآية 59] لإلزام الحجّة وقطع المعذرة واستحقاق العقوبة ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [الآية 59] بالكفر والمعصية أو بتعدي بعضهم على بعض في المظلمة. وعن بعض المفسرين معناه: ما كان في حكمنا وقضائنا أن نهلك القرى ونخرب الديار حتى نبعث في أم القرى مكة رسولاً يعرض عليهم القرى ثم نهلك من أعرض عن آياتنا وقبول ضيافاتنا.

وقال الأستاذ: رسولاً يأمن التكليف بأمرهم وبأمر التكوين على ما يريد نعمتهم فيبعث الرسول إنذاراً ويعمي عليهم السبل اقتداراً يوضح الحجّة بحيث لا شبهة في المحجّة ولكنه لا يهدي إلا من سبق له السعادة بحكم القسمة.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 60] من أسباب الدنيا وبهجتها ﴿فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا﴾ [الآية 60] ما هو إلا تمتّع وزينة أياماً قليلة ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 60] وهو ثوابه من الجنة ونعيمها خير في نفسه من الدنيا وما فيها لأنه نعمة خالصة ولذة شاملة وبهجة كاملة وأبقى لوجوده أبداً أفلا تعقلون فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 60] وقرأ أبو عمرو بالغيبة وهو أبلغ في الموعدة.

قال النصرآبادي: الخلق كلهم عبدة النعم والقريب والعزيز فيهم من يعبد المنعم من قطع عن الله بأي شيء فهو مغبون، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ

مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٦٠﴾ [الآية 60] خاطب به العوام وقال للخواص: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الآية 60].

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا حلوة خضرة لكنها في التحقيق مرّة نفرة قشرها يوم أنها صفو ولكن من وراء صفوها حشواً.

﴿أَفَنْ وَعَدْتُهُ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ [الآية 61] وعداً بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعد ﴿فَهُوَ لَقِيهِ﴾ [الآية 61] مدركه لا محالة في العقبي لامتناع الخلق في وعده بالمشوبة أو العقوبة ﴿كَمْ مَنَعْنَاهُ مَتَّعُ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 61] الذي هو شرب بالآلام والأسقام ممد بالمتاعب في الليالي والأيام ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الآية 61] / للحساب أو العذاب. قيل: نزلت الآية في النبي ﷺ وأبي جهل لكن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

قال أبو عثمان: من فرح بالدنيا فرح بغير مفروح به لأن أولها بلاء وأوسطها عناء وآخرها فناء، ومن عمل للأخرة وركن إليها وسعى سعيها آتاه الله خير الدارين لا محالة وأتته الدنيا وهي راغمة.

وأفاد الأستاذ: إن الدنيا سموم حنظلها هموم عسلها وتلف ما يحصل من شربها يغلب لطف ما يظهر من إربها وليس من أكرم بوجودان نعيم عقباه كمن فني بالوقوع في جحيم دنياه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [الآية 62] أي المشركين ﴿فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية 62] إنهم شركائي ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [الآية 63] وجب عليهم العذاب بثبوت مقتضاه وحصول مراده وقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: الآية 119] وغيره من آيات الوعيد والمراد منهم شياطينهم وسادتهم في الضلال خوفاً من أن يقول السفلة: لا ذنب لنا إنما الذنب لأصحاب الإضلال ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ [الآية 63] أي هؤلاء هم الذين ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 63] ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ [الآية 63] أي فغوا غياء مثل ما غوينا وتسويلاً إليهم، أو المعنى اخترنا لهم إلا ما اخترنا لأنفسنا فلا عتب لهم علينا ولا مزية لهم لدينا ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ [الآية 63] منهم وتبعدنا لأجلك عنهم ﴿مَا كَانُوا مِنَّا بِعَبِيدٍ﴾

[الآية 63] وإنما كانوا يعبدون أهواءهم فنحن وهم سواء في الغواية واستحقاق العقوبة. اعترفوا بذنوبهم وبما استحقوا من كسبهم وندموا حيث لا منفعة لندمهم.

﴿وَقِيلَ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمُ﴾ [الآية 64] ليخلصكم من بلائكم ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ [الآية 64] من فرط الحيرة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [الآية 64] لعجزهم عن الإجابة والنصرة ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ [الآية 64] لازماً بهم البتة ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 64] من الصواب لما رأوا العذاب.

وقال الأستاذ: وإنما يكون ذلك من جهة التحويل وإبطال كيد أهل التضليل وإلا فمن أين لهم الجواب فضلاً عن الصواب والذي سألهم هو الذي على ما شاء حصلهم، فما ورد فعله إلا على فعله وما ظهر ما ظهر إلا من أصله فإذا تبرأ بعضهم من بعض تبين أنه لم يكن للأصنام استحقاق العبودية ولا لأحد من النفي والإثبات بالإيجاد والإحداث ذرية أو به/ شظية 357/أ كلا بل هو الله الواحد القهار.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ فَعَيَّبَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءُ ﴿الآيتان 65، 66﴾ فخفيت عليهم أنباء الأنبياء ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 66] أي وقت ذلك النداء ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾ [الآية 66] لا يسأل بعضهم عن بعض لفرط الدهشة والعناء.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه سألهم سؤال هيبه فلا يبقى لهم تمييز ولا قوة عقل ولا مكنة جواب تستولي عليهم الحيرة ويستمكن منهم الدهشة.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ [الآية 67] من الكفر والكفران ﴿وَوَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الآية 67] وجمع بين الإيمان والإحسان ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [الآية 67] في أمر الدنيا والدين وعسى تحقيق من الله على عادة الملوك الكرام وترج من التائب عن الآثام بمعنى فليتوقع أن يفلح بين الأنام وليكن بين الخوف والرجاء في ذلك المقام وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب لفعله ولا منازع لحكمه ولا مانع له من صنعه ﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ آخِذَةٌ﴾ [الآية 68] ليس لهم الاختيار في أمورهم كما أنه ليس لهم الاعتبار في ظهورهم وظاهره نفي الاختيار عنهم من أصله فإنهم

عاجزون تحت قدره فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله أولاً ومنوط ثانياً بدواع الاختيار لهم فيها أصلاً.

وفي تفسير السلمي: كيف يكون للعبد اختيار والله له المختار، ثم إذا نظروا إلى الأحكام الجارية بجميل نظر الله لهم فيها وحسن اختياره فيما أجراه عليهم منها لم يكن عندهم شيء أفضل من الرضا بها والسكون معها.

قال السيد الولي أبو الحسن الشاذلي: لا تختار وإن كنت لا بد أن تختار فاختر أن لا تختار.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 68] وقال الأستاذ: يخلق ما يشاء ﴿وَيَخْتَارُ﴾ [الآية 68] ما يشاء ومن يشاء من جملة ما يخلق ومن ليس إليه شيء من الخلق فما له وللاختيار والاختيار للحق استحقاق عزة يوجب أن يكون ذلك لأنه لو لم ينفذ مشيئته واختياره لم يكن بوصف العز لأن من بقي عن مراده لا يكون إلا ذليلاً فالاختيار للحق نعت عزّ وللخلق صفة نقص ونعت بلاء وقصور، فالاختيار العبد عليه غير مبارك له لأن صفته هو غير مستحق لها ومن اتصف بما لا

357/ ب يليق به / افتضح بنفسه كما قال قائلهم:

وَمَعَالٍ إِذَا ادْعَاهَا سَوَاهِمَ لَزِمَتْهُ جَنَابَةُ السَّرَاقِ⁽¹⁾

والطينة إذا ادعت ما هو صفة الحق أظهرت رعونتها فما للمختار والاختيار وما للمملوك والملك وما للعبد والتصدر في نعت المملوك وما للتراب ورب الأرباب، قال تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِحَبِيرَةٍ سُبْحَنَّ اللَّهُ﴾ [الآية 68] تنزهاً له أن ينازعه أحد في الأقدار ويزاحم اختياره الاختيار ﴿وَتَعَلَّانَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 68] عن إشراكهم به ما ليس له مقدار في الاعتبار.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ [الآية 69] من أحوالهم ﴿وَمَا يُعَلِّتُونَ﴾ [الآية 69] من أعمالهم يستوي في علمه الإسرار والإظهار.

﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ [الآية 70] المستحق للعبادة ﴿لَا إِلَهَ﴾ [الآية 70] لا أحد

(1) نسب للمتنبي. انظر معجز أحمد (1/199)، وشرح ديوان المتنبي (1/178).

يستحقها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 70] وحده لا شريك له ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى﴾ [الآية 70] أي الدنيا ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ [الآية 70] أي العقبى لأن المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الأخرى كما حمدوه في الأولى لقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: الآية 34]، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ﴾ [الزمر: الآية 74]، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: الآية 43] ابتهاجاً بفضله والتذاذاً بحمده ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ [الآية 70] القضاء النافذ في الأمور ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ﴾ [الآية 70] بالحشر والنشور.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [الآية 71] دائماً ﴿إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ﴾ [الآية 71] لا نهار فيه أبداً ﴿مَنْ إِلَهُ﴾ [الآية 71] هل أحد ﴿عِزُّ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفْلا تَسْمَعُونَ﴾ [الآية 71] سماع نذير واستبصار في القضاء.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ﴾ [الآية 72] لا ليل فيه مطلقاً ﴿مَنْ إِلَهُ عِزُّ اللَّهِ﴾ [الآية 72] يأتيكم ﴿يَأْتِيكُمْ﴾ [بأيتكم] بليلاً تَسْكُنُونَ ﴿[الآية 72] استراحة عن متاعب الانشغال مما ينافيه ﴿فِيهِ أَفْلا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 72] قدرة الله وآثار مبانيه وختم الآية الأولى بقوله: ﴿أَفْلا تَسْمَعُونَ﴾ [الآية 71] والثانية بقوله: ﴿أَفْلا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 72] لمناسبة قوة السامعة بالليل وقوة الباصرة بالنهار.

وقال الأستاذ: فمن إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه إلى الله وتستريحون من أشغالكم بالخلوة مع الله إلا الله.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [الآية 73] في ليله بأصناف سكونه ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 73] في نهاره بأنواع كسبه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 73] بعض نعمه في اختلاف خلقه.

وأفاد الأستاذ: / أن الأوقات ظروف لما يحصل فيها من الأفعال 358/أ والأحوال والظروف من الزمان متجانسة في الإدبار والإقبال وإنما اختلاف راجع إلى اعتبار ما يحصل فيها من الأعمال فليالي أهل الوصال سادات الليالي وليالي أهل الفراق أسوأ الليالي ثم ما أصحاب القرب ليايهم قصار وكذلك

أيامهم وأرباب الفراق لياليهم طوال وكذلك جميع أوقاتهم من ليلهم ونهارهم كما يقول القائل:

والليالي إذا نأيت طوال وأراها إذا دنوت قصار⁽¹⁾

وقال الآخر:

والليل أطول وقت حين أفقدها والليل أقصر وقت حين ألقاها⁽²⁾

وقال الآخر:

يطول الليل لا ألقاك فيه وحول نلتقي فيه قصير⁽³⁾

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية 74] تقرير بعد تقرير لفعالهم للإشعار بأن الإشراك به أشنع عملهم، أو الأول لتقدير فساد رأيهم في مبانيهم والثاني لتحرير ضياع أمرهم بانفرادهم.

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [الآية 75] وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه من أعمالهم وأحوالهم ﴿فَقُلْنَا﴾ [الآية 75] للأمم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الآية 75] حجتكم على صحة ما كنتم تدعون من طريقتكم ﴿فَعَلِمُوا﴾ [الآية 75] حينئذ ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [الآية 75] في الإلهية لا يشاركه فيها سواه ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية 75] وغاب عنهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 75] من دينهم وصحة يقينهم.

قال بعضهم: أخرجنا من كل قوم ولياً فأطلعناه على أسرار قربنا ثم أذنا له فأظهر البرهان بناء لآية فعلم الخلق أن لا قيام لأحد بنفسه دون الحق وأمره.

وقال الأستاذ: كلا لا حجة لهم ولا جواب يفيدهم ولا شفيع يرحمهم

(1) نسب إلى عمر بن أبي ربيعة. انظر مختصر تاريخ دمشق (6/ 70)، وذكره القشيري في تفسيره (6/ 69).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (6/ 69).

(3) نسب إلى جميل بثينة. انظر الزهرة (1/ 22)، وزهر الأكم (1/ 216)، وأيضاً نسب إلى سليمان بن أبي دباكل. انظر سمط اللآلي (1/ 88)، وشرح ديوان الحماسة (1/ 144).

ولا ناصر يعينهم اشتهرت ضلالتهم واتضح للكافة جهالتهم فدام بهم عذاب الأبد وحاق بهم حجاب السرمد.

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ [الآية 76] كان ابن عمه وكان ممن آمن به ثم نافق في دينه ﴿فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمُ﴾ [الآية 76] تكبر وتجبّر وظلمهم حيث جعله فرعون رئيسهم ﴿وَأَيُّنَّا لَهُ مِنَ الْكُوزِ﴾ [الآية 76] من الأموال المدفونة أو المدخرة ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ [الآية 76] مفاتيح صناديقه ﴿لَسُنُوءًا بِالْمُصْبَكَةِ﴾ [الآية 76] لتنتقل بالجماعة الكثيرة ﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [الآية 76] أصحاب الطاقة في تحمّل المشقة ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ [الآية 76] بالدنيا وزخرفها فإن نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها والعامل لا يلقي باله بمالها وجمالها ولا يلتفت إلى إقبالها وانتقالها بل ينظر في عاقبة أمرها ومآلها/ فإنها كما قال: من اطلع على حالها أشد الغم عندي في سرور تيقن عند صاحبه انتقالاً، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: الآية 23] من أمور دنياكم إلا ما يعينكم على زاد عقباكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [الآية 76] بزيينة الدنيا وبهجتها فإن الفرح بها مدة قصيرة وهو يوجب حسرة كبيرة وعقوبة كثيرة.

قال سهل: من فرح بغير مفروح به استجلب حزناً لا انقضاء له.

وأفاد الأستاذ: إنه جاء في القصص أن قارون كان من أعبد بني إسرائيل وكان قد اعتزل الناس وانفرد في صومعته يتعبد بالاستثناس فتصور له إبليس في صورة بشر وهيئته وأخذ في الظاهر يتعبد معه في صومعته حتى يعجب قارون من كثرة عبادته، فقال له يوماً: لسنا في شيء مستحسن لطريقتنا حيث عيوننا على أيدي الناس حتى يدفعوا إلينا شيئاً من ضرورتنا ولا بد لنا من أخذه في حاجتنا، فقال له قارون: كيف تحب أن تفعله، فقال: أن ندخل السوق يوماً في الأسبوع ونكتسب وننفق تلك القدر في جميع الأسبوع، فأجابه إليه ووافق عليه مدة من الأيام ثم قال له: لست أنا وأنت في شيء من النظام، فقال: ما الذي تحب أن نعمل من الأحكام، فقال: نكتسب في الأسبوع يوماً للنفقة ويوماً آخر للصدقة، فأجابه إليه وتبعه فيما حكم عليه ثم

قال له: لسنا في شيء من هناك، فقال: وما ذاك، قال: إن مرضنا أو وقع شقاء لنا لا نملك قوت يوم عندنا، فقال: وما نفعل، فقال: نكتسب يوماً للنفقة ويوماً للصدقة ويوماً للذخيرة، فأجابه إليه واستمر عليه فلما علم عدوه أن حب الدنيا دخل قلبه ودّعه وقال: أنا مفارقك قدم على ما أنت عليه، فصار من أمره ومآله ما صار سبباً لقبح حاله حيث حمّله حب الدنيا على جمعها وجمعها على حبها وحبها على البغي على أهلها وصار كثرة ماله شدة وباله وكم وعظ بترك الفرح بوجود الدنيا وترك المرح بالاستمتاع بها وكان عليه ألا يتعلق بما فيها، انتهى.

وقد قال بعض العارفين: من ترك حب الدنيا لا يقدر على ضلّته جميع الشياطين ومن أحبها لا يقدر على هدايته جميع المرسلين/ ولذا قيل: حب الدنيا رأس كل خطيئة وترك الدنيا أساس كل عبادة ثم الدنيا والآخرة ضرّتان لا تجتمعان، فقد قال ﷺ: «من أحب دنياه أضّرّ بآخريته ومن أحب آخريته أضّرّ بدنياه»⁽¹⁾ فأثروا ما يبقى على ما يفنى.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ [الآية 77] أطلب لسبب ما أعطاك الله من الغنى في الدنيا ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [الآية 77] بصرفه فيما يوجب حسن العقبى بأن تنفق في مرضاة المولى فإن المقصود من الدنيا أن تكون وصلة إلى الأخرى ﴿وَلَا تَسْكُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 77] أي ما ينفعك في العقبى أو تأخذ منها ما يكفيك فيها أو الكفن الذي حظك منها حال انتقالك عنها.

وأفاد الأستاذ: أنه ليس النصيب من الدنيا جمعها ولا منعها وإنما نصيبه فيها أن يكون له فائدة منها وذلك ما لا يعقب ندامة ولا يوجب في الآخرة سلامة. ويقال: النصيب من الدنيا ما يحمل على طاعته بالنفس وعلى معرفته بالقلب وعلى ذكره باللسان وعلى مشاهدته بالسر ﴿وَأَحْسِن﴾ [الآية 77] إلى الفقراء لديك ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 77] فيما أنعم عليك. وقيل:

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (4/ 343)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 370) رقم (6308)، وابن حبان في الصحيح (2/ 486) رقم (709).

أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله إليك باليسر في النعمة ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 77] بارتكاب الظلم واكتساب المعصية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 77] لأمر فيها صلاح الدين.

قال القاسم قوله تعالى: أحسن، أي أعرض وجهك عن الكل بالإقبال عليه كما أحسن الله إليك حيث جعلك من أهل معرفته وأحسن مجاورة معرفته بطاعته فإنه أحسن إليك حيث أنعم عليك بالإيمان وهو من أعظم نعمته وأحسن إليك أن وفقك للخدمة فأحسن القيام بواجب العبودية وإخلاص النية.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دلالة على أن الله على الكافر نعم دنيوية والإحسان الذي أمر به إنفاق النعمة في وجه الطاعة والخدمة حتى يتم له المعرفة. وقيل: يقابله بالشكران دون الكفران. ويقال: الإحسان رؤية الفضل والمنة دون توهم الاستحقاق للنعمة.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [الآية 78] أي فضلت الناس بذلك العلم والحال واستوجب لأجله التفوق عليهم بالجاه والمال، وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها. وقيل: علم الكيمياء، ورده بعض العلماء بأن قال: الأعيان/ لا يقدر 359/ب أحد عليها إلا الله سبحانه وتعالى. وقيل: علم التجارة والدهقنة⁽¹⁾ والعمارة.

قال سهل: ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح في مقام أنسه ولا أعمى له حالاً فتم له مالا والسعيد من الخلق من أعمى بصره من أفعاله وأقواله وفتح له سبيل الفضل ورؤية منة الله تعالى عليه في جميع أحواله.

وأفاد الأستاذ: ما لاحظ أحد نفسه في بابه إلا هلك بإعجابه. ويقال: السم القاتل والذي يطفىء السراج المنير هو النظر إلى النفس وما لها من التدبير.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ فَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ [الآية 78] في العلم والحال ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [الآية 78] لأصناف المال فلا يدل

(1) التجارة وهي معربة. انظر لسان العرب (13/ 163).

زيادة الدنيا على أن صاحبها يستحق رضا المولى ﴿وَلَا يُسْتَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 78] سؤال استعلام فإن الله تعالى مطلع عليها بك يسألون سؤال توبيخ وتقريع فيما ركنوا إليها.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [الآية 79] من مراكب وملابس وخدم وحشم في خدمته. قيل: خرج على بغلته سرجها من ذهب أصفر أشهباً وعليه حلة حمراء ومعه أربعة آلاف مشارك له في السماء ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 79] أي الراغبون فيها والمائلون إليها ﴿يَلْبَسْنَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَتْرُونَ﴾ [الآية 79] من الجاه والمال ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عَظِيمُونَ﴾ [الآية 79] في المنال.

قال ابن عطاء: أزين ما تزين به العبد المعرفة ومن نزلت درجاته عن درجات العارفين فأزين ما تزين به طاعة ربه ومن تزين بالدنيا فهو مغرور في زينته.

وسئل أبو عثمان: أي الزينة أجمل، قال: الأخلاق الجميلة ولو كان فوقه شيء لزين به حبيبه ﷺ ولقد قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: الآية 4].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [الآية 80] بأحوال العقبي للمتمتئين من أحوال الدنيا ﴿وَيَلْبَسُكُمْ﴾ [الآية 80] زجر عما لا يرتضي ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ [الآية 80] أجره في الدنيا والعقبي ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الآية 80] مما أوتي قارون بل من جميع ما في الدنيا ﴿وَلَا يُفْقَدُهَا﴾ [الآية 80] أي الكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب فإنه بمعنى الحسنى المثوبة أو الجنة العليا فعلى هذا من تنمة النصيحة للسفهاء ﴿إِلَّا الضَّالِّينَ﴾ [الآية 80] الثابتون على الطاعة والكافرون عن المعصية والقانونون بالقسمة والمحنة. قال بعضهم: العالم بربه من يرى دوام نعماء عليه وتتابع/ الآية لديه وقصود شكره عن وصول أنعمه سبحانه إليه.

أ/360

وقال الأستاذ: تمنى من رآه ممن كان في حب الدنيا ساواه أن يعطيه الله مثل ما كان أعطاه ومن كان صاحباً عن خمار غفلته متيقظاً بنور بصيرته قالوا: لولا أن من الله علينا بأن لم ننجر في حبله ولم ننخرط في سلكه لوقع الهلاك بنا فالتمنون مكانه ندموا والراضون بقسمته سبحانه سلموا، وهذا في العاجل إلى أن تظهر سعادتهم في الآجل.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [الآية 81] روي أنه كان يؤذي موسى عليه السلام في كل وقته وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة على أن يعطي واحداً من كل ألف فحسبه فاستكثره فقصده أن يفضح موسى بين بني إسرائيل فيرفضوه وينقادوا لقارون ويطيعوه، فبرطل بغية لترمي موسى بنفسها فلما كان يوم عيد قام موسى خطيباً فقال: من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى بمحصن رجمناه، فقال قارون: ولو كنت أنت، فقال: ولو كنت أنا، قال: إن بني إسرائيل مزعمون أنك فجرت بفلانة، فأحضرت فناشدها موسى بالله لأن تصدق، فقالت: جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسي، فخرّ موسى شاكياً عنه إلى ربه فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فقال: يا أرض خذيه، فأخذته إلى ركبته ثم قال: خذيه فأخذته إلى وسطه، ثم قال: خذيه فأخذته إلى عنقه، ثم قال: خذيه فحسفت به وكان قارون يتضرع لديه في هذه الأحوال ولم يرحم موسى عليه فأوحى الله إليه: ما أفظك استرحمك مراراً فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لأجبتة. ثم قال بنو إسرائيل: إنما فعله ليرثه من ماله، فدعى الله حتى خسف بداره وأمواله. هذا وفي الحديث إنه ليتجلجل إلى يوم القيامة⁽¹⁾.

قال الأستاذ: وفي القصة أنه كان يخسف به كل يوم زيادة معلومة فلما حبس يونس في بطن الحوت أمر الحوت أن يطوف في البحر لثلا يضيق قلب يونس فانتهى إلى قارون فسأله قارون عن موسى وكيف حاله فأوحى الله إلى الملك أن لا يزد في خسفه لحرمة أنه سأل عن ابن عمه ووصل به رحمه.

﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾ [الآية 81] جماعة أعوان يميلون ﴿يَصْرُوفِهِمْ مِنْ دُونِ﴾ [الآية 81] / يدفعون عذابه لديه ﴿اللَّهُ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [الآية 81] 360/ب المتمنعين من عذابه أو المنتصرين بنفسه. والمعنى لا أحد يمنعه من عذاب ربه ولا هو يمنعه عن نفسه.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾ [الآية 82] منزلته ﴿بِالْأَمْسِ﴾ [الآية 82] منذ

(1) أخرجه أحمد في المسند (2/497) رقم (10459).

زمان قريب من قضيته وهو يتناول معنى الأمس مجازة وحقيقة ﴿يَقُولُونَ وَيَكْفُرُونَ﴾ [الآية 82] وي كلمة تندم وتعجب والكاف للتعليل والمعنى تندمنا على ما قلنا وتعجبنا مما غفلنا لأن الله ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 82] يوسع ويضيق بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لمهانة يوجب القبض ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 82] فلم يعطنا ما تمنينا ﴿لَخَسَفَ بَنَاءُ﴾ [الآية 82] لأننا وددنا أن نكون مثله في الدنيا. وقرأ حفص بفتح الخاء والسين أي لخسف بنا الأرض ﴿وَيَكْفُرُوا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 82] لنعمه أو المكذبون برسله.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ [الآية 83] أي نصيبها ﴿يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 83] تكبراً على الخلق واستكباراً عن الحق ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ [الآية 83] ظلماً يشوشون عبادة كما أراده فرعون حيث علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً وقارون فإنه بغى عليهم ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ [الآية 83] المحمودة عند الله ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 83] مآلاً يرضاه.

قال ابن عطاء: العلو النظر إلى النفس والهوى والفساد النظر إلى الدنيا.

قال حمدون: لا أحد أدون ممن تزين بدار فانية ويحمد إلى من لا يملك ضره ونفعه.

وأفاد الأستاذ: إن الزهاد لا يريدون في الأرض علواً والعارفون لا يريدون في الآخرة الجنة. ويقال: تلك الدار الآخرة للعباد والزهاد وهذه الرحمة الحاضرة لأرباب الافتقار والانكسار. وقيل: العلو في الدنيا أن يتوهم أن على البسيطة أحد هو شر منه والفساد أن يتحرك لحظ نفسه ونصبيه ولو بنفس وخطوة ولحظة وهذا للأكابر، وأما العوام والأصاغر ف ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ [الآية 83] كعلو فرعون ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ [الآية 83] كفساد قارون.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [الآية 84] ذاتاً وقدراً ونفعاً أو فله خير من

جهتها وبسببها/ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 84] 361/أ
بالإصرار عليها ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 84] مثل أعمالهم كمية وكيفية لا
زيادة عليها ولا نقصان عنها. والمثلي وأقيم مقامه الفعل مبالغة في المماثلة.

قال ابن عطاء: لا ثواب خير من الطاعة إلا الرؤية والرؤية فضل لا
مثوبة فإنه يقول من أحسن آداب الخدمة في جميع الأفعال وأظهر سنن
العبودية في كل الأحوال فله خير منها وهو الفضل وهو الرؤية. وقال أيضاً:
معرفة الله بالوحدانية أفضل حسنة إذ لحسنته بها يكون حسنة.

وأفاد الأستاذ: أن ثواب الحسنة في التضعيف وأمر السيئة بناؤه على
التخفيف.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [الآية 85] أوجب عليك تلاوته وتبليغه
ومتابعته ﴿لِرَادِّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [الآية 85] أي مقام محمود وعدك أن يبعثك فيه في
المعاد أو إلى مكة بفتحها وما يتبعها من البلاد ودخول الناس في دين الله أفواجاً
من العباد ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾ [الآية 85] وما يستحقه من الثواب في
المعاد والنصر والظفر على البلاد ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 85] عن تهية
الزاد.

وأفاد الأستاذ: أن المعاد في الظاهر مكة وكان يقول كثيراً: الوطن
فحقق الله سؤله بالإجابة وأما في السر والإشارة الذي فرض عليك قراءة
القرآن والذي يسألك قراءة القرآن والذي أنزل عليك القرآن لرادك إلى معاد
الوصف الذي كان عليه روحك قبل حلول سجلك من ملاذعات القرب
ومطالعات الحق. وقيل: الذي نصبك بأنصاب التفرقة بالتبليغ وأنصاب
الشريعة لرادك على عين الجمع بالحق بالفناء عن الخلق. ويقال: إن الذي
أقامك بشواهد العبودية فيما أثبتك به لرادك إلى الفناء عنك بمحقق في وجود
الحقيقة.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 86]
لكن ألقاه إليك رحمة من رب الأرباب ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ [الآية 86]

بمداراتهم والتحمل عنهم والإجابة إلى طلبتهم في سد هذا الباب.

وقال الأستاذ: ما كنت تؤمل محل النبوة ومقام الرسالة وشرف
361/ب المخاطبة/ وما أظهرنا عليك من أحوال الوجد وحقائق التوحيد ودقائق
المعرفة.

﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 87] عن تلاوتها ومتابعتها ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ
إِلَيْكَ﴾ [الآية 87] قراءتها ﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 87] إلى معرفته وطاقته على
وفق آياته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 87] حقيقة الخطاب لأهل دينه وملته.

وقال الأستاذ: ما وجدته لحكم الذوق والشهود والإدراك والوجود لا
يتداخلك تهمة التجويز وسؤالات العلماء بما يدعون من أحكام العقول إذ ما
يدرك في شعاع الشمس لا يحكم ببطلانه وخفائه في نور السراج.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الآية 88] فضلاً عن أن تترك الله وتعبد ما
سواه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 88] يستحق أن يُطلب رضاه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
وَجْهَهُ﴾ [الآية 88] إلا ذاته المقدس عن الفناء، فإن ما عداه ممكن هالك في حد
ذاته معدوم في نعته يساعده حديث: «أشعر كلمة قالها قوم ليبيد: ألا كل شيء ما
خلا الله باطل»⁽¹⁾، ويؤيده قول بعض أرباب الشهود: سوى الله والله ما في
الوجود.

وكان أبا يزيد هذا المعنى مرید بقوله: ليس في جنبي سوى الله. وكما
أشار إليه بعض أصحاب الأسرار: ليس في الدار غير ديار.

والحاصل أنه ليس في نظر أرباب الشهود في جميع مراتب الوجود غير
الله وصفاته ومصنوعاته، وهذا معنى قول بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت
الله فيه أو قبله أو بعده باختلاف مقاماته وحالاته أو إلا ما أريد به وجهه فإن
كل عمل لم يرد به وجه الله فهو باطل في حقه فإن في نفعه قاله مجاهد
والثوري وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ [الآية 88] القضاء

(1) سبق تخريجه.

النافذ في الخلق ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 88] للجزاء بالحق.

وأفاد الأستاذ: إن وجهه صفة من صفاته لا يستقل إلا به ففي بقاء وجهه بقاء ذاته لأن الصفة لا تقوم إلا بوجود ولا يكن هو باقياً إلا بوجود أوصافه الذاتية الواجبة له، ففي بقاء الوجه بقاء الحق بصفاته تم.

وقد ختم هذا الجزء الثاني الذي من تفسير القرآن/ بحمد الله وعونه 362/أ وحسن توفيقه والله المستعان وإليه المرجع والمآب.

وكان الفراغ من كتابته يوم الإثنين المبارك ثالث يوم من شهر رجب المكرم شهر الله من شهور سنة ألفاً ومائة وتسعة وثلاثون من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة العنكبوت /

[مكية]

وهي تسع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله اسم ذكره يوجب خطوة العابدين وعداً وسماعه يوجب سلوة الواجدين نقداً اسم من ذكره وصل إلى مثوبته في آجله ومن سمعه حظي بتقريبه في عاجله.

﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ [الآية 1] أي أن الله أعلم بمن يستحق العلم وإلا لم مما جرى به القلم.

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ﴾ [الآية 2] أظنوا ﴿أَنْ يُتْرَكُوا﴾ [الآية 2] على عافية بلا محنة ﴿أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا﴾ [الآية 2] أي بقولهم آمنا ولقولهم أطعنا ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [الآية 2] لا يمتحنون بالتكاليف الشاقة كالمحاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصيبات ليتميز المخلص من المنافق والمخالف في الدين من الموافق والكاذب في الدعوى من الصادق وروي أنها موهمة في ناس من المسلمين جزعوا من أذى المشركين.

فالآية نظير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ [آل عمران: الآية 142] وهذا معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 3] أي ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافها وفيه نوع تسلية لمن ابتلي ببليّة فإن البليّة إذا عمت طابت ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [الآية 3] أي فليتعلق علمه بسبب الامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان والذين كذبوا في دعوى العرفان

وينوط به ثواب الأولين في الجنان وعقاب الآخرين في النيران.

قال ابن عطاء: ظن أنهم يتركون مع دعاوى المحبة فلا يطالبون بحقائقها وحقائق المحبة هو ضرب البلوى على المحب وتلذذه بالبلاء، فبلاء يلحق جسده، وبلاء يلحق قلبه، وبلاء يلحق سره، وبلاء يلحق روحه، فبلاء في الظاهر وهو الأمراض والأسقام وفي الحقيقة ضعفها عن القيام بخدمة القوي بعد مخاطبته إياه بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: الآية 56] وبلاء القلب تراكم الشوق ومراعاة ما يرد عليه في الوقت بعد الوقت من ربه والمحافظة على أحواله مع الحرمة والهيبة، وبلاء السر هو المقام مع من لا مقام للمخلوق معه والرجوع إلى / من لا وصول للمخلوق إلا إليه، وبلاء الروح 2/ب حصول الروح في القبضة والابتلاء بالمشاهدة وهذا مما لا طاقة لأحد فيه.

وقال عبدالعزيز المكي: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا﴾ [الآية 2] بالدعاوى وهم لا يجربون أي بالأوامر والنواهي والنعمة ما قيل فما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى.

وقال ابن عطاء: يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين.

وقال الواسطي: هب إنك تنجو من النفس والهوى كيف تنجو من الحكم والقضاء؟

وقال الأستاذ: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا﴾ [الآية 2] بمجرد الدعوى في إيمان دون المطالبة عليها بإخراجها عن أوطان الكسل وتصرفها في حسن العمل وعلى القلوب بلاء وهو مطالبتها بالطلب الواثق والفكر الصادق بتطلع البرهان على التوحيد والتحقق له بالعلم وعلى الأرواح بلاء وهو التجرد عن صحبة كل أحد وعن كل سبب والتباعد عن المساكنة بشيء من المخلوقات وعلى الأسرار بلاء وهو الاعتكاف بمشاهد الكشف بالصبر على آثار التجلي إلى أن يصيره مستهلكاً فيه ويقال فتنة العوام في أيام النظر والاستدلال وفتنة الخواص

في حفظ آداب الوصول في أوان المشاهدات وأشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجري عليه مكر في أوقات غلبات شواهد الحق فيظن أنه هو الحق فلا يدري أنه من الحق ولا يقال أنه من الحق وعزيز من يهتدي إلى ذلك ثم لم يخلهم من البلاء والمحن ليظهر صبرهم في البلاء أو ضده من الضجر وشكرهم في الرخاء أو ضده من الكفران والبطر وأنهم في البلاء على ضروب فمنهم من يصبر في حال البلاء ولا يشكر في حال البلاء، ويشكر في حال النعماء وهذه صفة الصادقين ومنهم من يضجر ولا يصبر في البلاء ولا يشكر في النعماء فهو من الكاذبين ومنهم من يؤثر في حال الرخاء ولا يستمتع بالعطاء ويستروح إلى البلاء ويستعذب مقاساة العناء وهذا أجلهم في مقام اليقين.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 4] من الأعمال الظواهر والأحوال السرائر ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ [الآية 4] / أن يفوقونا ويعجزونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساوئهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية 4] ويش ما يعملون.

قال القاسم: أن يسبقونا ما كتبنا عليهم من محتوم القضاء وما قدرنا عليهم من ماضي الحكم فيهم.

وقال الأستاذ: أي يرتكبون المخالفات ثم يحكمون لأنفسهم بالنجاة ساء حكمهم متى ينجو من العذاب من ألقى جلباب التقى ويقال توهموا أنه لا نشر ولا حشر ولا محاسبة ولا مطالبة ويقال اغتروا بإمهالنا اليوم إياهم وتوهموا أنهم منا انفلتوا وظنوا أنهم قد آمنوا ويقال ظنوا أنهم باجتراحهم السيئات جرى التقدير لهم بالسعادة أن يؤخروا حكمنا، كلا لا يشقى من جرت قسمتنا له بالسعادة وهيئات أن ينجو من سبق الحكم بالشقاوة.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ [الآية 5] في دار البقاء أو الوصول إلى الجزاء ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ [الآية 5] أي الوقت المضروب للقاء ﴿لَآتٍ﴾ [الآية 5] لجاء على وفق الرجاء فليبادر ما يحقق الأمل ويصدق الرجاء أو ما يستوجب القرية والرضا ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 5] لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 5] بأحوال البلاد.

وفي «تفسير السلمي» قيل: من يرجو لقاء الله فليسأل ربه السؤال الملح

المحتاج وليطلب منه طلب الراغب المشتاق.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى من خاف العذاب يوم الحساب فيحشر ويلقى المحشر ويجد الأمان الموعود منا لأهل الخوف اليوم ومن أمل الثواب يوم البعث فسوف أن يرى ثواب ما أسلفه من العمل ومن زجّ عمره في رجاء لقائنا فسوف يباح له النظر إلينا وسوف يتخلص من الغيبة والفرقة لدينا وهو السميع لأتین المشتاقين العليم بحنين المحبين الوالهيين.

﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ [الآية 6] نفسه بالصبر على مشقة الطاعة وعن الشهوة ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 6] لأن منفعته لها لا يتعدها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 6] فلا حاجة به إلى طاعتهم وإنما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لمنفعتهم.

وأفاد الأستاذ: أن من أحسن فنجاة نفسه طلبها وسعادة حاله حصلها ومن أساء فعقوبة نفسه جلبها وشقاوة حدّه اكتسبها ويقال ثواب المطيعين إليهم مصروف وعذاب العاصين عليهم موقوف/ والحق عزيز لا يلحقه بالوفاق^{3/ب} زين ولا يمسه من الشقاق شين.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 7] بالمغيبات ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 7] بارتكاب المأمورات واجتناب المنهيات ﴿لَتُكَفَّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الآية 7] السابقة بالطاعات اللاحقة فالكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من العبادات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 7] أحسن جزاء أعمالهم على وفق ما جرى في أحوالهم.

وقال الأستاذ: إن من رفع إلينا خطوة نال منا كلّ خطوة ومن ترك فينا شهوة وجد منا ألف صفوة فنصيبهم من الخيرات موفور وما يصيبهم من الزلات مغفور بذلك أجرنا سنتنا وهو متناول حكمتنا وقضيتنا.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [الآية 8] أمرناه بإتيانه إليهما فعلا ذا حسن وقرئ حسناً وإحساناً ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ [الآية 8] دليل ميدان البرهان أيها الإنسان ﴿لَتُشْرِكْ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الآية 8] وعبر عن نفيها بنفي العلم بها إشعاراً بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فضلاً عما علم بطلانه

وانتفى برهانه ﴿فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾ [الآية 8] في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿إِلَىٰ مَرْحُمِكُمْ﴾ [الآية 8] مرجع من آمن ومن أشرك ومن برّ بوالديه ومن عاق منكم ﴿فَأَنْبِئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 8] بالجزاء عليه من الثواب أو العقاب والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه فإنها لما سمعت بإسلامه حلفت أن لا تنتقل من الشمس ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبتت ثلاثة أيام كذلك فلم يطعها سعد بل قال: والله لو كان مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم نفساً.

وأفاد الأستاذ: إن الله تعالى أمر العباد برعاية حق الوالدين تنبيهاً على عظم حق التربية وإن كان تربية المخلوق وهي وإن خست فإلى حدّ توجب رعايتها بحكم الكريم فما الظن برعاية حق الله تعالى من الإحسان العميم بالعبد والامتنان القديم الذي خصه به قبل وبعد ثم قال: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ﴾ [الآية 8] بالله فإياك أن تطعهما ولكن رد بلطف وخلاف برفق، ويقال: من لم يصلح لحفظ حق من هو من جنسه أتى يصلح / لبساط صحبة سيده. 4/أ

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 9] في جملة الأنبياء والأصفياء فالكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله والمرسلين حيث دعوا بقولهم الحقنا بالصالحين.

وقال الأستاذ: أي لنلحقنهم الذين أصلحوا من قبلهم فإن المعهود من سنتنا إلحاق الشكل بشكله وإخراجكم المثل على مثله.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [الآية 10] وتركنا ما سواه ﴿فَإِذَا أُذِي فِي اللَّهِ﴾ [الآية 10] بأن عذبه الكفرة لأجل الإيمان بالله ومتابعة رضاه ﴿جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الآية 10] ما يصيبه من أذيتهم بسبب صرفه عن الإيمان إلى طريقتهم ﴿كَذَٰبِ اللَّهِ﴾ [الآية 10] أي في الصرف عن الكفر وموافقة هواه ﴿وَلَمَّا جَاءَ نَصْرٌ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 10] فتح وغنيمة ﴿يَقُولُونَ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ [الآية 10] في الدين فأشركونا فيه فإننا من المؤمنين المجاهدين كما هو دأب المنافقين ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 10] من الإخلاص في الإيمان والنفاق في الدين.

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 11] بقلوبهم مخلصين ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنْفِقِينَ﴾ [الآية 11] فيجازي الفريقين بأعمالهم على حسب أحوالهم والعبرة بسرائرهم لا بظواهرهم قال بعض العارفين ليس الإيمان ما يتزين به العبد من الأقوال والأفعال ولكن الإيمان ما جرى به السعادة في سوابق الأزل وإنما ظهورها على الهياكل ربما يكون عواري وربما يكون حقائق.

وأفاد الأستاذ: أن المحن تظهر جواهر الرجال وهي تدل على قيمهم وأقدارهم في الأحوال فقدره وقيمه يظهر في محنته فمن كانت محنته من فوات الدنيا ونقصان نصيبه منها أو كانت محنته بموت قريب من الناس أو بفوت حبيب من الخلق فحقير قدره وكثير في الناس مثله ومن كانت محنته في الله والله فعزيز قدره وقليل من كان مثله فهم في العدد قليل ولكن في القدر والخطر جليل وبقدر الوقوف في البلاء يظهر جواهر الرجال وفطرتهم ويصفوا عن الحنث نفرتهم والمؤمن من يكن الأذى / والولي من يتحمل عن الخلق 4/ب الأذى ويتشرب ولا يترشح بشكوى ولا إظهار دعوى كالأرض يلقي عليها كل خبث وقدره فتنبت كل نزهة وكل خضرة قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَعْلَمَنَّ الْمُنْفِقِينَ﴾ [الآية 11].

إذا اشتبكت دموع في حدود تبيين من بكى ممن تباكى
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ [الآية 12] الذي نسلكه في ديننا ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [الآية 12] إن كان ذلك خطبه أو إن كان بعث ومؤاخذه ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ﴾ [الآية 12] أي خطايا غيرهم ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 12] أي شيء بناءً على زعمهم ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الآية 12] في دعواهم.

﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ﴾ [الآية 13] أوزار ما اقترفته أنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [الآية 13] وأوزار آخر مع أوزارهم لما تسببوا إليها بالإضلال والحمل على المعاصي من غير أن ينقص من أوزار من تبعهم شيء من الوبال ﴿وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ أَفْيِكَمَتِكُمْ﴾ [الآية 13] سؤال تقريع ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْعُرُونَ﴾ [الآية 13] من الأباطيل التي أضلوا بها أتباعهم فيها.

قال أبو عثمان: ما أرى هذه الآية إلا في المدعين من غير حقيقة في حالهم يحملون أثقالهم وأثقال من يقتدي بهم في دعاويهم.

وقال أبو بكر الوراق: هم أعوان الظلمة.

وأفاد الأستاذ: أنهم ضمنوا بما لم يفوا وأخلفوا فيما وعدوا فما حملوا عنهم من خطاياهم شيئاً كما زعموا بل زاد وابل على نفوسهم احتقبا وزراً ما عملوا وطولبوا بوزر ما أمروا فيضاعف عليهم العقوبة ولم يصل من جتهتهم إلى أخذ شيء من الراحة وما مواعيدهم إلا مواعيد عرقوب أخاه بيثرب⁽¹⁾ وسيلحق بهؤلاء وأصحاب الدعاوى والمتشبهين بأصحاب الحقائق وأرباب الدقائق:

من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: الآية 64] هيهات هيهات.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الآية 14] يدعوهم إلى توحيد ربه ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ

أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمِيسَ عَامًا﴾ [الآية 14] بعد مبعثه إذ روي أنه بعث على رأس أربعين

ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطرفان ستين وفي الفضة تسلية رسول

الله صلى الله عليه وسلم وتنبه على ما يكابد من الكفرة والمشركين ﴿فَأَخَذَهُمُ

الطُّوفَانَ/ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [الآية 14] أنفسهم بمخالفة الدين. 1/5

﴿فَأَجْمَعْنَهُ﴾ [الآية 15] أي نوحاً ﴿وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ﴾ [الآية 15] من أولاده

وأتباعه وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ [الآية 15] أي السفينة أو القضية ﴿آيَةً

لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الآية 15] يتعظون بها ويستدلون بها.

(1) عرقوب: هو رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله شيئاً فقال: إذا طلع النخل فلك طلعه. فلما أطلعت أتاه للعدة فقال: دعها حتى تصير زهراً ثم رطباً ثم تمراً. فلما أمرت عمد إليها في الليل ولم يعط أخاه شيئاً منها فصار مثلاً في الخلق، وفيه يقول الأشجعي الشاعر:

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري (1/186) رقم (859).

وقال الأستاذ: ما زادهم طول مقامه إلا شكاً في أمره وجهلاً بقدره ومرية في صدقه وريبة في حكمه ولم يزد نوح عليه السلام لهم إلا نصحاً وذكرأً ولا في الله إلا صبراً وشكراً ولقد عرفه الله إنه لن تؤمن منهم إلا الشرذمة⁽¹⁾ اليسيرة الذين كانوا قد آمنوا وأمره باتخاذ السفينة وغرق الكفار وما غادر منهم أحد وصدق وعده ونصر عبده ولا يبدل بنصرة دينه قط ستة أي ولو بعد ألف سنة.

﴿وَإِذْ هَمَّ﴾ [الآية 16] أي أرسلناه أو اذكره ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وخذوه ﴿وَأَنْقُذُ﴾ [الآية 16] أي مخالفته أو عقوبته ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 16] مما أنتم عليه من أمركم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 16] خيركم من شركم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كرر ذكر إبراهيم عليه السلام في هذه القصة وكيف أقام على قومه الحجّة وأرشدهم إلى سواء الحجّة ولكنهم أصروا على ما جحدوا وتعصبوا لما من الأصنام عبدوا وكادوا لإبراهيم كيداً ولكن انقلب ذلك عليهم من الله مكرأً بهم واستدراجاً لهم ولم ينجع فيهم نصحه ولا وجد منهم مساعفاً وعظة.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ [الآية 17] أصناماً ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [الآية 17] تكذبون كذباً في تسميتها آلهة وادعاءً أن لها عند الله شفاعة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 17] زوراً وإفكاً ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [الآية 17] كله فإنه المالك له ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ [الآية 17] بالإيمان ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ [الآية 17] بالإحسان ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 17] ومنه ترجون.

قال سهل: اطلبوا الرزق بالتوكل على الرب قال سبيل العوام طلب من الكسب.

وقال الأستاذ: لا يدري أعمالكم في عبادتكم إياها أقيح أوسخ أم أقوالكم فيما تزعمون من الكذب أوبخ إنما تعبدون من هذه الجمادات لا نفع تملك ولا ضرر

(1) الشرذمة: القليل من الناس. انظر لسان العرب (322 / 12) مادة شرذم.

ولا خير تقدر عليه ولا شر ولا تملك أن ترزقكم فإنه فعل من يخلقكم وفيه تنبيه على أنهم لم يكونوا خالين عن ملاحظ الحظوظ / وطلب الرزق فقال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [الآية 17] ثم قال: ﴿وَأَعْبُدُوهُ﴾ [الآية 17] لأن ابتغاء الرزق من الله بأدائه الصلاة في رضاه فإن الصلاة، استفتاح باب الرزق لأصناف الخلق قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: الآية 132] لكل إنسان رزقه نحن نرزقك ويقال: ابتغاء الرزق بشهود موضع الفاقة فعند ذلك يتوجه بالرغبة إلى الله تعالى في استجلاب النفقة وقدم ابتغاء الرزق على العبادة لأنه لا يمكن القيام بالعبادة إلا بعد الكفاية فبالقوة يمكنه أداء العبادة وبالرزق يجد القوة ولقد قالوا:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه فمكروه ما يلقي يكون جزاؤه

﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ حيث كفاكم أمر الرزق حتى تفرغتم إلى عبادة الحق.

﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا﴾ [الآية 18] أي وأن تكذبوني فيما أقول لكم ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمْرًا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الآية 18] من قبلي من الرسل إليهم فلم يضرهم تكذيبهم وإنما ضر أنفسهم حيث سبب لنزول العذاب بهم فكذا لا يضرني تكذيبكم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمَيْتِ﴾ [الآية 18] الذي زال معه الشك في الدين وما عليه أن يصدق ولا يكذب بعد وضوح طريق اليقين.

﴿أُولَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 19] وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالخطاب أي أو لم ينظروا أولم يعلموا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ [الآية 19] ينشئهم من مادة وغيرها ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ [الآية 19] أي يعيد الخلق إلى مبدئه من الفناء بموته وقيل إخبار بالإعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا لا على يُبدئ فإن الرؤية عن واقعة عليه ولو علميه ولا يبعد أن يكون رؤية الإبداء حقيقة بصرية ورؤية الإعادة حكمية نظرية فإن من قدر على النشأة الأولى قدر على النشأة الأخرى وجوز أن يكون الإعادة والإنشاء في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة عن الأزهار والأثمار ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 19] ما ذكر من أمر الإنشاء والإعادة ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 19] لأنه على كل شيء قدير.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 20] أي سفراً آفاقياً أو سيراً نفسياً ﴿فَانظُرُوا

كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴿﴾ [الآية 20] على اختلاف أجناسهم وأصنافهم وألوانهم وأحوالهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُبْشِرُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [الآية 20] بعد النشأة الأولى التي هي 6/أ الإبداء فإنه والإعادة نشأتان من حيث أن كلا اختراع وابتداع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشأة بفتح الشين ممدودة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 20] فمن عرف بالقدرة على الإبداء يحكم له بالقدرة على إعادة الإنشاء والإيجاد بعد الإفناء لأنه قدرته لذاته ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على السواء.

وأفاد الأستاذ: أن الذي داخلهم فيه الشك كان بعث الخلق في القيامة فاحتج عليهم بما أراه من إعادة فصول السنة فكما أن ذلك شائع في عاداته سائغ في قدرته عن مستنكر في مشيئته فكذلك بعث الخلق وإعادته فكما تكرر فصول السنة تكرر أحوال العامة المشتركة بين الكافة والخاصة من استيلاء شهوات النفوس واللهوات ثم زوالها إلى موالات الطاعات ثم حصول الفترة والعود إلى مثل تلك الحالة ثم بعد ذلك الانتباه بالتوبة ثم كذلك يكرر عليهم الأحوال باختلاف الأعمال وكذلك أرباب القلوب بتعاقب أحوالهم في الفيض والبسط ثم في الهيئة والأنس ثم في التجلي والسر ثم في البقاء والفناء وكذلك في المحو والصحو ونحوهما وفي معنى تكرير الأحوال أنشدوا هذا المثال:

كل نهر فيه ماءٌ قد جرى فإليه الماء يوماً سيعود⁽¹⁾
﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 21] عقوبته ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 21] رحمته
﴿وَالِإِيَّاهُ تُقْلَبُونَ﴾ [الآية 21] وإلى حكمه وفق مشيئته ترجعون قيل يعذب من يشاء
بالمعصية ويرحم من يشاء بالطاعة وقيل يعذب من يشاء بالحرص ويرحم من
يشاء بالقناعة وقيل يعذب من يشاء بسوء الخلق ويرحم من يشاء بحسن الخلق
وقيل يعذب من يشاء بالإعراض عنه ويرحم من يشاء بالإقبال عليه وقيل يعذب
من يشاء بأن يبغضه إلى الخلق ويرحم من يشاء بأن يحببه إلى الخلق وقيل يعذب
من يشاء باختلاط الخلق ويرحم من يشاء بالانس بالحق.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/192) و(6/98).

6/ب

وأفاد الأستاذ: أن أجناس ما يعذب به عباده/ وأنواع ما يرحم به عباده لا نهاية لها ولا حصر بها فمن ذلك أنه يعذب من يشاء بالخذلان ويرحم من يشاء بتوفيق الإحسان ويعذب من يشاء بالكفران ويرحم من يشاء بالإيمان ويعذب من يشاء بالجحود والعنود ويرحم من يشاء بالتوحيد والوجود ويعذب من بتفرقة الهم ويرحم من يشاء بجمعية الحلم ويعذب من يشاء بإلقائه في ظلمة التدبير ويرحم من يشاء بإشهاده جريان التقدير ويعذب من يشاء بالاختيار من نفسه ويرحم من يشاء برضاء بحكم ربه ويعذب من يشاء بحب الدنيا ويمنعها عنه ويرحم من يشاء بزهده فيها وبسطها عليه ويعذب من يشاء بأن يثبته في أوطان العادة ويرحم من يشاء بأن يقيمه لأداء العبادة.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 22] بفائتين لربكم عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 22] إن فررتم من قضائه بالتواري فيها أو الهبوط في مهاويها ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية 22] أي التحصن بها أو القلاع الذاهبة إليها ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية 22] يحرسكم عن بلاء يظهر من الأرض فيرفعه منكم أو ينزل من السماء فيدفعه عنكم.

وقال الأستاذ: بل يقلب الجملة في القبضه ويجري عليهم أحكام التقدير وفق القسمة وطبق المشيئة جحدوا أم وحدوا أقبلوا أم أعرضوا.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِدِ اللَّهُ﴾ [الآية 23] بكتبه أو دلائل وحدانيته ﴿وَلِقَائِهِ﴾ [الآية 23] بالبعث وإعادته ﴿أُولَئِكَ يَسُؤُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ [الآية 23] في الدنيا ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 23] في العقبى وفي الحقيقة وقعوا في عقوبته حيث أيسوا من رحمته.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الآية 24] أي بعضهم لبعض في أمر إبراهيم وحكمه ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُتْلُوهُ أَوْ حَزَقُوهُ﴾ [الآية 24] كان كل منهما قول بعضهم إلا أنه لما قيل بينهم ورضي به الباكون منهم أسند كل إلى كلهم ﴿فَأَنجَنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ [الآية 24] فاتفق رأيهم على إلقائه فيها فأنجاه الله منها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً عنها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 24] في إنجائه ﴿لَآيَاتٍ﴾ [الآية 24] دلالات

هي حفظه من أذاها وإخمادها مع عظمها في يسير من زمانها وإنشاء روض في مكانها ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 24] لأنهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها والاتعاظ بها.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية 25] لتتواددوا / 7/ أ
 فيما بينكم في طاعتها وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر منونة ناصبة بينكم وابن كثير وأبو عمرو والكسائي مرفوعة مضافة على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة أو سبب مودة والجملة صفة أوثاناً وما كفاة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الآية 25] يقوم التناكر والتلاعن بينكم ﴿وَمَا أَوْلِيكُمْ أَلْتَارُ﴾ [الآية 25] مقيمين ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن نَّصِيرِينَ﴾ [الآية 25] يخلصونكم منها ولا يخففونها.

قال الأستاذ: لما عجزوا عن جوابه بالحجة ولم يساعدهم التوفيق بالإجابة أخذوا في معارضته بالتهديد والوعيد والسفاهة والله تعالى صرف عنه مكرهم وكفاه شرهم وأظهر للكافة عجزهم وأخبر عما يلحقهم في ما لهم من استحقاق اللعن والطرود وفنون الهوان والخزي في أحوالهم.

﴿فَأَمَّن لَّمْ لُوطٌ﴾ [الآية 26] وهو ابن أخيه هارون أول من آمن به ﴿وَقَالَ﴾ [الآية 26] إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ [الآية 26] من قومي ﴿إِلَى رَبِّي﴾ [الآية 26] إلى حيث أمرني ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 26] الذي يمنعني من أعدائي ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 26] الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاح شأني روي أنه هاجر مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه من كوثر من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم.

قال ابن عطاء: أي راجع من جميع مالي فالرجوع إليه بالانفصال عما دونه الإقبال عليه.

وأفاد الأستاذ: أن الهجرة إلى الله لا تصح إلا بالتبري بالكمال بالقلب عن غير الله والهجرة بالنفس يسير بالإضافة إلى الهجرة بالقلب وهي هجرة الخواص وهو الخروج عن أوطان التفرقة إلى ساحات الجمعية والجمع بين

التفرع في أوطان التفرقة والكون في مشاهد الجمع متناف في طريقة الحقيقة .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية 27] ولداً أو نافلة حين أيس من الولادة ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ [الآية 27] فكشرف فهم الأنبياء ﴿وَالْكِتَابِ﴾ [الآية 27] يريد به الجنس لتناول الكتب الأربعة ﴿وَأَيَّتَنَّهُ أَجْرُهُ﴾ [الآية 27] على هجرته إلينا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ [الآية 27] بإعطاء الولد في غير أوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة وأهل الملك إليه وجزيل الثناء إلي آخر الدهر عليه / ﴿وَأَيْنَهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 27] لفي عداد الكاملين في صلاح الدين.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام لما لم يجب قومه وبذل لهم النصح ولم يدخر عنهم شيئاً من الشفقة حقق الله مراده في نسله ووهب له أولاده وبارك فيهم واستصلحهم للخيرات والمبرات حتى صلحت أعمالهم للقبول وأحوالهم للإقبال ونفوسهم للقيام بعبادته وأسرارهم لمشاهدته وقلوبهم لمعرفة وإنه في الآخرة لمن الصالحين للذنو والزلفة والتخصيص بالقربة .

﴿وَلَوْطًا﴾ [الآية 28] وأرسلناه أو اذكره ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ﴾ [الآية 28] وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص أنكم ﴿لَتَأْتُونَ الْفُلْجَةَ﴾ [الآية 28] للغفلة البالغة في القيامة ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية 80] على هذه الوقاحة .

﴿أَيْنَكُمْ﴾ [الآية 29] اتفق فيها على الاستفهام ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [الآية 29] في أدبارهم ﴿وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ﴾ [الآية 29] بأخذ أموال المارة في أسفارهم ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَكَرِكُمْ﴾ [الآية 29] أي مجالسكم المملوءة من أجناسكم المنكر أي أصناف ﴿الْمُنْكَرِ﴾ [الآية 29] شرعاً وطبعاً كالجماع والضراط وحل الإزار أو رمي الحصا بالأصابع وخذف البنادق وتطريف الأصابع بالحناء واللعب بالحمام والسواك في المجالس وغيرها من القبائح مع عدم مبالاة بها .

قال القاسم: المنكر فترك حرمة الأكابر وسئل جنيد عن هذه الآية فقال: كل شيء يجتمع عليه الناس إلا الذكر فإنه منكر .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لامهم على خصلتهم الشنعاء وما كانوا

يتعاطونه على الله من الاجترأ وما يضيعونه من المعروف ويأتونه من المنكر الذي من جملته تخلية الفساق مع فسقهم وترك القبض على أيديهم وقلة الاحتشام من اطلاع الناس على قبائح أعمالهم من ذلك ترك احترام الشيوخ والأكابر ومنها التسوية في التوبة ومنها التفاخر بالزلة ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 29] في دعوى النبوة وفي استقباح هذه الغفلة.

قال الأستاذ: فما كان من جوابهم إلا استعجال العقوبة فحل بهم من ذلك ما أهلكهم وأهلك من شاركهم في القضية.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ [الآية 30] بإنزال العقوبة ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 30] 8/أ بابتداع الفاحشة.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ [الآية 31] بالبشارة بالولد والنافلة ﴿قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [الآية 31] أي سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الآية 31] بإصرارهم وتماديهم في إنكارهم.

﴿قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لُوطٌ﴾ [الآية 32] وهو ممن لم يظلم فيها ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ [الآية 32] ممن ظالمها وسالمها ﴿لَتُنَجِّيَنَّ﴾ [الآية 32] وقرأ حمزة والكسائي بتخفيفه ﴿وَأَهْلَهُ﴾ [الآية 32] بإخراجهم عنها ﴿إِلَّا أَنْزَلْنَاهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الآية 32] الباقيين في العقوبة أو القرية.

وقال الأستاذ: التبس على إبراهيم عليه السلام أمرهم فظنهم أضياف فتكلف لهم تقديم العجل الحنيد عندهم جرياً على سنته في إكرام الضيف فلما أخبروه مقصودهم من إهلاك قوم لوط تكلم في باب لوط إلا أن قالوا إنا منجوه وكان ذلك دليلاً على أن الله تعالى لو أراد إهلاك لوط وإن كان بريئاً لم يكن ظلماً أو لو كان ذلك قبيحاً لما كان إبراهيم عليه السلام مع وفارة علمه يشكل عليه حتى كان يجادل عنه بل لله أن يعذب من يعذب ويعافي من يعافي.

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ﴾ [الآية 33] جاءته المساءة بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء فيهم وأن صلة على عادة العرب في كلامهم

﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [الآية 33] ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته
 ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 33] عطف على مقدر أي فقالوا إنا رسل ربك وقالوا ﴿لَا تَخَفْ﴾
 [الآية 33] علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ [الآية 33] على تمكينهم منا ﴿إِنَّا مُجْرِكٌ﴾ [الآية 33]
 وقرأ ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائي بالتخفيف ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ
 مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الآية 33] أي الباقيين عن خدمتك الغائبين عن حضرتك.

﴿إِنَّا مُزِلُّوكَ﴾ [الآية 34] وقرأ ابن عامر بالتشديد ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
 جِزًّا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الآية 34] بسبب فسقهم من الكفر
 والمعصية وخروجهم عن الطاعة.

وأفاد الأستاذ: أنه لما رآهم لوط ضاق بهم قلبه لأنه لم يعلم أن ملائكة
 فخاف عليهم من فساد قومه فكان ضيق قلبه لأجل ربه فأخبروه بأنهم ملائكة
 وأنهم لا يصلون إليهم فعند ذلك سكن قلبه واتسع صدره ويقال أقرب ما
 يكون العبد في البلاء من الفرج إذا اشتد عليه البلاء فعند ذلك يكون وقت
 زوال البلاء لأنه يصير مضطراً والله وعد المضطرين [وشيك]⁽¹⁾ الإجابة كذلك
 لوط في هذه الليلة لما سيء بهم لم يلبث أن وجد الخلاص منهم.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ [الآية 35] أي حكايتها الشائعة أي آثار
 الديار الخربة ﴿لَقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 35] يستعملون عقولهم في الموعظة والعبرة.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الآية 36] وأرسلنا إليهم ﴿فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا
 اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الآية 36] أي توقعوا لقاءه أو خافوا عقابه ﴿وَلَا تَعْتُوا
 فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية 36] لا تفسدوا فيها على قصد فسادها.

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ﴾ [الآية 37] الزلّة الشديدة أو الصيحة القوية لأن القلوب
 ترجف لهولها وتضطرب لأجلها ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ [الآية 37] في بلدتهم
 ﴿جَنِينِينَ﴾ [الآية 37] باركين على ركبهم ميتين جامدين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ [الآية 38] اذكرهما وقرأ حمزة وحفص وشمود غير

(1) كلمة غير واضحة وربما ملغاة.

منصرف على تأويل القبيلة ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ﴾ [الآية 38] وقد ظهر لكم إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم عليها ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 38] وسول آمالهم وحسن أحوالهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية 38] فمنعهم عن السبيل الذي بينه الرسل لهم ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [الآية 38] متمكنين من النظر والاستبصار في أمرهم ولكنهم لم يفعلوا حيث لم يوقفوا لكونهم متعجبين برأيهم.

﴿وَقَرُّوْا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ﴾ [الآية 39] أي أذكرهم وقدم قارون بشرف نسبه أو لقبح كسبه ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 39] بالمعجزات الواضحات ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 39] فتكبروا وتجبروا على أهلها ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [الآية 39] فأتين أمرنا بل أدركهم هلاكنا وقهرنا.

﴿فَكَلَّا﴾ [الآية 40] من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية 40] عاقبناه بكسبه ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ [الآية 40] ريحاً صرصراً تحمل الحصبا فتلقيها عليهم وتقلعهم من محلهم وتنكسهم على رؤوسهم فتشرحهم كأنهم إعجاز نخل خاوية وهم قوم عاد وقيل ريحاً عاصفاً فيها حصباً تنزل كالمطر عليهم وهم قوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ [الآية 40] كمدين وثمود ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ [الآية 40] كقارون ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا﴾ [الآية 40] / كقوم نوح 9/أ وفرعون وقوم ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ [العنكبوت: الآية 40] فيما فعله بهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية 40] فاستحقوا عقاب ربهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر قصة أهل مدين وعاد وثمود وفرعون وكلهم نسج بعضهم على منوال بعضهم وسلك مسلكتهم ولم يقبلوا النصيح ولم يبالوا بمخالفة رسلهم، فأهلكهم الله بأجمعهم لستته في نصرة الضعفاء وقهر الظالمين عليهم.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية 41] يتكلمون إليهم ويعتمدون عليهم ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [الآية 41] لديه يستند إليه بل ذاك أضعف فإن لهذا هيئة حقيقة وانتفاعاً صورة ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ

الْعَنْكَبُوتِ ﴿[الآية 41] لا بيت أضعف من بيتها مما يتخذها الهوام لا يدفع حرّاً ولا برداً ولا يحجب عن أعين الأنام ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 41] لعلموا أن هذا مثلهم.

وفي «تفسير السلمى» من اعتمد على شيء سوى الله فهو هباءً لا حاصل له في دنياه ولا في عقباه.

وأفاد الأستاذ: أن العنكبوت تتخذ بيتاً لنفسه ولكن كلما زاد على نسجه ازداد بعداً من الخروج من بيته فهو يبني ولكن على نفسه يبني كذلك الكافر يسعى ولكن على نفسه يجني.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 42] وقرأ أبو عمرو وعاصم بالغيبة أي يعلم أي شيء تعبدونه وفي الالتجاء تعتمدونه فيجازيكم به ويعاقبكم بسببه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 42] القادر القاهر ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 42] البالغ في العلم الغاية وإتقان الفعل النهائية.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الآية 43] نبينها لما بعد من أفهامهم من الأحوال ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ [الآية 43] ولا يفهمها ولا يدرك حسنها ونفعها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 43] وقد روي محي السنة إنه عليه السلام تلا هذه الآية فقال: العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه.

وأفاد الأستاذ: أن الكل يشتركون في سماع الأمثال ولكن لا يصغي إليها نفور القلب من المعاني لا كنود الحال مقعود الكسل معرج في أوطان الفشل.

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 44] محققاً غير قاصد به باطل فإن 9/ المقصود بالذات من خلقهما هو الدلالة/ على ذاته وصفاته لأهلها كما أشار إليه بقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 44] أي الخلق بالحق ﴿لَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 44] أي المنتفعين.

وقال الأستاذ: خلق الله السموات والأرض بالحق أي بالقول الحق والحكم الحق والأمر الحق.

﴿أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية 45] اقرأه واتبعه تقرباً إلى الله فيه وتحفظاً لمبانيه واستكشافاً لمعانيه واستمر على ذلك ليظهر لك ظهره وبطنه هنالك ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [الآية 45] في الأوقات مع مراعاة سائر الحالات ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ﴾ [الآية 45] الكاملة أو المقبولة ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [الآية 45] بأن يكون مسبباً للانتهاء عن المعاصي كبيرها وصغيرها حال الاشتغال بها وغيرها من حيث إنها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه لصاحبها أو المعني أن مواظبتها تحمل على الانتهاء عن حظ النفس ومتابعتها وفي الحديث: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بُعداً»⁽¹⁾ رواه الإمام أحمد أو مراعاتها تجر إلى الانتهاء في غاياتها ففي الحديث قيل له عليه السلام إن فلاناً يصلي بالليل فإذا صح سرق قال: سينهاه ما يقول رواه ابن أبي حاتم والطبراني وابن جرير⁽²⁾. وروي أن فتى من الأنصار وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال: أن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وصلاح حاله فقال صلى الله عليه وسلم: «ألم أقل لكم»⁽³⁾.

وهذا قول أكثر السلف فينبغي أن يكون عليه الخلف.

وفي «تفسير السلمى» أي تمام الصلاة ترك الفحشاء والمنكر.

وقال ابن عطاء: بركات الصلاة تذهب بعقاب الفحشاء.

وأفاد الأستاذ: إن الصلاة الحقيقية ما تنهى صاحبها عن الفحشاء فإن كانت وإلا فصورة الصلاة لا حقيقتها والفحشاء الدنيا والمنكر النفس ويقال الفحشاء المعاصي والمنكر الحظوظ ويقال: الفحشاء رؤية الأعمال والمنكر

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (54/11) رقم (11025)، والقضاعي في مسند الشهاب (305/1) رقم (345)، والسيوطي في جامع الأحاديث (398/21) رقم (23826).

(2) أخرجه أحمد في المسند (447/2) رقم (9777).

(3) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (46، 45/3) رقم (954).

10/أ حسبان النجاة بها وقيل: ملاحظة الأعراض عليها والسرور والفرح بمدح الناس بها ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [الآية 45] أي أعظم وأفضل من كل شيء / فالصلاة لما كانت مشتملة على أنواع من الأذكار يكون أكبر من غيرها من الطاعات ولهذا تسمى أم العبادات وأساس الخيرات ونهاية عن السيئات أو لذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته وهذا منقول عن كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

وقال ابن عطاء: ذُكِرَ اللهُ لَكُمْ أَكْبَرَ مِنْ ذِكْرِكُمْ لَهُ لِأَنَّ ذِكْرَهُ بِلَا عِلَّةٍ وَذِكْرِكُمْ مَشُوبٌ بِالْعَلَلِ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ وَقَالَ أَيْضاً: ذَكَرَ اللهُ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يَبْقِيَ عَلَى ذَاكِرِهِ شَيْءٌ سِوَى مَذْكُورِهِ.

وأفاد الأستاذ: إن ذكر الله أكبر من ذكر المخلوقين لأن ذكر الله قديم وذكر الخلق حادث ويقال: ذكر العبد أكبر من ذكره الأشياء آخر لأن ذكره طاعة وذكر غيره ليس بطاعة ويقال: لذكر الله أكبر إذا تجرد عن عوض من ذكر لعوض من خوف عقوبة أو نيل مثوبة ويقال: لذكر الله لك أكبر من ذكرك لك ويقال: ذكره لك بالعادة أكبر من ذكرك له بالسعادة ويقال: ولذكر الله أكبر من أن يعرف قدره أو أكبر من أن يعرضه غيره ويقال: ذكر الله أكبر من أن يبقى للذاكر معه أن يذكر غيره أو يبقى للعبد معلوماً أو مرسوماً له ويقال: لذكر الله أكبر من أن يبقى معه الفحشاء والمنكر سلطان وشركه بل لحرمة ذكره زلات الذاكر مغفورة وعيوبه مستورة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [الآية 45] منه ومن الصلاة وسائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ويعفو عن السيئات.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ [الآية 46] بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 46] كمعارضة الخشونة بالملاينة والغضب بالكظم والملائمة والمشغبة بالنصيحة وهو لا ينافي المقاتلة فإنها آخر الدواء في معاملة المقابلة كما يشير إليه قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية 46] بالإفراط في اعتدائهم وعنادهم ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية 46] وعنه صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله

فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم/ أو لا تصدقوهم ولا 10/ ب
تكذبوهم فيما لم تعرفوا صدقهم وكذبهم لاحتمال كونهم صادقين أو كاذبين
﴿وَاللَّهُمَّ وَاللَّهُمَّ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية 46] خاصة له مطيعون بخلافكم
وحيث ما تؤمنون.

وأفاد الأستاذ: أن مجادلتهم بالتي هي أحسن أن يكون منك للخصم
تمكين وفي خطابك تبين وفي قبول الحق إنصاف وتحسين واعتقاد النصره
لمن رآه صحيحاً بالحجة وترك الميل إلى شيء بالنسق والهوادة.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الآية 47] أي القرآن وحياً مصدقاً لسائر ما
أنزل من هذا الباب ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الآية 47] أي التوراة والإنجيل
﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الآية 47] كعبدالله بن سلام وأضرابه ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 47] من
العرب وأهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [الآية 47].

قال الأستاذ: يعني أنهم على أنواع في القسمة فمرحوم نظرنا إليه
بالعناية كما سبقت له السعادة ومحروم وسمناه بكبي الشقاوة ﴿وَمَا يَجْحَدُ
بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 47] مع ظهورها ونظام نورها ﴿إِلَّا الْكٰفِرُونَ﴾ [الآية 47] المتوغلون
في الكفر والمشغولون عن التأمل والفكر كما يشير إليه قوله:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [الآية 48] في باب
فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع المعرفة على أي لم يعرف بالقراءة والكتابة
خارق للعادة ﴿إِذَا لَازَبَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية 48] أي لو كنت ممن تقرأ أو تكتب
فقالوا تعلمه أو التقطه مما كتبه الأقدمون وسماهم مبطلين لظهوره بطلانهم حينئذ
أيضاً فإن جميع الكتب والقراء الخطباء والشعراء والفصحاء والبلغاء عن عجزوا
عن المعارضة بأقصر سورة من سور القرآن المبين.

وقال الأستاذ: تجرد قلبك عن المعلومات وتقديس شرك عن
المرسومات فصادفك من الآيات من غير ممازجة طبع ومشاركة كسب وتكلف
بشرية فلما خلا شرك وقلبك عن كل معلوم ومرسوم ورد عليك خطابنا
وتفهيمنا غير مقرون به ما ليس منا.

﴿بَلْ هُوَ﴾ [الآية 49] أي القرآن ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 49] واضحة الدلالات لكونها من المعجزات ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [الآية 49] بحفظه/ لمبانيه ومعانيه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه بما ينافيه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [الآية 49] المعاندون حين لم يعتدوا بها بعد وضوح دلائل إعجازها.

وأفاد الأستاذ: أن قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب فيها أودع براهين حقه وبينات سره ودلائل وحدانيته وشواهد ربوبيته فقانون الحقائق قلوبهم وخزائن الأسرار صدرهم وكل شيء يطلب من موطنه ومحلّه فالدر يطلب من الصدق لأن ذلك مسكنه والشمس تطلب من البروج لأنها مطلعها والشهد من النحل لأنه عشه كذلك المعرفة وصف الحق تطلب من قلوب خاصته لأنها قانون معرفته .

ومنها ترفع توحيده وفردانيته وقالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الآية 50] كناية صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص آيات ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 50] ينزلها كما يشاء لست أملكها فأتاكم بما تقترحونه منها ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 50] لوجه الإنذار بالعقوبة للكفار والفسجار.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ [الآية 51] آية مغنية عن آياتهم المقترحة ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 51] تدوم تلاوته وتستمر معجزته فلا يزال معهم آية ثابتة وحجة ثابتة بخلاف سائر الآيات وبقية المعجزات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 51] الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبنية ﴿لرَّحْمَةً﴾ [الآية 51] لنعمة عظيمة ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ [الآية 51] وموعظة جسيمة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 51] لها ويتنفعون بما فيها.

وروي أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض من التوراة فقال: كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم

فنزلت (1). وفي رواية قال: لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي (2).

﴿قُلْ كَفَرْنَا بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِدًا﴾ [الآية 52] بصدقي بالمعجزات أو تبليغي بالرسالة ومقابلتكم إياي بالتكذيب والمعاندات ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 52] في العلويات والسفليات فلا يخفى عليه ما جرى بيننا من الحالات/ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ [الآية 52] وهو ما بعيد من دون الله وما 11/ب يدعى مما سواه مما ليس تحته الطائل ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ [الآية 52] بذاته وصفته ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الآية 52] فمن خسر في صفقته حيث اختار طريق ضلّاته.

وقال الأستاذ: خفي عليهم علو حاجتك فطالبوك بإقامة الشواهد على رسالتك أو لم يكفهم ما أوضحنا عليك من السبيل وألحق لك من الدليل يتلى عليهم ذلك ولم يمكنهم معارضته هنالك هذا هو غاية الجحود ونهاية الكنود.

﴿وَسَتَجْلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الآية 53] قبل يوم الحساب ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 53] لكل عذاب في كل باب ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الآية 53] عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ﴾ [الآية 53] آجلاً ﴿بَغْتَةً﴾ [الآية 53] فجأة في الدنيا كوقعة بدر ونحوها أو في الأخرى عند سكرات الموت وأحوالها أو في مواقف القيامة وأهوالها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 53] بإتيانها في أي مجالها.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [الآية 54] أي كالمحيطه بهم الآن لإحاطة الكفر والعصيان التي توجب لهم النيران.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [الآية 55] أي من قرنهاهم إلى قدمهم والمواد من جميع جوانبهم ﴿وَيَقُولُ﴾ [الآية 55] أي الله أو ملائكته وقرأ

(1) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز (234/5)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (44/7)، والبيضاوي في تفسيره (320/1).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (199/1) رقم (176)، وأبو يعلى في المسند (4/102) رقم (2135)، وأحمد في المسند (338/3) رقم (14672)، وأبو شيبة في المصنف (312/5) رقم (26421).

ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 55] أي جزاء أعمالكم وفق أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا أحاط بهم سرادقات⁽¹⁾ العذاب في جهنم فلا صريخ لهم كذلك اليوم من أحاط به العذاب من فوقه اللعن ومن تحته الخسف ومن جهاله الخزي ويلبس لباس الخذلان ويوسم بكبي الحرمان ويسقى شراب القنوط ومتوج بتاج الخيبة ويقيد بقيد السخط ويغل بغل العداوة وهم يسحبون في جهنم العراق حكماً إلى أن يلقوا في جهنم الاحتراق عيناً.

﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ [الآية 56] أي إن لم يخلصوا العبادة لي في مكان منها فأخلصوها في غيره.

قال سهل: إذا عمل المعاصي والبدع في أرض فأخرجوا منها إلى أرض المطيعين بها وسئل ابن مالك عن العبودية/ فقال: إذا صحت العبودية لله صحت الحرية عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا أوسع في الشأن من أن يضيق لمريد مع مزيد المكان فإذا بنا به منزل لوجه من الوجوه الصاد له عن سبيله إما لمعلوم حصل أو القبول بين الناس وجاه أو العلاقة أو قريب أو لبلاء ضد فطريقه أن يرحل عن موضعه ويتنقل إلى غيره كما قالوا:

وإذا ما جفيت كنت حرياً أن أرى غير مُصبحٍ حيث أمسي
وكذلك العارف إذا لم يوافق وقته مكاناً انتقل إلى غيره من الأماكن
لإصلاح ما به من الشأن.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الآية 57] تناله لا محالة ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 57] للخبر بالمشوبة أو العقوبة ومن كان هذا عاقبته فينبغي أن يجتهد في استحسان حالته وقرأ أبو بكر بالغيبة.

(1) كل ما أحاط بشيء، وهو صفة النار. انظر لسان العرب (10/157).

وقال الأستاذ: إذا كان الأمر كذلك فالراحة معطوفة على تهوين الأمور هنالك فسبيل المؤمن أن يوطن نفسه على مفارقة روحه مستعداً له في كل نفسه إبقاء لروحه ثم إذا لم يحضر الأجل فلا يستعجل وإذا حضر فلا يستثقل وليكن بحكم الوقت كما قالوا:

ولو قال لي: مت مت طوعاً وحسبة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً قلت: وفي الحديث: لا يتمنين أحدكم الموت فإن كان لا بد فاعلاً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر⁽¹⁾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [الآية 58] لننزلنهم وقرأ حمزة والكسائي لنبوئهم أي لنقيمهم ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [الآية 58] علا لي في القدر والمقدار ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمِلِينَ﴾ [الآية 58].

وأفاد الأستاذ: أن اليوم في غرف معارفهم على أسرة وصلهم متوجين بتيجان سيادتهم يسقون كاسات الوجد ويلقون في جنات القرب وعداً كما قال الرب .

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [الآية 59] على أذية المشركين والهجرة للدين إلى غير ذلك من محن المهاجرين والمجاهدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 59] وإلى مرضاته يتوسلون قبل الصبر المقام مع البلاء والمحنة كالمقام مع الرخاء والعافية وسئل الخراز عن / التوكل فقال: هو اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب.

ب/12

وأفاد الأستاذ: أن الصبر حبس النفس على فطامها، الصبر تجرع كاسات التقدير من غير نقتبس الضمير وأول الصبر تصبر بتكلف المشقة ثم صبر بسهولة ثم اضطراب وهو ممزوج بالراحة ثم تحقق بوصف الرضا بالقضاء فيصير العبد فيه محمولاً بعد أن كان متحملاً والتوكل انتظار مع استبشار التوكل أن تبرم في

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 262) رقم (10901)، والطبراني في المعجم الأوسط (8/ 87) رقم (8019)، وفي المعجم الصغير (1/ 138) رقم (208)، وابن ماجه في السنن (2/ 1425) رقم (4265)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 301) رقم (970).

الخلوة بانقطاع الأغيار عنك التوكل أعراض القلب عن غير الرب .

﴿وَكَايْنٍ مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ [الآية 60] لا تدخره لغدها وإنما تصبح ولا معيشة عندها ففي الحديث لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً⁽¹⁾ وتروح بطاناً⁽²⁾ ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ [الآية 60] مع ضعفها وتوكلها ﴿وَايَاتِكُمْ﴾ [الآية 60] مع قوتكم واجتهادكم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 60] لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 60] بأعمالكم وأحوالكم.

قال ابن عطاء الله: يرزقها بحسن اليقين ويرزقكم مع قلة اليقين .

وقال النهرجوري: أرزاق المتوكلين على الله يجري بعلم الله لهم بلا شغل وتعب منهم وغيرهم فيه مشغول ومتعوب به .

وأفاد الأستاذ: أن معنى ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ [الآية 60] لا تدخره لا في ملكه ولا في كسبه ولا في خزانه ملكه ولا بيد مملوكه ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ [الآية 60] من غير مقاساة تعب منه ويقال: إرادة الله في أن يستبقيك ولا يقبض روحك أقوى وأتم من تمنيك لبقائك فلا ينبغي أن يكون اهتمامك بسبب غيبتك وفنائك أتم وأكثر من تدبير نفسك لبقائك.

﴿وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ﴾ [الآية 61] أي أهل مكة وغيرهم ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِقَوْلِنَّا اللَّهُ﴾ [الآية 61] إذ لا جواب سواه ﴿فَأَن يُّؤْفَكُونَ﴾ [الآية 61] يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بتفريده.

قال الأستاذ: إذا سألوا عن الخالق أقروا بالله وإذا سئل عن الرازق لم يستقروا مع الله هذه مناقضة ظاهرة يعني مع أنه سبحانه قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيذُكُمْ ثُمَّ يُمَيِّدُكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن دَلِكُمْ مَن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: الآية 40].

(1) جباع . انظر لسان العرب (7/ 29).

(2) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1394) رقم (4164)، والترمذي في الجامع الصحيح (573/ 4) رقم (2344).

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [الآية 62] أي لمن يشاء من عباده على أن البسط لبعضهم/ والقبض لآخرين أو على أن التوسعة له تارة والتضييق أخرى، بعده أو قبله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عِلْمٌ﴾ [الآية 62] يعلم مصالح العباد ومفاسدهم في المراد فهو في التغيير بحسب التقدير حكيم.

وأفاد الأستاذ: أن الرزق على أقسام رزق الظواهر ومنه الطعام والشراب ورزق السرائر ومنه الاستقلال بالمعاني في فهم الكتاب والناس فيها مرزوق مرفقه إليه ومرزوق مضيق عليه.

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [الآية 63] يسبها وفوت ما فيها ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الآية 61] معترفين بأن الموجد للمكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم ليتبركون به بعض خلقه الذي لا يقدر على شيء من جميعها ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 63] على ما أعطاك من نعمة النبوة والرسالة وحفظك من أمثال هذه الضلالة والجهالة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 63] هذه المقالة ولا يتأملون هذه الحالة.

قال الأستاذ: وكما علموا أن حياة الأرض بعد موتها بالمطر من قبل الله فليعلمن أن حياة النفوس بعد موتها عند الحشر والنشر بقدرة الله وكما علموا ذلك فليعلموا أن حياة الأوقات بعد فترتها أي بماء الرحمة من عند الله.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الآية 64] إشارة تحقير ومهانة وكيف لا وقد ورد أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة ﴿إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ﴾ [الآية 64] ما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون إليه ويميلون إليه يتعبون لديه ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [الآية 64] لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع ضربات الموت عليها أو جعلت في ذاتها حياة للمبالغة في الميل إليها.

وفي الحديث: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»⁽¹⁾ ﴿لَوْ كَانُوا﴾

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3797)، ومسلم في الصحيح (126/1804).

يَعْلَمُونَ ﴿ [الآية 64] أنها خير وأبقى لما آثروا عليها الدنيا التي مبنها على العناء والشقاء وسرعة الفناء وخسة الشركاء.

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا كالاحتلام وعند الخروج منها انتباه من المنام والآخرة هنالك العيش بنظامه والتخلص من الوحشة بتمامه.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الآية 65] كائنين في 13/ب صورة من أخلص/ دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون سواه بل يدعون ما عدها لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 65] وفي معصيتهم وغفلتهم يعودون وشركهم لا يتركون.

قال جنيد: والإخلاص إلحاد القلب عن الكل وخلو السر عن الجميع والعلم بأن الحق هو الذي يقبلك بجميع عيوبك وينجيك من جميع قومك فهو دليل مقام الإخلاص وعلامة حالة الاختصاص.

وأفاد الأستاذ: إن الإخلاص تفرغ القلب عن الكل والثقة بأن لا خلاص إلا به والتحقق بأنه لا يستكثر حالاً في المحمودات ولا في المذمومات فالعامة إذا توالى عليهم الضرورات يدعونه مخلصين له الدين وإذا انقطع عنهم الرجاء أذعنوا لله متفرغين فإذا كشف الضر عنهم عادوا إلى الغفلة ونسوا ما كانوا فيه من الشدة كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذا الضنا عاد إلى نكسه

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 66] اللام يحتمل أن تكون لام كي أي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة من المهالك العظام ﴿وَلِيَسْتَعْمُوا﴾ [الآية 66] باجتماعهم على عبادة الأصنام أو لياكلوا كما تأكل الأنعام ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 66] عاقبة هذه الآثام حين يعاقبون بأنواع الآلام وأن يكون الأمر للتهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون فليتمتعوا بالسكون ويساعده فسوف يعلمون.

﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ﴾ [الآية 67] أي أهل مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [الآية 67] أي

جعلنا بلدهم مصوناً عن النهب والتعدّي آمناً أهله عن القتل والسي بالأيدي ﴿وَيَحْطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [الآية 67] يختلسون قتلاً وسيباً بحسب اختلاف حولهم ﴿أَفِالْبَاطِلِ﴾ [الآية 67] كالصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 67].

وقال الأستاذ: من عليهم بدفع المحن عنهم وكون الحرم أمثالهم وذكرهم عظيم الإحسان إليهم ثم بين أعراضهم عن شكر ذلك لديهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 68] بأن زعم أن له شريكاً أو غيره ربا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ [الآية 68] رسولاً أو كتاباً ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الآية 68] / تقدير لسوء النواء للأعداء كقوله:

أ/14

(ألستم خير من ركب المطايا)⁽¹⁾
 أو للاجترأ المترتب عليه هذا الجزاء .

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ [الآية 69] في حقنا بالجهاد الأصغر أو الأكبر في طريق صدقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [الآية 69] سبل السير إلى بابنا وطرق الوصول إلى جنابنا أو لنزيدهم هداية إلى سبل العبادة وتوفيقاً لسلوك سير أهل الإرادة كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: الآية 17].

وفي الحديث: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلَّمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»⁽²⁾، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 69] بالنصرة والإعانة في طريق اليقين.

قال عبدالعزيز المكي: اجتهدوا في سبيل الظاهر فهداهم إلى سبيل الباطن وأنا أتعجب ممن يعجز عن ظاهره ويطمع في باطنه.

وقال أبو سعيد القرشي: خرجت هداية المراد من المشيئة قال عزوجل: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 69].

وقال الأستاذ: أي الذين زينوا ظواهرهم بالمجاهدات حسنا سرائرهم

(1) هذا بيت شعر لجرير وعجزه: «وأندى العالمين بطون راح». انظر الأغاني (316/8).
 (2) أورده السيوطي في الدر المنتشرة في الأحاديث المنتشرة (20/1)، وانظر تذكرة الموضوعات (20/1)، وتخرّيج أحاديث الإحياء (168/1) رقم (168).

بالمشاهدات. ويقال الذين شغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا سرائرهم إلى اللطائف ويقال الذين قاسوا فينا التعب من حيث الصلوات جازيناهم بالطرب من حيث المواصلات ويقال: الجهاد فيه أولاً يترك المحرمات ثم يترك الشبهات ثم يترك الفضلات ثم يقطع العلاقات والتنقي عن الشواغل على جميع الأوقات ويقال: يعدّ الأنفاس مع الله ويحفظ الحواس عما سواه.

سورة الروم

[مكية]

وهي ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله اسم عزيز شفاء المذنبين جوده، بلاء المهيمين مقصوده، ضياء الموحدين عهوده، وسلوة المحزونين ذكره، حرفة المسبحين الواجدين شكره، والعابدون حبهم عطاؤه والواجدون حبهم بقاؤه.

﴿الرَّ ١﴾ [الآية 1] الإشارة في الألف أي ألف صحبتنا من عرف عظمتنا وألف بلاءنا من عرف كبريائنا والإشارة في اللام أي لزم من ببابنا من ذاق محابنا ولزم بساطنا من شهد انبساطنا والإشارة في الميم أي مكن من قربتنا من أقام على خدمتنا ومات على وفائنا من تحقق بولاءنا.

﴿غَلَبَتِ الرُّومُ ٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴿[الآيتان 2،3] أي أرض العرب لأنها الأرض 14/ب المعهودة عندهم/ أو في أدنى أرضهم من العرب أو مقامهم فاللام بدل من الإضافة على مذهب أهل الكوفة والمراد أن أهل الفرس وهم المشركون غلبوا أهل الروم وهم أهل الكتاب والموحدون ففرح المشركون من أهل مكة وقالوا للمسلمين: أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهر عليكم في شأنكم فنزلت ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ [الآية 3] من إضافة المصدر إلى المفعول أي بعد مغلوبيتهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ [الآية 3] على عدوهم.

﴿فِي يَضِعُ سِنِينَ﴾ [الآية 4] وهو ما بين ثلاث إلى تسع سنين فظهرت الروم

على فارس يوم الحديبية والآية من دلائل النبوة لأنها أخبار عن غيب الواقعة.

وأفاد الأستاذ: أن المسلمين سرّوا بظفر الروم على العجم وإن كان الكفر بجمعهم لاختصاص الروم بالإيمان ببعض الأنبياء فشكر الله ذلك لهم وأنزل هذه الآية فيهم بمن يكون سروره لدين الله وحزنه واهتمامه لأمر مولاه ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الآية 4] من قبل كونهم غاليين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غاليين والمعنى له الأمر حين غلبوا وكذا إذا غلبوا ليس شيء منها إلا بقضائه وقدره فيما فعلوا.

قال سهل: من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء لأنه المبدىء المعيد وقال: سبق تدبير الحق في الخلق لأنه بهم لم يزل عالماً في الأصل وفي الفرع.

وأفاد الأستاذ: أن قبل إذا أطلق انتظم الأزل وبعد إذا أطلق دل على الأبد فالمعنى أمر الأزلي لله والأمر الأبدي لله لأن الرب الأزلي والسيد الأبدي هو الله ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ يوم العرفان و﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ يوم الغفران ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ حين القسمة ولا حين و﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ عند النعمة وليس معين. وقيل ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 4] بتحقيق ودكم ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ [الآية 4] ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الآية 4] بحفظ عهدكم:

إني على جفواتها برّ بها وبكلّ متصلٍ بها متوسّل
﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 4] يوم يغلب الروم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 4].

﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾ [الآية 5] من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من ازدياد يقينهم وثباتهم في أمر دينهم ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 5] فينصر هؤلاء تارة وأخرى هؤلاء ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 5] ينتقم من عباده بالنصر عليهم مرة /15 ويتفضل عليهم / بنصرهم كرة.

وأفاد الأستاذ: أن اليوم ترح وغداً فرح اليوم عبره وغداً صبره اليوم أسف وغداً لطف اليوم بكاء وغداً لقاء.

﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ [الآية 6] مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى وعده ﴿لَا

يُخَلِّفُ اللَّهُ وَعَدَمُ ﴿﴾ [الآية 6] لامتناع الخلف في خبره ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 6] صحة وعده بجهلهم به وعدم تفكرهم في وصفه.

وأفاد الأستاذ: أن الكريم لا يخلف وعده لا سيما والصدق لغته ويقال: منا يوم الميثاق وعد بالطاعة ومنه ذلك اليوم وعد بالجنة فإن وقع في وعدنا تقصير فلا نفع في وعده قصور وتغيير.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 7] ما يشاهدونه بها والتمتع بزخارفها ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾ [الآية 7] التي هي غايتها والمقصودة منها ﴿هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الآية 7] لا تخطر ببالهم وتكريرهم للمبالغة في غرورهم قال القاسم: من كان غافلاً عن الآخرة كان عن الله أغفل ومن كان غافلاً عن الله سقط عن درجة المتعبدين.

وأفاد الأستاذ: أن استغراقهم في الاشتغال في الدنيا وإنهاكهم في تعلق الطلب منهم عن العلم بالأخرى وقيمة كل امرئ علمه كما الأثر فيه عن علي رضي الله عنه فأهل الدنيا على غفلة عن العقبي والمشتغلون بعلم الآخرة كذلك بوجودها في غفلة عن المولى.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 8] أي في أمرها فإنها أقرب إليهم من غيرها ومراة يجتلي للمتبصر بها ما يجتلي له في الممكنات بأسرها فإنها العالم الأكبر في مظاهرها وأسرارها فيتحقق لهم قدرة مبدعها على إعادتها من قدرته على ابدائها ليعلموا أو يقولوا ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 8] بالأمر الثابت في الصدق ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 8] ينتهي عنده ولا تبقى بعده ﴿وَأِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 8] بملاقاة جزائه عند فراغ الأجل وانقضاءه ﴿لَكَافِرُونَ﴾ [الآية 8] جاحدون وحاسبون أن الدنيا أبدية وإن الآخرة عدمية سرمدية.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 9] بظواهرهم أو بواطنهم ﴿فَيَنظُرُوا﴾ [الآية 9] فيصبروا أو فيعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 9] بنظرهم إلى ديارهم وآثار مسارهم ﴿كَأَنوَأ﴾ [الآية 9] أي من قبلهم ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ [الآية 9] من / الموجودين بعدهم ﴿قُوَّة﴾ [الآية 9] كعاد وشمود ونحوهم ﴿وَأَنَارُوا﴾

أَلْأَرْضُ ﴿ [الآية 9] قلبوا أديم وجهها لاستنباط مياهها واستخراج معادنها وزرع البذور وغيرها ﴿ وَعَمْرُوهَا ﴾ [الآية 9] أي أرضهم ﴿ أَكْثَرُ مِمَّا عَمَّرُوهَا ﴾ [الآية 9] من عمارة أهل مكة إياها فكان لهم التبسط في البلاد والتسلط على العباد أعظم من أهلها ﴿ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [الآية 9] بالمعجزات الواضحات فكذبوا فعذبوا ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ [الآية 9] فيدمرهم فمن جرم منهم ولا تذكير لهم ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الآية 9] حيث عملوا في أعمارهم ما أدى إلى دمارهم وهلاك آثارهم قال بعضهم: السير في الأرض مندوب إليه لمن يستدل بالآثار على المؤثر فأما من تحقق في عين المعرفة فهو سائر بروحه في الملكوت.

وأفاد الأستاذ: أن سير النفوس في أقطار الأرض ومناكبها لأداء العبادات وسير القلوب بجولان الفكر في جميع المخلوقات وغاياته الظفر بحقائق العلوم التي توجب ثلج الصدر ثم تلك العلوم على الدرجات وسير الأرواح في ميادين الغيب بنعت خرق سرادقات الملكوت وقصاراه الوصول إلى مجال الشهود واستيلاء سلطان الحقيقة وسر الأسرار بالترقي عن الحدثان بأسره والتحقق أولاً بالصفات ثم بالخمود بالكلية عما سوى الحق.

﴿ ثُمَّ كَانَ عِاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْأَأُوا الشَّوْءَ ﴾ [الآية 10] أي العقوبة أو الخصلة السواء أي تأنيث أسوأ كالحسنى أو مصدر نعت بها كالبشرى ﴿ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الآية 10] عطف بيان للسوأى وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على أن الاسم السوأى وفي الآية أشاروا إلى أن الدنيا مزرعة الآخرة.

قال الأستاذ: من زرع الشوك لم يحصد الورد ومن استنبت الحشيش لم يقطف البهار ومن سلك طريق الغي لم يحلل بساحة الرشد.

﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ [الآية 11] ينشئهم ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ ﴾ [الآية 11] يعيئهم ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الآية 11] فيجزئهم وقرأ غير أبو عمرو وأبو بكر بالخطاب وفي كل تغليب أي يردون إلى حكمه في جزاء أعمالهم على حسب أحوالهم.

وقال الأستاذ: الله يبدئ الخلق على ما يشاء ثم يعيده إذا ما يشاء على

ما يشاء ثم إليه ترجعون / للجزاء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] يسكتون أو يياسون أو

يتحiron.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ﴾ [الآية 13] أي في أصنافهم يجيرونهم

من عذابهم ومجيئه بلفظ الماضي لتحقق وقوعه ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾

[الآية 13] حين يسوا منهم أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم.

وأفاد الأستاذ: أن شهودهم ما جحدوه في الدنيا عياناً ثم ما ينضاف

إلى ذلك من اليأس الذي يعرفون قطعاً هو الذي يفتت كبدهم وبه تتم

محنتهم.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] أي المؤمنون والكافرون

كما فصله بقوله.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ [الآية 15] أرض

ذات أزهار وأنهار وأنوار ﴿يُحْبَرُونَ﴾ [الآية 15] يسرون مجاهد يكرمون قتادة

ينعمون ابن كيسان يحلون ابن عباس يتوجون وكيع يستمعون وعن أبي الدرداء أن

غناءهم تسيحهم وثناءهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾

[الآية 16] يدخلون وعنه لا يغيبون فالأمر بهم لا ينفعه التدبير فإنه على وفق

التقدير من غير التغيير فريق في الجنة وفريق في السعير.

قال أبو بكر بن طاهر: يتفرقون إلى ما قدر لكل من محل السعادة

ومنزل الشقاوة.

وقال الأستاذ: فريق هم أصل الوصلة وفريق هم أهل الفرقة وفريق

الجنة والمنة وفريق للعقوبة والمحنة وفريق في السعير وفريق في السرور وفريق

في الثواب وفريق في العقاب وفريق وفريق للتلاق وفريق في البوار والخسار

وفريق في الرياض والأنهار.

﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الآيتان 17، 18] خبر في معنى الأمر بتنزيه الله
تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته
وتخصيص التسبيح بالمساء والصبح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر حيث
يتبدل أحد الضدين بالآخر فقد ورد في الخبر: سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار
وتخصيص الحمد بالعشي والظهيرة لأن تجدد النعم فيهما أكثر وجوز أن يكون
عشياً معطوفاً على حين تمسون، /وجملة ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
ب/16 [الروم: الآية 18] اعتراضاً ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية
جامعة الصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر
وعشياً صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر.

ولذا زعم الحسن البصري رحمه الله أن الآية مدنية لأنه كان يقول كان
الواجب بمكة ركعتين في أي وقت اتفقت وإنما فرضت الخمس بالمدينة
والأكثر أن الخمس فرضت بمكة كما يدل عليه حديث الإسراء.

قال جعفر الصادق: بالله فابدأ في صباحك وبه فاختم في مساءك فمن
كان به ابتداءه وإليه انتهاؤه لا يشقى فيما بينهما.

وأفاد الأستاذ: أن من كان صباحه بالله بورك له في يومه ومن كان
مساؤه بالله بورك له في ليله:

وإن صباحاً نلتقي في مساءه صباح على قلب القريب حبيب
فستان بين عبد صباحه مفتتح بعبادته ومساؤه مختتم بطاعته وبين عبد
صباحه مفتتح بشهادته ورواحه مفتتح بعزیز قربه. ويقال: أراد الحق من
أوليائه أن يجددوا العهد به في اليوم والليلة خمس مرات فتقف على بساط
المناجاة ويستدرك فيما بين الصلاتين من طوارق الغفلات ولواحق الزلات.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الآية 19] كالإنبات من النطفة والطائر من البيضة
﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الآية 19] أي النطفة والبيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ﴾ [الآية 19]
ينبتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 19] يبسها ﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ [الآية 19] من قبورك فيها

وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء قال بعضهم: يخرج أوليائه من بين أعدائه ويخرج أعداءه من بين أوليائه لثلا يعتمد ولي على ولايته ولا يقنط عدو في عداوته.

وقال الأستاذ: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ويظهر أوقات البسط من أوقات القبض وأوقات القبض من بين أوقات البسط ويحيي الأرض بالمطر بعد موتها وقت الربيع وحشة الشتاء كذلك النشور والإحياء بعد الموت والفناء.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الآية 20] أي في أصل الإنشاء لأنه خلق أصلهم منه في الابتداء ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ نَنْشُرُونَ﴾ [الآية 20] في الانتهاء وفيه أي إلى/ ما قاله أولي الألباب ما للتراب ورب الأرباب.

أ/17

قال القاسم: بين أنه متولي خلقه وإن خلقه إياهم من جماد لا حركة له وإنما حركة خالقه لأنه ليس من طبعه أن ينشر بنفسه ذكر ذلك لثلا يعتمد العبد بشيء من أعماله ولا ينظر إلى شيء سوى ربه وأفعاله.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم نسبتهم لثلا يعجبوا بحالتهم ويقال: الأصل التربة ولكن العبرة بالتربية القيمة لما منه اصطفي الأعيان المخلوقة واختار الكعبة فهي أفضل من الجنة والجنة يا قوت وجوهر والبيت حجر والبيت مختاره والمؤمن مختارة وهذا المختار حجر وهذا المختار مدر وهو الغني لذاته منزه عن كل غير وغير ورسم وأثر.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الآية 21] من جنسكم نساء ﴿لِتَسْكُنُوا﴾ [الآية 21] لتميلوا ﴿إِلَيْهَا﴾ [الآية 21] وتآلفوا بها فإن الجنسية علتها الضم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية 21] أي بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس من الجن والإنس ﴿مَوَدَّةً﴾ [الآية 21] محبة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 21] بخلاف سائر الحيوانات نظماً لأمر المعيشة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 21] فيعلمون ما في ذلك من أنواع الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رد المثل إلى المثل وربط الشكل بالشكل وجعل سكون البعض إلى الآخر ولكن ذلك للأشباح والصور وأما الأرواح

فصحبتها للأشباح كره لا طوع وأما الأسرار فمعتقة لا تساكن الأطلال ولا تقديس بالإعلال .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ﴾ [الآية 22] لغاتكم بأن علم كل طائفة لغتها وأمالهم إليها أو ألهمهم وضعها وأقدرهم عليها أو أجناس أصواتكم بتفاوت نعماتكم ﴿وَالْوَيْكُنُ﴾ [الآية 22] من بياض الجلود وسوادها أو تخطيطات الأعضاء وهيأتها وأشكالها حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان في شيء من ذلك لا محالة في بابهما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الآية 22] وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية 43].

وأفاد الأستاذ: أن السموات في علوها والأرض في دنوها هذه بنجومها وكواكبها وهذه بأطوارها ومناكبها وهذه بشمسها وقمرها وهذه بمائها ومدرها 17/ ب واختلاف / لغات أهلها في الأرض واختلاف تسيبحات الملائكة الذين هم سكان السماء فاختصاص كل شيء من هذه ببعض جائزات حكمها شاهد عدل ودليل صدق ينادي أفكار المستنطقين وينادي على أنفسها إنها بأجمعها من تقدير العزيز الحكيم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ قَضِيئِهِ﴾ [الآية 23] منامكم في الزمانين لاستراحة القوى الظاهرة النفسية وقوة القوى الباطنة الطبيعية وطلب معاشكم فيها من الأمور الضرورية أو منامكم بالليل وابتغائكم بالنهار على جري العادة الغالبية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 23] سماع تفهم وتفكر وتأمل وتدبر.

وأفاد الأستاذ: أن غلبة القوم بغير اختيار صاحبه ثم انتباهه من غير اكتسابه له في وسعه يدل على موته ثم بعثه بعد ذلك وقت نشوره ثم في حال منامه يرى ما يسره ويضره وعلى أوصاف كثيرة أمره كذلك الميت في قبره الله أعلم كيف حاله في أمره مما يلقاه من خيره وشره ونفعه وضره .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ [الآية 24] أراكم البرق ﴿خَوْفًا﴾ [الآية 24]

للمسافر ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 24] للمجاور ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الآية 24] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف ﴿فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ﴾ [الآية 24] بإنباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 24] يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 24] يتدبرون في استنباط، أسبابها وكيفية تكونها في أبوابها ليظهر لهم جمال قدرته وكمال حكمته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يلقي في القلوب من الرجاء والتوقع في الأحوال ثم يختلف بهم الحال في المال فمن عبد يحصل مقصوده ومن آخر لا يتفق مراده والأحوال الشريفة كالبروق اللطيفة وقالوا: إنها أولاً لوائح ثم لوامع ثم طوالع ثم شوارق ثم متوع النهار فاللوائح في أوائل العلوم واللوامع من حيث العهود والطوالع من حيث المعارف والشوارق من حيث التوحيد.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الآية 25] أي قيامهما بإقامته لهما وإرادته لقيامهما في حيزها والتعبير بالأمر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الإله ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةَ / مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ نَخْرُجُونَ﴾ [الآية 25] أي ثم خروجكم 18/أ من قبوركم إذا دعاكم دعوة واحدة فيقول أيها الموتى اخرجوا إلى معرض المولى.

وقال الأستاذ: يغير هذه الأدوار ويغير هذه الأطوار يبدل هذه الأحوال إماتة ثم إحياء وإعادة وقبلها ابداءً وقبر ثم نشر معاتبة في القبر ثم محاسبة بعد النشر.

﴿وَلَمْ يَكُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ لَّمْ يَكُنْ قَانِتُونَ﴾ [الآية 26] منقادون لديه لا يمتنعون عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما مطيعون طاعة الإرادة وإن عصوا أمره في العبادة⁽¹⁾.

وقال الأستاذ: له ذلك ملكاً ومن تلك الأشياء بدأوا به إيجاداً وإليه رجوعاً.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ [الآية 27] في إنشائهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ [الآية 27] بعد إفنائهم ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 27] أي والإعادة أسهل على الله من الأصل

(1) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي بكر البقاعي (6/304).

بزعمكم وظنكم وتقديركم بالإضافة إلى قدركم وإلا فهما عليه سواء وكذلك قيل: والهاء من عليه عائد للخلق والمعنى أن العود وهو الخلق الآتي سهل من الخلق التدريجي وقيل أهون بمعنى هين وتذكير هو لأهون ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ﴾ [الآية 27] الوصف العجيب الشأن الغريب البرهان كالقدرة العامة والحكمة التامة ﴿الْأَعْلَى﴾ [الآية 27] أي الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه تعالى ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 27] في عالم العلويات والسفليات من الممكنات ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 27] القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن وإعادته ﴿الْمُحْكِمُ﴾ [الآية 27] الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته.

وقال الأستاذ: له الصفة العليا في الوجود بحق العدم وفي الجود بنعت الكرم وفي القدرة بوصف الشمول وفي النصره بوصف الكمال وفي العلم بعموم التعلق وفي الحكم بوجود التحقق وفي المشيئة بوصف البلوغ وفي القضية بحكم النفوذ وفي الجبروت بنعت العز والجلال وفي الملكوت بوصف المجد والجمال.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ﴾ [الآية 28] بين لكم ربكم ﴿مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية 28] مأخوذاً من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [الآية 28] مع أنهم بشر مثلكم ﴿مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الآية 28] من المال والمنال ﴿فَأَنزَلْنَا فِيهِ سَوَاءً﴾ [الآية 28] في الأحوال ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ [الآية 28] من تصرفهم ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 28] / أي من شركائكم ﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الآية 28] نبيها فإن التمثيل يكشف المعاني ويوضحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 28] يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال المضروبة لهم.

وقال الأستاذ: أي إذا كان لكم مماليك لا ترضون بالمساواة بينكم وبينهم وأنتم بكل وجه مشابهون لهم إلا أنكم بحكم الشرع مالكيهم فما تقولون في الذي لم يزل ولا يزال كما لم يزل هل يجوز أن يقدر في وصفه أن يساويه عبيده أو يكون شريكاً له مملوكة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

﴿بَلِ اتَّعَجَبَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 29] أنفسهم بإشراكهم ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

[الآية 29] من دليل عقل وبرهان ونقل ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [الآية 29] فمن يقدر على هدايته سواء ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصِيرِينَ﴾ [الآية 29] يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن الجهالة.

قال ابن عطاء: الظالم من اتبع نفسه هواها ومن فعل ذلك أعرض عن الحق ومن أعرض عن الحق حرم عليه الرجوع إلى الحق فإن الحق عزيز والطريق إليه عزيز.

وأفاد الأستاذ: أن أشد الظلم متابعة الهوى لأنه قريب من شرك المولى قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: الآية 23] فمن اتبع هواه خالف رضا مولاه فهو بوضعه الشيء غير موضعه صار ظالماً لنفسه كما أن العاصي ظالم بوضعه المعصية موضع الطاعة كذا هو بمتابعة هواه بدلاً عن موافقته لرضا مولاه حصل في الظلم متمادياً في دنياه وعقباه.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ [الآية 30] أقبل بكليتك إليه واستقامتك عليه حنيفاً مائلاً عن سائر الأديان معتكفاً لديه.

وفي «تفسير السلمى» مقبلاً على الله معرضاً عما سواه ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ﴾ [الآية 30] أعني خلقه الله أو الزموا فطرة الله ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 30] وهي ملة الإسلام فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها ﴿لَا بَدِيلَ لِمَخْلُوقِ اللَّهِ﴾ [الآية 30] أي لا تبدلوا خلقته، ولا تغيروا فطرته ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَائِمُ﴾ [الآية 30] المستقيم الذي لا عوج فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 30] ما يوافقوه وما لا ينافيه.

وقال الأستاذ في قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ [الآية 30] أخلص قصدك إلى الله واحفظ عهدك مع الله وافرد عملك في سكناتك وحركاتك وجميع تصرفاتك لله حنيفاً مستقيماً في دينه/ مائلاً إليه ومعرضاً عن غيره فالزم فطرة أثبتهم قبل أن يوجد منهم فعل ولا كسب ولا شرك ولا كفر كما ليس منهم إيمان ولا إحسان ولا كفران ولا عصيان فاعرف هذه الجملة من حاله ثم أفل ما أمر به واحذر ما نهى عنه تجردهم عن أفعالهم ثم أنصفهم بما يكتسبون من أحوالهم وإن كان ذلك

أيضاً بتقدير الله لهم ويقال إنه فطر كل أحد على ما علم أنه يكون عليه من السعادة والشقاوة لديه لا تبديل لحكمة ولا تحويل لما فطرهم عليه فمن علم أنه يكون سعيداً أراد سعادته وأخبر عن سعادته وخلقته في حكمه سعيداً ومن علم شقاوته أراد أن يكون شقيماً وأخبر عن شقاوته وخلقته في حكمه شقيماً ولا تبديل لحكمه ولا تحويل لأمره وهذا هو الدين المستقيم والطريق القويم.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الآية 31] حال كونكم راجعين إلى أمره منقطعين إلى ذكره مشتغلين بشكره ﴿وَأَتَّقُوهُ﴾ [الآية 31] أي عقابه وخافوا حسابه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية 31] التي على أم العباد أن وناهية للسيئات ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 31] في الطاعات.

وقال الأستاذ: راجعين إلى الله بالكلية من غير أن يبقى البقية متصفيين بصفاته منحرفين بكل وجه عن خلفه وشقاؤه متقين صغير الإثم وكبيره قليله وكثيره مقيمين للصلاة بأركانها وسننها وآدابها جهراً متحققين بمراعاة فضائلها سراً.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ [الآية 32] بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه من شركائهم على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي أمروا أن يبنوا عليه يقينهم ﴿وَكَانُوا شِيْعًا﴾ [الآية 32] فرقاً شائع كل فرقة إمامها الذي أصل دينها وتقدم أمامها ﴿كُلٌّ جَزَبَ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ﴾ [الآية 32] كل فرقة بما عندهم من العلم مسرورون ظناً منهم بأنهم على الحق فيما بينهم وفرح المؤمنون بربهم ودينهم الذي ارتضى لهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم أقاموا في دنياهم في خمار الغفلة وعناد الجهل الفترة فركنوا إلى ظنونهم وأفهامهم واستوطنوا مراكب أوهامهم وعلوا من لبس 19/ ب غيرهم وظنوا أنهم / على شيء في أمرهم فإذا انكشف ضباب وقتهم وانقشع سحب جحدهم انقلب فرحهم ترحاً واستيقنوا أنهم كانوا في الضلالة ولم يعرجوا إلا في أوطان الجهالة.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ [الآية 33] شدة ومحنة ﴿دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾

[الآية 33] مقبلين عليه وراجعين من دعاء غيرهم إليه ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [الآية 33] شركاء جلياً أو خفياً بحسب مراتبهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا أظلمت المحنة ونالتهم الفتنة ومستهم البلية رجعوا إلى الله بالكلية من فضله مستغيثين بلطفه مستجبرين عن محنتهم مستكشفين فإذا جاد عليهم بكشف ما نالهم ونظر إليهم بلطف ما أصابهم إذا فريق منهم لا كلهم بربهم يشركون يعودون إلى عادتهم المذمومة في الكفران وقابلوا إحسانه بالنسيان فهؤلاء ليس لهم عهد ولا وفاء ولا ليمودتهم صفاء.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 34] اللام فيه للعاقبة أو للتهديد بالمعاقبة ويؤيده قوله ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ [الآية 34] على أنه التعتت فيه للمبالغة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 34] عاقبة تمنعكم ووخامة توسعكم.

وقال الأستاذ: أي عن قريب سيحدث بهم مثل ما أصابهم ثم أنهم يعودون إلى رأس التضرع ويأخذون فيما كانوا عليه بدءاً من التخشع فإذا شفاهم وعافاهم رجعوا إلى رأس خطاياهم.

﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ [الآية 35] حجة وبرهاناً ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ [الآية 35] تكلم دلالة من غير آله ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 35] بإشراكهم وصحته.

وقال الأستاذ: تبين أنهم بنوا على غير أصل طرقهم واتبعوا فيما ابتدعوا أهواءهم وعلى غير شرع وبيان وحجة وبرهان أسسوا مذاهبهم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ [الآية 36] صحة وسعة ونعمة ﴿فَوَحُوا بِهَا﴾ [الآية 36] بطروا بسببها ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية 36] شدة ومشقة ومحنة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 36] بشؤم معاصيهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْتِنُونَ﴾ [الآية 36] فأجاز القنوط من رحمته واليأس من نعمته.

وقال الأستاذ: تستميلهم طوارق حالاتهم إلى طرق زلاتهم إن كان نعمة فالى فرح وإن كان شدة فالى قنوط وترح وليس وصف الأكابر كذلك قال

20/أ تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ/ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: الآية 23].

﴿أَوْلَم يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 37] فما لهم لم يشكروا في السراء ولم يصبروا في الضراء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 37] ما ذكر من الضيق والسعة ﴿لَأَنبِتَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 37] فيستدلون به على كمال القدرة والحكمة قال الشاعر:

نكد الأريب وطيب عيش الجاهل قد أرشداك إلى الحكيم الكامل⁽¹⁾

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في الآية أن لا يعلق العبد قلبه إلا بالله لأن ما يسوؤهم ليس زواله إلا من الله وما يسرهم ليس كماله إلا من الله فالبسط الذي يسرهم ويؤنسهم منه وجوده والقبض الذي يسوؤهم ويوحشهم منه حصوله فالواجب لزوم عقوبة بالأسرار وقطع الأفكار عن الأغيار.

﴿فَاتِ ذَا الْفُرْقَيْنِ حَقًّا﴾ [الآية 38] كصلة الرحم ونفقة المحارم ﴿وَالْمَسْكِينِ وَآئِنَ السَّبِيلِ﴾ [الآية 38] بالإحسان إليهما والشفقة عليهما والخطاب للنبي عليه السلام أو لمن يسط له في الإنعام ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الآية 38] ذاته أو جهته أو رضاه أي يقصدون بمعرفتهم إياه ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 38] حيث حصلوا بما بسط لهم في الدنيا وتوسلوا إلى النعيم المقيم في العقبى واختاروا الباقية وبدّلوا الفانية.

وأفاد الأستاذ: أن القرابة على قسمين قرابة النسب والطين وقرابة الحسب والدين وقرابة الدين أمس وبالمؤاساة أخف وأحسن فإذا كان الرجل مشغلاً بالعبادة غير متفرغ لطلب المعيشة فالذي له إيقان بحاله وإسراف على وقته وكماله يجب عليه أن يقوم بشأنه بقدر إمكانه مما يكون له عون على طاعته وفراغ قلب عن حديث عيلته فإن كان اشتغال الرجل بشيء من مراعاة القلب فحقه أكد وتصرفه أوجب ثم المرید هو الذي يؤثر حق الله على حظ نفسه فهتمته بالإحسان إلى ذوي القربى والمساكين يتقدم على نظره لنفسه

(1) انظر روح المعاني (43/21).

وعيلته وما يهمه من خصوصيته .

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَيْبًا﴾ [الآية 39] أعطيتكم من زيادة محرمة في المعاملة أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة في المقابلة بالمعاملة وقرأ ابن كثير بالقصر أي ما فعلتم به من إعطاء/ رباً ﴿لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ [الآية 39] ليزيد ويزكوا وقرأ نافع ب/20 بضم التاء والياء أي لتزيدوا في أموالهم وتكثروا في أمالهم ﴿فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 39] فلا يزكوا عنده ولا يبارك له إما لحرمة وإما لخلوه عن مثوبته ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ﴾ [الآية 39] صدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الآية 39] تقصدون رضاه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْطَرُونَ﴾ [الآية 39] الذين ضعفوا ببركة الصدقة ثواب أعمالهم وزيادة أموالهم.

وأفاد الأستاذ: أن مرید وجه الله ورضاه لا يستخدم الفقير لما يبهره به من رفعه وعطاه بل أفضل الصدقة هو الصدقة على ذي رحم كاشح حتى يكون بإعطائه مجرداً عن كل نصيب له فيه فهؤلاء الذين هم يتضاعف أجرهم فقهرهم لأنفسهم وفوزهم بالعوض من فضل ربهم ثم الزكاة هي تطهر في اللغة لمال معلوم ببيان الشريعة كيفيته وكميته بإخراج الزكاة في أصناف المال وأوصاف الحال وزكاة البدن وزكاة القلب وزكاة السر كل ذلك يجب القيام به لأرباب الكمال .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيذُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 40] فيه إيماء إلى أن العباد يفتقرون إلى الله سبحانه بالإيجاد والإمداد في المعاش والمعاد ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن دَلِكُمْ مِثْلَ شَيْءٍ﴾ [الآية 40] أي من الخلق والرزق ابتداء ومن الأمانة والإعادة انتهاء ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 40] أي عما يعدونه شركاء.

قال الحسين: خلقكم بقدرته ورزقكم معرفته وأماتكم عن الأسباب وأحياكم به .

وقال سهل: أفضل رزق العبد سكونه إلى رازقه أي واعتماده على خالقه .

وأفاد الأستاذ: إن حرف ﴿ثُمَّ﴾ [الآية 40] يقتضي التراخي فيه إشارة إلى أنه ليس من ضرورة خلقه إياك أن يرزقك إذ أضعف أحوالك ابتداءً من خلقك فأثبتك وأحياك من غير حاجة لك إلى رزق فألى أن خرجت من بطن أمك إما أن كان يغنيك عن الرزق وأنت جنين في بطن الأم ولم يكن لك لا أكل ولا شرب وإما أن كان يعطيك ما يكفيك من الرزق إن حق ما قالوا من أنه يغذي الجنين بدم الطمث وإذا أخرجك من بطن أمك ورزقك على الوجه المعهود / في 21/أ
المعلوم للأنام ميسراً لك أسباب الأكل والشرب من لبن الأم ثم فنون الطعام ثم أرزاق القلوب والسرائر من الإيمان والعرفان وأرزاق التوفيق من الطاعات والعبادات ﴿ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ﴾ [الآية 40] بسقوط شهوراتكم ويميتكم عن مشاهداتكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 40] بحياة قلوبكم ثم بأن يحييكم بربكم ويقال: من الأرزاق ما هو وجود الإرفاق ومنها ما هو شهود الرزاق ويقال: لأمكنه لك في تبديل خلقك فكذا لا قدرة لك على تغيير رزقك فالموسع عليه رزقه بفضل لا لمناب نفسه والمقتّر عليه رزقه بحكمه لا لمعايب نفسه ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ [الآية 40] الذي اتبعتموه إما من الأصنام أو مما توهمتم من جملة الأنام من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون تنزيهاً له وتقديساً عما يشركون.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الآية 41] كالغلاء والربا وكشر الحرق والغرق ومحق البركات وظهور الظلمات من الظلم والضلالات ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الآية 41] بشؤم معاصيهم الناشئة عن الغفلات ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الآية 41] بعض جزاء السيئات فإن تمامه في الآخرة واللام للعلة أو العاقبة وقد قرأ قنبل لنديقنهم بالنون ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 41] عن الغفلة إلى التوبة قيل: المواد بالبر والبحر الظاهر والباطن ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من البر إلى النفس ومن البحر إلى القلب وفساد البر بأكل الحرام وارتكاب المحظورات وفساد البحر من الغفلة والأوصاف الذميمة مثل سوء العزم والحسد والحقد وإرادة السرقة وسائر المعصية والخواطر الرديئة وعقد الإصرار على المخالفات من أعظم الفسادات كما أن العزم على الخيرات قبل فعلها من أعظم الخيرات ومن جملة الفساد التأويلات بغير حق والانحطاط إلى

الرخص وغير قيام بجد وجهه والإغراق في الدعاوى من غير استحياء من الله المتعالي. وقوله: ﴿لِيَذِيبَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الآية 41] من سقوط تعظيم الشرع من القلب والتأسف على ما فاته من الحق للرب.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 42] بقوالكم أو بقلوبكم ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 42] لتشهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدق ما هنالك ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الآية 42].

قال الأستاذ: سيروا بالاعتبار واطلبوا الحق بنعت الافتكار وانظروا كيف كان حال من تقدمكم من الأشكال والأمثال وقيسوا عليها حكمكم في جميع الأحوال كانوا أكثرهم عدداً وأقلهم وزناً وقدرًا.

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾ [الآية 43] البليغ الاستقامة ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا﴾ [الآية 43] هو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ [الآية 43] لا يقدر أن يردّه أحد سواء فالجار متعلق بيأتي وجوز أن يتعلق بمرد لأنه مصدر يعمل عمله والمعنى لا يرده الله لتعلق إرادته القديمة بمجيئه ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ [الآية 43] أصله يتصدعون أي يتفرقون فريق في الجنة والنعمة وفريق في السعير والنقمة كما أشار إليه بقوله.

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [الآية 44] أي وباله من النار الموقدة المؤبدة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الآية 44] يسوون منازل عليه في الجنة الميسرة.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 45] أي أثر محبته ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 45] فيعاملهم بعدله الذين حكم عليهم بعقوبته.

قال سهل: قوام الدين بشيء واحد هو إتباع الأوامر ولزوم السنة وافتقار الأكابر.

وقال الفضيل بن عياض: قوام الدين بشيئين الاتباع وترك الابتداع.

وقال الأستاذ: إخلاص قصدك وصدق عزمك للدين القيم بالموافقة والاتباع دون الاستبداع بالأمر على وجه الابتداع ومن لم يتأدب بمن هو إمام وقته ولم يتلقف الأذكار ممن هو لسان وقته كان خسارته أتم من ربحه

ونقصانه أعم من نفعه .

﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ﴾ [الآية 46] الشمال والصبأ والجنوب فإنها رياح الرحمة وأما الدبر فريح العقوبة ومنه قوله عليه السلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»⁽¹⁾ رواه الشافعي والطبراني وغيرهما ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الآية 46] بالمطر لرزقكم/ من نعمته ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ [الآية 46] من المنافع المتتابعة ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [الآية 46] يعني تجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 46] نعمة البحر والبر قيل رياح القدس تبشر بمنازل الإنس .

وقال الأستاذ: يرسل الرياح رياح الرجاء على قلوب العباد فتسكن قلوبهم عن عناء الجبن وغشاء اليأس ثم يرسل عليهما أمطار التوفيق فيحملهم إلى بساط الجهد ويلزمهم بقوى النشاط ويرسل رياح البسط على أرواح الأولياء فيظهرها من وحشة القبض وينشر فيها لذات الوصال ويرسل رياح التوحيد فتهد على أسرار الأصفياء وتطهرها عن آثار الأغيار وتنشرها بدوام الإقبال فذلك ارتياح به ولكن بعد احتياج عنك .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 47] فأمن به بعضهم ﴿فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا﴾ [الآية 47] كفروا منهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ [الآية 47] بمقتضى الوعد لدينا ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] المخلصين إلينا في الدنيا والآخرة والجملة اعتراضية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتأنيساً له في مقام الوصول الأكرم ووعداً بالنصر له واتباعه ووعيد لأهل الكفر وأشياعه .

وقال الأستاذ: أي أرسلنا رسلاً إلى عبادنا فمن قابلهم بالتصديق وصل إلى خلاصة التحقيق ومن عارضهم بالجحود أذقناهم عذاب الخلود فانتقمنا من الذين أجزموا أخذناهم من حيث لم يحتسبوا وشوشنا عليهم ما أملوا

(1) أخرجه البيهقي في معرفة السنن (6/19) رقم (2096)، والطحاوي في مشكل الآثار (2/410) رقم (771)، والطبراني في المعجم الكبير (11/213) رقم (11533)، وأبو يعلى في المسند (4/341) رقم (2456)، والشافعي في المسند (1/81) رقم (361).

ونَعَصْنَا عَلَيْهِمْ مَا اسْتَطَابُوا وَتَنَعَمُوا وَأَخَذْنَا بِخَنَاقِهِمْ فَحَاقَ بِهِمْ مَا مَكُرُوا ﴿وَكَاثَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] وطَّوَّهُمْ أَعْدَاءَهُمْ بِأَعْقَابِهِمْ فَلَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَيْرًا حَتَّى وَرَقِينَاهُمْ فَوْقَ رِقَابِهِمْ خَرِبْنَا أَوْطَانَهُمْ وَهَمَدْنَا شَأْنَهُمْ وَأَخْمَدْنَا نِيرَانَهُمْ وَعَطَلْنَا عَلَيْهِمْ دِيَارَهُمْ وَمَحَوْنَا بِقَهْرِ التَّدْمِيرِ آثَارَهُمْ فَظَلَّتْ شُمُوسُهُمْ كَاسْفَةَ وَمَكِيدَةُ قَهْرِنَا لَهُمْ بِأَجْمَعِهِمْ خَاسِفَةً.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [الآية 48] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الرياح على/ إرادة الجنس ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ﴾ [الآية 48] أي متصلاً تارة ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية 48] في سمتها وجهتها ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الآية 48] سائراً أو موافقاً مطبقاً أو غير مطبق في أفق دون أفق ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ [الآية 48] قطعاً تارة أخرى كيف يشاء ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ [الآية 48] المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خَلْقِهِ﴾ [الآية 48] إذا شاء ومتى شاء ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية 48] يعني أراضي بلاده ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية 48] يفرحون منبسطين.

﴿وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُزَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 49] الودق من أقطاره ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ [الآية 49] أي قبل استبشارهم بأقطاره ﴿لَمَلْبِسِينَ﴾ [الآية 49] متحيرين آيسين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وتعالى يرسل رياح عطفه وجوده مبشرات بوصوله ووجوده ثم يمطر جود غيئه على أسرارهم بلطفه ويطوي بساط الحشمة عن ساحات قربه ويضرب قباب الهيبة بمشاهد كشفه وينشر عليهم أزهار أنسه ثم يتجلى لهم بحقائق قدسه ويسقهم بيده شراب حبه وبعد ما محاهم عن أوصافهم أصحابهم لا بهم ولكن بنفسه فالعبارات عن ذلك خرس والإشارات فيها طمس.

﴿فَانظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ [الآية 50] أثر الغيب من النبات والأشجار وأنواع الأزهار والأثمار وكذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 50] بإنباتها بعد جفاف نباتها ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 50] الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها بالإفناء ﴿لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [الآية 50] لقادر على إحيائهم كما قدر على أبدانهم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 50] من

أمور الابتداء والانتهاء.

وفي «تفسير السلمي» أن ذلك لمححي الأنفس الميتة بالشهوات والقلوب المبينة بالغفلات بأنوار معرفته وآثار هدايته.

وقال الأستاذ: فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بأزهارها وأنوارها عند مجيء أطوارها ليخرج زرعها وأثمارها ويحيي النفوس بعد نفرتها فيوقفها للخيرات بعد فترتها فيعمر أوطان الوفاق بصادق إقدامهم وتندفع البلايا عن الأنام ببركات ألوانهم ويحيي القلوب بعد غفلتها بأنوار المحاضرات فتعود إلى استدامة الذكر بحسن المراعاة ويهتدي بأنوار أهلها أهل العصر من أصحاب الإرادات ويحيي الأرواح بعد حجتها بأنوار المشاهدات فتطلع شمسها/ عن بروج السعادات ويتصل شمام أسرار الكافة نسيم ما يفيض عليهم من الزيادات فلا يبقى صاحب نفس إلا حظي منه بنصيب من الواردات ويحيي الأسرار وما كان لها إلا وفقد في بعض الحالات فتنتفي بالكلية آثار الغيرية ولا يبقى في الدار ديار ولا من سكانها آثار وسطوات الحقائق لا تثبت لها ذرة من صفات الخلائق ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ﴾ [الكهف: الآية 44] سقط الماء والقطرة وطاح الرسوم والجملة.

﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ [الآية 51] الضمير للزرع والأثر لما دل عليه ما سبق من الخير أو للسحاب فإنه إذا اصفر دل على عدم المطر ﴿لَطَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 51] بخالق القوى والقدر والآية ناعية على الكفار بقلة تفكرهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم وسوء تقلقلهم فإن النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على ربهم ويلتجئوا إليه بالاستغفار والاعتذار إذا احتبس القطر عنهم ولا يياسوا من رحمته وأن يبادروا إلى شكره والاستدامة بطاعته إذا أصابهم بنعمته وأن يصبروا على بلائه وإصابة محنته وشدته.

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ﴾ [الآية 52] فمنهم مثلهم لما سدّ عن الحق مشاعرهم ﴿وَلَا تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 52] برفع الصوت في النداء أو بالإشارة والإيماء.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [الآية 53] الناشئة عن جهالتهم وسماهم عمياً لفقدهم المقصود الحقيقي من الإبصار أو لعمى قلوبهم من الإبصار فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور التي هي منابع الأسرار ومعادن الأنوار ﴿إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 53] فإن إيمانهم بها يدعوهم إلى تلقي المبنى تدبر المعنى ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية 53] مستسلمون بكل ما حوى.

قال ابن عطاء: لن يسمع دعاءك إلا من أسمعناه في الأزل خطابنا ووقفناه بجواب الخطاب على وجه الصواب.

وأفاد الأستاذ: أن من فقد الحياة الأصلية لم يعيش بالرقية والتميمة وإذا كان في السريرة طرش عن سماع الحقيقة فسمع الظاهر / لا يفيد إلا تأكيد الحجة 23/ب وكما لم يسمع الصم الدعاء فلم يمكنه أن يهدي العمي عن ضلالتهم بالنداء.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الآية 54] أي ابتدأكم ضعفاء في أصل خلقكم وجعل الضعف أساس أمركم أو خلقكم من مادة ضعيفة هي النطفة اللطيفة على خلاف إنها النجسة أو النظيفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الآية 54] ذلك إذا بلغت الحلم وقت قوة الأشباح أو حين تعلق بأبدانكم الأرواح ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الآية 54] ليس بعدها قوة وفتح عاصم بخلاف عنه من رواية حفص وحمزة الضاد في جميعها ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 54] من ضعف وقوة وشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الآية 54] كامل العلم تام القدرة.

قال الواسطي: خلق خلقه بحيث لا يمكن أن يجزّ نفعاً أو يدفع ضرراً فهو أسير جوعه وصريح شبعه ورهين شهوته لا ينفك منها إلا المعصومين بفضل الله ورحمته.

أفاد الأستاذ: إنه سبحانه أظهر الإنسان على وصف ضعف الصغر ثم بعده قوة الشباب والكبر ثم ضعف الشيب والعبر ثم:

آخر الأمر ما ترى من القبر واللحد والثرى

كذلك في ابتداء أمرهم يظهرهم على وصف ضعف البداية في نعت التردد والتحير في طلب الهداية ثم بعده قوة الوصل والعناية ثم ضعف التوحيد في النهاية ويقال: خلقكم من ضعف أي على حال ضعف من حيث الحاجة ثم بعده قوة الوجود وقدرة المكنة ثم بعد ضعف المسكنة.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [الآية 55] القيامة لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا وهي في يوم الجمعة أو لأنها تقع بغتة في مبدأ العاقبة وصارت علماً لها بالغلبة كالكوكب للزهرة ﴿يَقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 55] يحلفون ﴿مَا لَيْتُوا﴾ [الآية 55] في الدنيا أو في البرزخ ما بين الأولى والأخرى ﴿عَبْرَ سَاعَةٍ﴾ [الآية 55] استقلوا مدة لبثهم في الدنيا إضافة إلى مدة عذابهم المتوقع ومكثهم في العقبي ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية 55] مثل هذا الصرف عن التحقيق ﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الآية 55] يصرفون عن طريق التوفيق.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الآية 56] من الإنس والجان وملائكة الرحمن ﴿لَقَدْ لَيْتُنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الآية 56] أي معلومه ومقضيه فيكم أو ما كتبه وأوجهه/ لكم ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الآية 56] ردوا بذلك سبق مقالهم وظنهم بحالهم أ/24 ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الآية 56] الذي أنتم به منكرون ﴿وَلَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 56] حيث كنتم به تكفرون.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ﴾ [الآية 57] لو يعتذرون وقرأ الكوفيون بالتذكير ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الآية 57] لا يدعون إلى طلبهم إزالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا إليه قبل قيام الساعة.

﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الآية 58] يحصل لديه الاستئناس والمعنى بينا لهم من كل مثل نبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسل فيما آتاهم ﴿وَلَيْن حِجَّتْهُمْ بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 58] من آيات القرآن ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 58] من فرط عنادهم وقساوة فؤادهم وفساد اعتقادهم ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا الْمَائِدَةُ: الآيات 106﴾ أيها الرسول والمؤمنون ﴿إِلَّا مُبْطَلُونَ﴾ [الآية 58] مترددون.

﴿كَذَلِكَ يَطَّبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ [الآية 59] الحق ولا يتبعون الصدق.

﴿فَأَصْرَبْ﴾ [الآية 60] على جهلهم وعماهم وسوء عملهم وتحمل آذاهم ﴿إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ﴾ [الآية 60] بنصرتك وإظهار دعوتك وغلبة ملتك ﴿حَقٌّ﴾ [الآية 60] وإنجازه صدق ﴿وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ﴾ [الآية 60] لا يحملنك على القلق والخفة ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ﴾ [الآية 60] بيوم القيامة وقت الندامة وحالة الملامة.

وأفاد الأستاذ: أن قولهم ما لبثوا غير ساعة إنما يكون ذلك لأحد أمرين إما لأنهم كانوا أمواتاً والميت لا إحساس له بما يدرك أوقاتاً أو وعدوا ما لقوا من عذاب القبر ولو كان كثيراً بالإضافة إلى ما يرون ذلك اليوم يسيراً وإن أهل التحقيق يخبرونهم عن طول لبثهم تحت أرضهم وإن ذلك الذي يقولون من جملة ما كانوا يظهرون من جحدهم على موجب جهلهم ثم لا يسمع عذرهم ولا يرفع ضرهم وأخبر بعد هذا في آخر السورة عن إصرارهم وانهماكهم في غيهم وإن ذلك نصيبهم من القسمة إلى آخر أعمارهم ثم ختم السورة بأمره ﷺ من اضطباره على معاناة مسارهم ومضارهم.

سورة لقمان

[مكية]

وهي أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

24/ب قال الأستاذ: بسم الله كلمة من سمعها أقر أنه لم يسمع / مثلها ومن عرفها أنف أن يسمع أو يعرف غيرها كلمة من سمعها طابت قصته وزالت بكل وجه غصته وتمت في الدنيا والعقبى حصته زهد في دنياه من غير رغبة في عقباه إلا بها وإن جلت عن مولاه، كلمة من سمعها لم يرغب في عمارة بنائه ولم يحتشم من سرعة قضائه وفنائه.

﴿الْعَرَّ﴾ [الآية 1] الألف، تشير إلى الآية واللام تشير إلى لطفه وعطائه والميم أمانة إلى مجده وسنائه فبالآية رفع الحجب عن قلوب أوليائه وبلطف عطائه أثبت الحب في أسرار أصفياه وبمجده وسنائه مستغف عن جميع خلقه بوصف كبريائه.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [الآية 2] الجامع للأحكام والحكم والحاكم على سائر الكتب المنزلة المحكمة في بيان الوقائع المفصلة.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 3] حالان عن الآيات ورفعها حمزة على الخبر بعد الخير أو الخير للمبتدأ المقدر وأراد بالمحسنين المؤمنين المنتفعين علماً وعملاً وقالاً أو حالاً.

وأفاد الأستاذ: هو هدي وبيان ورحمة وبرهان للمحسنين العارفين بالله والمقيمين لعبادة الله كأنهم ينظرون إلى الله يعني كما ورد الإحسان أن تعبد

الله كأنك تراه قال: وشرط المحسن أن تكون محسناً إلى عباد الله دانيهم وقاصيهم ومطيعهم وعاصيهم.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [الآية 4] في أوقات الصلاة ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ﴾ [الآية 4] في سبيل الخيرات وطلب المرضاة ﴿بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 4] يستيقنون بما فيها من المجازاة على الطاعات والسيئات بالمشوات والعقوبات.

وقال الأستاذ: يأتون بشرائطها في الظاهر من ستر العورة وتقديم الطهارة واستقبال القبلة والعلم بدخول الوقت والوقوف في مكان طاهر وفي الباطن يأتون بشرائطها من طهارة السر عن العلائق وستر عورة الباطن بتنقيته عن العيوب لأن ما كان فالله يراه، فإذا أردت أن لا يرى الله عيوبك فاحذرهما حتى لا تكون، والوقوف على مكان طاهر وهو وقوف القلب على حد الذي أذن في الوقوف فيه مما لا يكون دعوى بلا تحقيق بل رحم الله من وقف عند حده والمعرفة / بالوقت 25/أ فيعلم وقت التذلل والاستكانة ويتميز بينه وبين وقت السرور والبسط ويستقبل القبلة بنفسه ويعلق قلبه بالله من غير تخصيصه بقطر أو مكان دون غيره.

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية 5] باهتداء قلبهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 5] بإصلاح قلوبهم.

وقال الأستاذ: الذين يقومون بشرائط صلواتهم وحق آداب عباداتهم ثم الذين اهتدوا في الدنيا وسلموا أو نجوا في العقبى.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي﴾ [الآية 6] يختار ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ [الآية 6] ما يلهي عما يعني كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتبار بها عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين كل كلام سوى كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الصالحين فهو لهو ﴿لِيُضِلَّ﴾ [الآية 6] عباد الله ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 6] متابعة دينه وقرأه وقرأه كتابه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح الياء أي ليثبت على ضلاله ويزيد في وباله فاللام للعاقبة في ماله ﴿يَغَيِّرُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 6] بحاله لا في ماضيه ولا في استقباله ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [الآية 6] ويتخذ السبيل سخرية عطف على يشتري ونصبه حمزة والكسائي وحفص عطفاً على يضل ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

مُهَيَّنٌ ﴿ [الآية 6] لإهانتهم طريق الحق اليقين بإتيان الباطل عليه في أمر الدين.

وأفاد الأستاذ: أن لهو الحديث ما يشغل عن الله ذكره وتحجب عن الله سماعه وفكره.

﴿وَإِذَا نُنَّتْ عَلَيْهِ أَيْنُنَا﴾ [الآية 7] ويبين له مصنوعاتنا ﴿وَلَنْ﴾ [الآية 7] أدبر معرضاً عنها ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ [الآية 7] متكبراً لا يعبأ بها ولا يلتفت إليها ﴿كَانَ لَمْ نَسْمَعَهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [الآية 7] ثقلاً يمنعه عن سماعها ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 7] أخبره بعذاب مؤلم وأعلمه بحجاب محكم.

وأفاد الأستاذ: أن المعترف بتهمته والمنتشبه بعلته لا يزيد بعلته لا يزيده كثرة الوعظ إلا نفوراً عن ربه وتباعداً عن قربه فسماعه كلا سماع ووعظه هباءً وضيعاً.

إذا أنا عاتبت المملول فإنما أخط بأقلامي على الماء أحرفاً

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ﴾ [الآية 8] في دار المقيم.

﴿خَلِيدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ [الآية 9] وإخباره صدقاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 9] الغالب على مراده ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 9] فيما أراد بعباده.

وقال الأستاذ: آمنوا صدقوا / وعملوا الصالحات حققوا فاتصاف بتحقيقهم إلى تصديقهم فنجوا وسلموا فهم في راحتهم مقيمون دائمون لا يبرحون.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الآية 10] سبق في الرعد بيانها ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا﴾ [الآية 10] جبلاً ثوابت لكم ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [الآية 10] كراهة أن تميدكم ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الآية 10] مطر الرحمة ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 10] من كل صنف كثير المنفعة وفيه دلالة كمال القدرة وتمام الحكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمسكها بقدرته من غير عماد وحفظها لا إلى إسناد ولا مستند إلى أوتاد بل بحكم الله وتقديره ومشيته وتديره والرواسي في

الظاهر الجبال وفي الحقيقة الأبدال الذين هم الأوتاد من الرجال بهم يرزقهم ويستقيهم ويصرف البلاء عن دانيهم وقاصيهم وأنزل من السماء الظاهر في رياض الخضرة ومن سماء الباطن في رياض أهل الدنو والحضرة.

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ العزيز في كبريائه ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية 11] أي مما تعبدونه من غيره ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية 11] المشركون في الدين ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 11].

وقال الأستاذ: هذا خلق الله العزيز في كبريائه فأروني ماذا خلق الذين عبدتم من دونه في أرضه وسمائه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ﴾ [الآية 12] أي ابن باعورا من أولاد آزر ابن أخت أيوب أو خالته وعاش حتى أدرك داوود عليه السلام في زمن نبوته وأخذ منه العلم في شريعته وكان يفتي قيل بعثته فلما بعث ترك الفتوى فقبل له في ذلك فقال: ألا أكتفي إذا كُفيت هنالك والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً و﴿الْحِكْمَةَ﴾ [الآية 12] في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية على قدر طاقة البشرية ومجمل القضية أن الحكمة هي اتقان العلوم والأعمال الشرعية ومن حكمته أنه صحب داوود شهوراً وكان يسمر الدرع فلم يسأل عنها فلما أتمها لبسها قال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال الصامت: حكم الله، أي حكمه، وقيل: فاعله أي مستعمله ومنها أن داوود قال له: يوماً كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت في يد غيري فتفكر داوود عليه السلام / فصعق صعقة 26/أ ومنها أنه أمر بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتي باللسان والقلب ثم أمر بأن يأتي بأخبث مضغتين فأتى بهما أيضاً فسئل عن ذلك فقال: هي أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ﴾ [الآية 12] أن مصدرية أو تفسيرية ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 12] لأن نفعه عائد إليها من استحقاق مزيد النعمة واستدامتها عليها ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ [الآية 12] عن شكر، غير مبالٍ بكفره ﴿حَمِيدٌ﴾ [الآية 12] محمود نطق بحمده جميع خلقه إما ببيان القول أو بلسان الحال.

قال أبو عثمان: لا يكون الحكيم حتى يكون حكيماً في قوله حكيماً في فعله حكيماً في معاشرته بأهله.

وقال السري: الشكر أن لا يعصى في نعمه وقال جنيد: الشكر أن لا يرى معه شريكاً في نعمه.

وقال الحريري: الشكر أن لا تحرس لسانك عن النطق بالشكر علماً بأن أخرسه العجز.

وقال الأستاذ: أن الحكمة هي الإصابة في العقل والفعل والنطق ويقال ﴿الْحِكْمَةُ﴾ [الآية 12] أن لا يكون تحت سلطان الهوى والشهوة ويقال ﴿الْحِكْمَةُ﴾: الكون يكون لمن له الحكم ويقال: ﴿الْحِكْمَةُ﴾ معرفة قدر نفسك حتى لا تمتد رجلك خارجاً عن كسائك ويقال: ﴿الْحِكْمَةُ﴾ أن لا تستعصي على من تعلم إنك لا تقاومه ثم حقيقة الشكر انفتاح عين القلب لشهود ملاطفات الرب فإنه في اللغة مقلوب قولهم كشرت عن أسنان الدابة ويقال: الشكر تحققك بعجزك عن شكره ويقال: الشكر حال يحصل به كمال استلذاذ النعمة ويقال: الشكر لفضله يظهر على اللسان من ابتلاء القلب من السرور فينتطق بمدح المشكور.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبِيهِ﴾ [الآية 13] اختلف في اسمه ﴿يَبْنَى﴾ [الآية 13] لا تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [الآية 13] ما عداه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 13] فيمن عصاه لأنه تسوية بين من لا نعمة منه وبين من لا يتصور أن يصدر نعمة عنه.

وأفاد الأستاذ: أن الشرك الجلي عبادة الأصنام والخفي حسابان شيء من الحدثان في الأنام ويقال: الشرك ظلم على القلب والمعاصي ظلم على النفس فظلم النفوس بعرض الغفران وظلم القلوب لا سبيل إليه للغفران.

ب/26 ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا﴾ [الآية 14] / أي ذات وهن ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [الآية 14] يعني بضعف ضعفها فوق ضعف فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها ﴿وَفَضَّلْهُ فِي عَاصِمٍ﴾ [الآية 14] وفضله من انقضاء عامين وكانت مرضعة في تلك المدة ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ﴾ [الآية 14] نعمة التربية عليك تفسير لوصيتنا

والجملة المعترضة مؤكدة للتوصية في حقها ولذا ورد «بر أمك ثم أمك ثم أمك ثم أمك» ولعل وجه زيادة الكلام بالمرات لاختصاصها بمشقة الحمل والوضع والرضاع ولا يبعد أن عدم ذكر الوضع من باب الطهور والاكتفاء ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [الآية 14] فأحاسبك على شركك وكفرك على اليسير والكثير.

وعن ابن عيينة من صلى صلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه⁽¹⁾.

﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الآية 15] أي باستحقاقه والمراد بنفي العلم به نفي وجوده ﴿فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾ [الآية 15] في ذلك إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [الآية 15] وصحاباً يرتضيه حكم الشرع ويقتضيه كرم الطبع ﴿وَأَتَّبِعْ﴾ [الآية 15] في أمر الدين ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [الآية 15] في باب اليقين من التوحيد والإخلاص المبين ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 15] مرجعك ومرجعهما مع سائر الخلق أجمعين ﴿فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 15] فأجازيكم بأعمالكم على حسب أحوالكم وفي الآية أي إلى منع تجويز اقتداء الأبناء بالآباء في غير طريق الأنبياء.

قال عبدالله بن المبارك: لا تقطع أيديهما عن مالك ولا تدع لنفسك معهما ملكاً كذلك. وقال بعضهم: اجعل لهما ظاهرهما من الشفقة والخدمة واجعل باطنك له سبحانه في الطاعة والحرمة.

وقال الأستاذ: أوجب الله شكر نفسه وشكر الوالدين على عبده ولما حصل الإجمال على أن شكر الوالدين بدوام طاعتها أو لا يكفي فيه مجرد القول ما لم يكن فيه موافقة الفعل وذلك بالتزام الطاعة واستعمال وجه الطاعة دون صرفها في الزلة فشكر الحق بالتعظيم والتكبير وشكر الوالدين بالإشفاق والتوقير قال: ﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِى﴾ [الآية 15] أي بالله وتسعى بما هو زلة في أمر الله فلا تطعهما ولكن عاشرهما بالجميل تحسين في تلوين فاجعل

(1) انظر تفسير حقي (10/411).

أ/27 لهما ظاهره فيما ليس فيه حرج وانفرد / بسرّك الله حتى يأتيك فرج.

﴿يَبْتِئُ إِنَّهَا إِنْ تَكُ﴾ [الآية 16] أي الخصلة من الإحسان أو الإساءة
 ﴿وَمَثَقَالَ حَبَكَةً مِنْ خَرْدَلٍ﴾ [الآية 16] أي كحبة الخردل مثلاً في صغر الحبة وقرأ
 نافع برفع مَثَقَالَ على أن الهاء ضمير القصة وكان تامة وثانيها لإضافة المَثَقَالَ إلى
 الحبة أو لأن المراد به الحسننة أو السيئة ﴿فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ﴾ [الآية 16] مجوفة ﴿أَوْ
 فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الآية 16] العلوية ﴿أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 16] السفلية ﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾
 [الآية 16] يحضرها فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الآية 16] يصل علمه
 إلى كل ما خفي عن غيره خبير عالم بكنهه.

وقال الأستاذ: عالم بدقائق الأمور وخفياتها من ذوات الصدور.

﴿يَبْتِئُ أَقْبِرِ الصَّلَاةَ﴾ [الآية 17] تكميلاً لنفسك ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ﴾ [الآية 17] تكميلاً لغيرك ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [الآية 17] من المهالك
 لا سيما في ذلك، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 17] أي الصبر أو جميع ما سبق من الأمر
 ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الآية 17] مما عزمه وأوجه الله من الأمور التي قدرها وقضاها.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر بالمعروف يكون بالقول وأبلغه أن يكون
 بامتناعك بنفسك عما تنهى عنه واشتغالك واتصافك بنفسك بما تأمر به غيرك
 ومن لا حكم له على نفسه لا ينفذ حكمه على غيره والمعروف الذي يكون به
 الأمر ما يوصل العبد إلى الله والمنكر الذي يجب النهي عنه ما يشغل العبد
 عن مولاه وفي قوله: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [الآية 17] تنبيه نبيه على أن من قام
 لله بحق امتحن في الله فسبيله أن يصير الله فإن من صبر لله لم يخسر على الله.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 18] لا تمل صفحة وجهك عنهم كما يفعله
 المتكبرون بينهم وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر ﴿وَلَا تَمْشِ فِي
 الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ [الآية 18] أي فَرِحًا أو فَرِحًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ [الآية 18]
 ماش بالخيلاء ﴿فَخُورٌ﴾ [الآية 18] مفتخر بماله وجاهر على الضعفاء.

وقال الأستاذ: يعني لا تتكبر على الناس وطالعهم من حيث النسبة
 هناك وتحقق بأنك بمشهد مولاك ومن علم أن مولاه ينظر إليه لا يتكبر ولا

يتناول بل يتخاضع ويتضاءل.

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [الآية 19] توسط فيه فإن الاقتصاد في جميع المواد هو المراد ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [الآية 19] واخفض منه وانقص عنه ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ [الآية 19] أوحشها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [الآية 19] / من بين الحيوانات فإن 27/ ب يبالغ في رفعه صوته في جميع الحالات.

قال سفيان الثوري: صوت كل شيء تسييح الرحمن إلا صوت الحمير فإنها تصيح برؤية الشيطان ولذا يكون منكراً بل أنكر.

وقال الأستاذ: كن فانياً عن شواهدك مصطلماً عن صولتك مأخوذاً من حولك وقوتك متنشقاً بها استولى عليك من كشوفات شرك وانظر من الذي يسمع صوتك حين تستفيق من خممار غفلتك وفي قوله: أن أنكر الأصوات من الإشارة أنه الذي يتكلم في لسان المعرفة قبل أوانه من غير إذن من الحق في شأنه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 20] بأن جعلهما أسباباً محصلة لمعاشكم وفق مرادكم وميسرة لأخذ زادكم إلى معادكم.

وقال الأستاذ: إذا أثبت في كل شيء منها نفعاً لكم في السماء لتكون لكم سقفاً والأرض لتكون لكم فراشاً والشمس لتكون لكم سراجاً والقمر لتعلموا بها عدد السنين والحساب والنجوم لتتهدوا بها يعني وأمثالها مما لا يمكن إحصاؤها ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾ [الآية 20] محسوسة ومعقولة معروفة ومجهولة وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بالجمع والإضافة قيل النعم الظاهرة العافية والأمان والنعم الباطنة الرضوان والغفران.

وقال ابن عطاء: النعم الظاهرة الإسلام والنعم الباطنة الإيمان.

وقال أبو بكر الوراق: النعم الظاهرة استواء الخلق والنعم الباطنة اعتدال الخلق وقال: النعم الظاهرة صحبة أولياء الله والنعم الباطنة هي الرجوع إلى الله.

وأفاد الأستاذ: أن الإسباغ ما يفضل عن قدر الحاجة ولا يحتاج معه

إلى الزيادة وتكلموا في النعم وأكثروا فالظاهر وجود النعمة والباطنة شهود المنعم الظاهرة الدنيوية والباطنة الدينية الظاهرة حسن الخلق والباطنة حسن الخلق الظاهرة نفس بلا زلة والباطنة قلب بلا غفلة الظاهرة العطاء والباطنة الرضا الظاهرة في الأموال ونمائها والباطنة في الأحوال وصفائها ويقال الظاهرة تسوية الخلق والباطنة تصفية الخلق الظاهرة الزهد في الدنيا الباطنة الاكتفاء / بالمولى من الدنيا والعقبى الظاهرة الزهد والباطنة الوجد والظاهرة توفيق المجاهدة الباطنة تحقيق المشاهدة الظاهرة اشتغالك بنفسك عن الخلق الباطنة اشتغالك عن نفسك بالحق الظاهرة طلبه الباطنة وجوده الظاهرة أن تصل إليه الباطنة أن تبقى معه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ [الآية 20] في توحيد ذاته أو تحقيق صفاته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية 20] مستفاد من دليل معقول ﴿وَلَا هُدًى﴾ [الآية 20] مستدل منقول راجع إلى رسول ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 20] أنزل الحق إلى الخلق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية 21] وتبين فيه هداية ﴿قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا جَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [الآية 21] أي سلفنا ﴿أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ [الآية 21] الضمير لهم أو لأبائهم ﴿إِنِّي عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الآية 21] إلى ما يؤول إليه من تقليد الإباء وترك متابعة الأنبياء وما أنزل الله من السماء.

﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 22] بأن فوض أمره إلى الله وأقبل بكلية عليه فالإسلام بمعنى التسليم ويؤيد قراءة الأعمش بتشديد اللام ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [الآية 22] في علمه وعمله ﴿فَقَدَرْنَا مَنَافِعَ الْوَفْقِ﴾ [الآية 22] تعلق بأوثق ما يتعلق ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الآية 22] إذا لكل صائر إليه وحاضر لديه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ﴾ [الآية 23] فإنه لا يضرك بل ضرره على نفسه ﴿إِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ [الآية 23] في دنياهم وأخرهم ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ [الآية 23] فنخبرهم بأعمالهم ونجازيهم بحسب أحوالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية 23] فضلاً عن ظواهر الأمور.

﴿نَمِيعُهُمْ قَلِيلًا﴾ [الآية 24] تمتيعاً أو زماناً قليلاً فإن ما يزال بالنسبة إلى ما

يدوم قليل ولو قدر كثير وطويل.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الآية 25] إذ لا جواب لهم سواه ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 25] على إلزامهم إلى الاعتراف بمناقض كلامهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 25] إن ذلك خلاف مرامهم.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 26] لا يستحق العبادة فيهما سواه ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [الآية 26] عن عباده العالمين ﴿الْحَمِيدُ﴾ [الآية 26] المحمود على لسان الخلق أجمعين.

وقال الأستاذ: لم ينحظر أمنهم ولا من أمثالهم ولم يهتدوا إلى محول أحوالهم فأما من أسلم نفسه وأخلص في الله قصده فقد استمسك بالعروة الوثقى وسلك الحجة المثلى ومن كفر فلا يحزنك / كفره إلينا إياهم ومنا 28/ ب عذابهم وعلينا حسابهم ولئن سألتهم عن خالقهم لأقروا ولكن إذا عادوا إلى غيهم نقضوا وأصروا ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 26] ملكاً ويجري فيهم حكمه حقاً وإليه مرجعهم حكماً حتماً.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [الآية 27] ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً ﴿وَالْبَحْرِ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [الآية 27] والبحر المحيط لسبعة مداد وممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام والمداد أبد الآباد ﴿مَا تَقَدَّتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ [الآية 27] أي أحكامه وقضاياه لتنامي مخلوقاته وعدم تناهي معلوماته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية 27] لا يعجزه شيء في قدرته ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 27] لا يخرج أمر عن علمه وحكمته وقرأ أبو عمرو والبحر بالنصب عطفاً على اسم أن وغيره بالرفع للعطف على محل أن ومعمولها ويمده حال أو للابتداء على أنه مستأنف أو الواو للحال.

وقال الأستاذ: ما نفدت معاني كلمات الله لأن هذه الأشياء وإن كثرت فهي متناهية ومعاني كلامه لا تنهت لأنها قديمة أي أبدية وأزلية هذا بيان العلم من حيث تحقيق العبارة وأما الإشارة فيه ما نفدت معاني ما لنا معك من الكلام والذي نسمعك فيما نخاطبك به من المرام لأنك معنا أبد الأبد

بوصف الدوام ونعت المدام .

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَّيْنٍ وَحَدَّةً﴾ [الآية 28] إلا كخلقها وبعثها من غير تفرقة ولا احتياج إلى معالجة على كل حدة إذ لا يشغله شأن عن شأن فيستوي عنده الكثرة والوحدة حيث يكفي لوجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما أشار إلى هذا المعنى المكنون لقوله: أي أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية 28] يسمع كل مسموع في آن ﴿بَصِيرٌ﴾ [الآية 28] يبصر كل مبصر في كل زمان ومكان لا يشغله شأن عن شأن .

وأفاد الأستاذ: أن إيجاد القليل والكثير عنده سيان لا من الكثير مشقة وعسر ولا من الصغير راحة ويسر إنما قوله: ﴿إِذَا أَرَادَ أَرْادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية 82] يقول بكلمته ولكنه يكونه بقدرته لا بمزاولة جهد ولا باستفراغ وسع ولا بدعاء خاطر ولا بطريان غرض .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ أَلَيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي أَلَيْلٍ﴾ [الآية 29] سبق معناه ومر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ النَّبِيِّينَ﴾ [الآية 29] من النيرين ﴿يَجْرِي﴾ [الآية 29] في فلكه ﴿إِنَّ أَجَلَ مُسَكَّنٍ﴾ [الآية 29] إلى منتهى معلوم لسيره ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 29] عالم بكنه أعمالكم من كبير وصغير من تقيير وقطمير .

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 30] ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنعة وغرائب الحكم ﴿يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الآية 30] الكائن الموجود المحقق ومحقق وجود الخلق المطلق ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ أَلْبُطُلٌ﴾ [الآية 30] المعدوم في حد ذاته والمضمحل في آثار صفاته وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير أبي بكر بالغيبة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ شأنه ﴿الْكَبِيرُ﴾ [الآية 30] سلطانه .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ [الآية 31] أي أشر رحمته ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ [الآية 31] الدالة على جمال قدرته وكمال حكمته وشمول نعمته .

قال الأستاذ: في الظاهر سلامتهم في السفينة وفي الباطل سلامتهم في حدثان الكون ونجاتهم في سفائن العصمة في بحار القدرة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَأَيَّتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ ﴿[الآية 31] في المحن ﴿شُكُورٍ﴾ [الآية 31] على المنن كما هو نعت المؤمن فقد ورد أن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر.

قال الأستاذ: صبار وقوف لا ينهزم من البلايا شكور على ما يصيبه من تصارييف القضايا من جنس البلايا والعطايا.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ [الآية 32] غطاهم وعلاهم ﴿مَوْجٌ﴾ [الآية 32] أي بعد موج ﴿كَالظَّلِيلِ﴾ [الآية 32] كما يظل من السحاب أو الجبل ﴿دَعَاُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [الآية 32] لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما أصابهم من الخوف الشديد ﴿فَلَمَّا بَجَعْتُهُمْ إِلَىٰ آلِهِ فَمِنَهُمْ مُّقْنَصِدٌ﴾ [الآية 32] مقيم على طريق القصد الذي هو التوحيد والوجد أو متوسط في الكفر لانزجاره بعض الزجر ﴿وَمَا يَحْتَدُّ بِثَابِتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [الآية 32] غدار فإنه نقض للعهد الفطري أو للوعد البحري ﴿كَفُورٍ﴾ [الآية 32] صاحب الكفر والكفران فهو في مقابلة شكور كما أن ختار في مقابلة صبار لأن القدر لا يكون إلا من عدم الصبر.

وقال الأستاذ: إذا تلاطمت عليهم أمواج بحار التقدير وإظهار القدرة تمنوا أن تلفظهم تلك البحار إلى سواحل السلامة فإذا جاء الحق يتحقق منا هم عادوا إلى رؤوس خطاياهم.

﴿تَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الآية 33] أي مخالفته والزمو طاعته / ﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا﴾ 29/ ب
لَا يَجْرَى ﴿[الآية 33] لا يقضي فيه ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ [الآية 33] والمعنى لا يقدر على جلب نفعه ولا سلب ضره ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ [الآية 3] عطف على والد أو مبتدأ خبره ﴿هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [الآية 33] من نفع الغنى أو دفع العناء ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 34] بالشواب والعقاب ﴿حَقٌّ﴾ [الآية 33] ثابت يوم الحساب ﴿فَلَا تَعْرَنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الآية 33] عن القيام باهتمام أمر العقبى فإن بهجة الدنيا مخيلة لأهلها مع سرعة زوالها ﴿وَلَا يَعْزَنُكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ﴾ [الآية 33] أي الشيطان يؤملكم المغفرة ويسوفكم التوبة فيجزيكم على المعصية.

قال السلمي في تفسيره: قيل من اعتمد على غير الله فهو في غرور لأن الغرور ما لا دوام له في الحضور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخوفهم مرة بأفعاله فيقول اتقوا يوماً ومرة بصفاته يقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِإِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ﴾ [العلق: الآية 14] ومرة بذاته بقوله: ﴿وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: الآية 28] إن وعد الله بالحشر والنشر حق وصدق فلا يغرنكم سلامتكم في الحال فعن قريب ستندمون في المآل.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الآية 34] عند وقت قيامها ﴿وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [الآية 34] في وقته المقدر لنزوله والمحل المعين له في علمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [الآية 34] من ذكر أو أنثى أو تام أو ناقص أو خشي.

قال قاسم: من مؤمن وكافر ومطيع وفاجر ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [الآية 34] من خير وشر وربما تعزم على شيء أن تفعله وتفعل خلافه والغد عند أرباب التحقيق وأصحاب التوفيق عبارة عن النفس الثانية الآتية فليحذر النفس العاصية الآتية ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [الآية 34] كما لا تدري في أي وقت تموت وقيل: بأي أرض بأي قدم أو مقام في يقظة أو منام وقيل: بأي محل تُدفن وإنما جعل العلم لله والدراية للعبد لأن فيها معنى الحيلة ولذا لا يوصف الله بها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الآية 34] يعلم سرائرها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام مفاتيح الغيب الخمس لا يعلمهن إلا الله وتلا هذه الآية: ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: الآية 59].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تفرد بعلم القيمة وتفصيل ما فيها ويعلم ما في الأرحام ذكورها وإنائها وشقيها وسعيدها وحسنها وقبيحها / متى ينزل الغيث وكم قطرة ينزلها وبأي بقعة يمطرها وما تدري نفس ماذا تكسب غداً من وفاق وشقاق وما تدري نفس بأي أرض تموت ولا أن يدرك مراده أو يفوت.

سورة السجدة

[مكية]

وهي ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها ربيع الجميع، من العاصي والمطيع والشريف والوضيع، من أصغى إليه بسمع الخضوع ترك أطيب الهجوع ومن أصغى إليه بسمع المحاب ترك لذيذ الطعام والشراب.

﴿الْعَمَّ﴾ [الآية 1] الإشارة في الألف أي ألف المحييين تقريبي فلا يصبرون عني وألف العارفين تمجيدي فلا يستأنسون بغيري والإشارة في اللام أي لأحبائي مدخر لقائي فلا أبالي أقاموا على ولائي أم قصروا في وفائي والإشارة في الميم أي ترك أوليائي مرادهم لمرادي فكذلك أثرتهم على جميع عبادي.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [الآية 2] مبتدأ خبره ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 2] لأن نافي الريب معه وهو كون معجزاً بمبانيه ومعانيه ﴿مَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 2] أي هو من عنده لتربيتهم وإصلاح طويتهم.

وأفاد الأستاذ: إذا اعتر لقاء الأحباب فأعز الأشياء على الأحباب كتاب الأحباب فالمعنى أنزلت على أحبابي كتابي وجلت إليهم بالرسالة خطابي ولا عليهم إن قرع أسماعهم عتابي فإنهم في أمان من عذابي.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْتَهُ﴾ [الآية 3] أتقولون اختلقه واخترعه من هواه ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 3] الثابت النازل من عند ربك ﴿لِشَنْذَرِ قَوْمًا﴾ [الآية 3] أي عقاباً ﴿مَا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [الآية 3] من جهته نذير كائن ﴿مَنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ

يَهْتَدُونَ ﴿ [الآية 3] بإنذارك فما موصولة على ما اختاره صاحب البحر ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: الآية 24] والجمهور على أن ما نافية فإنه ما أتاهم رسول منهم مبعوث إليهم ينذرهم وإن كانوا ملزمين بشرائع الرسل قبلهم وكانوا مقصرين في البحث عنها لا سيما دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وقال الأستاذ: بل هو الحق من ربك الذي لكم من حقيقته الأنبياء وإن التبس على الأعداء فليس يضركم ولا عليكم فإن صحبة الحبيب مع الحبيب ألد ما يكون مقروناً بفقد الرقيب.

ب/30 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الآية 4] مرّ بيانه وسبق برهانه.

وأفاد الأستاذ: أن تلك الأيام خلقها من خلق سائر الأنام وليس من شرط المخلوق ولا من ضرورته أن يخلقه في وقت إذ الوقت مخلوق في غير الوقت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الآية 4] ولكن القديم ليس له حد ولا يجوز عليه قرب بالذات ولا بُعد استوى على العرش لكنه صمد بلا ند وأحد بلا حد ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية 4] من عند غيره أو ﴿مَنْ﴾ [الآية 4] دون أمره ﴿وَلَيْ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ [الآية 4] يتولى نصركم ويدفع ضرركم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 4] بمواعظ الله فتعتبرون.

وقال الأستاذ: وإذا لم يرد بكم خيراً فلا سماء عنه تظلكم ولا أرض بغير رضاه تقلكم ولا بالجواهر أحد يتاجركم وإذا لم يعين بشأنكم في الدنيا والآخرة أحد ينظر إليكم.

﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الآية 5] يدبر أمر الدنيا إلى يوم القيامة منزلاً من السماء إلى الأرض فإن السماء محل حكمه والأرض منزل أمره ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ [الآية 5] يصعد الأمر إليه ويثبت ما وقع لديه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الآية 5] وهو من يوم القيامة الذي كله خمسون ألف سنة يوم يعرض فيه الأعمال وهو يوم يطول على بعض ويقصر على بعض

بحسب اختلاف الأحوال وتفاوت الأحوال فقوله في يوم ظرف ليعرج لا ليدبر أو معناه نزول الملك بتدبير الدنيا وعروجه في يوم واحد أيام الدنيا ولو قطعه أحد من بني آدم لما قطعه إلا في ألف سنة لأن المسافة بين السماء والأرض خمسمائة فالنزول والعروج لا يمكن إلا بألف سنة والملائكة يقطعونها في يوم واحد قاله مجاهد والضحاك وقتادة: وعلى هذا يوم ظرف ليدبر وضمير إليه للسماء فتدبروا.

وأفاد الأستاذ: أن الحق خاطب الخلق على مقدار أفهامهم وتجاوز لهم عن الحقائق التي اعتادوا في مخاطبتهم لمرامهم.

﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ غَلِيْبٌ وَالشَّهَادَةُ﴾ [الآية 6] السر والعلانية ﴿الْعَزِيْزُ﴾ [الآية 6] الغالب على أمره وفق تقديره ﴿الرَّحِيْمُ﴾ [الآية 6] على عباده بحسب تدبيره.

قال سهل: طوبى لمن رزق الرضا بتدبير الله وأسقط عنه سوء تدبيره وتعلقه بمن عداه.

وقال الأستاذ: ﴿الْعَزِيْزُ﴾ [الآية 6] مع المطيعين ﴿الرَّحِيْمُ﴾ [الآية 6] مع العاصين ﴿الْعَزِيْزُ﴾ للمطيعين ليكسر صولتهم ﴿الرَّحِيْمُ﴾ للعاصين ليحبر زلتهم.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [الآية 7] / بدل من كل بدل الاشتمال أي 31/ أ اتقن خلق كل شيء ذا حكمة على وفق ما يستعده وبحسب ما يليق به بمقتضى الحكم والمصلحة في وجوده وقرأ نافع والكوفيون خلقه بفتح اللام وعلى أنه جملة فعلية صفة لكل أو شيء ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ [الآية 7].

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ [الآية 8] وذريته ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾ [الآية 8] خلاصة ﴿مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [الآية 8] ممتهن حقير.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ [الآية 9] وقومه بتصوير أعضائه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [الآية 9] إضافة إلى نفسه تشريفاً له وإنما إلى اصطفائه وإشعاراً بأن له في الخلقة البشرية مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية ولأجل ذلك قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [الآية 9] خصوصاً من بين الخليقة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا وتشكروا ﴿فَلْيَلْمُوا﴾ [الآية 9] ما زائدة أي شكراً

﴿تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 9] ولذا لا تؤمنون ولا تعتبرون وفي الكلام الثقات من مفرد مغايب إلى جمع مخاطب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أحسن صورة كل شيء فالعرش ياقوتة حمراء والملائكة أولي أجنحة مثني وثلاث ورباع وجبريل طاووس الملائكة والحرور العين كما في الخبر من جمالها وشكلها والختان كما في الأخبار ونص القرآن فإذا انتهى إلى الإنسان قال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿[الإنسان: الآيتان 7، 8] كل هذا ولكن قيل:

وكم أبصرت من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختياري

خلق الإنسان من طين ولكن يحبهم ويحبونه و﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ﴾ [الآية 7] ولكن رضي الله عنهم ورضوا عنه وخلق الإنسان من طين ولكن قال لهم: ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: الآية 152].

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 10] أي كفار مكة ﴿أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 10] صرنا تراباً مخلوطاً بترابها أو غبنا فيها ﴿أءَأَنَّا لِنَبْلُغَ لَهَا جَدِيدًا﴾ [الآية 10] أي أنبعث أو يجدد خلقنا منها بل هم بلقاء ربهم بالبعث وما بعده كافرون جاحدون.

وقال الأستاذ: لو كان لهم ذرة من العرفان وشمة من الاشتياق إلى الرحمن لما تعصوا في إنكار جواز الرجوع إلى ربهم ولكن كما قال ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [الآية 10].

﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية 11] يستوفي نفوسكم ويقبض روحكم لا يترك منها شيئاً أو يبقي منكم أحداً ﴿مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي يُكَلِّمُكُمْ﴾ [الآية 11] بقبض / أرواحكم وإحصاء آجالكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 11] لجزاء أعمالكم وحساب أحوالكم وفي حديث رواه ابن حاتم وغيره إن ملك الموت قال: «يا محمد ما في الأرض من بيت مدر ولا شعر إلا أنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى إنني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم»⁽¹⁾.

(1) واللفظ: «قال: نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال =

وعن بعض المحققين إن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَنفُوكُم مَّا كَلَّمَتِ الْمَوْتِ الَّذِي نُكَلِّمُكُمْ﴾ [الآية 11] مجاز والله يتوفى الأنفس حقيقة.

وأفاد الأستاذ: إنه لولا غفلة قلوبهم لما أحال قبض أرواحهم على ملك الموت أن ملك الموت لا أثر منه في أحد ولا تصرف له في نفسه فما يحصل في المتوفى من الخلق فمن خصائص قدرة الحق ولكن غفلوا عن شهود حقائق ربهم فخطبهم على مقدار فهمهم وعلق بالاعتبار قلوبهم فكل يخاطب بما احتمال على قدر قوته وضعفه في مقامه وحاله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ [الآية 12] مطأطئوها ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 12] من حياتهم وندمهم قائلين ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ [الآية 12] ما وعدتنا وكذبنا ﴿وَسَمِعْنَا﴾ [الآية 12] منك تصديق ما أخبر رسلك عنك ﴿فَارْجِعْنَا﴾ [الآية 12] فردنا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [الآية 12] ينفع في العقبي ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 12] وجواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيماً وشاهدت حالاً شنيعاً ولو رُدَّ كلامهما للماضي فإن الثابت في علم الله بمنزلة الواقع في منتهاه.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [الآية 13] أي هدايته الموصلة إلينا بتوفيق الإيمان بنا وتحقيق الإحسان لدينا ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [الآية 13] ثبت قضائي وسبق وعيدي على جمع بالبعد يعني ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 13] أي الذين هم أشقياء في الكتاب المبين.

﴿فَذُوقُوا﴾ [الآية 14] أي فيقال لهم على سبيل التقرير فذوقوا ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الآية 14] بما تركتم اعتقاده وأهملتم زاده ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ [الآية 14] تركناكم من الرحمة أو العقوبة ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ [الآية 14] الذي كنتم تنكرون ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 14] من الكفر والمعصية والآية جواب من قولهم ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [الآية 12] يعني لو أردنا لهديناكم في الدنيا لكن ما

= له النبي ﷺ: ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: يا محمد طب نفساً وقر عيناً فإنني بكل مؤمن رقيق واعلم أن ما من أهل بيت... انظر تفسير القرطبي (14/93) والفتاوى الحديثية لابن حجر (1/60) وتذكرة الموتى (1/83).

أردنا فذوقوا العذاب المقدر في العقبي/ بسبب كسبكم العقائد الفاسدة والأعمال الكاسدة ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية 28] قبل لو شئنا لهديناهم أجمعين إلى طريق الجنة ولم ينقص ذلك من ملكنا ولكن عذبنا ليظهر العدل كما أنعمنا ليظهر الفضل.

وقال الأستاذ: يعني لو شئنا لسهلنا لكل أحد سبيل التحقيق وأدمننا طريق التوفيق ولكن تعلق المشيئة بإغواء قوم كما تعلقت بأدنى فريق وأردنا أن يكون للنار فكان كما أردنا أن يكون للجنة سكان ويقال: من لم يتسلط عليه من يحبه لم يُجر في ملكه ما يكرهه ويقال: يا مسكن أفنيت عمرك في الكد والعناء وأمضيت أيامك في الجهد والرجى غيرت صنعتك وأكثرت مجاهدتك فما تفعل في قضائي كيف تبدل له وما تصنع في مشيئتي بأي وسع ترددها وفي معناه أنشدوا:

شكا إليك ما وجد من خافه فيك الجلد
حيران لو شئت اهتدى ظمآن لو شئت ورد
فتقاس من الهوى ما استوجبه بعصيانك واخلد في دار الخزي بما استلفته
من كفرانك.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 15] أي بموجب علاماتنا ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ [الآية 15] وعظروا بما فيها ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ [الآية 15] سقطوا على وجوههم ساجدين تواضعاً لله وانقياداً لما قضاه أو خوفاً من نزول عذابه أو حلول حجابهِ ﴿وَسَخَّوْا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 15] نزهوه حامدين له على ما من عليهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 15] عن الإيمان به وعن القيام بطاعته وعن متابعة كتابه ورسله وعن السجود في أوقاته.

وأفاد الأستاذ: اعلم أنهم خرُّوا بظواهرهم في محراب السجود والركوع وفي سرائرهم على تراب الخضوع وبساط الخشوع بنعت الذبول وحكم الخمول ويقال: كيف يستكبر من لا يجد كمال راحته لا حقيقة أنسه ولذته إلا في تذلل بين يدي معبوده في طاعته لا يؤثر عاقل جحيمه على نعيمه ولا شقاه على تقاته.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ [الآية 16] تتباعد وتنتحي ﴿عَنِ الْمَصَاجِعِ﴾ [الآية 16] مواضع النوم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الآية 16] داعين إياه ﴿خَوْفًا﴾ [الآية 16] من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 16] في ثوابه / ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 16] في وجوه 32/ب مرضاته.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها: قيام العبد في الليل والمراد به التهجد لما في الأحاديث المعتمدة عن الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم⁽¹⁾. وقيل: هم الذين يصلُّون صلاة العشاء لا ينامون عنها فقد رواه ابن جرير بإسناد جيد⁽²⁾ عن أنس هو انتظار صلاة العتمة، وعن يعض هو صلاة العشاء والصبح بجماعة، وعن بعض هو صلاة الأوابين بين العشاءين، وهذا قول أنس أيضاً وعكرمة وقتادة ومحمد بن المنكدر وابن حازم.

قال ابن عطاء: شيء يخافت أن تسكن على بساط الغفلة وطلب بساط المناجاة القربة قيل خوفاً من القطيعة وطمعاً في الوصلة.
وقال جعفر: خوفاً منه وطمعاً فيه.

وقال الأستاذ: تتجافى جنوبهم في الظاهر عن الفراش قياماً نحو العبادة والجهد والتهجد وفي الباطن تتباعد قلوبهم عن مضاجعة الأحوال ورؤية قدر النفس وتوهم المقام في الأعمال أن ذلك بجملته حجاب عن الحقيقة والكمال فلا يساكنون أعمالهم ولا يلاحظون أحوالهم ويفارقون مالهم ويهجرون في الله معارفهم والليل زمان الأحباب قال تعالى: ﴿لَيْسَ كُنُوفِيهِ﴾ [يونس: الآية 67] يعني عن كل شغل سوى حديث محبوبهم والنهار زمان أهل الدنيا قال تعالى: ﴿النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: الآية 11] أولئك قال لهم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: الآية 10] إذا ناجيتمونا

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (346/5) رقم (3196)، وأحمد في المسند (232/5) رقم (22075).

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (109/3) رقم (4527).

بركعتين في الجمعة فعودوا إلى متجركم واشتغلوا بحرفتكم في الجملة وأما الأحباب فالليل لهم إما في طرب التلاق أو في جوب الفراق فإن كانوا في أنس قربه فليلهم أقصر من لحظة وإن كان الوقت وقت مقاساة فرقة وانفراد فليلهم طويل وويلهم جزيل ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ [الآية 16] من الفراق ﴿وَوَطْمَعًا﴾ [الآية 16] في التلاق ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 16] يأتون بالشواهد التي خصصناهم بها في المقامات أظهرنا أحوالهم عن الذين حضروا بأحوال مقدسة وإن دنسنا أوقاتهم بالآفات / شهدوا بحالات مدنسة فالعبد إنما يتجر في البضاعة التي يودعه سيده يفديك بالروح حسب لو يكون له أعز من روحه شيء فذاك به.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ [الآية 17] لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [الآية 17] ما تقربه أعينهم ففي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً يقول الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»⁽¹⁾.

وقرأ حمزة أخفي بسكون الياء على صيغة المتكلم ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 17] أي جزوا جزى وفاقاً حيث أخفوا أعمالهم فأخفى الله أحوالهم. وقال الأستاذ: إنما تقر عينك برؤية من تحبه طاب قلبك وراع حالك ثم يحصل اليوم سرورك كذلك يكون غداً حضورك وعلى ذلك تحشر كما في الخبر من كان بحالة لقي الله بها.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [الآية 18] بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [الآية 18] خارجاً عن طاعة ربه وسبله في المنزلة والمرتبة ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ [الآية 18] تأكيد وتصريح للمبنى والجمع للحمل على المعنى قيل نزلت في علي رضي الله عنه والوليد أخي عثمان من أمه أسلم في آخر عمره وكان بينهما تنازع فقال لعلي: إنك صبي وأنا والله أبسط لساناً وأحد سناناً وأشجع منك جناناً فقال له علي: اسكت فإنك فاسق كذا قاله عطاء بن سيار والسدي وغيرهما.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (4/2824).

قال الأستاذ: أفمن كان في حلة الوصال يجبر أذياه كمن هو في مذلة الفراق يقاسي وباله أفمن كان في روح القربة ونسيم الزلقة كمن هو في هوى العقوبة يعاني مشقة الكلفة أفمن هو في روح إقبالنا عليه كمن هو في محنة إعراضنا عنه أفمن بقي معنا كمن بقي عنا أفمن هو في نهار العرفان وضياء الإحسان كمن هو في ليالي الكفران ووحشة العصيان أفمن أيد بنور البرهان وطلعت عليه شمس العرفان كمن ربط بالخذلان ووسم بالحرمان لا يستويان ولا يلتقيان .

﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 19] على وفق رضى المولى ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ [الآية 19] فإنها المأوى/ الحقيقي لا الدنيا فإنها منزل مرتحل عنها 33/ب إلى الأخرى ﴿نُزُلًا﴾ [الآية 19] لا يتبعون عنه حولاً ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 19] بسبب أعمالهم على حسب أحوالهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ [الآية 20] أي الكفار ﴿فَمَا وَهُمْ نَارُ﴾ [الآية 20] في دار البوار من غير القرار والفرار ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا﴾ [الآية 20] وصعدوا إلى بابها ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الآية 20] ردوا إلى أسفل دركاتها وهو عبارة عن خلودهم بها وعدم تحولهم عنها ﴿وَقِيلَ لَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 20] إهانة لهم وزيادة في همهم.

وقال الأستاذ: الذين آمنوا صدقوا وعملوا الصالحات بما حققوا فلهم حسن الحال وحميد المآل وأما الذين جحدوا وكندوا في معاملاتهم أساءوا وأفسدوا فقصاراهم الخزي والهوان وفنون من المحن وألوان كلما راموا من محنتهم خلاصاً ازدادوا فيها انتكاساً وكلما أملوا نجاة جرعوا قنوطاً وزيدوا إياساً .

﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ [الآية 21] عذاب الدنيا وهو مصائبها ومحنها من القحط والقتل والأسرار فيها ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [الآية 21] أي قبل العذاب الأعظم في البرزخ أو العقبي ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ [الآية 21] لعل من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 21] يتوبون عن كفرهم قال أبو سليمان الداراني العذاب الأدنى

الخذلان والعذاب الأكبر الخلود في النيران.

وقال الأستاذ: قوم عذابهم الأدنى محن الدنيا والعذاب الأكبر لهم عقوبة العقبى وقوم عذابهم الأدنى لهم فترة تتداخلهم في عبادتهم والعذاب الأكبر قسوة في قلوبهم تصيبهم في حالتهم وقوم عذابهم الأدنى لهم وفقه في سلوكهم تمسهم والعذاب الأكبر حجة عن شاهدتهم تناولهم ويقال العذاب الأدنى الخذلان في الزلة والأكبر الهجران في الوصلة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ [الآية 22] مدة يمر عليها ثم أعرض عنها فلم يتفكر فيها ولم يؤمن بها ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 22] أي المشركين الكاملين في الإجرام ﴿مُنْفِقُونَ﴾ [الآية 22] غاية الانتقام.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الآية 23] كما آتيناك الكتاب فصل الخطاب ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ [الآية 23] نوع من الارتياب ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ [الآية 23] من لقاءك الكتاب فإذا لقيناك/ في هذا الباب أو من لقاء موسى الكتاب من وراء الحجاب أ/34 أو من لقاءك موسى ليلة المعراج كما روي عن قتادة وغيره أو من لقاء موسى ربه أي بعد موته فاطمع أنت في صمته هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم على ما رواه الطبراني⁽¹⁾ ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ [الآية 23] أي موسى أو الكتاب المنزل عليه ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الآية 23].

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ﴾ [الآية 24] الأمة إلى ما فيه من الحكم والحكمة ﴿بِأَمْرِنَا﴾ [الآية 24] إياهم به أو بتوفيقنا له ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ [الآية 24] حين حبسوا أنفسهم على أوامر الله وصبروا على مصائبه التي قدرها عليهم وقضاؤه وقرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتحقيق الميم أي لصبرهم على طاعة المولى أو على محنة الدنيا ﴿وَكَاثُرًا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 24] ففي الآية تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم في حالته وإرشاد لأصحابه وأمته.

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 448) رقم (1399)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 140) رقم (314).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية 25] يقضي بين المحق والمبطل ويميز الحق من الباطل ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 25] من أمر دينهم.

قال الأستاذ: يحكم بينهم وعند ذلك يتبين المردود من المقبول والمهجور من الموصول والرضي من الغوي والعدو من الولي فكم من بهجة دامت هنالك ولكم من مهجة ذابت هنالك.

﴿أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 26] أي ألم ينههم ولم يبين لهم كثرة إهلاك من أهلكتناهم ﴿وَمِنَ الْقُرُونِ﴾ [الآية 26] الماضية فيهم ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾ [الآية 26] يمرون في أسفارهم على ديارهم ويشاهدون آثار دمارهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ [الآية 26] لمن نظر واعتبر ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 26] الخبر إن لم يبصروا الأثر.

وقال الأستاذ: أو لم يعتبروا بمنازل أقوام كانوا في خبره فصاروا عبرة كانوا في سرور فالأوا: إلى ثبور فجميع ديارهم ومزارهم صارت لأغيارهم وصنوف أموالهم عادت إلى أشكالهم سكنوا في ظلالهم ولم يعتبروا بمن مضى من أمثالهم.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [الآية 27] الذي جرز نباتها أي قطع وأزيل نباتها ﴿فَتَخْرُجُ بِهِ﴾ [الآية 27] بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ [الآية 27] من الزرع ﴿أَنْعَمَهُمْ﴾ [الآية 27] كالتبن والورق ﴿وَأَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية 27] كالحب والشمر/ ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 27] فيستدلون به على كمال قدرته وجمال فضله 34/ب ومنته.

وأفاد الأستاذ: الإشارة منه تسقي حدائق وصلهم بعد جفاف عودها وزوال المأنوس من عهودها فيعود عودها مورقاً بعد ذبوله خالياً بحاله حال حصوله.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ [الآية 28] النصر أو الفصل بالحكومة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 28] في الوعدية وقرب إتيانه.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾ [الآية 29] لحلول بأسهم
 وحصول بأسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الآية 29] لا يمهلون للإيمان ولا للإحسان
 لفوات الأوان وذهاب الأمان.

وأفاد الأستاذ: إنهم استبعدوا يوم التلاقي وحججوا فأخبرهم أنه ليس
 لهم إلا الحسرة والمحنة إذا شهدوا.

﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية 30] ولا تبال بما ظهر منهم ﴿وَأَنْتَظِرُ﴾ [الآية 30]
 النصرة عليهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ [الآية 30] ما حل بهم.

وقال الأستاذ: فاعرض عنهم باشتغالك بنا وإقبالك علينا وانقطاعك
 إلينا وانتظر زوائد وصلنا وعوائد لطفنا أنهم منتظرون هواجم مقتنا وخفايا
 مكرنا وعن قريب يجد كل منتظره محتضره.

سورة الأحزاب

[مدنية]

وهي ثلاث وستون آية⁽¹⁾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله شهود وجوده يوجب لك تلفاً في تلف ووجوده يوجب لك شرفاً على شرف، ففي تلفك يكون عنك الخلف وفي شرفك تصل إلى كل لطف.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الآية 1] دم على تقوى وطاعة المولى ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ﴾ [الآية 1] فيما يعود برهن في الدين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية 1] بالمصلحة والمفسدة ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 1] لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة. قال ابن عطاء: يأتيها المخبر عن خبير صدق وقول حق: اتق الله في أن يكون لك التفات إلى شيء سواه.

وقال أبو عبدالله الروذباري: التقوى مجانية كل ما يبعدك عن الله. وقال الواسطي: التقوى على الحقيقة هو تقوى القلب لربه لقوله عليه السلام: «ألا إن التقوى ها هنا»⁽²⁾ وأشار إلى قلبه.

وقال الأستاذ: يا أيها المشرف حالاً بنا المفخم قدراتنا المعلي رتبة من قبلنا يا أيها المرقى إلى أعلى الرتب الملقى بأسنى القرب يا أيها المخبر عنا المأمون / على أسرارنا المبلغ خطابنا إلى أحببنا اتق الله أن لا تلاحظ غيرنا

35/أ

(1) كذا في الأصل المخطوط.

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (32/2564)، والبيهقي في السنن الكبرى (92/6) رقم (11276)، وأبو يعلى في المسند (301/5) رقم (2923).

معنا أو تساكن شيئاً من دوننا أو تثبت أحداً سوانا أو تتوهم شظية من الحدثان عما عدانا ولا تطع الكافرين إشفافاً منك عليهم وطمعاً في إيمانهم والتقوى رقيب على قلوب أوليائه يمتعهم في أنفاسهم وسكناتهم وحركاتهم أن ينظروا إلى ما عداه أو يثبتوا معه سواء إلا مصوناً لقدرته متصرفاً بمشيئته نافذاً فيه حكم قضيته.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 2] كالنهي عن طاعتهم وعدم المبالاة بمخالفتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية 2] من ملاءمتهم ومنافرتهم، وقرأ أبو عمر بالغيبة.

قال الأستاذ: اتبع ولا تتبدع واقتد بما نأمرك ولا تتبدع باختيارك غير ما نختاره لأجلك وكن لنا لا لك وقصر بنا لا بك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 3] ولا تلتفت إلى ما سواه ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية 3] موكولاً إليه أمور من عداه.

وقال ذا النون: التوكل ترك تدبير النفس وقيل: التوكل قطع القلب عن كل علاقة سوى الرب.

وقال الأستاذ: أي انسلخ عن إهابك لنا واصدق في إيابك إلينا وتشاغل عن حسابك معنا واحذر ذهابك عنا ولا تقصر في خطابك منا ويقال: التوكل تحقق ثم تخلق ثم توثق ثم تملق تحقق في العقدة وتخلق بإقامة الشريعة وتوثق بالمقسوم من القضية وتملق بين يديه بحسن العبودية. ويقال: التوكل استواء القلب في العدم والوجود مع الرب.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الآية 4] أي لم ير في حكمته أن يجعل لأحد قلبين في طويته لأن القلب سلطان والأعضاء كالرعايا ولا يليق بملك سلطانين في القضايا.

وأفاد الأستاذ: أن القلب إذا اشتغل بشيء اشتغل عما سواه فالمشتغل بها من العدم منفصل عن له القدم والمتصل بقلبه عن نعته القدم مشتغل عما

من العدم والليل والنهار لا يجتمعان والنصب والجراً يلتقيان ﴿وَمَا جَعَلَ
 أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهِرُونَ مِنْهِنَّ﴾ [الآية 4] بأن قال أحد: مثلاً لزوجه أنت علي كظهر
 أمي ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [الآية 4] / لاختلاف الحقيقة الظاهرة فيما بينهن ﴿وَمَا جَعَلَ
 أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الآية 4] فإن البنوة أمر ذاتي والتبني حكم عارض فلا يكون
 الشيء الحقيقي عين المجازي ﴿ذَلِكَمُ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ [الآية 4] حيث كانت
 العرب تزعم أن اللبيب الأريب له قلبان للمودة والكرهية والزوجة المظاهر عنها
 كالأم في الحرمة المؤبدة ودعي الرجل ابنه بنحو التوارث في القرابة وحاصله أنه
 تعالى كما لم ير في حكمته أن يجعل لأحد قلبين في طويته فيفعل بأحدهما غير
 ما يفعل بالآخر من الصنعة فيؤدي اتصاف شخص واحد بالعلم والظن والمحبة
 والكرهية وغيرهما في حالة واحدة ولم ير أيضاً أن يكون امرأة لرجل مخدومة
 وخادمة وأن يكون رجلاً دعياً غير أصيل وابناً أصلياً لتناقض القضية ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ
 الْحَقَّ﴾ [الآية 4] المطابق للصدق ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الآية 4] طريق الحق
 المطلق.

وقال الأستاذ: أي الذي تظاهرت منهن لسنن أمهاتكم والذين تبنيتم
 ليسوا بأبناءكم إن الذي صرتم إليه من اجترائكم ونسبتم إلينا من آراءكم ذلك
 مردود عليكم غير مقبول منكم إن أمسكتكم عنها بعد البيان نجوتهم وإن تماديتهم
 عليها بعد ما أعلمتم أظلمتم المحنة عليكم.

﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 5] أي انسبواهم إليهم لا إلى
 غيرهم وهو أفراد للمقصود من قوله: الحق وحكم الصدق ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
 ءَأَبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ﴾ [الآية 5] فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الآية 5] أي
 أولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل لأنه أهدى السبيل ﴿وَلَيْسَ
 عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [الآية 5] إثم ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ [الآية 5] قبل النهي والبيان أو
 بعده على وجه النسيان أو سبق اللسان ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الآية 5] فيه
 والجناح والعصيان ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمخطئين ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية 5] للمحسنين وفي
 الحديث أي في القرآن المنسوخ ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا

عن آباءكم وقد ورد: من دعي⁽¹⁾ إلى غير أبيه وهو يعلمه فقد كفر⁽²⁾.

﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية 6] أي في أمور الدين وما يتعلق بها أو في الأمور كلها فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم في الدنيا ونجاحهم في العقبى بخلاف النفس فإنها أمارة بالسوء مع أن لها حقاً أيضاً فيجب أن يكون أحب إليهم من أنفسهم في أحوالها وأمره / أنفذ عليهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها وقرئ وهو أب لهم أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته من حيث أنه أصل فيما به الحياة الأبدية بحسن الريبة في آداب العبودية ولذا صار المؤمنون أخوة ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الآية 6] منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ [الآية 6] أي ذو القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الآية 6] في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والمناصرة في الملة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الآية 6] في حكمه كما قضاه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الآية 6] بيان لأولي أوصله الأولى وهو الأولى ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَّائِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ [الآية 6] أي لكن فعلكم إلى أحببكم معروفاً جائز في الشريعة والمعنى ذهب الميراث بالهجرة وبقي البر والإحسان والوصية ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ [الآية 6] الحكم ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الآية 6] ثابتاً في اللوح على وجه الكمال أو في علم الله على هذا المنوال.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذا تقديم سنته على هواك والوقوف عند إشارته دون ما يتعلق به منك وإيثار من يتوسل به سبباً ونسباً على أعزتك ومن والاك، ليكن الأجنب منك على جانب، وليكن وصلتك للأقارب وصلة الرحم ليس بمقاربة الديار وملاصقة المزار ولكن بموافقة القلوب في حالتي المكروه والمحبوب.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ [الآية 7] عهددهم بتبليغ الرسالة وإقامة

(1) أخرجه أحمد في المسند (1/ 47) رقم (331)، وعبد الرزاق في المصنف (5/ 439) رقم (9758).

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 403) رقم (15112)، وقد ورد بعدة صيغ.

الدين على طريق الاستقامة ﴿وَمِنكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الآية 7] حَصَّ أولي العزم الخمسة من بينهم لكمال شرفهم وقدم نبينا تعظيماً لرفعة شأنه وتكريماً لمقدمة بيانه وإشعاراً بسبق وجود نوره وإن تأخر شهود ظهوره ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: الآية 154] عظيماً في النبيين أو مؤكداً باليمين على الوفاء بها حملوا والصفاء بما عملوا وهو ميثاق للخاصة بعد ميثاق العامة في ذلك اليوم أو بعد بعثتهم إلى القوم.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مِنْكُمْ شَيْءٌ سَأَلَ بِالسُّعْيَةِ إِذْ عَمَتُوا مَدْيَنَ وَنُوحٍ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ عَمَتُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَالْكَافِرِينَ وَآلِ عَادٍ وَآلِ هَارُونَ إِذْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الآية 8] أي أخذ الله ميثاقهم أولاً ليسأل الله آخر الأنبياء الذين صدقوا في الإنبياء عهدهم عن كلام صدقهم لقومهم أو تصديق أمتهم إياهم تبكيتاً لمن كذبهم وتفريحاً لمن صدقهم ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 8] عطف على ما دل عليه ليسأل كافة قال: فآثاب/ المؤمنين نعيماً ب/ مقيماً ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 8] قيل لا يشم رائحة الصدق من يداهن نفسه أو يداهن غيره.

وقال الأستاذ: أراد سؤال تشریف لا سؤال تعنيف وسؤال إيجاب لا سؤال عتاب والصدق أن لا يكون في أحوالك شوب ولا في اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ [الآية 9] يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا قدر اثني عشر ألفاً فأمر صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق لإشارة سلمان فنزلوا وحاصروا المدينة شهراً وخرج إليهم صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في ثلاثة آلاف ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [الآية 9] شديداً وهو الصبا في ليلة باردة مظلمة في فصل الشتاء ﴿وَجُنُودًا﴾ [الآية 9] من الملائكة ﴿لَمَّا تَرَوْهَا كَانَتْ تَرْتَجِي السَّمَاءَ فَاسْفَتِ التُّرَابَ فِي وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت خيولهم وقذف الله الرعب في قلوبهم وكبرت الملائكة في جوانب جنودهم فانهزموا خائفين خائبين إلى أعقابهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 9] من حفر الخندق وغيره وقرأ أبو عمرو بالغيبة أي بما يعمل المشركون من التخريب والمحاربة ﴿بَصِيرًا﴾ [الآية 9].

وأفاد الأستاذ: أن ذكر نعمته مقابلها بالشكر ويذكر ما سلف من الذي دفع عنك يهون عليك مقاساة البلاء في الحال وبذكرك لما أولاك في الماضي بقرب من قلبك الثقة بإيصال ما قوله في الاستقبال فمن جملة ما ذكرهم قوله إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكم بلاء صرفه عن العبد وهم لم يشعروكم شغل كان بصدده قصده عنه ولم يعلم وكم أمر عوّقه والعبد يصح وهو يعلم أن في تيسيره هلاكه فيمنعه منه رحمة عليه والعبد يتهتمه ويضيق به صدره.

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الآية 10] من أعلى الوادي من قبل الشرق بنو غطفان ﴿وَمِنَ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الآية 10] من أسفل الوادي من قبل الغرب قريش ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ [الآية 10] مالت أبصار المؤمنين من مستوى نظرها، قال الفراء: أزاغت عن كل شيء فلم يلتفت إلا إلى عدوها ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ أَلْحَنَاجِرَ﴾ [الآية 10] رعباً والمعنى اضطربت/ وإلا فلا انتقال للقلوب عن مقرها ﴿وَتَطَّنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الآية 10] الأنواع من الظن باختلاف مراتب الظانين من المؤمنين الكاملين الناقصين والمنافقين حتى قال بعض أهل النفاق: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز قيصر وكسرى والآن لا نقدر أن نذهب للغنائم إلى الصحراء.

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 11] امتحنوا فظهر المخلص من المنافق وتميز المخالف من الموافق ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الآية 11] أزعجوا من شدة الفزع وحركوا من شدة الجزع ثم أزال عنهم جملتها وهون عليهم شدتها وانجاب عنهم سحابها وتفرقت عن قلوبهم همومها وحجابها.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 12] ضعف اعتقاد وعدم توكل واعتماد ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية 12] من الظفر في الدين وإعلائه ﴿إِلَّا عُرُورًا﴾ [الإسراء: الآية 64] وعداً باطلاً لا وفاء به.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 13] من المنافقين وأتباعهم من ضعفاء اليقين ﴿يَتَأَهَّلَ يَتَرَبَّ﴾ [الآية 13] وهو كان اسماً للمدينة ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ [الآية 13] لا موضع قيام لكم ها هنا ﴿فَارْجِعُوا﴾ [الآية 13] إلى منازلكم على طريق الهناء. وقرأ

حفص بضم الميم على أنه مكان أو مصدر من الإقامة ﴿وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
النَّبِيَّ﴾ [الآية 13] للرجال إلى المدينة ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الآية 13] غير حصينة
نخاف عليها من السرقه ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الآية 13] بل حصينة مستورة ﴿إِنْ يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا﴾ [الآية 13] من قتال لو وقع هنالك.

وقال الضحاك: رجع ثمانون رجلاً من غير إذن النبي صلى الله عليه وسلم لضعف دينهم وقلة يقينهم.

﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 14] أي المدينة أو بيوتهم ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ [الآية 14]
من جوانبها ﴿ثُمَّ سِيلُوا الْقَيْنَةَ﴾ [الآية 14] الردة ومقاتلة الطائفة المسلمة
﴿لَا تَوْهَّأ﴾ [الآية 14] لأعطوها وقرأ الحجازيان: فإن بالقصر لجأؤها وفعلوها ﴿وَمَا
تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ [الآية 14] بالفتنة أي بإعطائها أو بإتيانها ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الآية 14] تلبثاً
يسيراً أو زمناً قليلاً وهو كناية عن سرعة الإجابة.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 15] قبل تلك المحاربة ﴿لَا يُولُونَ
الْأَذَى﴾ [الآية 15] لا يفرّون من المقاتلة ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الآية 15] عن
الوفاء به والجزاء على وفقه.

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ [الآية 16] فإنه لا بدّ
لكل / شخص من موت حتف أنفه أو قتل في وقت معين سبق بالقضاء وجرى 37/ ب
عليه القلم بأمر الله وإنه لا يتصور تغييره ولا تقديمه ولا تأخيره ﴿وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 16] وإن نفعكم الفرار على الفرض والتقدير فمتعمم بالتأخير لم
يكن ذلك التمتع إلا تمتيعاً أو زماناً قليلاً إذ لا يشك عاقل أن آخر أمر كل
مخلوق هو الموت وإن كان عظيماً وجليلاً.

وقال الأستاذ: لأن الآجال لا تأخير لها ولا تقديم عليها وكما قالوا إن
الهارب مما هو كائن في كف الطالب ينقلب وإذا لا تمتعون إلا قليلاً فإن ما
يدخره العبد عن الله من مال أو جاه أو نفس أو قريب فلا يبارك له فيه ولا
يجد به متعة ولا يرزق منه غبطة.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية 17] من يمنعكم من حكمه وقضائه

وقدرة ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ [الآية 17] مساءة ومضرة ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الآية 17] نعمة ومسرة ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ [الآية 17] ينفعهم بزيادة النعمة لهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية 17] يدفع المحنة عنهم.

وقال الأستاذ: من ذي الذي تحقق لكم من دونه مرجواً ومن ذا الذي يصرف عنكم من دونه عدواً.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ [الآية 18] المانعين من نصرة رسول الله والمؤمنين وهم جماعة من المنافقين ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ [الآية 18] من سكان المدينة وهم جماعة الأنصار من أصحاب السكينة ﴿هَلُمُّوا﴾ [الآية 18] إلينا قربوا أنفسكم ﴿إِلَيْنَا﴾ [الآية 18] أقبلوا بكليتكم علينا فنحن في ظلال وأثمار وراحة وأنهار ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ [الآية 18] لا يحضرون الحرب مع المؤمنين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 18] إلا إتياناً أو زماناً أو بأساً قليلاً فإنهم يعتذرون ويشبطنون ويرجعون فيمتنعون من نصرته بأنفسهم ويمنعون أيضاً معاونة غيرهم.

﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 19] حال كونهم بخلاء عليكم بالمعاونة أو المنفعة أو الظفر والغنيمة ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ [الآية 19] وقت الحرب ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 19] خوفاً ولوإذا بك ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ [الآية 19] في أحداقهم ﴿كَالَّذِي يُغْشَى﴾ [الآية 19] نظر المغشي ﴿عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الآية 19] من معالجة سكراته ومزاولة منكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ [الآية 19] وجمعت الغنائم ﴿سَلَفَوْكُمْ﴾ [الآية 19] ضربوكم ﴿بِالسِّنَةِ جِدَادٍ﴾ [الآية 19] لأجل الغنيمة وغيرها ﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الآية 19] على تحصيل المال وتحسين/ الحال وتزيين الكمال والحاصل أنهم جمعوا بين الجبن والبخل والطمع والفسل وقلة الحياء عدم الوفاء ﴿أَوْ لِيَّتِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ [الآية 19] إخلاصاً ﴿فَأَحْبَبَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الآية 19] فأظهر بطلان أعمالهم وضياع أحوالهم وسوء مآلهم ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ [الآية 19] الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية 19] هيناً لتعلق الإرادة به وعدم مانع من نفاذه وهذا كما ورد من تشعبت به هموم الدنيا لم يبال الله في أي واد أهلكه.

أ/38

وقال الأستاذ: إذا جاء الخوف طاشت من الرعب عقولهم وطاحت

بصائرهم وتعطلت عن النصرة جميع أعضائهم وإذا ذهب الخوف زينوا كلامهم وقدموا أخطأهم واحتالوا في إخفاء خستهم أولئك الذين هذه صفتهم لم يباشر الإيمان قلوبهم ولا صدقوا فيما أظهروا من إذعانهم وإسلاحهم .

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ [الآية 20] أي هؤلاء المنافقين لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا إلى داخل المدينة واهتموا ﴿وَلِإِن يَأْتِ الْأَحْزَابَ﴾ [الآية 20] كرة ثانية إلى ديارهم مع ما رأوا من كيفية فرارهم وعدم ظهورهم وقرارهم ﴿يُودُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُّوْكَ﴾ [الآية 20] تمنوا أنهم خارجون إلى البادية ﴿فِي الْأَعْرَابِ﴾ [الآية 20] جاهلون فيما بينهم كالتراب ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [البقرة: الآية 273] كل قادم من جانبكم ﴿عَنْ أَنْبِيَائِكُمْ﴾ [الآية 20] عما جرى عليكم من أعدائكم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ [الآية 20] هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ومحاربة ﴿مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 20] رياءً وسمعة وخوفاً عن مسرة .

قال الأستاذ: يخافون من عدوهم وعودهم ويفزعون من ظل أنفسهم إذا وقع على أثرهم ولو اتفق هجوم الأعداء ما كانوا إلا جوز سيوفهم وذرية رماحهم .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الآية 21] وقرأ عاصم بضم الهمزة أي في متابعتة خصلة مستحسنة وقدوة مرنة حسنة كثبات القلب في باب الحرب ومقاساة المتاعب ومعاناة المصائب ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ ثوابه أو لقاءه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الآية 21] نعيمه وجزاءه أو يخاف عذابهما في دنياه وعقباه ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ [الآية 21] فإن كثرة الذكر توديه إلى ملازمة الطاعة في الدنيا وتقتضي له حساباً يسيراً في العقبى .

قال أبو عثمان: من أمر السنة على نفسه نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق / بالبدعة .

ب/38

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا﴾ [الآية 22] أي ما رأينا أو البلاء ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ﴾ [الآية 22] بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: الآية 214] ﴿وَرَسُولُهُ﴾ [الآية 22] بقوله عليه

السلام: «إِنَّ الْأَحْزَابَ سَائِرُونَ إِلَيْكُمْ تِسْعًا أَوْ عَشْرًا أَي فِي آخِرِ تِسْعِ لَيَالٍ أَوْ عَشْرٍ»⁽¹⁾، وقوله: «سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم» ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية 22] صدقا في النصرة والمثوبة كما صدقا في البلية والمحنة ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ [الآية 22] أي ما زادوا من البلاء وضيق أمره ﴿إِلَّا إِيْمَانًا﴾ [الآية 22] بالله ومواعيده ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ [الآية 22] انقيادا لأحكامه وتقديره.

وقال الأستاذ: كما أن المنافقين اضطرت عقائدهم عند رؤية الأعداء ومشاهدة البلاء فالمؤمنون وأهل اليقين ازدادوا ثقة وعلى أعداء الدين جرأة ولحكم الله استسلاماً ومن الله قوة.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 23] أي فيما وعدوا ونذروا من الثبات مع الرسول في ميدان اليقين والقتال مع أعداء الدين ﴿فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ﴾ [الآية 23] نذره بأن قاتل أحد حتى استشهد كحمزة ومعصب بن عمير وأنس بن النضر فاتهم نذروا أنهم إذا لقوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حرباً ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ﴾ [الآية 23] الشهادة كعثمان وطلحة أو معناه ومنهم من ينتظر يوماً يقضي فيه نذره فإن أنس ابن النضر لما غاب عن غزوة بدر نذر وقال: لئن أراني الله مشهداً فيما بعد لأري الله ما أصنع فقاتل يوم أحد حتى قتل ووجد فيه بضع وثمانين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم كما رواه البخاري والترمذي والنسائي⁽²⁾.

﴿وَمَا بَدَلُوا﴾ [الآية 23] العهد ما غيرهه ﴿بَدِيلًا﴾ [الآية 23] شيئاً من التبديل والتغيير وفيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وعدم الوفاق.

وفي «تفسير السلمي»: الرجال الصادقون مع الله عز وجل بوفاء العهد

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث (100/3) رقم (1009)، وانظر الكشاف (5/319).

(2) أخرجه البخاري (4048) والترمذي في الجامع الصحيح (5/348) رقم (3200)، والنسائي في السنن الكبرى (5/79) رقم (8291)، وأحمد في المسند (3/194) رقم (13038).

فمنهم من بذل وسعه وجهده في الطاعة ومنهم من ينتظر التوفيق من ربه وما
غيروا عن محبته تغييراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شكر صنيعهم في المراس / ومدح يقينهم عند 39/أ
شهود البأس وسماهم رجالاً إثباتاً لهم بالخصوصية في الرتبة وتمييزاً لهم من
بين أشكالهم بعلو الحالة والمنزلة فمنهم من خرج من دنياه على صدقه ومنهم
من ينتظر في الحياة والممات حكم الله وأمره ولم يزيفوا عن عهدهم ولم
يروغوا في مراعاة حدهم وحقيقة الصدق حفظ العهد وترك مجاوزة الحد.
ويقال: الصدق استواء الجهر والسر، ويقال: هو الثبات عند عزم الأمر.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الآية 24] في الدنيا بالتمكين والنصرة
وإعلاء الراية وفي الآخرة بجزيل الثواب وجميل المآب والخلود في النعيم المقيم
والتقدير على الأمثال بالتكريم والتعظيم ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ [الآية 24] يردهم عن
أمرهم على الوجه الذي سبق به العلم وتعلق به الحكم ﴿إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الآية 24] إن شاء بأن يميتهم على كونهم أو يتوب
عليهم بستر الحوبة وقبول التوبة.

وقال الأستاذ: إذا لم يجزم بعقوبة المنافق وعلق القول فيه على الرجاء
فبالحري أن لا يخيب المؤمن في رحابه بالتسليم تحت القضاء والقدر.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 25] يعني الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ [الآية 25]
مصحوبين في هذا الباب ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الآية 25] لم يصيبوا ظفراً ونصراً
﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الآية 25] أغناهم عن المحاربة بسبب إرسال الرياح
وإنزال الملائكة أو كفى الله مداومة القتال فلم يغز قريش المسلمين بعد هذا
الحال كما ورد الآن نغزوهم ولا يغزونا ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ [الآية 25] غالباً
على مراده فيما يجري على عبادته.

وقال الأستاذ: لم يشمت بالمسلمين عدواً ولم يوصل إليهم من كيدهم سوءاً
ووضع كيدهم في نحرهم وأجتثهم من أصلهم وبين ذلك جواهر صدقهم وشكر من
استوجب شكره من جملتهم وفضح من استحق الذم من المدلسين فيهم.

﴿وَأَنْزَلَ﴾ [الآية 26] أي الله ﴿الَّذِينَ ظَلَهُرُوهُمْ﴾ [الآية 26] عاونوا الأحزاب
 ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية 26] يعني بني قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إياهم مع أن أباهم نزلوا المدينة قديماً طمعاً في اتباع النبي الأمي
 المكتوب في التوراة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فكفرهم عناد وعهدهم فساد
 ب/39 ﴿مِنْ صِيَاصِيهِمْ﴾ [الآية 26] من حصونهم ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الآية 26] /
 الخوف والرهب ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [الآية 26] أي رجالهم ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾
 [الآية 26] أي نساءهم وذرايهم روي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع إلى المدينة وكان على
 ثنياه بقع الغبار فقال جبريل: أنتزع لأمتك - أي درعك - والملائكة لم يضعوا
 السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عائد إليهم فأذن في الناس أن لا
 يصلوا العصر إلا ببني قريظة فحاصروهم إحدى وعشرون أو خمساً وعشرين ليلة
 حتى جهدهم الحصار فقال لهم: تنزلوا على حكمي فأبوا فقال: على حكم سعد بن
 معاذ، فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وهم بين ثمانمائة إلى التسعمائة وسبي
 ذرايهم ونسائهم ويقسم أموالهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال: حكمت
 بحكم الله فوق سبعة أرفعة أو سموات فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر سبعمائة⁽¹⁾.

﴿وَأَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ [الآية 27] مزارعهم ﴿وَوَيْتَرَهُمْ﴾ [الآية 27] حصونهم
 ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [الآية 27] نقودهم وأثاثهم ومواشيهم. روي أنه عليه السلام جعل
 عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال: «إنكم في منازلكم، فقال عمر رضي
 الله عنه: أما تخمس كما خمست يوم بدر؟ فقال: لا إني جعلت هذه لي طعمة»⁽²⁾
 ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا﴾ [الآية 27] كفارس والروم أو خيبر أو مكة وكل أرض تفتح إلى
 يوم القيامة على أن الخطاب لجميع الأمة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾
 [الآية 27].

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3043)، والطبراني في المعجم الكبير (6/6) رقم
 (5323)، والبيهقي في السنن الكبرى (9/63) رقم (17796)، وأبو يعلى في المسند
 (2/405) رقم (1188).

(2) أورده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (3/104) رقم (1013).

وأفاد الأستاذ: أنّ الحق سبحانه إذا أجمل أكمل وإذا كفن شفى وإذا وعد وفى فأظهر المسلمين عليهم وأورثهم معاقلهم وأذل متعززهم وكفاهم بكل وجه أمرهم وممكنهم من قتلهم وأسرههم ونهب أموالهم وسبى ذراريهم.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 28] متعتها وسعتها ﴿وَزِينَتَهَا﴾ [الآية 28] زخرفها وبهجتها ﴿فَنَعَالَيْكَ أُمَّتَيْكَ﴾ [الآية 28] أعطكن المتعة ﴿وَأَسْرَحَنَّ سِرْلَكُمْ جَمِيلًا﴾ [الآية 28] طلاقاً من غير مضرة ولا بدعة.

﴿وَلِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ﴾ [الآية 29] أي المخلصات في النيات ﴿مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية 29] تستحقرونه الدنيا وزينتها روي أنهن سألته ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فاختارت الله ورسوله / ثم اختارت الباقيات اختيارها كما في الصحيحين وغيرهما 40/أ وروي أنه لما نصر الله نبيه وفرق عنه الأحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن: يا رسول الله نساء كسرى وقيصر في الحلي والحلل والإماء ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق والعناء فأمره الله أن يتلوا عليهن ما نزل في شأنهن.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ما أراد أن يكون قلب أحد من المؤمنين والمؤمنات في شغل عنه أو يعود إلى أحد أذى وتعب منه فخير النبي صلى الله عليه وسلم بأمره نساءه ووفق عائشة رضي الله عنها حين أخبرت عن صدق دينها وكمال قلبها ويقينها وبما هو المنتظر في ظنيتها وطوبيتها من أصلها ونيتها والباقيين جرين على منهاجها ونسجن على منوالها ومشين في ضوء سراجها.

﴿يَلْبَسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ [الآية 30] كبيرة ظاهر قبحها، وعن ابن عباس: هي النشوز وسوء الخلق في عشرتها ﴿يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الآية 30] ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه وقدره مرتين لأن النشوز معه ليس كالنشوز مع سائر الأزواج ولأن الذنب منهن أقبح من غيرهن فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضله ولذا جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا

يعاتب به غيرهم ثم الشرط لا يقتضي الوقوع كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ فَأَنَا أَوْلُ الْأَعْيَدِينَ﴾ [الزخرف: الآية 81]، وقرأ أبو عمرو يضعف بتشديد العين المفتوحة وابن كثير وابن عامر يضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية 30] هيناً.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ خَيْرًا فَلْيَحْذَرِ اللَّهَ خَوْفَهُ الْوَعْدِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي الْإِيمَانِ أَهْلًا مُرْتَبِنًا أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ إِلَى اللَّهِ وَأُولَئِكَ لِيُؤْتِيَهُمْ خَيْرَ ثَوَابٍ مِمَّا سَاءُوا بِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ﴾ [الآية 31] في بقية عمرها على سائر أمرها ﴿تُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية 31] مثلي ثواب غيرها أو مرة على الطاعة ومرة على الفنائة وقرأ حمزة والكسائي يعمل بالياء أيضاً حملاً على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمَا﴾ [الآية 31] في أعلى عليين من ب/ الجنة زيادة على أجرها تكريماً لأمرها ولا يبعد أن يكون ذلك وعداً دنوبياً / بأن يرزقها ﴿رِزْقًا﴾ [الآية 31] لدينا ﴿كَرِيمًا﴾ [الآية 31] من جهة أنه حلال بلا تعب ونصب ومن غير إغواز إلى من يكون .

﴿يَسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنْ كَأَمْرٍ مِنَ النَّسَاءِ﴾ [الآية 32] أي ليس كل واحدة منكن كواحدة من نساء زمانكن لعظمة نسائكن ﴿إِنْ أَنْفَيْتُنَّ﴾ [الآية 32] مخالفة أمر الله وحكمه ومعارضة ورضا رسوله وحبيبه ﴿فَلَا تَحْضَنْ أَلْقَوْلِ﴾ [الآية 32] أي لا تكلمن كلاماً ليناً ومقالاً هيناً ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الآية 32] فجور ونفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الآية 32] عند أرباب وفاق.

﴿وَقَرْنَ﴾ [الآية 33] أمر من وقر تقرر وقاراً إذا سكن وقرأ نافع وعاصم بالفتح من قررت بالكسر أقر بالفتح لغة في عكسها المشهور والمعنى اسكنن واثبتن ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الآية 33] عند عدم الحاجة إلى بروزكن ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ [الآية 33] أي وعند خروجكن عن سكنكن لضرورتكن لا تتبخترن في مشيكن ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الآية 33] مثل تبرج النساء اللئيمة في أيام الجاهلية القديمة ﴿وَأَقْمِنَ الصَّلَاةَ وَإِاتِينَ الزَّكَاةَ﴾ [الآية 33] أي فرضت عليكن ﴿وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية 33] في سائر ما أمركن ونهاكن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ [الآية 33] الذنب المدنس لعرضكن أو خبائث القلب التي ليست من غرضكن والجملة استئناف متضمن للتقليل في الأمر والنهي ولذا عم الحكم للرجال

والنساء جميعاً من ﴿أَهْلُ الْبَيْتِ﴾ [الآية 33] على سبيل التغليب فقبل عنكم أهل البيت بالنصب على النداء أو المدح ﴿وَيُطَهَّرُونَ﴾ [الآية 33] عن سائر المعاصي ﴿تَطْهِيراً﴾ [الآية 33] والأظهر أن المراد بإذهاب الرجس إزالة الأعمال الدنية وبالتطهير تطهير القلب عن الأحوال الرديئة.

ثم اعلم أن في صحيح مسلم أن علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً جاؤوا إليه فأدخلهم النبي صلى الله عليه وسلم في كساء من شعر أسود كان عليه فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ [الآية 33] الآية⁽¹⁾.

وفي مسند الإمام أحمد وغيره روايات متنوعة عن أم سلمة: إنه عليه السلام كان في بيتها فجاء علي وفاطمة وابناهما وجلسوا عنده على كساء خيبري فأنزل الله هذه الآية فأخذ فضل الكساء وغطاهم به ثم أخرج / يده 41/ وألوى إلى السماء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً»، قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله! فقال: «إنك إلى خير إنك إلى خير»⁽²⁾.

والصواب أن أزواجه الطاهرات من أهل بيته كما صرحت به الآية وكذا هؤلاء ومن في معناهم كما أشارت إليه السنة.

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا بُنِيَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الآية 34] من الكتاب الجامع بين المواعظ والأحكام والحكم المحكمة وهو تذكير بما أنعم الله عليهن حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما يتعلق به من الرسالة ومشاهدة أنواع المعجزة مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الآية 34] يعلم ما يصلح لنبوته ومن يصح أن يكون أهل بيته.

وأفاد الأستاذ: أن الرجس الأفعال الخبيثة كالفواحش ما ظهر منها وما

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (61/2424).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/451) رقم (3558)، والطبراني في المعجم الكبير (3/52) رقم (2662)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/351) رقم (3205)، وأبو يعلى في المسند (12/451) رقم (7021).

قلّ وما جلّ والأخلاق الدنية الأهواء والبذع وكالبخل والشح وقطع الرحم ويريد بهم الأخلاق الكريمة كالإيثار والجود والسخاء والرحمة وصلة الرحم ويديم لهم العصمة والتوفيق والتشديد والتحقيق ويطهرهم من الذنوب والعيوب ثم قال: واذكرن عظيم المنة وجلال الحالة التي تجري في بيوتكن من نزول وحي الرسالة ومجيء الملائكة وحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم والنور الذي تقتبس من الآفاق ونور الشمس الذي يبسط على العالم بالاتفاق فاعرفن هذه النعمة وارعين هذه الحرمة.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الآية 35] الداخلين في السلم المنقادين للحكم
 ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية 35] المصدقين بما يجب التصديق ﴿وَالْقَانِئِينَ
 وَالْقَانِتَاتِ﴾ [الآية 35] المطيعين على وجه التحقيق ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الآية 35]
 في الأقوال والأفعال والأحوال ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الآية 35] على العبادات
 وعن المعاصي والسيئات وفي البليات والمصيبات ﴿وَالخَشِيعِينَ وَالخَشِيعَاتِ﴾ [الآية 35]
 المتواضعين لله بقلوبهم وقوالهم ﴿وَالْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ [الآية 35] المحسنين إلى
 ب/ 41 إخوانهم بما وجب في أموالهم ﴿وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ﴾ [الآية 35] / بمنع أنفسهم
 عن الشهوات واللّهوات ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الآية 35] عن المحرمات
 ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ﴾ [الآية 35] لقلوبهم وألسنتهم في أكثر الحالات
 والأوقات ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَقَفَرَةً﴾ [الآية 35] لما صدر عنهم من الزلات ﴿وَأَجْرًا
 عَظِيمًا﴾ [الآية 35] لما ظهر منهم من الطاعات والآية وعدلهم ولأمثالهن على
 الطاعة الشاملة والتذرع بهذه الخصال العشرة الكاملة.

وأفاد الأستاذ: أن الإسلام هو الاستسلام والمبالغة في المجاهدة والمكابدة والإيمان هو التصديق والتحقيق والتوفيق والقنوت طول العبادة والاجتهاد في الزيادة والصدق يكون في عقودهم وعهودهم ورعاية حدودهم والصبر على الخصال الحميدة وعن الصفات الذميمة وعند جريان مناجاة القصة وخشوع أطراف السريرة عند بواده الحقيقة والتصديق بأموالهم وأنفسهم حتى لا يكون لهم مع أحد خصمية لأجلهم فيما نالوا فيهم أو قالوا أنهم والصيام هو الإمساك عما لا يجوز في الشريعة والطريقة والحفظ في الظاهر

عن الحرام وفي الإشارة عن جميع الأنام والذكر بألسنتهم وقلوبهم وفي عموم أوقاتهم فهؤلاء لهم جميل الحسنی وجزيل العقبی .

﴿وَمَا كَانَ﴾ ما صحَّ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا لِلْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ [الآية 36] أي حكماً وعيناً قدرأ ﴿أَنْ يَكُونُوا﴾ [الآية 36] وقرأ الكوفيون وهشام بالتذكير ﴿لَهُمُ الْخِزْيَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الآية 36] أن تختاروا رأياً آخر من تلقاء أنفسهم بل يجب على كل أحد أن يجعل في جميع أمره اختياره فيها تبعاً لاختيار الله ورسوله ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية 36] فيما بيننا ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الآية 36] والآية نزلت في زينب بنت جحش بنت عمه رسول الله وهي أميمة ابنة عبدالمطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأتت هي وأخوها عبدالله فسمعا وأطاعا وأجابا إلى ما دعا.

وأفاد الأستاذ: أن الافتئات عليه بأمره والاعتراض عليه في حكمه وترك الانقياد إلى إشارته قرع باب الشرك فمن لم يمسك عنه سريعاً وقع في وهده.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الآية 37] بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لعنته 42/أ واختصاصها بالإنعام ﴿وَأَنْصَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 37] بما وفقك الله فيه من المحبة والتبينة وسائر الإحسان إليه وهو زيد بن حارثة وكان قد اشتراه في الجاهلية وزوجه في الإسلام زينب الهاشمية ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الآية 37] زينب حين قال: أريد طلاقها وشاورك في فراقها وذلك أنه عليه السلام أبصرها بعدها أنكحها إياه فقال: سبحان مقلب القلوب، وسمعت زينب بالتسييحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها هنالك، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أريد أن أفارق صاحبتي فقال: «ما لك رأيت منها شيء؟» قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها يتعظم عليّ شرفها فقال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الآية 37]، إقامة للشريعة مع علمه بأن الأمر إلى ماذا يؤول في العاقبة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ [الآية 37] في أمرك وقصدك للفراق فإن أبغض الحلال إلى الله الطلاق ﴿وَنُحِفِّي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الآية 37] أي شيئاً الله مظهره وهو نكاحه إن طلقها أو ميل إلى

طلاقها أو علمه بأن زيدا سيطلقها وهو ينكحها فإن الله قد أعلمه بذلك على ما نقله ابن أبي حاتم والسدي عن علي بن الحسين.

﴿وَتَخَشَى النَّاسَ﴾ [الآية 37] وتكره تعبيرهم بأن محمداً مال إلى زوجة مولاه وتزوج زوجة من تبناه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخَشَّهَ﴾ [الآية 37] فلا تظهر بلسانك خلاف ما تحت بجانبك فإن الأنبياء مأمورون بتسوية الظاهر والباطن في الخلاء والملاء أو فلا تأمر بما تعلم يقيناً أنه جرى بخلافه القضاء.

قال ابن عطاء: تخشى الناس أن يهلكوا في شأن زيد وذلك من كمال شفقتة على الأمة والله أحق أن تخشاه أن تبتهل إليه ليزيل عنهم ما تخشى فيهم ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الآية 37] حاجة بحيث ملها ولم يبق له حاجة فيها وطلقها وانقضت عدتها ﴿زَوْجَتَكُمَا﴾ [الآية 37] من غير حضور ولي ولا شاهد وتعيين مهر لها ولهذا كانت تقول افتخاراً زوجني الله من فوق سبع سموات والسفير جبريل وقيل: كان السفير زيد في خطبتها/ وذلك ابتلاء عظيم في شأنه وشاهد بين على قوة إيمانه ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ [الآية 37] بالبنوة ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الآية 37] أي دخلوا عليهن لثلاث يظن أن حكم الأدعياء حكم الأبناء ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الآية 37] قضاؤه الذي أراده ﴿مَفْعُولًا﴾ [الآية 37] كائناً محصلاً على وفق ما قضاه وظاهر الآية أنه لمسها لكن روي عنها إنها قالت: ما كنت امتنع عليه غير أن الله متعني عنه لحكمة أرادها قيل قرئ بهذه الآية عند ذي النون المصري فتأوه تأوها ثم قال: ذهب والله زيد بخير الدارين لو فارق الكونين بعد أن ذكره الله من بين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم باسمه يقول: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوْجَتَكُمَا﴾ [الآية 37].

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الآية 38] قسم له وقدر ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 38] من الأنبياء وهي نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَّقْدُورًا﴾ [الآية 38] قضاء مقضياً وحكماً مرضياً.

قال سهل: أي معلوماً له قبل وقوعه عندكم، عندكم وهل يقدر أحد أن يجاوز المقدور منكم.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 39] مدح لهم منصوب أو مرفوع
 ﴿وَيَحْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَحْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية 39] لعلمهم بأنه لا يصيب أحد ضرر ولا
 محذور إلا بتقدير مقدور فيفردونه بالخشية عند كل أمور وفيه تلويح بعد تصريح
 ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الآية 39] كافياً للمخاوف أو ومحاسباً للذنوب فينبغي ألا
 يخشى إلا من علام الغيوب.

قال ابن عطاء: هذه خشية السادة وأكابر الأصفياء وأما خشية عوام الخلق
 فمن جهنم ونحوها من أنواع البلاء.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الآية 40] على حقيقة أمره فلم يثبت
 بينه وبين من تبناه من حرمة المصاهرة والنكاح ونحوه ما ثبت بين الأب وولده
 ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ [الآية 40] إن كان رسول الله وهو أبو الأمة في الشفقة والحرمة
 ﴿وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الآية 40] آخرهم الذي ختمهم أو ختمهم به على قراءة عاصم
 بفتح تائه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية 40] فيعلم حيث يجعل الرسالة وكيف
 يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه في الجلالة.

وقال الأستاذ: أي نسبه ظاهر فيكم لكن إنما/ يعرف بي بنسبه منكم إذ 43/أ
 قل ما يقال له محمد بن عبدالله ولكن أبدأ يقول محمد رسول الله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الآية 41] يعم أنواع ما هو
 أهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسائر الصفات ويشمل جميع
 الأوقات والحالات.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الآية 42] أي أول النهار وآخره خصوصاً تنزيهاً
 له من الحدوث تغييراً أو تبديلاً فسبحان من يغير ولا يتغير وقال بعضهم: المراد
 بالتسبيح الصلاة وبالوقتتين الصبح والعصر والعشاءين وفي الحديث: «أكثرُوا ذكر
 الله حتى يقولوا مجنون» رواه الإمام أحمد والطبراني⁽¹⁾.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 677) رقم (1839)، وابن حبان في الصحيح (3/ 99) رقم (817)، وأبو يعلى في المسند (2/ 521) رقم (1376)، وأحمد في المسند (3/ 68) رقم (11671).

وورد: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت ولم يذكروا الله فيها» رواه الطبراني والبيهقي (1).

وفي الخبر: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» رواه الشيخان (2).

وفي «تفسير السلمي» وقت الله العبادات كلها بالأوقات إلا الذكر فإنه أمر أن يذكر ذكراً كثيراً والذكر الكثير للقلب وهو أن لا يغيب القلب عن المشاهدة ولا يغفل عن الحضرة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه أحبوا الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب شيئاً أكثر من ذكره فيجب أن يقول الله ولا ينسى الله بعد ذكره الله ويقال: اذكروا الله بقلوبكم فإن الذكر الذي يمكن استدامته ذكر القلب فأما ذكر اللسان فإدامته سرمداً كالمتعذر ثم التسبيح من قبيل الذكر ولكنه ذكره بلفظين لثلا يعتريك سامة من ذكر واحد.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 43] بالرحمة ﴿وَمَلَئِكِهِ﴾ [الآية 43] بالدعوة للمغفرة والمعني يصلحون أموركم ويظهرون شرفكم ونورككم ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الآية 43] من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الآية 43] حين اعتنى بصلاح أمرهم وفلاح قدرهم.

وأفاد الأستاذ: أن الصلاة في الأصل الدعاء فصلاته سبحانه دعاه لنا بالتقريب للقاصي وصلاة الملائكة دعائهم لنا بالإحسان للمطيع وبالغفران للعاصي ويقال: الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة بمعنى الشفاعة ليعصمكم من الضلال إلى روح الوصال ويقال: ليخرجكم من ظلمات التدبير

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (93 / 20) رقم (182)، وفي مسند الشاميين (1) / (258) رقم (446)، والبيهقي في شعب الإيمان (1 / 392) رقم (512).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6407)، ومسلم في الصحيح (211 / 779).

إلى فضاء شهود التقدير ويقال: ليخرجكم من/ ظلمات نفوسكم إلى أنوار البصائر في قلوبكم ويقال: ليخرجكم من أسباب التفرقة إلى شهود عين الحقيقة والتحقق بأوصاف الجمعة.

﴿يَحْيِيهِمْ﴾ [الآية 44] من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون ﴿يَوْمِ يَلْقَوْتَهُ﴾ [الآية 44] يوم لقائه عند الموت أو الخروج عن القبر أو دخول الجنة ﴿سَلِّمٌ﴾ [الآية 44] والمعني يسلم الله عليهم وهو متضمن للإخبار عنهم بالسلامة عن كل مكروه وآفة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الآية 44] هو الجنة ونعيمها مقيماً.

قال ابن عطاء: أعظم عطية للمؤمن في الجنة سلام الله من غير الوساطة.

وأفاد الأستاذ: أن اللقاء إذا قرن بالتحية لا يكون إلا بمعنى رؤية البصرية ثم التحية خطاب يفتح بها الملوك العادية فهذا السلام يدل على علو رتبهم التي جعلها لهم في منزلتهم فاللقاء حاصل بعينهم والخطاب واصل بسمعهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الآية 44] أي حسناً فإن الكرم نفي الدناءة والخسة، وفي الإشارة أجر كثير على عمل يسير فإن الكريم لا يستقضي في البيع والشراء وفي الإعداد تعريف بالإحسان السابق في وقت غيبة العباد.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ [الآية 45] الله بالوحدانية ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ [الآية 45] للمؤمنين بالجنة والقربة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 45] للعاصين بالحرقة والفرقة.

﴿وَدَاعِيًا﴾ [الآية 46] للخلق ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 46] إلى ما يجب الإيمان به من صفاته ومن القيام بوظائف طاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ [الآية 46] بتوفيقه وتسهيله ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الآية 46] يستضاء به من ظلمات الجهالة ويستنقذ به من يبدأ الضلالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر في كل وقت وحالة.

﴿وَيَشِرُّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الآية 47] على سائر الأمم ولو كانوا جمعاً كثيراً.

﴿وَلَا تُطْعِمُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الآية 48] دم على ما أنت عليه من إقامة الدين

واستقامة اليقين ﴿وَدَعَّ أَدْبَهُمْ﴾ [الآية 48] أي اصبر عليه ولا تغتم لديه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 48] اعتمد عليه فوض كفاية أمرهم إليه ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا﴾ [الآية 48] موكولاً إليه الأمور في الأحوال كلها فإن من توكل على القوي القدير تيسر عليه كل العسير.

وقال الأستاذ: يا أيها المشرف من قبلنا إنا أرسلناك شاهداً بوحدانيتنا ومشاهداً لنا بصمدانيتنا تبشر عبادنا عنا وتحذرهم / مخالفة أمرنا وتعلم مواضع الخوف منا وداعياً للخلق إلينا بنا وسراجاً يستضيئون بك وشمساً ينبسط شعاعك على جميع من صدقك وآمن بك ولا يصل إلينا إلا من تبعك وخدمك وصدقك وقدمك وبشر المؤمنين بفضلنا معهم ونيلهم منا طولنا عليهم وإحساننا إليهم ولا توافق من أعرضنا عنه وأضللناه من أهل الكفر والنفاق وأهل البدع والشقاق وتوكل على الله بدوام الانقطاع إليه وكفى بالله وكيلاً في الاعتماد عليه.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية 49] وفي حكمهن الكتابيات ﴿ثُمَّ طَلَقْتَهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [الآية 49] تجامعوهن وفي قراءة حمزة والكسائي تماسوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ﴾ [الآية 49] مدة أيام يتربصن فيها بأنفسهن ﴿تَمْتَدُّنَهَا﴾ [الآية 49] تستوفون عددها وظاهر الآية يقتضي عدم وجوب العدة لمجرد الخلوة كما هو مذهب الشافعية وهو كذلك عند المشايخ الحنفية بناء على الديانة لا في حكم القضاء عن الخصومة ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ [الآية 49] إن لم يكن المهر مفروضاً لها فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة لأن المتعة سنة للمفروض لها عند الشافعية وأما عند الحنفية فيستحب المتعة كل مطلقة إلا التي طلقها الزوج قبل الدخول بها ولم يسم مهراً لها ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ﴾ [الآية 49] اخرجوهن من منازلكم ليس لكم عليهن عدة ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الآية 49] من غير ضرر بهن ولا منع حق عنهن.

وقال الأستاذ: إذا آثرتم فراقهن فمتعوهن ليكون لهن عنكم تذكرة في أيام الحرقة إلى أن تتوطن نفوسهن على الفرقة وسرحوهن سراحاً جميلاً لا

تذكروهن بعد الفراق إلا بخير ظهر منهن ولا تستردوا منهن شيئاً تخلفتم به معهن فلا تجمعوا عليهن الفراق بالحال والإضرار من جهة المآل .

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَانَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الآية 50] مهورهن وفيه إثارة إلى أن تعجيل المهر سنة ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الآية 50] مما غنمك الله من دار عدوك فقد ملك صلى الله عليه وسلم صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما/ ، وأما ريحانة ومارية فمن السراري، وتقييد 44/ ب إحلال المملوكة بكونها مسببة بيان للأفضلية فإن المشتراة لا يتحقق به أمرها وما جرى عليها إلا في أسرها ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ﴾ [الآية 50] أي لا كالنصارى فإنهم لا يتزوجون امرأة نبيهم وبينها سبعة أجداد ولا كاليهود يتزوج أحدهم ابنة أخيه وأخته ﴿الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ﴾ [الآية 50] إلى المدينة والمعني مشتركان في الهجرة لا في الصحبة فلا تحل له غير المهاجرات كما دل عليه ما في الترمذي (1) .

وعن بعض معناه: اللاتي أسلمن، وقيل: قيد الهجرة بيان للأفضلية كما في تقييدها ما قبلها من القريتين السابقتين كان إشارة إلى الأكملية ﴿وَأَمْرَةٌ مُؤْمِنَةٌ﴾ [الآية 50] أي أحللناها دون غيرها ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الآية 50] من غير مهر لها ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ [الآية 50] يتزوجها ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 50] قيل: ينعقد في حقه عليه السلام بلفظ الهبة من غير ولي شهود ومهر وقيل: اختصاصه في ترك المهر فقط وهو الأظهر فتدبر في الجملة خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاق كرامته ورفعته عن مراتب أمته ثم القضية فرضية، فعن ابن عباس ومجاهد ما كانت تحته امرأة وهبت نفسها (2) ، وخالفها

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 355) رقم (3215)، وأحمد في المسند (1/ 318) رقم (2925).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 295) رقم (11787)، والبيهقي في مجمع الزوائد (9/ 407) رقم (15383)، والمقدسي في أطراف الغرائب والأفراد (3/ 236) رقم (2526).

كثير من السلف في نقلهما والمشهور أنها زينب بنت خزيمة الأنصاري وماتت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 50] على عموم المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ [الآية 50] من شرائط العقد ووجوب القسم وتعيين العدد ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [الآية 50] من توسيع الأمر في المملوكات ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية 50] لأرباب الزلات ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية 50] بأصحاب الطاعات.

﴿تُرْجَىٰ مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ [الآية 51] تؤخر من تريد من نسائك وتترك مضاجعتهن بأن لا تقسم بينهن ﴿وَتُؤَيَّرُ إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ﴾ [الآية 51] وتضم إليك من تشاء وتضاجعها لديك أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمهموز والمعتل في هذا المبنى متحد في المعنى ﴿وَمَنِ ابْتَفَيْتَ﴾ [الآية 51] أي طلبت وأردت منها الإصابة/ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ [الآية 51] من النساء التي عزلتهن عن القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الآية 51] في شيء من ذلك إذ الأمر إليك ﴿ذَلِكَ أَذْفَىٰ﴾ [الآية 51] وأولى ﴿أَن تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُخَزَّتْ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آيَأْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ [الآية 51] تأكيد نون يرضين أي ذلك التفويض إليك من غير وجوب قسم عليك أقرب إلى قرءة عينونهن انتفاء حزنهن وبقاءهن لاستواء الحكم في حقهن كلهن ثم أن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك عليهن وإن رجحت بعضهن علمن أنه يحكم الله فيهن فتطمئن نفوسهن ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية 51] فاجتهدوا في إحسانهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الآية 51] بذات الصدور حلماً لا يعجل بالعقوبة في الأمور واتفقت الروايات على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن في القسمة ويقول: اللهم هذا

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 55) رقم (13131)، وهناك روايات تشير إلى ميمونة بنت الحارث. انظر ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (23/ 421) رقم (1019)، وابن أبي شيبه في المصنف (3/ 562) رقم (17176).

قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك⁽¹⁾ بعين من المحبة .

وقال الأستاذ: أي وسعنا الأمر عليك في باب نكاحهن بكم شئت منهن فإنك مأمون العيب في التسوية بينهن ومراعاة حقوقهن وترك الحيف عليهن والتوسعة في النكاح تدل على زيادة الفضيلة كالحر والعبد .

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ﴾ [الآية 52] وقرأ أبو عمر بالتأنيث ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ [الآية 52] بعد هؤلاء التسع فلا يجوز لك العشر فما فوقها وهو في حقه كالأربع في حق أمته أو من بعد هذا اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى ويؤيده قوله ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الآية 52] فتطلق واحدة تنكح بدلها ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الآية 52] حسن الأزواج المستبدلة، واختلف أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله: ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَأٍ﴾ [الآية 51] فإنه وإن يقدمها قراءة فهو مسبوق بها منزلة فقد روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي والنسائي في سنتهما عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى أحل له الله النساء⁽²⁾، انتهى .

إلا أنه عليه السلام لم يقع منه بعد ذلك تزوج فوقهن ليكون المنة له عليهن ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الآية 52] استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الآية 52] فتحفظوا أمركم وخذوا / حذرکم . 45/ ب

وقال الأستاذ: لما اخترته على الدنيا أثبت الله لهن حرمة في ألمهن أي كما اخترتك فلا تختزن عليهن غيرهن تطيباً لقلوبهن ونوعاً للمعادلة بينه وبينهن وهذا يدل على سعة كرمه سبحانه على عباده .

﴿يَتَأْتِيهَا مِنَ الْبَيْنِ أَمْ مَوْتًا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية 53]

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (204/2) رقم (2761)، والبيهقي في السنن الكبرى (298/7) رقم (14521)، والدارمي في السنن (193/2) رقم (2207)، وأبو داود في السنن (208/2) رقم (2136) .

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (356/5) رقم (3216)، والنسائي في السنن الكبرى (260/3) رقم (5311)، وأحمد في المسند (41/6) رقم (24183) .

أي وقت أن يؤذن أو بأن يؤذن لكم ويدعى بكم ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ [الآية 53] حال كونهم غير منتظرين وقت إدراكه ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ [الآية 53] تفرقوا منه ولا تمكثوا فيه والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه فالحكم مخصوص بهم وبأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته عليه السلام بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعده لبعض المهام ﴿وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثِ﴾ [الآية 53] أي ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 53] اللبث ﴿كَانَ يُؤْذَى النَّبِيِّ﴾ [الآية 53] لتضييق المنزل عليه وعلى أهله ولا اشتغاله فيما يعينه من حاله ﴿فَيَسْتَعِجِي مِنْكُمْ﴾ [الآية 53] من إخراجكم أو من إظهار كراهة مكثكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الآية 53] فيبين لكم طريق الصدق نزلت حين تزوج زينب وأولم فلما طعموا جلس ثلاثة منهم متحدثين فخرج عليه السلام من منزله ثم رجع على قصد دخوله وهم جلوس فرجع وكان عليه السلام شديد الحياء كذا روي في الصحيحين (1).

ولعله راعى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام: الآية 52] لا سيما وهو صلى الله عليه وسلم كان من أهل الكرم.

وأفاد الأستاذ: أن حسن خلقه عليه السلام جسرهم على المباشطة حتى أنزل الله هذه الآية ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ [الآية 53] إذا طلبتم من أزواجه ﴿مَتَاعاً﴾ [الآية 53] شيئاً يتنفع به ﴿فَسْأَلُوهُنَّ﴾ [الآية 53] المتاع ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الآية 53] روي أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب (2) فنزلت. والصحيح أنها كانت في ذي القعدة من السنة الخامسة ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 53] السؤال من وراء حجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4791)، وأبو عوانة في المستخرج (72/5) رقم (3370)، وأبو يعلى في المسند (21/7) رقم (3918).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4790) وابن حبان في الصحيح (319/5) رقم (6896)، وأحمد في المسند (24/1) رقم (160).

وَقُلُوبِهِنَّ ﴿﴾ [الآية 53] من الوسواس الشيطانية والهواجس النفسانية فإن الرؤية سبب التعلق والفتنة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نقلهم عن مألوف العادة إلى معروف الشريعة / ومفروض العبادة وبين أن البشر بشر وإن كانوا من الصحابة فلا ينبغي لأحد /46 أن يأمن نفسه في أمر الديانة ولذا تشدد الأمر في الشريعة بأن لا يخلو رجل بامرأة ليس بينهما محرمة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ [الآية 53] وما صح لكم ولا يليق بكم ﴿أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الآية 53] أن تفعلوا ما يكرهه بوجه ما ﴿وَلَا أَنْ تَنَكِّحُوا أَرْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الآية 53] من بعد وفاته بالإجماع أو بعد فراقه إلا أنه اختلف في المطلقة بعد دخوله وأما مطلقة قبل الدخول فلا نزاع في حلها ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 53] قصد إيدائه ونكاح نسائه ﴿كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الآية 53] ذنباً جسيماً.

﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا﴾ [الآية 54] كنكاحهن على ألسنتكم وسائر أموركم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الآية 54] في صدوركم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية 54] فيعلم جميع أعمالكم ويجازيكم بحسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن حفظ القلب مع الله ومراعاة الأمر بينه وبين الله على الصحة في دوام الأوقات المرور لا يقوى عليه إلا الخواص من أهل الحضور.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ذِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا بَنَاتِهِنَّ وَلَا إِخْوَاتِهِنَّ﴾ [الآية 55] في أن لا يحتجبن عن هؤلاء في حالاتهن ولم يذكر أعمامهن وأخوالهن لأنها بمنزلة الوالدين لهن ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ [الآية 55] لأنهن من جنسهن ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ [الآية 55] من إمائهن ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ [الآية 55] في السر والعلانية ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الآية 55] لا يخفى عليه خافية.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الآية 56] يعظمونه ويعتنون بإظهار شرفه وإعلاء شأنه ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيَّ﴾ [الآية 56] اعتنوا أنتم أيضاً فإنكم أولى به وقولوا اللهم صل على محمد ونحوه ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الآية 56]

وقولوا: السلام عليك أيها النبي وشبهه وقيل: وانقادوا لأوامره الآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل: يجب كما جرى ذكره ويكتفي في مجلس بالمرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد أن يكون للأمة عنده صلى الله عليه وسلم يد خدمة كماله عليهم بالشفاعة يد نعمة فأمرهم بالصلاة عليه ثم كافأهم بما لديه كما أخبر صلى الله عليه وسلم مشيراً إليه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشر مرات وفي هذا إشارة إلى أن العبد لا يستغني في وقت من الأوقات/ ب 46 عن الزيادة إذ لا رتبة فوق رتبة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد احتاج إلى زيادة صلوات الأمة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الآية 57] فينسبون إليه ما لا يليق بكبريائه كالولد والشريك وسب الدهر وأمثاله ﴿وَرَسُولَهُ﴾ [الآية 57] بالطعن في حقه وفيما يتعلق به أو المراد بإيذائهما مخالفة أمرهما ونهيهما ﴿لَتَمَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية 57] أبعدهم من رحمته الفاخرة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الآية 57] يهين أشباحهم وأرواحهم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الآية 58] بغير جناية استحقوا الأذى بها، وقيل: معناه ينسبون إليهم أشياء مما هم برؤاء منها ويؤيده قوله ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية 58] ظاهراً ففي الترمذي وأبي داود قيل: يا رسول الله ما الغيبة؟ فقال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان فيه ما أقول قال: إن كان فيه فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهته⁽¹⁾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازِلَةً وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ [الآية 59] يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفنهن إذا برزن لحاجة لهن ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (247/10) رقم (20952)، والترمذي في الجامع الصحيح (329/4) رقم (1934)، والدارمي في السنن (387/2) رقم (2714)، وابن حبان في الصحيح (72/13) رقم (5759)، وأبو يعلى في المسند (378/11) رقم (6493).

يُصْرَفَنَّ ﴿[الآية 59] أقرب أن يميزن من الإمام فيعرفن أنهن حرائر من النساء ﴿فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾ [الآية 59] فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية 96] لما عسى يصدر عنهن من الإخلال في تسترهن ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية 59] بهن من حيث بين لهن ما يصلح من أمرهن.

قال الأستاذ: وفيه تنبيه على حفظ الحرمة وإثبات الرتبة.

﴿لَنْ لَّمْ يَنْهَ الْمُنْفِقُونَ﴾ [الآية 60] عن نفاقهم وشقاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ [الآية 60] ضعف دين وقلّة يقين عن فجورهم في أمورهم ﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الآية 60] أخبارهم السوء عن سرايا المسلمين ونحوها في أمور الدين عن إرجافهم وإظهار خلافهم ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ [الآية 60] لنا مرك بقتالهم وإجلانهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ [الآية 60] في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 60] زماناً أو عدداً أو جوراً قليلاً وثم للتراخي في الإخبار أو للرتبة من جهة الدلالة على أن مفارقة المجاورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم المصائب وأتم المعاييب.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ [الآية 61] نصب على الذم أي مبعوثين عن وصول رحمته مطرودين عن دخول جنته ﴿أَيْنَ مَا تُقِفُوا﴾ [الآية 61] وجدوا/ ﴿أُخِذُوا﴾ [الآية 61] 47/ أ أسروا ﴿وَقَتِلُوا قَتِيلًا﴾ [الآية 61] قتلاً شنيعاً أو سريعاً.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 62] أي سن الله سنته في الأمم الخالية وهي أن يقتل الذين ينافقون الأنبياء الماضية ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 62] لأنه سبحانه لا يغير سنته ولا يقدر أحد أن يبدل عاداته.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الآية 63] عن وقت قيامها استهزاءً أو امتحاناً بها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 63] لم يطلع عليها أحد سواه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ [الآية 63] أي شيء يعلمك وقتها ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الآية 63] زمن وقوعها وفيه تهديد للمستهزئين وتشديد للممتحنين.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ﴾ [الآية 64] أبعدهم عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الآية 64] ناراً شديدة الإيقاد في حرقة وفرقة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الآية 65] لا نهاية لها ﴿لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا﴾ [الآية 65] يتولى نفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية 56] يدفع ضرهم.

﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [الآية 66] نصرف من جهة إلى جهة كلحمة تقلى في برمة أو يطرح في النار مقلوبة منكوسة أو تغير من حاله مساءة إلى نحوها وأعظم منها ﴿يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الآية 66] فلن يبتلي هذا العذاب وما يترتب عليه من الحجاب.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ [الآية 67] وقرأ ابن عامر ساداتنا ﴿وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الآية 67] بما زينوا لنا من الدليل وأخطؤونا السبيل فوقعنا في العذاب الويليل.

﴿رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الآية 68] من عذابنا لأنهم ضلوا أو أضلوا بنا أو من العذاب الذي عذبتهم فإنهم أحقوا للزيادة ﴿وَأَلْعَنَهُمُ لَمَنَّا كِبِيرًا﴾ [الآية 68] في الكمية وقرأ عاصم بالموحدة أي عظيماً في الكيفية.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى﴾ [الآية 69] حين نسبوه إلى البرص كما رواه البخاري مرفوعاً⁽¹⁾، أو أذره على ما رواه ابن أبي حاتم عن علي موقوفاً ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الآية 69] فأظهر الله براءة ساحته بأن أطلعهم على حسن حالته⁽²⁾ ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الآية 69] ذا وجاهة بينها، وقرىء: وكان عبد الله وجيهاً.

وأفاد الأستاذ: أن الجاه النافع ما كان عند الله إذ يقول الناس لا عبرة ولا خطرة له لا سيما العوام فإنهم يقبلون بلا شيء سالب ويردون بلا شيء موجب.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4799) ومسلم في الصحيح (4/1841) (156/339)، والحاكم في المستدرک (2/457) رقم (3579)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/359) رقم (3221)، والنسائي في السنن الكبرى (6/427) رقم (11424).
(2) انظر تفسير ابن أبي حاتم (6/12) وما أخرجه الحاكم في المستدرک (2/457) رقم (3579)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/359) رقم (3221).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 70] في ارتكاب ما يكرهه/ فضلاً 47/ ب
عن ما يؤذي الله ورسوله ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الآية 70] صالحاً لقبوله وصواباً في
مأموله.

﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الآية 71] يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها،
للقبول والإثابة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الآية 71] ويجعلها مكفرة لما سبق من
أحوالكم ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية 71] في أوامرها وزواجرها ﴿فَقَدْ
فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الآية 71] يعيش في الدنيا حميداً وفي العقبى حميداً.

قال سهل: من وفقه الله لصالح الأعمال فذلك دليل على أنه مغفور له
ذنوبه في آخر الأحوال.

وقال الأستاذ: ويقال سداد أقوالكم سداد أعمالكم ولقد هون عليك
الأمر من رضي منك بحاله وقال حاله ترك الشرك وقال كلمة الشهادة بالصدق
يصلح لكم أعمالكم الدنيوية من الخلل ويغفر لكم في الآخرة الزلل هذا
حصول سعادة الدارين وذكر الأعمال بالجمع وقدمها على الغفران لأنه ما
يصلح لك في حالك ولم يكفك ما أهمك من أشغالك لم تتفرغ إلى حديث
آخرتك ومالك.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الآية 72] تكاليف الشقال ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ﴾ [الآية 72] بأن قلن لهن هل تحملن الأمانة؟ وما يتعلق بها قلن: وأي
شيء فيها، قلنا: إن أحستن أثبتاكن وإن أسأتن عاقباكن قلن: لا طاقة لنا بالعقاب
ولا حاجة لنا إلى الثواب ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ [الآية 72] فامتنعن عن قبولها
﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الآية 72] خفن من ثقل حملها ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الآية 72] أي آدم
لما عرضنا عليه وفوضنا الأمر إليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ [الآية 72] لنفسه يتحمل ما
يشق عليها من الأمانة ﴿جَهُولًا﴾ [الآية 72] بوخامة عاقبة الخيانة كذا فسره جماعة
وعن كثير من السلف ما كان بين قبوله الأمانة وبين ما صدر منه الخطيئة والجناية
إلا قدر ما بين العصر إلى الليل.

وقال قوم هذا من باب المجاز أي إذا قايسنا ثقل الأمانة بقوة السموات

ونحوها رأيناها إنها لا تطيق ثقلها ولو تكلمت لأبت حملها ولذا قيل: معنى ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الآية 72] عارضناها وقابلناها بها ﴿فَأَبَيْتُ أَنْ يُحْمَلَنِي﴾ [الآية 72] فقصرن ونفضن عنها ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الآية 72] أي قبلها لكمال قابليته واستعداد جامعيته، ونظير هذا ما في لسان العرب وكلامها قولهم قال الجدار للوتد: لم تشقني/ قال: سل من يدقني وقيل: أراد بالأمانة الطاعة وسماها أمانة من حيث إنها واجبة الأداء ولازمة الوفاء والمعنى إنها لعظمة شأنها ورفعته برهانها لو عرضناها على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك وإفهام لأبين أن يحملنها وأشققن منها وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فإذا الداعي لها القائم بحقوقها لخير الدارين من فضل ربها في توفيق أمرها أنه أي الإنسان باعتبار أغلب أفرادها المتصفة بخيانة العصيان ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ [الآية 72] حيث لم يف بها ولم يراع حقها ﴿جَهُولًا﴾ [الآية 72] بكنه عاقبتها وشدة وخامتها وقال بعضهم: أداء أمانة الخلق من أداء أمانة الحق.

48/أ

وأفاد الأستاذ: أن خيانة الأمانة على مراتب فالكفار خانوا في أصل الأمانة وهي المعرفة ومن دونهم خانوا في المعصية على مقادير مختلفة وكل احتقب من وزره بقدره ويقال: أبين أن يحملنها إباء إشفاق لا إباء استكبار وشقاق، واستعفين فعفا عنهن وأعفاهن وحملها الإنسان قبلها ثم ما راعوها حق رعايتها كلُّ بقدر حالتها في خيانتها ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الآية 72] بصعوبة حمل الأمانة في الحال والعقوبة التي عليها في المآل وقوم قالوا عرض الأمانة على السموات والأرض وعرض على الإنسان فهم كانوا أهل العرض فاستعفوا وهؤلاء كانوا أهل الفرض فيقول راعوا واستقصوا ويقال: هذه الأمانات هي الواجبات أصولها وفروعها ويقال: التوحيد عقد أو حفظ العهد جهداً ويقال: أي السموات والأرض الأمانة فأبوا حملها ورأى الإنسان من يعرض فحملها ويقال: حملها الإنسان بربه لا بنفسه ويقال: لما حمل الأمانة وأولاده قال تعالى: وحملناها لما حملوا ما حملوا ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: الآية 60]. ويقال: كاشف الله السموات والأرض بوصف الربوبية والعظمة واشفقوا وكاشف آدم وذريته بوصف اللطف فقبلوا وحملوا وفي حال بقاء: العبد بالله

بحمل السماوات والأرضين على شعرة من جفنه.

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية 73] تعليل للحمل من حيث أنه كان تنجيه واللام للعاقبة وذكر التوبة في الوعد مشيراً بكونه ظلوماً جهولاً من جبلتهم لا خيانتهم عن تقصير أن تصدر عن زلتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الآية 73] حيث تاب على فرطاتهم وأثاب على طاعاتهم بالفوز في جناتهم على حسب درجاتهم.

48/ب



سورة سبأ

[مكية]

وهي أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سلاية قلابة نهابة وهابة تسلب القلوب ولكن لا كل قلب وتقلب الأبواب لكن لا كل لب وتنهب الأرواح ولكن من الأحباب وتهب الارتياح ولكن لقوم مخصوصين من الطلاب.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 1] خلقه ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية 1] لما فيها من مراتب جنته ومشاهد رؤيته ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] في الأمور ﴿الْحَيُّ﴾ [الآية 1] بما في سطور الصدور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه افتتح السورة بذكر الثناء على نفسه بإخباره عن جلاله واستحقاقه لتفوق عزه وجماله فهو في الأزل حامد لنفسه محمود واجد موجود لا يزال معبوداً وبالطلبات مقصود الذي له ملك السموات والأرض والملك لا يكون بالشركة فلا ملك إلا لله وحده وإن أجري هذا الاسم على مخلوق لا يضره فالزنجي لا يتغير عن لونه وإن سمي كافراً في وصفه وله الحمد في الآخرة من الذين اعتقهم وفي النعمة غرقهم ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] بتخليد قوم إلى الجنة وتأبيد قوم في النار الخبير بأحوال الأبرار والفجار.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 2] يدخل فيها كالكنوز والبدور والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الآية 2] كالحيوانات والنباتات ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية 2]

كالملائكة والأمطار ﴿وَمَا يَصْرُحُ فِيهَا﴾ [الآية 2] كأعمال الأولياء وأرواح الأصفياء ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 2] للمحسنين من المطيعين ﴿الْغَفُورُ﴾ [الآية 2] للمذنبين من المؤمنين الرحيم لمن آب إليه الغفور لمن تاب عليه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ [الآية 3] إنكار لمجيء القيامة ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ [الآية 3] يأتيكم على وجه البغته ﴿وَرَبِّي﴾ [الآية 3] وأقسم به ﴿لَتَأْتِيََنَّكُمْ﴾ [الآية 3] الساعة التي لا تنفع فيها / إلا الطاعة ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ﴾ [الآية 3] صفة ربي 49/أ أو بدل وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة لأن الساعة من أدخل المغيبات في الحقيقة وقرأ نافع وابن عامر: عالم الغيب بالرفع على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره ﴿لَا يَزُبُّ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [الآية 3] لا يغيب مقدار أصغر نملة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 3] وقرأ الكسائي لا يعزب بكسر الزاي ﴿وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 3] أي مسطور في اللوح المحفوظ المظهر بعض ما في علمه سبحانه ورفعهما بالابتداء.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 4] متعلق بقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي إتيانها بوصف عظيم ﴿أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 4] هو الجنة من غير التعب والمنة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ [الآية 5] بإبطال مبانيها وإفساد معانيها وتزهيد الناس فيها ﴿مُعْجِزِينَ﴾ [الآية 5] حال كونهم معوقين على زعمهم يحسبون أنهم يسبقوننا ويفوقوننا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بالتشديد وهو بمعنى معاجزين أو مثبطين عن الإيمان ومعوقين ﴿أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ﴾ [الآية 5] من سيء العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ [الآية 5] مؤلم في مقام الحجاب ورفع ابن كثير وحفص على أنه نعت العذاب.

وقال الأستاذ: المحسنون يجازيهم بالخيرات متصلة والكافرون يكافئهم بالعقوبات غير منفصلة.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [الآية 6] ويعلم أولو العلم من الأصحاب ومن تبعهم من الأمة في هذا الباب أو من مسلمي أهل الكتاب ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ

رَبِّكَ ﴿ [الآية 6] أي القرآن المنعوت بالفرقان ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ [الآية 6] ثاني مفعول يرى وهو ضمير فصل ﴿وَيَهْدِي﴾ [الآية 6] أي القرآن أو الله به ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [الآية 6] الذي هو التوحيد الشامل للأعمال الحميدة والأحوال السعيدة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 7] بالبعث وأنكروا ﴿هَلْ نَدْكُمُ عَلَى رَجُلٍ﴾ [الآية 7] يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم يحدثكم بحال عجيب وأمر غريب ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ﴾ [الآية 7] إذا متم وفرقتم كل تفريق حتى صرتم كالتراب ﴿إِنَّكُمْ لِنَىٰ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 7] للحساب والعذاب.

﴿أَفَرَأَيْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 8] من أعجب العجائب ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ [الآية 8] جنون فلا يفرق بين الصواب والخطأ ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ﴾ [الآية 8] أي الشديد ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [الآية 8] عن الرجوع إلى طريق الحميد.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 9] ألم يتفكروا أفلم ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 9] محيطة بهم من جميع جوانبهم ﴿إِنْ نَشَأْ﴾ [الآية 9] عذابهم في الدنيا قبل وصولهم للعقبى ﴿نَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسُفُّهُمْ كَسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية 9] لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البيئات وقرأ حمزة والكسائي يشاء ويخسف ويسقط بالياء وحفص كسفاً بالتحريك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [الآية 9] لدلالة ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [الآية 9] راجع إلى ربه متأمل في أمره.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [الآية 10] على سائر الناس بالنبوة والكتاب والمعجزة والملك الواسع والصوت البديع أو على سائر الأنبياء بما خصه من الأنبياء بقوله ﴿يَجْعَالُ آوِي مَعَهُ﴾ [الآية 10] رجعي مع التسبيح والمعنى سبحي معه إذا سبح ﴿وَالطَّيْرُ﴾ [الآية 10] عطف على محل الجبال ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [الآية 10] جعلناه كالشمع له يصرفه كيف شاء بيده من غير إحماء نار وضرب مطرقة في صنعه أن عمل أمرناه.

﴿إِن أَعْمَلَ سَبْعَتِ﴾ [الآية 11] دروعاً واسعات ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّيِّدِ﴾ [الآية 11] في نسجها بحيث تناسب حلقها أو قدر سائرها فلا تجعلها دقاً فتعلق ولا غلاظاً فتحرق ﴿وَأَعْمَلُوا صَلَاحًا﴾ [الآية 11] الخطاب لداوود وآله الكريم أوله على وجه

التعظيم ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 11] فأجازيكم على النكير⁽¹⁾ والقطمير⁽²⁾.

وقال الأستاذ: في القصة أنه قال في مناجاته: إلهي إني رأيت في التوراة ما أعطيت أنبياءك وأصفياءك من الرتب الجليلة فأعطينها فقال: إني بليتهم فصبروا فقال: فإني اصبر على بلائك فأعطني ما أعطيتهم من عطائك فأبلاه فوفق بالصبر على ما قضاها فأعطاه ما أعطاهم قال: وتكلموا في الفضل فقال: هو رجوعه إلى الله في حال ما وقع من الاعتذار أو الانتباه ويقال: هو شهوده موضع ضره وإنه لا يصلح أمره غيره ويقال: طيب صوته للزبور عند قراءته كان يرغب من يستمع إليه في متابعته ويقال: هو حلاوة قراءته حتى في حال مناجاته ويقال: حسن خلقه مع أمته وقد أمر الله الجبال والطير بمجاوبته حين خرج إلى الصحراء ينوح على نفسه وحالته وقيل: أوحى الله إليه يا داوود كانت تلك الزلة عليك/ مباركة فقال: يا رب وكيف الزلة تكون مباركة فقال: كنت تجيء قبله كما يجيء المطيعون فالآن تجيء كما يجيء المذنبون وفيما أوحى إليه يا داوود أنين المذنبين أحب إلي من صراخ العابدين وقد خيل له إلا لأنه معجزة ولأمره وتوسعة لرزقه ليعمل ذلك صنعته ويقطع طبعه عن أمته في ارتفاقه بهم وانتفاعه ليبارك لهم في اتباعه.

﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحُ﴾ [الآية 12] أي وسخرنا له الريح وقرأ أبو بكر بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة ﴿عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾ [الآية 12] مسيرها بالغدوة إلى انتصاف الشهر مسافة الشهر وبالعشي كذلك هذا القدر.

وقال الأستاذ: وفي القصة أنه لاحظ يوماً ملكه في حال انبساطه فمال الريح ببساطه فقال سليمان: للريح استوي فقالت الريح: استويت ما دمت مستوياً بقلبك كنت مستوية بحملك فملت فملت ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [الآية 12] النحاس المذاب اسأل له من معدنه فنبع فيه نبوع الماء من منبعه وكان ذلك باليمن ﴿وَمَنْ أَلْجَىٰ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 12] جملة من مبتدأ وخبره

(1) النكته التي في ظهر النواة. انظر لسان العرب (5/ 227).

(2) القشرة الدقيقة التي على النواة بين النواة والتمر. انظر لسان العرب (5/ 108).

﴿يَا ذِينَ رَبِّهِ﴾ [الآية 12] بأمره ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ [الآية 12] بعدك ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ [الآية 12] عن ما أمرناه من طاعة سليمان ﴿نُدْفُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الآية 12] في الآخرة أو في الدنيا بأن يدركه صاعقة فتحرقه.

﴿يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْ مَحْرَبٍ﴾ [الآية 13] قصور لطيفة ومساكن شريفة سميت بها لأنها يذب عنها ويحارب عليها وقيل: أريد بها المساجد والمعابد ﴿وَتَمَثِيلِ﴾ [الآية 13] وصور الملائكة والأنبياء على دأب الناس وعادتهم ليروها فيعبدوا بحق عبادتهم وحرمة التصاوير شرع محدد وقع في زمن التأخير ولا يبعد أن يراد بها تماثيل غير الحيوانات فإنها من جملة المباحات ﴿وِحْفَانٍ﴾ [الآية 13] جمع جفنة وهي القصعة والصحفة ﴿كَلْجَوَابٍ﴾ [الآية 13] جمع جابية من الجبابة وهي الجمع أي كالحياض الكبار ففي بعض الأخبار كان يأكل من جفنة واحدة ألف رجل ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [الآية 13] كجبال ثابتات لا تنزل عنها لعظمتها أو لدوام الاحتياج إليها أو لأن أثنائها منها ﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [الآية 13] أي ويقال لهم: ببيان القول أو بلسان الحال / اعملوا صالح الأعمال لشكر نعم الملك المتعال ولما كان الشكر بالجنان واللسان والأركان قال: ﴿أَعْمَلُوا﴾ تنبيهاً على التزام الأنواع في جميع الأحيان ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الآية 13] البالغ البازل وسعه بالشكر في أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حق نعمه من حالته لأن توفيقه للشكر نعمة أخرى تستدعي الشكر بالأحرى وهلم جرى ولذا قيل حقيقة الشكر هو العجز عن أداء الشكر.

وأفاد الأستاذ: أن الشكور هو الذي يشكر على المحنة فوق ما يشكره العامة على النعمة فالناس يشكرونه على الرخاء والشكور يشكره في البلاء ويقال: قليل من عبادي من يأخذ النعمة عني فلم يحملها على الأسباب فيشكر الوسائط ولا يشكرني.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [الآية 14] أي حكمنا على سليمان عليه السلام بالفناء بعد كماله في البقاء ﴿مَا دَلَّهُمْ﴾ [الآية 14] أي الجن ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِ﴾ [الآية 14] وقت موته ﴿إِلَّا دَابَّةَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 14] أي الأرضة أضيفت إلى فعلها ﴿تَأْكُلُ

﴿مِنْسَأْتُهُمْ﴾ [الآية 14] عصاته وقرأ نافع وأبو عمرو بألف بدلاً من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ [الآية 14] سقط سليمان حال كونه متكئاً على عصاه ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ [الآية 14] علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم ﴿أَنْ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ [الآية 14] بزعمهم ﴿مَا لِيُثْرُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [الآية 14] لم يمكثوا في العمل الشاق المهين لهم روي إن كان من عادته أن يعتكف في مسجد بيت المقدس سنة وستين وأقل وأكثر فلما علم قرب أجله قال: اللهم غم موتي على الجن حتى يعلم الأنس أن الجن لا يعلمون الغيب ثم دخل المحراب واتكأ على عصاه وقبضه ملك الموت والجن يرونه قائماً ويحسبونه حياً وهم في أعمالهم الشاقة فلما أكلت الأرضة عصاه خر سليمان فعلمت الجن أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة نحواً من سنة فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في أي موضع هي فيه كذا رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن الملك الذي يقوم بغيره ويكون استمساكه بعصا في يده فإذا سقط سقط بسقوطه فإن من قام بغيره زال بزواله سبحانه من لا زوال لكماله / في صفات جلاله ونعوت جماله وكان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة 51/أ وملك وهو ابن ثلاث عشر سنة فتكون مدة ملكه أربعين سنة.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ [الآية 15] لأولاد سبأ بن يخشب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه البزي وأبو عمرو لأنه صار اسم القبيلة وسكن حمزة وقنبل وعامله في الوصل معاملته في الفصل ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ [الآية 15] في مواضع سكناتهم وهي باليمن فقال لها: مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح أي موضع سكناتهم أو مسكن كل واحد منهم وقرأ الكسائي بكسر الكاف وهو مما شذ في القياس كالمسجد ﴿ءَايَةٌ﴾ [الآية 15] علامة دالة على وجود الصانع المختار وإنه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة والأحوال الغريبة ومجاز للمحسن على الإحسان وللمسيء على الإساءة

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/459) رقم (3584)، والطبراني في المعجم الكبير (11/451) رقم (12281).

﴿جَنَّاتٍ﴾ [الآية 15] بدل من آية تقديره هي أي تلك الآيات جنتان والمراد جماعتان من البساتين ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [الآية 15] جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله وكل واحدة منهما في تقاربهما كأنها جنة واحدة أو بستاناً لكل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [الآية 15] أي يقال لهم: هذا المقال بيان الحال أو بلسان المقال هذه ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [الآية 15] لمن شكر ﴿وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [الآية 15] لمن قصر جملة مستأنفة مبنية للدلالة على موجب الشكر في تلك الحالة قيل: كانت أخصب البلاد في الرخاء وأطيبها على العباد في الهواء لم تكن فيها ذبابة ولا هامة.

﴿فَاعْرُضُوا﴾ [الآية 16] عن شكر النعماء وكذبوا الأنبياء فعن وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً وقال السدي أثنى عشر ألف نبي والله سبحانه أعلم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرْمَرِ﴾ [الآية 16] سبيل الأمر الصعب روي أنه كان قدام قريتهم سد عظيم يجتمع خلفه الماء فيعملون على قدر حاجتهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الجرد فنقبه وغرقهم ذلك الماء كما قاله ابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم⁽¹⁾.

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ﴾ [الآية 16] ثمر بشع وقيل: كل شجر ذي شوك أو كل نبت مر فهو خمط / وفسره بالأراك جماعة من مشاهير السلف كابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم⁽²⁾. فالتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في كونه بدلاً أو عطف بيان له وقرأ أبو عمرو وذواتي أكل بغير تنوين وقرأ الحرميان بتخفيف أكل ﴿وَأَثَلٍ﴾ [الآية 16] عطف على أكل له لا على خمط فإن الأثل هو الطرف أو شجر يشبهه ولا ثمر له ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [الآية 16] ووصفه بالقللة فإن جناه وهو النبق⁽³⁾ مما يطيب أكله فهو أجود أشجارها وأحسن أثمارها أو قليل نفعه أو عديم ثمره.

(1) انظر نظم الدرر للبقاعي (486/6) وتفسير البحر المحيط (196/9).

(2) أخرجه البخاري ص: 890، وانظر تفسير الطبري (382/20)، وتفسير ابن كثير (6/508).

(3) انظر لسان العرب (350/10).

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ [الآية 17] بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالتوحيد والنبوة ﴿وَهَلْ نُجِزِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾ [الآية 17] لا يعاقب بمثل ما فعلنا بهم إلا المبالغ في الكفران أو الكفر وقرأ حمزة والكسائي وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب.

قال الأستاذ: كانوا في رغد من العيش وسلامة من الحال ورفاهية في لمال فأمروا بالصبر على العافية والشكر على النعمة فأعرضوا عن الوفاق وكفروا النعمة وضيعوا الشكر فبدلوا وبدل بهم الحال كما قال: تبدلت وتبدلنا وأخسرنا من ابتغى عوضاً سلى فلم يجد كذلك من الناس من يكون في رغد من الحال واتصال من التوفيق في الأعمال وطيبة من القلب ومساعدة من الوقت في حضور مع الرب فيرتكب زلة أو يتبع شهوة ولا يعرف قدر ما هو به من النعمة فتتغير عليه الحال فلا وقت ولا حال ولا طرب ولا وصال يظلم عليه النهار وكانت لياليه مضيئة بلا أقمار لكن ما عوملوا بالإيماء استوجبا، ولا سقوا إلا مما أنيطوا وما وقعوا إلا في الوهدة التي حفروا وما قتلوا إلا بالسيف الذي طيعوا.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الآية 18] بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام ﴿قُرَى ظَاهِرَةَ﴾ [الآية 18] متواصلة تظهر بعضها لبعض ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ [الآية 18] بحيث يقبل العادي في قرية ويبت الراح في قرية ﴿سَيْرُوا فِيهَا﴾ [الآية 18] يقال: بلسان الحال ﴿لِيَالِي وَأَيَّامًا﴾ [الآية 18] متى شئتم من ليل أو نهار ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الآية 18] لا يختلف إلا من فيها باختلاف / الأوقات وتفاوت الحالات.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ﴾ [الآية 19] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بعد ﴿بَيْنَ أَصْفَارِنَا﴾ [الآية 19] بطروا النعمة وملوا العافية كبني إسرائيل في تيه البادية فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز من الصحراء ليطاولوا فيها على الفقراء بركوب الدواب وتزود الأزواد في الجراب ولعل كان مرادهم أيضاً أن لا يتمكن غيرهم من تلك السفرة فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة ﴿وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية 19]

حيث أشروا النعمة التامة وكرهوا المنة العامة ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [الآية 19] لمن بعدهم يتحدث الناس بهم تعجباً وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدي سبأ ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [الآية 19] أي وفرقتهم في الأرض غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان وبعض إلى العراق وهكذا إلى سائر الآفاق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الآية 19] وهو المؤمن فإنه إذا أعطي شكروا إذا ابتلي صبر.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [الآية 20] أي في ظنه وشده الكوفيون بمعنى حقق ظنه فيهم وضمير عليهم لبني آدم عامة وقيل لأهل سبأ خاصة وظنه إنما هو لما ركب فيهم الشهوات أو لانهماكهم في الغفلات واللهوات ﴿فَأَتَّبَعُوهُ﴾ [الآية 20] أجمعين ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 20] الكاملين المخلصين من العلماء العاملين.

وقال الأستاذ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [الآية 20] وإن كان إبليس لا يملك بنفسه أمره.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 21] على متبعيه منهم ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ [الآية 21] تسلط واستيلاء بوسوسة ﴿إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ﴾ [الآية 21] تردد وريبة، والمعنى لنعلم علماً وقوعياً يتعلق به الخبر أفان كان معلوماً غيبياً في عالم القضاء أو لتمييز من يؤمن ممن قدر هدايته ويشك ممن قدر ضلالته ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [الآية 21] محافظ للأعمال ومراقب للأحوال.

وأفاد الأستاذ: أن إبليس مسلط على أتباعه من الإنس والجن وليس به من الإضلال شيء ولو أمكنه أن يضل غيره أمكنه أن يمسك على الهداية نفسه.

قل للمشركين: ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [الآية 22] أي زعمتموها آلهة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 22] من الملائكة والأصنام فيما يهكم من جلب منفعة أو دفع مضرة ليظهر لكم أنوار الألوهية وأثار الربوبية فتقربوا بوظائف العبودية ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ [الآية 22] لأنفسهم باختيارهم ﴿مُتَقَالِ دَرَّةٍ﴾ [الآية 22] من خير أو شر لهم

ولغيرهم ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 22] أي في العلويات والسفليات
والجملة استئناف بيان حالهم وضعف مالهم ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكَ﴾ [الآية 22]
شركة مالا خلقاً ولا ملكاً ﴿وَمَا لَهُ﴾ [الآية 22] أي الله سبحانه ﴿مِنْهُمْ مِنْ ظَهير﴾
[الآية 22] نصير ولا وزير ومشير فيما يتعلق بهما من تقدير ونذير.

﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ﴾ [الآية 23] أي يشفع أو أذن أن
يشفع له لعلو شأنه وظهور برهانه فليس للآلهة شفاعة كما زعم ممن عبدهم
جماعة وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي على البناء للمفعول ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ
قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 23] غاية لما هم من سابق الكلام من أن تم توقف وانتظار الإذن
بعض الأنام فيما قدر من المرام فالمعنى يتربصون بأجمعهم فزعين في كربهم
حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم بكلمة تكلم بها رب العزة في حقهم ﴿قَالُوا﴾
[الآية 23] أي بعضهم لبعض على وجه السؤال ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 23] في هذا
الحال ﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾ [الآية 23] أي قالوا: القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن
ارتضى من أهل الإيمان والرضى بالقضاء وقرأ ابن عامر فزع على البناء للفاعل
﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ [الآية 23] الرفيع شأنه ﴿الْكَبِيرُ﴾ [الآية 23] سلطانه وبرهانه.

قال الأستاذ: أخبر سبحانه أنه بربوبيته متفرد في الإلهية متوحد وإنهم لا
يملكون مثقال ذرة ولا مقياس حبة وإن الملائكة بوصف الهيبة فزعون وفي
الموقف الذي أثبتهم الحق واقفون لا يفترون عن عبادته ولا يستحسرون ولا
يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 24] من أهلها أو من جهتها
﴿قُلْ اللَّهُ﴾ [الآية 24] أن لا جواب سواه ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ﴾ [الآية 24] أي وإن أحد الفريقين من الموحدين للمتوحد بالخلق والرزق
والقدرة الذاتية السبحانية بالعبادة ومن المشركين به للجمام النازل في أو في
المراتب الإمكانية لمرتفع في مقام لهداية ومتشرف / على مرتبة العناية أو مطمس
في مطمورة الضلالة ومنغمس في مغمورة الجهالة وهذا من باب إرخاء العنان مع
الخصم في ميدان البيان والحاصل أنه كما لا خالق إلا الله فلا رازق سواه فلا

تعبدوا إلا إياه ولا تطعموا إلا من نعمائه.

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْتَلَىٰ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 25] فيما علمنا وفيه غاية من الانصاف معهم حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى مخاطبتهم.

قال الأستاذ: يحاسب الله كلاً على أعماله ويطالب كلاً بشأنه في أحواله لا يؤاخذ أحد بأعمال غيره ولا أقواله بل كل يعطى كتابه ويطلب الله من كل حسابه.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا﴾ [الآية 26] يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 26] يحكم ويفصل بأن يدخل المحق دار المثوبة والمبطل نار العقوبة ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ [الآية 26] الحاكم بالعدل ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 26] بأهل الفضل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنته بأنه يجمع بين عباده ثم يعاملهم في حال اجتماعهم بغير ما يعاملهم في حال افتراقهم وللا اجتماع أثر كبير في الشريعة وللصلاة بالجماعة أثر مخصوص في الفضيلة وعاتب الله الذين يتفرون عن الرسول في ميدان البيان ومدح من لا يتفرق عنه إلا بالاستئذان والشيخ ينظرون في الاجتماع من زوائد النعمة وفوائد المنة ويستوحون عنده الآية قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ [الآية 27] أخبروني هل لهم استحقاق بالشركة في الألوهية والربوبية ليرتب عليه استحقاق العبودية وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام حججهم زيادة في تبكيتهم ﴿كَلَّا﴾ [الآية 27] ردع عن المشاركة بعد إبطاله المقايسة ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية 27] الموصوف بالغلبة وجلال القدرة وكمال الحكمة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 28] أي إلا رسالة عامة لهم ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [الآية 28] لمطيعهم ومحرمهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 28] حقيقة حقيقتك فيحملهم جهلهم على مخالفتك.

قال الأستاذ: وهو مؤيد بالمعجزات مشرق في جميع الصفات سيد من في الأرضين والسموات ظاهر لأهل الإيمان مستور عن بصائر أهل الكفران وإن كان ظاهراً لهم من حيث العيان قال تعالى: ﴿وَتَرْنَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 198].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [الآية 29] من حدة جهلاتهم وشدة ضلالتهم ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ [الآية 29] المبشر به والمنذر عنه في أمر الدين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 29] يعنون النبي والمؤمنين الموافقين.

وأفاد الأستاذ: أنهم لكثرة ما صدر هذا القول منهم كرر الله في كتابه هذا خبراً عنهم وجاوبهم.

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ [الآية 30] وعد يوم فيه تلقون ما تلاقون ﴿لَا تَسْتَعْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الآية 30].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 31] ولا بما تقدمه من الكتب السابقة عليه ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوتُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 31] أي في موضع المحاسبة أو في مطرح المعاقبة ﴿يَجْعَلُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [الآية 31] أي يردون المكالمة في مقام المخاطبة والمعاينة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ [الآية 31] من الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [الآية 31] من المتبوعين ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 31] لولا صدكم إيانا عن إيماننا لكنا مصدقين نينا.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحَنُ صَدَدْنَاكُمْ﴾ [الآية 32] أي منعناكم ﴿عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ [الآية 32] في أنفسكم بمتابعة الهوى ومخالفة الهوى.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [الآية 33] إثباتاً لكونهم أسباباً في الضلالة وأبواباً في سلوك طرق الجهالة ﴿بَلْ مَكْرُ الْإِنْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الآية 33] أي بل مكركم لنا دائماً ليلاً ونهاراً حتى غيرتم علينا رأينا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً﴾ [الآية 33] أضداداً مما سواه ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾

[الآية 33] أي أضرم الفريقان من أهل الإضلال والضلالة ما ظهر لهم من الندامة في حالة مشاهدة العقوبة مخافة التعبير والملامة ﴿وَجَعَلْنَا الْأَعْتَلَّ فِيْ أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 33] وفق ما لهم من وبال الأثقال ﴿هَلْ يُجِزُّونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾ [الآية 33] أي ما يجزون إلا بأعمالهم على حسب أحوالهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ [الآية 34] أي نبي مرسل إليها ﴿إِلَّا قَالَ مُرُّوْهَا﴾ [الآية 34] أي منعموها ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الآية 34] وإنه لا بعث ولا كتاب ولا حساب ولا عقاب وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم مما ابتلي به من قومه وتخصيص المتنعمين بتكذيب المرسلين لأنه الداعي المعظم إلى التكبر على الأصفياء والمفاخرة بزخارف الدنيا وما يتعلق بها والاستهانة بمن أ/54 لم يحظ /منها.

وقال الأستاذ: أي قابلوا رسلهم بالتكذيب فيما قالوا لهم وإن رسلنا صبروا وماذا على هؤلاء الكفار لو آمنوا ففي نجاتهم أرسلوا ولصالحهم ما دعوا وبلغوا ولو وافقهم لسعدوا ولكن أقساماً سبقت لكم وأحكاماً حقت والله غالب على أمره.

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ [الآية 35] في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الآية 35] في العقبي إما لأن العذاب لا يكون هنالك أو لأنه أكرمنا فلا يهيننا كذلك.

﴿قُلْ إِنَّ رِزْقَ رَبِّي بِسُطِّ الرِّزْقِ لَمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 36] لا لكراهة ولا لإهانة بل لمجرد مشيئته ومحض حكمه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 36] فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للكرامة وإن قلتها بسبب الإهانة وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُصِجْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: الآية 55] أي بالعقبي.

وأفاد الأستاذ: إن هذا الأمر ليس بكثرة الأموال والأولاد ولا بسعة الجاه فيما بين أهل الميلاد وإنما هي بصائر مفتوحة لقوم وأخرى معدودة لقوم والله رؤوف بالعباد.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي﴾ [الآية 37] بالخصلة التي ﴿تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ [الآية 37] قرية ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الآية 37] أي لكن من آمن مخلصاً وعمل صالحاً ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّمِيفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ [الآية 37] من الطاعات ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [الآية 37] من المكاره والآفات فلا تقرب إلا بتحسين الأحوال وتزيين الأعمال لا بكثرة الأولاد والأموال فإنها لا تريد إلا الأحوال وقرأ حمزة في الغرفة على إرادة الجنس.

وقال الأستاذ: لا تستحق الزلفى عند الله بالأعمال الخالصة والأحوال الصافية والأنفاس الزاكية بل بالعناية السابقة بالهداية اللاحقة والرعاية الصادقة.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِنَاتِنَا﴾ [الآية 38] بردها والطنع فيها ﴿مُطَجِّزِينَ﴾ [الآية 38] ظانين أنهم يفوتوننا أو يغلبوننا ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الآية 38] كما أردنا. وقال الأستاذ: هم الذين لا يحترمون الأولياء في الجهر ولا يراعون حق الله في السر فهم في عذاب الاعتراض على أولياء الله وعذاب الوقوع بشؤم ذلك في ارتكاب محارم الله ثم في عذاب السقوط من عين الله.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [الآية 39] يوسع /54 ب عليه تارة ويضيق عليه أخرى لحكمة رآها فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين أو هذا في المؤمنين وذاك في الكافرين فلا تكرير مع احتمال تقرير ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [الآية 39] عوضاً عاجلاً أو بدلاً آجلاً ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [الآية 39] فإن غيره وسيط في إيصال رزقه ولا حقيقة لرازقيه غيره من خلقه.

وأفاد الأستاذ: أن من الخلق في الدنيا الرضا بالعدم والفقد وهو أتم من السرور بالوجود ومن ذلك الأنس بالله في الخلق ولا يكون ذلك إلا مع التجريد.

﴿وَيَوْمَ يُعْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ﴾ [الآية 40] وقرأ حفص بالياء فيهما ﴿أَهْؤُلَاءِ﴾ [الآية 40] المشركون ﴿إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الآية 40] تقريباً للكفرة

وتبكيئاً لحالتهم إقنطاً عما كانوا يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [الآية 41] أي لا موالاة بيننا وبينهم بينوا بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة فيما هنالك بقولهم ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ [الآية 41] أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 41] أكثر الإنس بالجن مصدقون ومطيعون وموافقون.

قال الأستاذ: وفي بعض الأخبار أن غداً من يسأله الحق في مقام العدل يقع عليهم من الخجل بما يقولون عذبتنا بارينا بما شئت من أنواع العقوبة ولا تعذبنا بهذا السؤال والملامة.

﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمَلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الآية 42] إذ الأمر فيه كله لله لأن الدار دار جزاء ولا مجازي سواه. أفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذا أن من علق قلبه في الأغيار وظن صلاح حاله من الاختيال والاستعانة بالأمثال والأشكال والاستعانة بالأمثال والأشكال نزع الله الرحمة من قلوبهم ويتركهم وتشويش أحوالهم فلا لهم من الأشكال والأمثال معونة ولا لهم من عقولهم في أمورهم استبصار ولا إلى الله رجوع واستغفار فإن رجعوا لا يرحمهم ولا يجيبهم في تلك الدار كما أخبر عنه بقوله ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ [الآية 42] أي وبال الأعمال التي بها استوجبتم هذه العقوبة في المال.

﴿وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا﴾ [الآية 43] يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا؟ ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ﴾ [الآية 43] / 55 أ / فيتبعكم بما كان يستبدعه لكم ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ [الآية 43] يعنون القرآن ﴿إِلَّا إِنْكَارٌ﴾ [الآية 43] كذب ﴿مُفْتَرَى﴾ [الآية 43] مخترق على الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ [الآية 43] لأمر النبوة وشواهدنا من ظهور المعجزة ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَلْهَابٌ مُمْسِيَةٌ﴾ [الآية 43] ظاهر السحر به.

وأفاد الأستاذ: أن الأولياء الذين هم الأئمة في ظاهر الطريقة إذا

نصحوا بعض الأمة ودعوهم إلى سبيل الهداية قال إخوانهم: من إخوان السوء وضعفاء اليقين وربما كان من قبل المتنصحين من أهل الغفلة في الدين والأقارب من أرباب الدنيا من ذا الذي يطبق هذا الطريق وإنك لا تتم هذا التحقيق ولا بدّ من الدنيا ما دمت تعيش فيها وأمثال ذلك حتى يميل المسكين عن قبول النصح في الدين وربما كان له هذا من خواطره الدنية فيهلك ويضل بالحالة الرديئة.

﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ [الآية 44] ويوجد فيها ما يدل على صحة ما يعبدونها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [الآية 44] يدعوهم إلى عبادة غير الله ويندرهم على تركها في دنياه أو عقابه فمن أين وقع لهم هذه الشبهة أو حصل هذه الريبة وهذا غاية لتجهيل عقولهم ونهاية لتسفيه رأيهم في نقولهم ثم هددهم.

فقال: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 45] رسلهم كما كذب هؤلاء نبيهم ﴿وَمَا بَلَّغُوا مِصْرَارَ مَا آتَيْنَهُمْ﴾ [الآية 45] وما بلغ جميع الآخرين عشر ما أعطينا بعض الأولين من القوة وطول المنة وكثرة المال والسعة ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الآية 45] أي إنكاري عليهم بالتدبير.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَجْدَةٍ﴾ [الآية 46] أرسلكم بخصلة واحدة هي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ [الآية 46] خالصاً لوجهه معرضاً عما سواه ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ [الآية 46] متفرقين اثنين اثنين أو مجتمعين واحداً واحداً فإن الازدحام يشوش الخاطر في المهام ﴿ثُمَّ نُنْفَكِرُوا﴾ [الآية 46] في أمر محمد عليه السلام وما جاء به من الأحكام فتعلموا ﴿مَا يَصْحَابِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ [الآية 46] ليس فيه جنون بل به علوم وفنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية 46] قدام القيامة ففي الحديث بعثت في نسف الساعة.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 47] أي أي شيء سألتكم من أجر على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ﴾ [الآية 47] خير ﴿لَكُمْ﴾ [الآية 47] ولا طمع / فيكم ﴿إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ أُنْتَدَىٰ وَشَوْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَيْدٌ﴾ [الآية 47] مطلع يعلم صدق نيتي وخلص طويتي.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 48] يرمي به الباطل فيدفعه ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

[الآية 48] أي هو علام الغيوب وستار العيوب ومقلب القلوب.

قال الأستاذ: ويقذف بالحق على باطل أهل الغفلة فتزول حيلهم ويظهر عجزهم ويقذف بالحق على أفعال أهل الغفلة فيضمحل اجترارهم ويحيق بهم شؤم معاصيهم ويقذف بالحق إذا حضر أصحاب المعاني على ظلمات أصحاب الدعاوى فيخمد تأثيرهم ويفتضحون في أمرهم ويتضح عوازمهم.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ [الآية 49] أي الإسلام ﴿وَمَا يُدْئِي الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾ [الآية 49] أي عبادة الأصنام والمعنى لم يبق للباطل نشأة أبداً ولا إعادة إنشاء فالباطل على ممر الأيام لا يزيد إلا زهوقاً واضمحالاً وانمحاءً والحق لا يزيد على ممر الأوقات إلا قوة وظهوراً واستيلاءً واستعلاءً.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ [الآية 50] عن الحق في طريق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ [الآية 50] فإن وبال ضلالي عليها وسبب وبالي راجع إليها ﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ﴾ [الآية 50] إلى الحق في سبيل قلبي ﴿فَسِمْمَا يُوجِحِي إِلَى رَبِّي﴾ [الآية 50] فإن الاهتداء بهدائته وتوفيقه ورعايته ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية 50] لمن دعاه ﴿قَرِيبٌ﴾ [الآية 50] لمن رجاه.

وقال الأستاذ: إن كنت مهتدياً فبربي لا بجهدي وإن كنت عندكم من أهل الضلال فوبال ضلالي علي لا يضركم فانظروا أنتم لأنفسكم أين وقفتم وأي ضرر عليكم في طاعتكم لي لا في المال تحسرون ولا في أنفسكم تتعبون ولا في جاهكم تنقصون وما أعرفكم من نقص أصنامكم فبالضرورة تعلمون فما لكم لا تبصرون ولأنفسكم لا تنظرون.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ [الآية 51] أي الكفار ﴿إِذْ فَرَعُوا﴾ [الآية 51] يوم بدر أو عند الموت أو البعث لرأيت أمراً فظيماً وحالاً شنيعاً ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ [الآية 51] فلا يفوتون الله بهرب أو بتحصن وحرب ﴿وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية 51] أي على وجه عجيب وفي زمان غريب والمعنى أنه إذا أخذهم بعد الإمهال فليس هناك إلا الاستئصال.

﴿وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ﴾ [الآية 52] آمنا بالله أو برسوله ﴿وَأَنَّى لَهُمُ اتِّتَابُ﴾

[الآية 52] وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز أي ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 52] فإن تناول إنما هو في زمان التكليف وقد فات منهم وبعد عنهم.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ [الآية 53] أي / بالله أو محمد وإنذاره ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ 56/أ [الآية 53] أي قبل ذلك حين كانوا مكلفين بما هنالك ﴿وَيَقْدُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [الآية 53] ويرجمون بالظن في الرسول من طعنه أو في العذاب من القطع على نفيه ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 53] من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التي محلها وفي أنفسهم تخيلوها.

وقال الأستاذ: إذا تابوا وقد أغلقت الأبواب وندموا وقد تقطعت بهم الأسباب فليس إلا الحسرات ثم لات حين الندامات كذلك من استهان بتفاصيل فترته ولا يستفيق من محاليل غفلته يتجاوز عنه مرة ويعفي عنه كرة فإذا استمكن القسوة وتجاوز سوء الأدب حد القلة وزاد على مقدار الكثرة فيحصل من الحق لهم رد جواب ويستقبلهم حجاب فبعد ذلك لا يسمع لهم دعاء ولا يرجى لهم نداء كما قيل:

فخل سبيل العين بعدك للبكاء فليس لأيام الصفاء رجوع
﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [الآية 54] من نفع الإيمان والنجاة من النار أو من اللذات النفسانية والشهوات الدنيوية أو من مياه الجنة ونعيمها الأخروية ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾ [الآية 54] بأشباههم من كفره الأمم الماضية ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّريبٍ﴾ [الآية 54] موقع في الريبة الظلمانية.

وأفاد الأستاذ: إن التوبة يشتهونها في آخر الأمر وقد فات الوقت والخصم يريد إرضاءه فيستحي أن يذكر في ذلك الوقت إنباءه وينسد لسانه ويضيق جنانه فلا يمكنه أن يفصح بما في قلبه ويود أن لو كان بينه وبين ما أسلفه أمد بعيد ويتمنى أن يطيع فلا تساعده القوة ويتمنى أن يكون له قبل خروجه من الدنيا نفس ثم لا تنفق في تلك الحالة، فنسأل الله العافية وحسن العاقبة.



[مكية]

وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها يوجب روحاً لمن كان يشاهد الإيقان وذكرها يوجب لوحاً لمن كان يوصف البيان فالروح من وجود الإحسان واللوح من شهود السلطان⁽¹⁾ وكل مصيب ولكل من الحق سبحانه نصيب.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 1] مبدعهما ومبديهما ومخترعهما ومنشئهما.

56/ ب قال جنيد: الحمد لله الذي جعل/ ما أنعم على عباده من أنواع نعمه في بلاده دليلاً هادياً إلى معرفته على وفق مراده فقال فاطر السماوات والأرض ليستدل بهما على أن من فطرهما هو فاطر من فيهما فيستغني بفطرته الأشياء أجمع عن الرجوع إلى غيره في سبب من الأسباب ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ كَرُؤُوسًا﴾ [الآية 1] وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده وإمائه يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة في المنام ﴿أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ﴾ [الآية 1] متعددة متفاوتة مختلفة بتفاوت ما لهم من المرتبة ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَعًا﴾ [الآية 1] ينزلون بها ويعرجون بسببها ويسرعون بقوتها التي خلقها الله فيها ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 1] استئناف للدلالة على أن تفاوتهم في ذلك بمقتضى مشيئة ومؤدي حكمته

(1) في المخطوطة غير واضحة، ولعلها الظان.

الآية متناولة لزيادة الأجنحة لبعض الملائكة فإنه عليه السلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وكذا لزيادة الصور والمباني وفضيلة المعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وسماحة النفس وخصافة العقل.

قال ابن عطاء: حسن المعرفة بالله وحسن الإقبال عليه وحسن المشاهدة وحسن المراقبة لديه وكذا الأستاذ الخلق الحسن ويقال: الكياسة في التجارة ويقال: الفصاحة في المحاوراة ويقال: الجود والسخاء ويقال: الرضا بالتقدير والقضاء ويقال: علو الهمة ويقال: التواضع في الأغنياء ويقال: العفة في الفقراء ويقال: سلامة الصدر عن ظهور الشرور ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 1].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه تعرف إلى العباد بأفعاله وندبهم إلى الاعتبار بها فممنها ما يعملون ذلك معاينة كالمسموات والأرضين وغيرهما ومنها ما سبيل إيماننا به الخبر والنقل لا تعلمه بالضرورة ولا بدليل العقل فالملائكة منهم ولا يتحقق كيفية صورتهم وأجنتهم وإنهم كيف يطرون بأجنتهم الثلاث والأربع لكن على الجملة نعلم كمال قدرته وصدق حكمته.

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 2] ما يرسل لهم ﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾ [الآية 2] كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [الآية 2] لحبسها ﴿وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ [الآية 2] يطلقه ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية 2] بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 2] الغالب على مراده ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 2] فيما يفعل بعباده.

قال أبو / عثمان: ما يفتح الله لقلوب أوليائه من القرب والأنس لو اجتمع 57/ أ الخلائق كلهم أن يمسكوه عن ذلك لعجزوا عنه ومن أغلق الله قلبه عن الإنابة إليه والتقرب لديه فلو اجتمع الخلق أن يفتحوا ما هنالك لما قدروا على ذلك.

وقال الأستاذ: ما يبح لقلوب العارفين من أنوار التحقيق وأسرار التدقيق لا سحاب يستره ولا ضباب يقهره.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 3] احفظوها بمعرفة حقها والقيام بطاعة منعها ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 3] أي من

جهتهما أو بسببهما والمعنى أنه كما لا خالق لهما إلا هو لا رازق لهما إلا هو ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تُؤَفَّكُونَ﴾ [الآية 3] فمن أي وجه يصرفون عن توحيدهِ إلى إشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بأنه وصف وجره حمزة والكسائي حملاً على لفظه.

قال ابن عطاء: من علم أنه لا رازق للعباد غيره ويتعلق قلبه بالأسباب دونه فهو من المبعدين.

وقال القاسم: يرزقكم من السماء الهداية ومن الأرض أسباب الغذاء والحفظ والبقاء.

وأفاد الأستاذ: أن من ذكر نعمته فصاحب عبادة ونائل زيادة ومن ذكر المنعم فصاحب إرادة ونائل زيادة ولكن فرق بين زيادة وزيادة هذا زيادة في الدارين عطاؤه وهذه زيادة في الكونين لقاءه اليوم سراً بسر من حيث المشاهدة وغداً جهراً لجهر من حيث المعاينة والنعمة على قسمين ما دفع من المحن وما صنع من المنن فذكره لما دفع عنه يوجب دوام العصمة وذكره لما نفعه به يوجب تمام النعمة وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ [الآية 3] إيماء إلى أنه إذا عرف أنه لا رازق غيره لم يعلق قلبه بأحد في طلب شيء منه وكما لا يرى رزقه من مخلوق لا يراه أيضاً من نفسه فيتخلص من ظلمات تدبيره واحتياله وتوسم شيء من أمثاله وأشكاله ويستريح بشهود تقديره ويخلص في توكله وتفويض أمره.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَ﴾ [الآية 4] أي بعض قومك ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية 4] فصبروا على ما كذبوا فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الآية 4] فيجازيك على الصبر كما يجازيهم على الكفر.

ب/57 وأفاد الأستاذ: أن في هذه / الآية إشارة إلى أصحاب الحقيقة مع الأجانب من هذه الطريقة فإن أرباب الحقائق أبداً منهم في مقاساة الأذية لا بستر أحوالهم الجليلة والعوام أقرب إلى قبول الحق من القراء المتقشفين والعلماء الذين هم لهذه الأصول من المنكرين.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [الآية 5] وأخباره بالشواب والعقاب صدق
 ﴿فَلَا تَضُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الآية 5] فيذهلكم التمتع بزخارفها الفانية عن طلب
 الآخرة الباقية والسعي لمراتبها العالية العالية ﴿وَلَا يَفْرَنَكُم بِإِلَّهِ الْفُرُورُ﴾ [الآية 5]
 الشيطان الذي هو منبع الشرور بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية أو
 بأن يوسوس لكم بأن لا حساب ولا عتاب في الآخرة.

وأفاد الأستاذ: إن وعده سبحانه بالقيامة حق ووعد له لمن أطاعه في
 الدنيا بكفاية الأمور وحصول السلامة حق ووعد للمطيعين في الآخرة بوجود
 الكرامة حق وللعاصين في الآخرة بالندامة حق فإذا علم العبد بذلك فاستعد
 للموت ولم يهتم للرزق فإنه لا فوت ولم يتهم الرب في كفاية الشغل ونشط
 في استكثار الطاعة في العمل ثقة بالوعد ولم يلم بالمخالفات خوفاً من
 الوعيد.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الآية 6] عداوة قديمة لآباءكم ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾
 [الآية 6] في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم ﴿إِنَّمَا
 يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ [الآية 6] متابعيه ومشايعيه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَحْصَابِ السَّعِيرِ﴾ [الآية 6]
 والجملة استثنائية مبينة لعداوته ومقررة لعرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى
 والركون إلى الدنيا والإعراض عن العقبي والغفلة عن المولى فإن من نسي ذكر
 ربه فهو من حزبه بل قرينه من كمال قربه كما قال تعالى: ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
 فَأَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: الآية
 19]، وقال عز وعل: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شِيبَتًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾
 [الزخرف: الآية 36].

وقال سهل: حزبه أهل البدعة والأهواء الفاسدة والآراء الكاسدة.

وأفاد الأستاذ: أن عداوة الشيطان بدوام مخالفته فإن من الناس من
 يعاديه بقلبه وقوله ولكن يوافق به فعله ولا يقوي / على عداوته إلا بالالتجاء إلى 58/أ
 الرب وإعادته وتلك الاستعانة صدق الاستغاثة والشيطان لا يفتر في عداواتك
 فلا تغفل أنت عن مولاك لحظة في طاعتك فيغلبك عدوك فإنه أبداً متمكن لك

ثم حزبه المعرضون عن الله المشغولون بغير الله الغافلون عن الله ومفهوم هذا الخطاب أن الشيطان عدوكم فأبغضوه واتخذوه عدواً وأنا وليكم وحبيبكم فأحبوني وارضوا بي حبياً وولياً.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 7] في جميع الحالات ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ [الآية 7] على ما صدر عنهم من الزلات ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 7] على ما تحملوا من المشقات في الطاعات ففي الآية وعيد لحزب الشيطان ووعد لحزب الرحمن.

وقال الأستاذ: لهم عذاب معجل وعذاب مؤجل فمعجله تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم ودناءة همتهم حتى رضوا بأن يكون الأصنام آلهتهم وعذاب الآخرة لا يخفي على مسلم صعوبة عقوبتهم وأما ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ [الآية 7] ستر لذنوبهم اليوم ولولا ذلك لافتضحوا بين القوم وغداً كذلك ولولا ذلك لهلكوا هنالك ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 7] والأجر الكبير اليوم سهولة العبادة ودوام المعرفة وما يناله في قلبه من زوائد اليقين وخصائص الأحوال وفي الآخرة لتحقيق السؤل ونيل: ما فوق المأمول.

﴿أَفَنَ زَيْنٌ لِمُ سَوْءِ عَمَلِهِ﴾ [الآية 8] بأن غلب وهمه على عقله ﴿فَرَأَاهُ حَسَنًا﴾ [الآية 8] بانتكاس رأيه حيث رأى الباطل حق وعكسه كمن كان أمره على خلافه بأن عرف الحق من الأحوال والحسن من الأعمال بتوفيق الملك المتعال ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 8].

وأفاد الأستاذ: أن الكافر يتوهم أن عمله حسناً كما أخبر سبحانه عنهم بقوله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ثم الراغب في الدنيا بجمع حلالها وحرامها ويحوش حطامها لا يتفكر في زوالها ولا في ارتحاله عنها قبل كمالها فلقد زين له سوء عمله والذي يتبع الشهوات يبيع مؤبد راحته في الجنة بمتابعة شهوة ساعة في النعمة فلقد زين له سوء عمله والذي يؤثر على ربه /58 ب شيئاً من المخلوقات فهو من جملتهم والذي يتوهم أنه إذا وجد نجاته من / العقوبة ودرجاته في الجنة فقد اكتفى فقد زين له سوء عمله حيث تغافل عن

حلاوة مناجاته والذي هو في صحبة حظوظه دون إثثار الله وحقوقه فهو ممن زين له سوء عمله ﴿فَلَا نَذْهَبُ﴾ [الآية 8] فلا تهلك ﴿نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾ [الآية 8] للحسرات على جهالتهم وللندامات على ضلالتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [الآية 8] فيجازيهم على قبائح أعمالهم ومساوئ أحوالهم.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ [الآية 9] قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الرياح ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الآية 9] تهيجه وتفرقه ﴿فَسَقْنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الآية 9] يحتاجه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ [الآية 9] بالمطر النازل منه ﴿الْأَرْضَ﴾ [الآية 9] بإنباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 9] يبسها وذهاب نبتها ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [الآية 9] أي مثل إحياء الموات في صحة المقدور نشور الأموات من القبور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنته بأنه يظهر فضله في إحياء الأرض بتدريج في صنعه أو لا يرسل الرياح ثم يأتي بالسحاب ثم يوجه ذلك السحاب إلى الموضع الذي يريد تخصيصاً له كيف يشاء ويمطر هنالك كيف يشاء كذلك إذا أراد إحياء قلب عبد بماء يسقيه وينزل عليه من أمطار عنايته فيرسل أولاً رياح الرجاء ويزعج به كوامن الإرادة ثم ينشأ فيه سحاب الاهتياج ولوعة الانزعاج ثم يأتي مطر الجود فينبت في القلب أزهار البسط وأنوار الروح يطيب لصاحبه العيش إلى أن تتم لطائف الإنس.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ [الآية 10] الرفعة والمنعة ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 10] أي فليطلبها من عنده فإن كلها له ويجعلها لمن شاء من عبده.

وقال الأستاذ: أي من كان يريد أن يعرف لمن العزة فليعلم إنها لله جميعاً ويقال: من كان يريد العزة لنفسه فليطلبها من ربه ثم إن عزة الربوبية لله وصفاً وغير الرسول والمؤمنين فضلاً من الله ولطفاً فإن عزته قدرته وغلبته في إرادته ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [الآية 10] بيان لما يطلب به العزة في الدنيا والآخرة وهو التوحيد والأعمال الصالحة وصعودهما مجازاً عن قبولهما أو صعود الكتب بصفحهما والمستكن فيه يرفعه للكلم فإن العمل لا يقبل إلا / التوحيد أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه أو لله تعالى رخص العمل عبده 59/أ

الصفة لما فيه من الكلفة وقيل: الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وأنواع الثناء والكلم من الكلمة بمنزلة الثمر من الثمرة يفرق بين الجنسي وواحدة بالتاء واللفظ مفرد إلا أنه كثيراً يسمى جمعاً نظراً إلى المعنى الجنس ثم الكلم غلب على الكثير بحيث لا يستعمل في الواحد البتة حتى يوهم بعضهم أنها جمع كلمة وليس على حد تمر وتمرة هذا أو فسر في الحديث بأنه سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحىي بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وكان الحديث مقتبس من قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: الآية 27]، ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السُّيُوفَاتِ﴾ [الآية 10] المكرات السيئات ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 10] جزاء لتلك الحركات والسكنات ﴿وَمَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يُؤْرَخُ﴾ [الآية 10] يفسد ولا ينفذ لأن الأمور مقدره لا تتغير بمكر المكرة.

قال الأستاذ: تقلب عليهم مكرهم فما يتوهمون من خير لهم قلبه محنة عليهم ويقال: تخليته إياهم ومكرهم مع قدرته على عصمتهم وهو لا يعصمهم هو عذابهم الشديد، قبل يوم الوعيد.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الآية 11] بخلق آدم عليه السلام منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الآية 11] يخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الآية 11] أصنافاً ذكراً وإناثاً أو أنواعاً بيضاً وسوداً وعرباً وعجماً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [الآية 11] إلا معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ [الآية 11] وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر ﴿وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ [الآية 11] من عمر المعمر لغيره بأن يعطي له عمراً نقص من عمره وقيل: الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة في اللوح مثبتة مثل أن يكون فيه أن حج فلان فعمره ستون وإلا فأربعون وقيل: المراد بالنقصان بما يمر من عمره ويتنقص من الزمان أو يبارك في عمر وما ينقص في قدره ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الآية 11] هو علم الله الجامع لكل باب واللوح المحفوظ من التغيير ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 11].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم بدء نسبتهم لثلاثا يعجبوا بحالتهم ثم

أن المتخذ من الطين / سريع التغيير قليل القوة المكث لكنه يقبل الانحياز 59/ب
بالماء يخمر به طينته فإذا جاد الحق عليه بما الجود أعاده بعد انكساره بالذنوب
في عالم الوجود وإذا كان لا يخفى عليه شيء من أحوالهم في ابتداء خلقه فمن
لا يبالي أن يخلق من يعلم أنه يعصي لا يبالي أن يغفر من رآه يعصي.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الآية 12]

طعمه ضرب مثل للمؤمن والكافر والمطيع والفاجر والفرات الذي يكسر العطش
وحارته والسائغ الذي يسهل انحداره وابتلاعه والأجاج الذي يحرق لملوحته
ومراته ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبِيَّةً تَبَسُّونَهَا﴾ [الآية 12] المعنى
أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد والصفات لا يتساويان من حيث أنهما يختلفان
فيما هو المقصود بالذات كما أن المؤمن والكافر وإن اتفق اشتراكهما في بعض
الصفات كالشجاعة والسخاوة وسائر المكرمات لا يستويان فيها خلق من القصور
بالذات وهو المعرفة وما يتبعها من العبادات والطاعات.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يستوي الحالتان هذه إقبال على الله واستعمال
بطاعته واستقبال في معرفته وهذه إعراض عن الله وانقباض عن عبادته
واعتراض على الله في قسمته وقضيته هذا سبب قربه ووصال وهذا سبب
هجره وفصاله وفي كل واحدة من الحالتين يعيش أهلها ويرجي صاحبها وقتها
لا يستوي الوقتان هذا بسط وصاحبه في روح وهذا قبض وصاحبه في نوح
هذا خوف وصاحبه في احتياج وهذا رجاء وصاحبه في ارتياح هذا فراق
وصاحبه بوصف العبودية وهذا جمع وصاحبه في شهود الربوبية ﴿وَمِنْ كُلِّ
تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبِيَّةً تَبَسُّونَهَا﴾ [الآية 12] كذلك كل يتقرب في
حالته بربه ويتزين على بابه وهو الحلية التي بها يتحلّى من طرب أو حرب أو
شرف أو تلف ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ﴾ [الآية 12] في كل منها ﴿مَوَآخِرَ﴾ [الآية 12]
تشق الماء بجريها ﴿لِتَبْنُغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 12] من فضل الله بالنقلة فيها
﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 12] على هذه النعم جميعاً.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ 60/أ

كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿ [الآية 13] مر مراراً كل يجري لأجل مسمى هذه مدة دوره أو منتهى سيره أو يوم القيامة وغاية دهره ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 13] مرببكم والمتصرف فيكم ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ [الآية 13] على وجه الملك ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية 13] من الصنم وغيره ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [الآية 13] قدر قطمير من ملكه الكبير والقطمير لفافة النواة هو مثل اليسير والحقير ففيه الدلالة على تفرد الألوهية وتوحيده بالربوبية.

وأفاد الأستاذ: أن النفس تقلب مرة على القلب ومرة تقلب القلب على النفس وكذلك القبض والبسط وقد يستويان ومرة بقلب القبض على البسط ومرة البسط على القبض كذلك في الصحو والسكر والغناء والبقاء وسخر شمس التوحيد وقمر المعرفة على ما يريد من إظهارها على قلوب أهل التفريد والمكاشفة ذلكم الذي وصفته لكم بالقدرة على هذه الأشياء الظاهرة عندهم هو الله ربكم وهو مستبد بالملك فأروني منبسطة في النفي والإثبات مما تدعون من دونه وإذا لم يمكنكم ذلك فهلا أقرتم وفي عبادته أخلصكم وعن الأصنام تبرأتم وعن غيره أعرضتم.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾ [الآية 14] لأنهم جماد لا يدركون نداءكم ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ [الآية 14] على الفرض والتقدير وعلى زعمكم ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [الآية 14] لعدم قدرتهم على نفعكم فإنهم لا يملكون نفع أنفسهم فكيف يملكون نفع غيرهم أو لغيرهم منكم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [الآية 14] بإشراكهم لهم لأنهم يبطلانه يقرون أو يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [الآية 14] أي ولا يخبرك بهذا الأمر وغيره مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الله سبحانه فإنه الخبير به عن الحقيقة دون سائر المخبرين عن شأنه والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من مقاتلتهم.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتَمَّ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 15] في الإيجاد والإمداد ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [الآية 15] عن عبادة العباد ﴿الْحَمِيدُ﴾ [الآية 15] في جميع ما أراد.

قال سهل: لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر والغناء

فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره بغناه .

وقال الواسطي: من استغنى بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل .

وقال /الحسين: على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غناه بالله .

60/ب

وقال ذا النون: الخلق محتاجون إليه في كل نفس وخطرة ولحظة ولمحة .

وقال الشبلي: الفقر أن لا يرى في الدارين مع الله سواه . وسئل الخواص ما علامة الفقر الصادق قال: ترك الشكوى وإخفاء أثر البلوى .

وقال أبو سعيد الخراز: حقيقة الفقر أخذ الشيء منه واختيار القليل على الكثير عند الحاجة إليه .

وأفاد الأستاذ: أن الفقر على ضربين فقر خلقه وفقر صفة فققر الخلقة عام لكل حادث حصل من العدم والمخلوق مفتقر إلى خالقه في أول حال وجوده ليبدئه وينشئه وفي الثاني من حال بقائه ليديمه ويبقيه والله سبحانه في أزله وأبده غني فالعبد فقير لعينه والرب غني لعينه وأما فقر الصفة فهو التجرد فققر العوام التجرد من المال وفقر الخواص التجرد من الأعالل، والفقر على أقسام: فقير إلى الله وفقير إلى شيء هو من الله مثل معلوم ومرسوم ومن افتقر إلى شيء استغنى بوجود ذلك الشيء فالفقير إلى الله هو الغني بالله فالافتقار إلى الله لا يخلق من الاستغناء بالله ومن شرف الفقر اقترانه بالتواضع والتخشع ومن آفات الغنى امتزاجه بالتكبر والترفع وشرف العبد في فقره وكذلك عزه وذله في توهم الغنى وكذلك صغره وإذا تذلت الرقاب تقرباً منا إليك فعزها في ذلها ومن الفقر المذموم أن يستر الحق على صاحبه موضع فقره إلى ربه ومن الفقر المحمود أن يشهده الحق موضع فقره إليه ودوام احتياجه لديه ومن آداب الفقير الصادق إظهار التكبر عند كمال التكسر وكمال المعنى وزوال الدعوى ويقال الشكر على البلوى والبعد من الشكوى ويقال: إذا لم تدع ما هو صفته من استحقاق الغنى أولاك ما يغنيك وأعطاك فوق ما يكفيك .

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [الآية 16] بإهلاككم أو بإفنائكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 17] بقوم آخرين أطوع منكم في بقائكم.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [الآية 17] بمتعذر أو متعسر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفك أنه غني عنك وأشهدك موضع ففرك إليه وإنه لا بد لك منه في القصد من هذا إلا إرادته لإكرامك بشرق إكرامه / 61 أ
ولإيوائك في كنف إنعامه.

﴿وَلَا نُزِدُ وَازِرَةً وَزَرًا أُخْرَى﴾ [الآية 18] ولا تحمل نفس آئمة إثم نفس أخرى ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ [الآية 18] نفس أثقالها أو أوزارها ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾ [الآية 18] إلى تحمل بعض حملها من أوزار ثقلها ﴿لَا يَحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [الآية 18] لم يجب بحمل شيء منه ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ [الآية 18] المدعو ﴿ذَا قُوَّةٍ﴾ [الآية 18] صاحب قرابتها فنفي سبحانه أن يحمل عنها ذنبها كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها.

وقال الأستاذ: كل مطالب بعلمه وكل محاسب بديوان فعله لكل معه شأن وله مع كل أحد شأن تعالى شأنه وتعظم سلطانه وفي العبادات ما يجري فيها النيابة لكن في المعارف لا يجري البتة فلو كان عبداً عاصياً منهمكاً في الغواية فاتته صلاة مفروضة فلو قضى عنه ألف صفي وألف ولي لتلك الصلاة الواحدة عن كل ركعة ألف ركعة لا يقبل منه اللهم إلا أن يحيي هو بنفسه ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَلَعْنَا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: 79] عقابك لا يجري معه غيرك والخطاب الذي معك لا يسمعك غيرك فسر أو أقم وقف عليك محبتي مكانك من قلبي عليك مصون ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الآية 18] غائبين عن عذابه أو غائباً عنهم عذابه أو غائبين عن الناس في خلواتهم وفق حالاتهم في جلواتهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية 18] في جماعاتهم فإنهم المنتفعون بحلاوة طاعاتهم ﴿وَمَنْ تَرَكَّنَّ﴾ [الآية 18] تطهر عن دنس المعصية ووسخ الغفلة ﴿فَإِنَّمَا يَتَرَكَّنَ لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 18] إذ نفعه لها وأجره لا يتعدها ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [الآية 18] فيجازيهم على تركهم بالقليل والكثير.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [الآية 19] الكافر والمؤمن.

﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ [الآية 20] ظلمات الكفران ونور الإيمان.

﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحُرُّورُ﴾ [الآية 21] ولا ثواب الجنة ولا عقاب الحرقة

ولا لتأكيد نفي الاستواء أو تكريرها على الشفتين لمزيد المبالغة.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [الآية 22] أي العلماء والجهلاء أو الذاكرون

والغافلون، فقد ورد: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت

أو الفقراء والأغنياء، فورد: «إياكم ومجالس الموتى، قالوا: ومن الموتى يا رسول

الله؟ قال: هم الأغنياء».

وأفاد الأستاذ: أنه كما لا يستوي هذه الأشياء عندنا كذلك لا يستوي

الموصول بنا والمشغول / عنا والمجذوب إلينا والمحجوب لدينا ولا يستوي 61/ب

من أشهدناه حقنا ومن أغفلنا قلبه عن ذكرنا.

أحبابنا شتان واف وناقض ولا يستوي قط المحب وباغض

﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 22] هدايته فيوفقه لفهم آياته والاعتاظ

بعظاته ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الآية 22] مبالغة في إقناطه عن إيمانهم

وعن رجوعهم إلى مقام إحسانهم.

﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [الآية 23] فما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع فلا

إليك.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 24] محقين أو محققاً أو بالدين الحق ﴿بَشِيرًا﴾

[الآية 24] بالوعد الحق ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 24] بالوعيد الصدق ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾

[الآية 24] أهل عصر ﴿إِلَّا حَتَّىٰ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [الآية 24] مضى فيها نبي أو ولي ينوب

عنه واكتفى بالنذير عن البشير لأنه هو المقصود الأهم من البعثة لا سيما في أول

القضية.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 25]

بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم ﴿وَبِالنُّزُورِ﴾ [الآية 25] كصحف إبراهيم

﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [الآية 25] كالتوراة والإنجيل على إرادة التفصيل.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 26] أصروا على المعصية ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الآية 26] إنكاري عليهم بالعقوبة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [الآية 27] أجناسها وأصنافها من صفرة وخضرة وحمرة وحلوة ومرة ونحوها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ﴾ [الآية 27] وصفرة وغيرها ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ [الآية 27] بالشدة والضعف فيها ﴿وَعَرَبِيبٌ سُودٌ﴾ [الآية 27] جمع غرابيب تأكيد للأسود قدم للمبالغة على المؤكد.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ﴾ [الآية 28] أي في الأحوال ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية 28] كاختلاف الثمار والجبال وهو دليل ثبوت منشئها بنعت الجلال وصفة الكمال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [الآية 28] إذ شرط الخشية معرفة المخشي باعتبار ذاته وأفعاله وصفاته فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذا ورد في أخشاكم الله وأتقاكم له وقريء برفع اسم الله ونصب العلماء على التجريد فإن الخشية خوف مع التعظيم فالمعنى إنما يعظم الله العلماء لأنهم عالمون بموقع التكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية 28] معاقب للمصرّ على طغيانه ﴿عَفُورٌ﴾ [الآية 28] للتائب عن عصيانه.

قال ابن عطاء: الخشية أتم / من الخوف لأنها صفة الخاصة وهو نعت العامة. 62/أ

وقال جعفر: خشية العلماء من ترك الحرمة في العبادة وترك الحرمة في الإخبار عن الحق بالنقص أو الزيادة وترك الحرمة في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأولياء الأمة وتحقيق الإرادة.

وأفاد الأستاذ: إن من فقد العلم بالله فلا خشية له من الله، والفرق بين الخشية والرهبنة أن الرهبنة خوف يوجب هروب صاحبه فيجري في نفرته والخشية إذا حصلت فحبب صاحبها فيبقى مع الله في حضرته والخوف قضيته الإيمان قال تعالى: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية 175] والخشية

قضية العلم والهيبة موجبة المعرفة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ [الآية 29] يداومون على قراءته ويواظبون على متابعتة ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية 29] بأدابها الظاهرة والباطنة ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الآية 29] أي إخفاء وإظهاراً وليلاً ونهاراً أو كيف اتفق على حسب تصحيح طوية وإيقاعها على نية وقيل: السر في المسنونة والعلانية في المفروضة ﴿يَرْجُونَ نَجْرَةً﴾ [الآية 29] تحصيل ربح أخروي على عمل دنيوي ﴿لَنْ تَكْبُرَ﴾ [الآية 29] لن تفسد لن تكسد.

﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ [الآية 30] متعلقة بيرجون أي ليعطيهم أجور أعمالهم وافية ﴿وَيُزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 30] زيادة كافية ﴿إِنَّهُمْ عَفُورٌ﴾ [الآية 30] لفرطاتهم ﴿شُكُورٌ﴾ [الآية 30] لطاعاتهم.

وأفاد الأستاذ: إن الذين يستغرق جميع أوقاتهم قيامهم بحق الله وإتيانهم بأنواع طاعاتهم وصنوف القرب من عباداتهم فلهم القدر الأجل من التقريب والنصيب الأوفر من الترحيب والذين أحوالهم بضد أولئك فمناهم على عكس ذلك فهؤلاء الأولياء الأعزة وهؤلاء الأعداء الأذلة.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية 31] أي القرآن الجامع للأبواب التي يحتاج إليها أرباب الأبواب ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 31] لما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة بالوجه الصدق ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الآية 31] عالم بضمائرهم وظواهرهم.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ [الآية 32] أي من الأمم السالفة ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الآية 32] أي علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرهم فإن الله اصطفاهم على سائر الأمم / بأجمعهم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 32] بالتقصير في العلم به ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ [الآية 32] يعمل به في أغلب دهره ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [الآية 32] مسارع إلى الطاعات في جميع الأوقات من عصره ﴿يَاذُنِ اللَّهِ﴾ [الآية 32] بتوفيقه وتيسيره وأمره وثم عطف على ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَتْلُوكَ كَتَبَ اللَّهُ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴿﴾ [الآية 29] وجملة ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الآية 31] معترضة بين كيفية التدريس وكيفية التورث، وقد سئل الثوري ثم أورثنا على ماذا عطف؟ قال: عطف على إرادة الأزل بقوله: ﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ [الأنبياء: الآية 101] وهي الاصطفائية الأزلية.

وقال جنيد: لما ذكر الميراث؟ دل على أن الخلق فيه عام وخاص وإن الميراث لمن هو أصلح قريباً وأصح نسباً فتصحيح النسبة هو الأصل في رتبة القرابة فالظالم الذي يحبه لنفسه والمقتصد الذي يحبه له والسابق الذي أسقط عنه مراده بمراد الحق فيه فلا يرى لنفسه طلباً ولا مراد لغلبة سلطان الحق عليه.

وقال النصرآبادي: صحح النسب وخذ الميراث ولا يأخذ ميراث الحق إلا من نسبه بالحق وإلى الحق دون الأسباب والوسائط وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله تعالى اليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم أين المتقون» وقيل: الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم، وقيل: الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث كفرت سيئاته وهو معنى قوله عليه السلام: «أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته» كما رواه الإمام أحمد والحاكم⁽¹⁾ وغيرهما.

وورد أيضاً: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له»⁽²⁾.

وروي عن عائشة رضي الله عنها إنها قالت لصهبان: أما السابق فمن

-
- (1) أخرجه أحمد في المسند (5/198) رقم (21775)، وانظر تفسير البيضاوي (1/419).
 (2) أورده العقيلي في الضعفاء الكبير (7/178) رقم (1641)، وسعيد بن منصور في السنن (5/305) رقم (2131)، وانظر تفسير القرطبي (14/346)، وتفسير الألوسي (16/402)، والكشاف (5/419).
 (3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6/167) رقم (6094)، والطيالسي في المسند (1/209) رقم (1489)، والحافظ ابن حجر في المطالب العالية (10/392) رقم (3783).

مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم [لنفسه] فمثلي ومثلك⁽¹⁾.

وعن علي رضي الله عنه: الظالم أنا والمقتصد أنا والسابق / فضل له 63/أ فكيف ذلك؟ قال: أنا الظالم بمعصيتي ومقتصد بتوبتي وسابق بمحبتتي⁽²⁾. رواها الكواشي في تفسيره.

وفي «تفسير السلمي» قال الحسن البصري: السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم الذي زادت سيئاته على حسناته وقيل: الظالم الذي يجزع عند البلاء والمقتصد الذي يصبر على البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقيل: الظالم من غلب نفسه قلبه والمقتصد من غلبت قلبه نفسه والسابق من كان نفسه وقلبه في حراسة ربه.

وقال أبو علي الترمذي: لكل واحد من هؤلاء الثلاثة نوع من السؤال مناسب لما فيه من الحال أخبر عنها المصطفى بلسان المقال فسؤال الظالم أسألك الإيمان بك والكفاف من رزقك وسؤال المقتصد أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وسؤال السابق أسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك⁽³⁾.

وقال عبدالعزيز المكي: المغفرة للظالمين والرحمة للمقتصدين والقربة للسابقين.

وقال ابن عطاء: الظالم معذب والمقتصد معاقب والسابق مقرب وقال بعضهم: الظالم يراه في مقدار الجمعة والمقتصد يراه في اليوم مرة والسابق

(1) انظر تفسير النيسابوري (6/305).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/697) رقم (1900)، والطبراني في المعجم الأوسط (6/165) رقم (6091)، وفي المعجم الكبير (5/157) رقم (4932)، والنسائي في السنن الكبرى (1/387) رقم (1228)، وابن حبان في الصحيح (5/304) رقم (1971).

على الأريكة ينظر ولا يغيب عن المشاهدة وقيل: الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل: الظالم الواعظ بلسانه والمقتصد الواعظ بعمله والسابق الواعظ بسره ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 32] أي التورث أو الاصطفاء أو السبق ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الآية 32].

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الآية 33] مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة وقرأ أبو عمرو: ويدخلونها على بناء المفعول.

قال جعفر الصادق: فرق الله المؤمنين ثلاث فرق وقال لهم: عبادنا وأضافهم إلى نفسه تفضلاً منه وكرماً وجعلهم كلهم أصفياء مع علمه بتفاوت معاملاتهم ثم جمعهم في آخر الآية بدخول الجنة فقال: جنات عدن يدخلونها ثم بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بمحض كرمه وإن الظالم لا يؤثر في الأصفياء ثم بين بالمقتصدين / لأنهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لأنه لا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الإخلاص في الشهادة.

وقال الأستاذ: أي أعطيناك الكتاب وهو القرآن وذكره بلفظ الإيراث توسعاً في البيان واصطفينا اخترنا ثم ذكر أقسامهم الثلاثة، وفي الخبر: أنه لما نزل هذه الآية قال عليه السلام: «أمتي ورب الكعبة» ثلاث مرات، وفي الآية وجوه من الإشارات فمنها أنه ذكر بلفظ الميراث وهو يقتضي صحة النسب أو السبب وتمحل النسب هنا المعرفة وتمحل السبب الطاعة وإن قيل: تمحل النسب فضله وتمحل السبب فعلك فهو وجه ويصح أن يقال: تمحل النسب اختياره لك بدءاً وتمحل السبب إحسانه إليك ثانياً ثم بالميراث يبدأ بذوي الفروض ثم ما يبقی للعبصبة وإن كان صاحب الفرض أضعف استحقاقاً كذلك قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [الآية 32] فقدمه على أن المقتصد السابق. وتكلموا في الظالم فمنهم من قال: هو الأفضل وأراد به من ظلم نفسه بكثرة ما حملها من الطاعة والأكثرين على أن السابق هو الأفضل وقالوا: التقديم في الذكر لا يقتضي التقديم في الرتبة ولهذا نظائر كثيرة يعني فهو من باب التذلي لأمن طريق الترقى ويقال: قرن باسم الظالم قرينة وهو قوله لنفسه، وقرن باسم

السابق قرينة وهو قوله: بإذن الله فالظالم كان له زلة والسابق كان له صوله فالظالم رفع زلته بقوله لنفسه والسابق كسر صولته بقوله: بإذن الله يا ظالم ارفع نفسك ظلمت ولكن على نفسك ويا سابق اخفض رأسك سبقت ولكن بإذن الله ويقال إن العزيز إذا رأى ظالماً قصمه ولكن الكريم إذ رأى مظلوماً أخذ بيده يا ظالماً إن كان كونك ظالماً يوجب قهرك فكونك مظلوماً يوجب الأخذ بيدك ويقال: الظالم من زهد في دنياه والمقتصد من رغب في عقباه والسابق من أثر على الدارين مولاه ويقال: الظالم من نجم كوكب عقله والمقتصد من طلع بدر علمه والسابق من أشرق شمس معرفته ويقال الظالم من جاد بنفسه والمقتصد من لم ييخل بقلبه والسابق من جاد بروحه ويقال: الظالم من ترك الغفلة والسابق من ترك الملامة الظالم من له علم اليقين والمقصد من له عين اليقين والسابق من له حق / اليقين. 64/أ ويقال: الظالم بترك المحرمات والمقتصد بترك الشبهات والسابق بترك الزيادات ويقال: الظالم له المغفرة والمقتصد له الرحمة والسابق له القربة ويقال: الظالم صاحب الدنيا والمقتصد صاحب العقبى والسابق صاحب المولى ويقال: الظالم طالب الدرجات والمقتصد طالب النجاة والسابق طالب المناجاة ﴿ذَلِكَ هُوَ أَفْضَلُ الْكَبِيرِ﴾ [الآية 32] الذي ذكر الظالم مع السابق.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: الآية 33] لما ذكر أصنافهم رتبها ولما رتب حديث الجنة ذكرهم على الجمع تنبيهاً على أن دخولهم الجنة لا لاستحقاق بل بفضلهم وليس في الفضل تمييزاً، انتهى. وفيه بحث لا يخفى فإن الجنات فيها درجات ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الآية 33] عطف على ذهب أي من ذهب مرصع باللؤلؤ ومن ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفاً على محل من أساور ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الآية 33].

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [الآية 34] همهم من خوف العاقبة أو همهم لأجل المعيشة أو من وسوسة إبليس ونحوها وعن ابن عباس حزن الموت⁽¹⁾،

(1) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (128/1) رقم (105) ونقله عن مجاهد؛ وانظر تفسير البغوي (423/6) ونقله عن قتادة، والكشاف (420/5) ونقله عن ابن عباس.

وقيل: حزن زوال النعمة. وقد أكثروا حتى قال بعضهم: كراء الدار وقيل: التحويل من دار إلى دار وقيل: حزن المحاسبة وقيل: حزن المقاطعة وهو يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا.

وقال النصرآبادي: ما كان حزنهم إلا تدبير أحوالهم وسياسة أنفسهم فلما نجوا منها حمدوا.

وقال أبو سعيد الخراز: أهل المعرفة في الدنيا كأهل الجنة في العقبى قال تعالى: حاكياً عن أهلها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [الآية 34] وإنما أحزانهم الاشتغال بالأعراض والأغراض فتركوا الدنيا في الدنيا فتنعموا وعاشوا في الدنيا عيش أهل الجنة في العقبى ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الآية 34] للمطيعين.

وقال سهل: غفور لذنوب كثيرة شكور لأعمال يسيرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قدّم ما للعاصين رفقاً بهم لضعف حالهم.

﴿الَّذِي أَلْمَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ [الآية 35] دار الإقامة لا يبغون عنها حولاً من كمال الاستقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 35] حتى أقامه وتفضله إذ لا واجب عليه بشيء من فعله ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الآية 35] تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [الآية 35] كلال وملال.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا أرادوا أن يروا مولاهم لا يحتاجون إلى قطع مسافة أياماً بل هم كل في غرفهم يلقون فيها تحية وسلاماً وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مقلة في جهة بل يرونه كما هم بلا كيفية.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 36] لا يحكم بموت فان عليهم ﴿فَيَمُوتُوا﴾ [الآية 36] ويستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [الآية 36] فيسكنوا بل كلما خبت نارها زيد إسعارها.

وقال الأستاذ: لا حياة يتمتعون بها ولا أمانة يستريحون بسببها بل هم مقيمون في العذاب ومديمون في الحجاب ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [الآية 36] صاحب كفر وكفران وقرأ أبو عمرو وعلي بناء المفعول وإسناده إلى كل.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا﴾ [الآية 37] يستغيثون من أهوالها وشدة أحوالها ويقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [الآية 37] من الأعمال القلبية والقلبية على القواعد الدينية اليقينية ﴿عَبَّرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الآية 37] من الأمور الدنيوية الوهمية ﴿أَوْلَمْ نُصَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [الآية 37] وهو متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من أن يتذكر ويتفكر ولعل كمال عمر فيه يعذر وما ورد عنه عليه السلام العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة رواه البزار⁽¹⁾ ولفظ البخاري من عمره الله ستين سنة⁽²⁾ فقد أعذر إليه في العمر.

﴿وَجَاءَكُمْ التَّذْيِيرُ﴾ [الآية 37] أي النبي أو الكتاب أو العقل أو الشيب أو موت الإخوان والأقران ويقال: سقوط السن وفقد الأرب ونقوس الظهر وسائر علامات الكبر ﴿فَذُوقُوا﴾ [الآية 37] عذاب السعير ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الآية 37] يدفع العذاب عنهم ويرفع الحجاب منهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 38] لا يخفى عليه الأمور ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية 38].

قال الأستاذ: أي عالم بإخلاص المخلصين وصدق الصادقين ووجد الكافرين ونفاق المنافقين ومن يريد بالناس سوءاً ومن يحسن بالله ظناً.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 39] يلقي إليكم مقاليد تصرفها لينظر كيف يعمل كل أحد فيها ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [الآية 39] جزاء كفره على نفسه لا يتعدها ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْنَطَرًا﴾ [الآية 39] شدة البغض من الرب في الدنيا ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 39] في 65/ أ
تجارة العقبي.

وأفاد الأستاذ: أن أهل كل عصر خليفة عن تقدمهم فمن قوم هم

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (5/ 99) رقم (2710)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/

146) رقم (20305)، وأحمد في المسند (1/ 371) رقم (3519).

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (3/ 370) رقم (6311).

لسلفهم جمال ومن قوم هم لهم أرذال وأندال، الأفاضل زمانهم لهم محنة والأرذال لزمانهم منهم محنة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 40] يعني آلهتهم التي يعبدونها مما سواه والمعنى أخبروني هؤلاء الشركاء ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 40] أي جزء من الأرض استبدوا بخلقه ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الآية 40] أم لهم شركة مع الله في خلق شيء من السموات وتصرفه فاستحقوا بذلك شركة في الألوهية والربوبية لتقوموا لهم ببعض حقوق العبودية ﴿أَمْ آتَيْنَاهُم﴾ [الآية 40] أي الآلهة ﴿كِتَابًا﴾ [الآية 40] أي ينطق على أنا اتخذناهم شركاء ﴿ذَهُمَّ عَلَى يَدَيْنَيْ مِنَّةٍ﴾ [الآية 40] فيه على حجة من ذلك الإنباء ويجوز أن يكون ضميرهم للمشركين لقوله: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: الآية 35] ولا منع من الجمع بأن يكون الضمير لهم ولأتباعهم وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر والكسائي على بينات وفيه إيماء إلى أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد دلالات ﴿بَلْ إِنْ يَدُّ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية 40] أي يعدون ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [الآية 40] ما يغترون به من الأوهام في تصحيح عبادة الأصنام وهو تغير الأسلاف الأخلاف بأن هؤلاء شفعاء عند الله تعالى يشفعون بالتقرب إليهم.

وقال الأستاذ: كرر الله إسهادهم عجز أصنامهم ونقص من ألدوده الآلهة من أوثانهم يسفه بذلك آراهم ونهيههم عن ذميم أحوالهم وقبيح أفعالهم وخسة همهم ونقصان عقولهم ثم أخبر أنهم لا يأتون بشيء مما به يطالبون وليس لهم جواب عما يسألون.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [الآية 41] أي يمنعهم عن زوالهما ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ [الآية 41] ما أمسكهما ﴿وَمِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية 41] ومن بعد زواله أو من بعد الله ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الآية 41] حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تزولا كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَنَخِرُ لِحُبَالِ هَذَا﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مریم: الآيتان 90، 91].

وقال الأستاذ: أمسكهما بقدرته وأتقنهما بحكمته وزينهما بمشيئته وخلق

أجلهما على موجب قضيته فلا شبيهه في إبقائها / وإفنائها يساهمه ولا شريك 65/ ب
في وجودهما وبقاءهما يقاسمه.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [الآية 42] نبي ينذرهم
ويخبرهم ﴿يَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُممِ﴾ [الآية 42] وذلك أن قريشاً لما بلغهم أن
أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى في صنيعهم لو أتانا
رسول لنكونن أهدى من واحدة من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾
[الآية 42] وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ [الآية 42] أي النذير أو
مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ [الآية 42] تباعداً عن الحق وتفرأً عن الصدق.

﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 43] لأجل استكبارهم فيها على أهلها ﴿وَمَكَرُوا
السَّيِّئَ﴾ [الآية 43] والعمل القبيح فوقها ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ [الآية 43] لا يحيط ﴿الْمَكْرُ
السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [الآية 43] وقد حاق بهم يوم بدر جزاء مكرهم ولا بدّ لغيرهم
من إجزاء أمرهم ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية 43] أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾
[الآية 43] أي سنة الله فيهم بتعذيب تكذيبهم ﴿فَلَن نَّجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 43]
بأن يرحمهم بدل ما يعذبهم ﴿وَلَن نَّجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [الآية 43] بأن ينقله من
المكذبين إلى غيرهم.

وفي «المدارك»: أي لا يبدلها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها.

وقال الأستاذ: ليس لقولهم تحقيق ولا لعهدهم وضمنانهم توثيق وما
يعدون من أنفسهم فصريح زور وما يوهمون من وفائهم فصرف غرور وكذلك
المريد في أوان نشاطه تمنيه نفسه ما يعيد به عليه حالاً له فربما يعاهد الله
ويؤكد فيه عقده مع الله فإذا عضته شهوته وأراد الشيطان أن يكذبه صرعه
بكيده وأركسه في هوة غيه ومنتته نفسه فيسود وجهه ويذهب عند الله وجاهته.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 44] بظواهرهم أو بسرائرهم ﴿فَيَنْظُرُوا﴾
[الآية 44] فيبصروا أو فيتأملوا ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 44]
فيعتبروا بحالهم وسوء مآلهم ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 44] سعة وشوكة ﴿وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ﴾ [الآية 44] ليسبقه ويقلبه ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 44] خلقه ﴿فِي

السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا ﴿[الآية 44] بالأشياء كلها ﴿قَدِيرًا﴾﴾
[الآية 44] على ما شاء منها جميعها.

وأفاد الأستاذ: أن في الجملة ما خاب له ولي ولا ربح له عدو ولا يبال الحقيقة بمن انعكس قصده وارتد عليه كيده دمر على أعدائه تدميراً ووسع لأولياته فضلاً كثيراً.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ [الآية 45] من معاصيهم / ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرٍهَا﴾ [الآية 45] على وجه الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ [الآية 45] من نسمة تدب عليها بشؤم أعمالهم وقبح أحوالهم ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 45] معين لهم في الدنيا أو العقبى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَاتَّخَذَ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [الآية 45] فيجازيهم على أعمالهم وفق أحوالهم.

وقال الأستاذ: لو عجل لهم ما يستوجبون من الثواب والعقاب لم تف أعمارهم القليلة وما اتسع أيامهم القصيرة لها فأخر ذلك ليوم الحشر والنشر فإنه طويل عسير والله على كل شيء قدير وبأمور عباده خبير.

سورة يس عليه السلام

[مكية]

وهي ثلاث وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله آية افتتح بها خطابه فمن علمها أجزل ثوابه ومن عرفها أكثر إيجابه ومن أكبر قدرها أكرم مآبه، يس: قال الصادق: أي يا سيد مخاطباً للنبي صلى الله عليه وسلم ولذا قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»⁽¹⁾، ولم يمدح بذلك نفسه ولكنه أخبر عن مخاطبة الحق إياه بقوله.

﴿يَسَّ﴾ [الآية 1] وهذا شبيهه قراءة على المنبر ونادوا يا مال ونداؤه لأبي هريرة يا أبا هر وأما قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»⁽²⁾ أي لا أفتخر بالسيادة ولأن افتخاري بالعبودية أجل من إخباري عن نفسي بالسيادة وهذا المعنى في يس مروى عن كثير من السلف كابن عباس وعكرمة والحسن وسفيان وسعيد بن جبير وغيرهم وروى عن ابن عباس أيضاً وغيره أن يس اسم من أسمائه سبحانه فيكون مقسماً به كما يشير إليه عطف قوله.

﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ [الآية 2] أي ذي الحكم والأحكام على وجه الإحكام.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 3] إلى جمع الثقلين عظيم.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (3/2278)، والحاكم في المستدرک (2/660) رقم (4189)، وابن حبان في الصحيح (14/398) رقم (6478)، وأبو يعلى في المسند (7/281) رقم (4305)، وأبو داود في السنن (4/351) رقم (4675).

(2) انظر تخريج الحديث السابق.

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 4] على دين قويم عظيم في التوحيد بل إلى جميع العالمين من التوحيد والنبوة والبعثة والاستقامة.

وأفاد الأستاذ: أنه قد يقال: الياء تشير إلى يوم الميثاق والسين تشير إلى سره مع الأحباب فقال: بحق يوم الميثاق وسري مع الأحباب وبالقرآن الكريم إنك يا محمد لمن المرسلين وإنك لعلى صراط مستقيم.

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الآية 5] أي هو منزله أو كما أنه منزله وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وحفص بالنصب بإضمار أعني.

وقال الأستاذ: أي هذا الكتاب تنزيل العزيز المتكبر الغني عن طاعة المطيعين الرحيم المتفضل عباده المؤمنين.

﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ﴾ [الآية 6] أي مثل إنذار آبائهم الأقدمين أو شيئاً أُنذِر / به آبائهم الأبعدون أو لتنذر قوماً لم تنذر آبائهم الأقربون لتطاول مدة الفترة عليهم وعدم وصول رسول إليهم.

وقال الأستاذ: أي خصصناك بهذا العنوان وأنزلنا عليك هذا الفرقان لتنذر به قوماً حصلوا في أيام الفترة وانقرض سلفهم على هذه الفطرة ﴿فَهُمْ عَافُونَ﴾ [الآية 6].

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ [الآية 7] أي كلمة العذاب والفصل ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ [الآية 7] بالعدل دون الفضل ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 7] تحقق علمه سبحانه بأنهم لا يوقنون.

وقال الأستاذ: أي حق القول بالعقوبة على أكثرهم لأنهم أصروا على جحدهم وانهمكوا في جهلهم فالمعلوم منهم والمحكوم عليهم أنهم لا يؤمنون وعن العذاب لا يأمنون.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ [الآية 8] أي وفي أيديهم أيضاً فإن الغل لا يكون إلا فيهما ويؤيده أنه قرأ ابن مسعود: إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْمَانِهِمْ، وابن عباس في أيديهم، فالكل من باب الاكتفاء والاستفتاء والآية تمثيل لتصميمهم على الكفر

بحيث لا يغني عنهم الآيات والنذر بالذين غلت أعناقهم ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ [الآية 8] فالأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا يخليهم يطأطون رؤوسهم من جهة إذعانهم ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ [الآية 8] رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون إلى جهة الحق ولا يقبلونه ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وقيل: الآية محمولة على الحقيقة إنه سبحانه لما أخبر عن أحوالهم في الدنيا بين بعض شيء من سوء مآلهم في العقبى ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر: الآية 71]، ﴿وَنَحَّشُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا﴾ [الإسراء: الآية 97].

ولقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 9] ويبصره قول الأستاذ: سنجرهم إلى هوائهم وصغرهم ونذيقهم وبال أمرهم، والمعنى على التمثيل أنهم شبهوا بمن أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وورائهم في أنهم محبوسون في مظمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلالة. وقرأ حمزة والكسائي وحفص سداً بالفتح.

وفي «تفسير السلمي» من بين أيديهم سداً: طوال الأمد وطمع البقاء ومن خلفهم سداً هو الغفلة كما سبق من القضاء وقلة الندم على الجفاء أعماهم ترددهم في الغفلات عن اعتذارهم لما سبق لهم من الجنایات/ . 67/أ

وأفاد الأستاذ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [الآية 9] اليوم في بحار الضلالة وسرادقات الجهالة وفي الآخرة نقذفهم في النار والأنكال ونضيق عليهم بالسلاسل والأغلال ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 9] أعميناهم عن شهود الحجة ولبسنا عليهم في الآخرة سبيل المحجة فيعشرون في هذات جهنم وآخرين يبقون في دركاتهما صاغرين مهجورين مطرودين ملعونين مبعودين لا مقطوعاً عنهم ما به يعذبون ولا مرحوماً عليهم ما يشكون.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 10] في البقرة.

وأفاد الأستاذ: أن مهجور الحق لا أحد يصله ومردود الحق لا أحد

يقبله والذي قصمته المشيئة وأقامته القضية لا تنجع فيه النصيحة.

﴿إِنَّمَا نُنذِرُ﴾ إنذاراً نافعاً ﴿مَنْ أَتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ [الآية 11] أي القرآن ومواعظه بالتأمل فيه والعمل به ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ﴾ [الآية 11] أي بقلبه وسريته ولم يغتر بكرم الله ورحمته فإنه كما هو رحمن وغفار منتقم قهار ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ [الآية 11] لفرطاته ﴿وَأَجْرِ كَرِيمٍ﴾ [الآية 11] لطاعاته.

قال الحسين: أشرف منازل الذاكرين من نسي ذكره في مشاهدة مذكرة وحفظ أوقاته عن الرجوع إلى رؤية ذكره.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ﴾ [الآية 12] يوم القيامة أو الجهال بالهداية ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ [الآية 12] ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطلحة ﴿وَعَائِدُهُمْ﴾ [الآية 12] الحسبة كعلم علموه ووقف أوفقوه أو بناء خير بنوه والسيئة كإشاعة باطل وتأسيس ظلم وإبداء بدعة ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 12] يعني اللوح المحفوظ.

وقال الأستاذ: أي نحوي قلوباً ماتت بالقسوة بما مطر عليها من صوب الإقبال والزلفة ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَعَائِدُهُمْ﴾ [الآية 12] خطاهم إلى المساجد لنا ووقوفهم على بساط المناجاة معنا وقد تفرق دموعهم على عرصات خدودهم وتصاعد أنفاسهم ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 12] ثبت تفصيله في اللوح المحفوظ لا لتناولها كيف وقد قال: أحصي كل شيء عدداً ولكننا أحببنا إثبات آثار أحببنا في الممكنون منا من كتابنا.

67/ ب

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا﴾ [الآية 13] بين لهم قصة غريبة وحكاية عجيبة / ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ [الآية 13] على طريقة ليس فيها قرية ولا قرية أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 13] من عند رسولنا أو من قبلنا كما يدل عليه قوله.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ [الآية 14] أي ادعيا الرسالة عنا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [الآية 14] وقاربوا أن يقتلوهما ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ [الآية 14] وقرأ أبو بكر مخففاً أي فقويتهما ﴿بِثَلَاثٍ فَقَالُوا﴾ [الآية 14]. أي الرسل الثلاثة ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [الآية 14] من ربنا أو من رسولنا وذلك أنهم كانوا عبدة الأصنام فأرسل إليهم عيسى عليه السلام اثنين من

أصحابه الكرام فلما قربا من المدينة رأيا حبيب النجار يرمى غنماً له فسلما فأخبراه فقال: أمعكما آية تشفي المريض وتبرء الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض سنين فمسحاه فبرأ فأمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير وبلغ حديثهما إلى الملك فطلبهما وقال لهما: ألنا إله سوى آلهتنا، قالوا: نعم من أوجدك وآلهتك قال: قوما حتى انظر في أمركما. فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكراً وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به فقال له يوماً: سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت تفصيل ما يقولان؟ قال: لا قد حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون: من ربكما؟ قال الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال: صفاه وأجزا قالوا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال: وما آتاكمما؟ قالوا: ما يتمنى الملك فدعا بسلام مطموس العين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذنا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظرهما فقال له شمعون: أرايت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل ذلك. قال: ليس لي عنك سر إن آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ثم قال شمعون: لهما إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمننا به فدعوا بسلام مات من سبعة أيام فدعوا فأحياه الله تعالى فقال: إني أدخلت في سبعة أودية من النار وإني أحذركم ما أنتم فيه فأمّنوا وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسناً يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان، أي لقبول دعوتهم في إحياء الغلام فإن شمعون أيضاً كان يدعو معهما سراً فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فأمن في جمع / ومن لم يؤمن 68/أ صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا.

قال الأستاذ: انقراض زمانهم ومشى شأنهم وأوانهم ولكننا نذكر أحوالهم بعد فوات أوقاتهم ولا نرضى بأن لا يجري بين أحبائنا على السنة أولياءنا ذكر الغابرين الماضين من عبادنا وهذا مخلوق يقول في صفة مخلوق .

إذا نسي الناس إخوانهم وخان المودة خلانها
فعندي لإخواني الغائبين صحائف ذكرك عنوانها

﴿قَالُوا مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الآية 15] لا مزية لكم علينا يقتضي اختصاصكم بما تدعون من الرسالة إلينا وهلا أرسل الله ملكاً ليكون مقبولاً لدينا

﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 15] من الوحي والرسالة ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [الآية 15] في دعوى الرسالة والنبوة.

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 16] بتقويم الدين.

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [الآية 17] التبليغ الظاهر المبين بالدليل المبرهن بالآيات والمعجزات الشاهدة بصحة الرسالة.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [الآية 18] تشاءمنا بمجيئكم من وقت اختلاق الكلمة بيننا لأجلكم وتوقع الفتنة بسببكم ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ [الآية 18] عن هذه المقالة ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ [الآية 18] بالحجارة أو لنشتمنكم بالملامة على وجه السفاهة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 18] في هذه الحالة.

﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ﴾ [الآية 19] سبب شؤمكم ﴿مَعَكُمْ﴾ [الآية 19] لا يفارقكم وهو سوء عقائدكم وأحوالكم وقبح أعمالكم وأقوالكم ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمُ﴾ [الآية 19] أي لئن وعظمت تطيرتكم أو تواعدتم بما ذكرتم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الآية 19] في العصيان فمن ثم نشأتم أو في الطغيان وكذلك تواعدتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به ويعظم.

﴿رَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ [الآية 20] أي القرية ﴿بِجِلِّ يَسْعَى﴾ [الآية 20] يسرع مساعدة في الدين أو شفقة على المرسلين وهو حبيب النجار وقيل القصار وكان يتعبد في الغار بقرب بلد الكفار ولما سمع بهمهم بقتل رسلهم جاء ينصحهم ﴿قَالَ يَنْفُورُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 20].

﴿أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا﴾ [الآية 21] على تبليغ الرسالة وتبين النصيحة ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية 21] إلى خير الدارين وكذا من تبعهم في الكونين فليل له: أو أنت توافق هؤلاء وتخالف ديننا وتعبد غير إلينا.

فقال: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الآية 22] خلقتني وأعبد مخلوقاً مثلي

ب/ 68 / أو دوني ﴿وَالَّذِي تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 22] بالموت بعد مضي آجالكم فيجازيكم بأعمالكم فاسعوا أنتم أيضاً في تحسين أحوالكم.

﴿ءَأَتَيْدُ مِنْ دُونِهِ ۚ ءَالِهَةٌ إِن يُرِيدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي وَلَا يَنْفَعُنِي ﴿۲۳﴾﴾ [الآية 23] لا ينفعني ﴿شَفَعْتُهُمْ شَيْئًا﴾ [الآية 23] من المنفعة ولا تمنع عني شيئاً من المضرة ﴿وَلَا يُنْقِذُون﴾ [الآية 23] لا يخلصوني بالمعاونة والمغالبة.

﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿۲۴﴾﴾ [الآية 24] بين الضلالة ظاهر الجهالة أن أعدل عن عبادة قادر نافع ضار إلى عاجز عن النفع والدفع.

﴿إِنِّي ءَأَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية 25] الذي خلقكم وكفرتكم به ﴿فَأَسْمَعُونَ﴾ [الآية 25] فاسمعوا ما يدل على إيماني ولا يشير إلى إيقاني.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ [الآية 26] لما قتلوه بشارة بأنه من أهل الجنة وإشارة إلى دخولها لكونه من أرباب الشهادة والكلام بإعلام بحاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في بقر دينه وحزبه ولذا ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 26].

﴿يَمَا عَفَرْتُ لِي رَبِّي﴾ [الآية 27] ما صدر عني من ذنبي ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرُومِينَ﴾ [الآية 27] بتقربي أو نصح قومه في حياته ومماته كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس (1).

وقال حمدون القصار: لا يسقط عن الخلق رؤية الحق بحالٍ ولو سقط عنه في وقت لسقط في مشهد الأعلى في الحفرة ألا تراه في وقت دخول الجنة يقول: يا ليت قومي يعلمون حدث النفس إذ ذاك برؤية الخلق أقول: ما قال إنما هو باعتبار غالب الحال وإلا فقد قال صلى الله عليه وسلم: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» (2). والصوفية يعبرون عن ذلك المقام بالسكّر والمحو والفناء والاستغراق، والأكثر أنه كبرق خاطف وقل أنه يدوم يوماً بالاتفاق وعنه صلى الله عليه وسلم: «سباق الأمة ثلاثة لم

(1) أورده ابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول (779/2) رقم (779)، وانظر روح المعاني (22/229)، واللفظ عندهم: (نصح قومه حياً وميتاً).
(2) انظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/151) رقم (259)، والمقاصد الحسنة (1/565) رقم (926)، وكشف الخفا (2/173) رقم (2159)، والنخبة البهية في الأحاديث المكذوبة (1/15) رقم (278).

يكفروا بالله بعدي طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون⁽¹⁾ ذكره صاحب الكشاف.

ثم اعلم أن بعض السلف وأكثر الخلق على أنهم رسل عيسى وأسماءهم يحيى ويونس وشمعون والقرية أنطاكية ذكروا أن ملك القرية وأكثر أهلها آمنوا بعد تقويتهمما بثالث وظهور معجزاتهم ومن بقي على الكفر أهلكوا وكلام بعض دال على أنهم رسل الله وأسماءهم صادق وصدوق وشكوم وهو ظاهر القرآن لا سيما قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: الآية 10]. ويخطر بالبال والله / أعلم بحقيقة الحال إمكان الجمع بين الأقوال بأنهم كانوا رسل الله تعالى إلا أنهم كانوا تابعين لعيسى كما كان لوط مع إبراهيم وهارون مع موسى عليهم السلام وبه ينتظم متفرقات الكلام وإن الأسماء المتأخرة أوصاف للمسميات المتقدمة.

أ/69

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه قال: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ [الآية 20] ولم يكن أقصاها وأدناها لتفاوت بكثير في مداها ولكن جرى سنة في استكثار القليل من فعل عبده إذا كان برضاه ثم يستدرّ الكثير من فضله إذ بذله وأعطاه ثم لما صدق في حاله ونصح في مقاله وصبر على ما لقي من قومه ورجع إلى ربه تلقاه بحسن إفضاله وآواه إلى كنف إقباله ووجد ما وعده ربه من لطف إفضاله تمنى أن يطلع قومه على حاله ووصوله إلى مقام كماله وإنما أراد ذلك إشفاقاً عليهم ليعملوا مثل أعماله ليجدوا ما وجد من حسن مآله.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية 28] من بعد هلاكه ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية 28] لإهلاكهم ونصرة الأنبياء كما أرسلنا يوم بدر والخندق جمعاً من الملائكة لنصرة سيد الأصفياء بل كفيينا أمرهم بصيحة ملك رفعت شرهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ [الآية 28] أي وما كان من عادتنا إنزال جنيد من السماء في إهلاك الأمم المكذبة للأنبياء فأنزل الملائكة لنصرة سيد الأصفياء نبيه المصطفى

(1) انظر الكشاف (5/ 427)، وتفسير القرطبي (15/ 20)، ونسبه إلى ابن أبي ليلي.

ورسوله المرتضى كان من مختصاته تشریفاً لمقاماته.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ [الآية 29] ما كانت الأخذة أو العقوبة ﴿إِلَّا صِيحَةً وَحِدَةً﴾ [الآية 29] من جبريل بعثه الله إلى قريتهم فأخذ بعضادتي باب بلدتهم فصاح على أهل جلدتهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ [الآية 29] ميتون جامدون شبهوا بالرماد حيث لم يبق في البلاد أرواح تتردد في الأجساد.

﴿يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [الآية 30] تعالي فهذه الحالة التي من حقها أن تحضري فيها وهي ما دل عليها قوله ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 30] فإن المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خيري الدنيا والدين أحقاً بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهب على حالهم المتلهفون وقد تأسف على حالهم الملائكة والمؤمنون ونصبها لطولها/ بالجار المتعلق بها. 69/ب

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 31] ألم يعلموا؟ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ [الآية 31] الماضية وما عاملنا من قبلهم من الأمم لخالية ﴿أَنْتُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 31] والمعنى ألم يروا كثرة إهلاكنا من تقدم عليهم كونهم غير راجعين إليهم.

وقال الأستاذ: كلهم في قبضة القدرة لم يفتنا أحد ولم يكن بواحد منهم علينا عون ولا مدد ولا عن حكمتنا ملتحد.

﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [الآية 32] يوم القيامة يرجعون للجزاء إلينا ويجتمعون للعرض علينا وإن مخففة من المثقلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للمبالغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى ألا فيكون إن نافية أي ما كلهم إلا مجموعون لدينا محضرون محشورون إلينا.

﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ [الآية 33] أي اليابسة وقرأ نافع بتشديد التحتية ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ [الآية 33] بإنزال المطر عليها وإنباتها بما يليق إليها ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ [الآية 33] ما يسمى حباً من أنواعه وأصنافه ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [الآية 33] ومنه ما يدخرون.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [الآية 34] من أنواع النخل

والعنب واختير النخل دون ثمرها لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ [الآية 34] شيئاً من منابعها.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [الآية 35] ثم ما ذكر وقرأ حمزة والكسائي بضميتين ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 35] ما موصولة عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالدبس والعصير. ويؤيده قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فإن حذفه من الصلة أحسن من غيرها ويعضده قراءة ابن مسعود ومما عملته أيديهم والمعنى أن الثمر في نفسه يخلق الله لا بفعلهم إلا أن فيه آثاراً من كدهم وتعبهم في غرسهم وسقيهم أو نافية أي ومن الثمر لم يعلمه أي الناس بل خلقها الله بقدرته وإرادته قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 35] أي ألا يتدبرون صنعه فلا يشكرون نعمه.

قال ابن عطاء: أي القلوب الميتة بالغفلة أحياناً باليقظة والاعتبار والموعظة وأخرجنا منها معارف صافية وأحوالاً زاكية فهي أنوارها على ظواهرها وبواطنها جارية وسارية.

وأفاد الأستاذ: إنه لما كان أعظم شبههم في أمر البعث وإنكاره كان تكراره سبحانه حديث البعث وضرب المثل/ بإحياء الأرض بالنبات أكثر من كثير من الآيات والعجب ممن ينكر علم الأصول ويقول ليس في الكتاب عليه دليل كيف يشكل عليه هذا السبيل وأكثر ما في القرآن من الآيات يدل على صحة الحشر على سبيل الاستدلال ولحكيم أدلة العقول ولو أنهم أنصفوا من أنفسهم واشتغلوا بأهم شيء لهم لما ضيعوا أصول الدين فرضوا فيها بالتقليد وادعوا في الفروع رتبة الإمامة والتصدير في التسديد، ويقال في معناهم:

يا من تصدّر في مقام الإمامة فهي مسائل الفقه إملاءً وتديراً
عجلت عن حجج التوحيد بحكمها شيدت فرعاً وما مهدت تأسيساً

﴿سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [الآية 36] الأنواع والأصناف جميعها ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ [الآية 36] من النبات والشجر ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية 36] من الذكر والأنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 36]. وأزواجاً مما لم يطلعهم الله على حقيقته ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته.

قال عبد العزيز المكي: ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [الآية 36]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11] فدل ذلك على أن خالق الأزواج منزه عن الزوج مستغنٍ عنه.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية أيضاً فيها تنبيه على التفكير في بديع صنعه فقال تنزيهاً لمن خلق الأشياء المتشاكلة له أجزاء وعيناً من النبات ومن أنفسهم ومن الأشياء الأخر التي لا يعلمون تفصيلها كيف جعل أوصافها في المطعوم والأرايح والشكل والهيئة واختلاف أوراق الأشجار وفنون أغصانها وجذوع أشجارها وأصناف ثمرها وأزهارها واختلال أشكال أثمارها في تفرقتها واجتماعها ثم ما نيظ بها من الانتفاع بها على مجرى العادة مما يسميه قوم الطبائع في اختلافها في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واختلاف الأحداث التي يخلقها الله عقب شرب هذه الأدوية وتناول هذه الأطعمة على مجرى العادة من التأثيرات التي تحصل في الأبدان ثم اختلاف صور هذه الأعضاء الظاهرة والأجزاء الباطنة فالأوقات متجانسة والأزمان متماثلة والجواهر متشاكلة وهذه الأحكام مختلفة فلولا تخصيص حكيم لكل شيء بما اختص به وإلا لم يكن تخصيصها بغير ذلك أولى من تخصيصها بهذا وإن من كحل الله عين بصيرته بيمين / التعريف وقدر أوبته بالتوفيق أتم نظره ولم يصدده 70/ب مانع يعقب أثره فما أقوى في المسائل حجة وما أوضح في المسالك بهجة ولكن أقسام سبقت وأحكام على من شاء الحق بما شاء منه حقت.

﴿وَأَيَّاهُ لَهُمْ أَيْلٌ نَسَلُحُ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ [الآية 37] نزيله عن مكانه ونكشفه لظهور شأنه ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [الآية 37] داخلون في ظلام برهانه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يبطل ضوء النهار بهجوم الليل عليه ويزيل ظلام الليل بهجوم النهار عليه كذلك نهار الوجود يدخله على ليالي التوقف ويقود بيد كرمه عصا من عمي عن شكوك رشده فيهديه إلى سواء طريقه.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [الآية 38] لحد مقررٍ ينتهي إليه دورها أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين

مشرقاً ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع وتغرب في مغرب ثم لا تعود إليها إلى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم فمستقر اسم زمان والصحيح أنه اسم مكان إذا صح في البخاري وغيره بروايات متعددة عنه صلى الله عليه وسلم أن مستقرها تحت العرش تذهب وتسجد هناك⁽¹⁾ ما علم أنه إذا كان العرش كوة محيطة فتحيتها باعتبار ومكان خاص من العرش الله ورسوله أعلم به .

وظاهر بعض الأحاديث دال على أنه قبة ذات قوائم تحمله الملائكة فوق هذا الجانب من الأرض فحينئذ يكون وقت الظهيرة أقرب مما يكون إلى العرش وفي نصف الليل أبعد فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 38] ذلك الجري الخاص على وجه الاختصاص المتضمن للحكم المتعلقة بها بما يكلّ الفطن عن إحصائها ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ [الآية 38] الغالب بقدرته على كل مقدور له ﴿الْعَلِيمِ﴾ [الآية 38] المحيط علمه بكل معلوم عنده .

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَهُ﴾ [الآية 39] صيرنا مسيره ﴿مَنَازِلَ﴾ [الآية 39] أو جعلنا سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً فنزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فإذا كان في آخر منزله دق في جماله واستقوس في حاله ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ [الآية 39] رجع ﴿كَالْمُرْجُونَ﴾ [الآية 39] وهو العود المعوج الأصفر الذي عليه التمر ﴿الْفَكْدِيرِ﴾ [الآية 39] العتيق اليابس وقرأ ابن عامر والكوفيون والقمر بالنصب على شريطة التفسير / والباقون بالرفع على الابتداء. 71/أ

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا﴾ [الآية 40] يصح لها ويتسهل عليها ﴿أَنْ تُدْرِكَ﴾ [الآية 40] في آثاره ومنافع أسراره أو في مكانه بالنزول إلى محله وسلطانه ﴿وَلَا أَيْلُ سَابِقِ النَّهَارِ﴾ [الآية 40] يسبقه فيفوته ولكن يعقبه والمعنى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انتهائه بل يتعاقبان في أزمنة معلومة إلى يوم القيامة وقيل: المراد في الليل والنهار آيتاهما والسيران فيهما والمعنى لا يطلع القمر بالنهار وله ضوء يطمس نور الشمس ولا بالعكس

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4802)، ومسلم في الصحيح (250/159).

فسلطانها بالنهار وسلطانها بالليل كما لكل من المقدار ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الآية 40] أي وكلهم والضمير لهما ولسائر النجوم فإن ذكرهما مشعر بذكر غيرهما أولهما وجمع لاختلاف مطالعتهما فكأنها شمس وأقمار في محالهما ولإطلاق السباحة التي هي للعقلاء جمع بالواو والنون أي يسيرون فيه سير إسراع إقبالاً وإدباراً ليلاً ونهاراً لا يرى فيهما قراراً ومداراً ووصف الشمس بعدم الإدراك لأنها بطيئة السيران والقمر بعدم السبق لسرعة الجريان.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه العبارة إلى أن العبد في أوان الطلب دقيق الحال ضعيف اليقين مختصر الفهم في الأعمال متفكر حتى تزداد بصيرته وتتكمل حالته إلى أن يصير كاملاً جليلاً ثم يتناقص ويدنو من الشمس قليلاً وكلما ازداد من الشمس دنوا ازداد في نفسه نقصاناً إلى أن يتلاشى ويختفي ولا يرى ثم يبعد عن الشمس فلا يزال يتباعد حتى يعود بداراً فشيبه الشمس عارف أبداً في ضياء معرفته صاحب تمكين غير متلون بشرق من برج سعاده دائماً لا يأخذه كسوف ولا يستره سحب وشبيهه عند تلون أحواله في التنقل صاحب تلوين له في البسط ما يرقيه إلى حد الوصال ثم يرد إلى الفترة ويتبع في القبض مما كان به من صفاء الحال فيتناقص ويرجع إلى نقصان أمره إلى أن يرفع قلبه عن وقته ثم وجود عليه الحق سبحانه فيوفقه لرجوعه عن فترته وإفاقته/ عن سكرانه فلا يزال يصفو له الحال إلى أن يقرب من الوصول 71/ ب ويرزق صفة الكمال ثم بعد ذلك يأخذ في النقص والزوال كذلك حاله إلى أن يحق له بالمقسوم ارتحاله.

﴿وَأَيُّهُ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الآية 41] وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم أي أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الآية 41] المملوء من أمتعتهم وحيواناتهم.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ﴾ [الآية 42] مثل الفلك وشبهه من مراكب البحر ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ [الآية 42] من الإبل فإنها سفائن البر.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى حمل الخلق في سفينة السلامة في

بحار التقدير عند تلاطم أمواجه بفنون من التغيير والتأثير فكم من عبد غرق في أشغاله في ليله ونهاره لا يستريح لحظه من كد أفعاله ومقاساة التعب في أعماله من جمع ماله بنسيان عاقبته ومآله واستيلاء شغل ولده وعياله على ذكره وباله وما سعيه إلا في وباله ومحاله وكم من عبد غرق في لجة هواه يجره مناه إلى تحمل بلواه وحيس من الأمر مطلوبه ومبتغاه ثم لا يصل قط إلى منتهاه خسر دنياه وعقباه وبقي عن مولاه ومثال هذا ما لا يحصى وعلى عقل من تفكر واعتبر لا يخفي وإذا حفظ أحداً في سفينة العناية أفردته بالتحرز عن دق خسائس الأمور وشغله بظاهره بالقيام بحقه وأفردته في سرائره بفراغ القلب مع ربه ويرقيه إلى ما قال: «أنا جليس من ذكرني» وقل ما شئت من علو شأن من هذا صفته ولا حرج.

﴿وإِنْ نَشَأْ نُفْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ [الآية 43] فلا مغيب لهم يحرسهم عن إغراقهم أو فلا إعانة لهم ولا إغاثة عن استغراقهم ﴿وَلَا هُمْ يُقَدُّونَ﴾ [الآية 43] ينجون من عذاب فراقهم.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا﴾ [الآية 44] إلا رحمة من عندنا ونمتع بالحياة من جانبنا ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 44] زمان عين لآجالهم في تقديرنا.

وقال الأستاذ: لولا وجوده وفضله لحلّ به من البلاء ما حلّ بأمثاله ولكن بحسن إفضاله حفظه في جميع أحواله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية 45] من الآخرة فاعملوا لها ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ [الآية 45] من الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها أو نوازل السماء وبلياتها ونوائب الأرض / وعاهاتها كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سبأ: الآية 9] أو عذاب الدنيا وعقاب العقبي أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر من العيوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ [الآية 45] لكي ترحموا وعن الغفلة تعصموا، وجواب إذا محذوف وهو أعرضوا عنه كما دل عليه قوله.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 46] غير ملتفتين إليها أو مقبلين عليها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية 47] على من قدر الله عليه رزقه وفق ما قضاه ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 47] من مشركي قريش وغيرهم ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 47] أي في حق فقرائهم ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ [الآية 47] أي من لم يرزقه الله مع قدرته لا نطعمه لموافقة مشيئته وهذا من فرط ضلالتهم وكثرة جهالتهم فإن الله يطعم بأسباب وأشياء منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم له في الخلاء والملاء ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 47] حيث أمرتمونا بإنفاق سعة والإرفاق على من ضيق الله عليه في الأرزاق.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 48] في وعد البعث والإعادة.

﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ [الآية 49] ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً﴾ [الآية 29] وهي النفخة الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [الآية 49] يختصمون في المعاملة فتأتيهم بغتة وفجأة في الحالة وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء وتشديد الصاد وأبو عمرو وقالون باختلاس الفتحة وحمزة بسكون الحاء وتخفيف الصاد.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [الآية 50] في شيء من أمورهم ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 50] ولا يتمكنون من الرجوع إلى دورهم ليروا أهليتهم ويشاهدوا حالتهم بل يموتون حيث تبغتهم.

وأفاد الأستاذ: إن هذه صفة من يسبتهم في أودية الخذلان ووسمهم بسمه الحرمان وأصمهم عن سماع الرشد وصددهم بالخذلان على سلوك القصد فلا تأتيهم آية في الزجر إلا قابلوها بإعراضهم وتجاؤوا عن الاعتبار بها على دوام انقباضهم وإذا أمروا بالإنفاق والإطعام عارضوا بأن الله رازق الأنام وإذا شاء نظر إليهم بالإنعام / ثم يستعجلون هجوم الساعة ويستبطؤون قيام القيامة لا عن تصديق يزيحهم عن شكهم أو خوف يمنعهم عن غيهم ولكن تكذيب لدعوة النبوة وإنكار لصحة الرسالة واستبعاد لأمر الإعادة فقال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً﴾ [الآية 49] عند قيام الساعة ثم أنهم في العذاب محضرون لا يكشف عنهم ولا هم ينصرون.

﴿وُفِّخَ فِي الْأُصُورِ﴾ [الآية 51] أي نفخة ثانية ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ [الآية 51] أي قبورهم ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [الآية 51] يسرعون.

قال الأستاذ: يموتون قهراً ويحشرون جبراً ويلقون شراً ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً.

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا﴾ [الآية 52] يا هلاكنا تعال إلينا فهذا أوان قربك لنا ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [الآية 52] فيه إشعار بأنهم لاختلاط عقولهم لا يشعرون أنهم صاروا أمواتاً بل يظنون أنهم كانوا نياماً ثم لما أفاقوا من أحلامهم وتيقظوا من منامهم صرحوا في كلامهم رداً على أنفسهم في مرامهم وتحسروا في مقامهم بقولهم ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ [الآية 52] أي ما وعده لنا ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 52] أي فيما أخبرونا فموعهه حق وإخباره صدق.

﴿إِن كَانَتْ﴾ [الآية 53] ما كانت النفخة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 53] وهي النفخة الأخيرة ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [الآية 53] في موقف القيامة بمجرد تلك الصيحة.

وأفاد الأستاذ: أنهم يموتون على جهلهم لا يعرفون ربهم ويعثون على مثل حالهم لا يعرفون من بعثهم ويعدون ما كانوا فيه في قبورهم من العقوبة الشديدة بالإضافة إلى ما سيلقون من الآلام الجديدة نوماً ورقاداً وسيطأون من الفراق المقرح والاحتراق العظيم المفخم مهاداً ولا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً جزاء وفاقاً ولقد عوملوا بذلك استحقاقاً.

قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الآية 54] من الظلم في معرض حساب لا بنقص ثواب ولا بزيادة عقاب ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 54] من الحسنات والسيئات في كل باب ففي الحديث القدسي والكلام إلا لنبي إنما هي أعمالكم أحصاها لكم.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾ [الآية 55] أي يوم القيامة بعد دخول الجنة ﴿فِي شُغْلٍ﴾ [الآية 55] وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر بالسكون / ﴿فَنَكْهُونَ﴾ [الآية 55] متلذذون في النعمة وفي تنكير شغل وما فيه من الإبهام تنبيه نبيه على أنه أعلى

من أن تحيط به الأفهام ويعرب عن كنهه الكلام.

قال طاووس: لو علموا عمن شغلوا منا ما اشتغلوا به عمّالهم من الهناء.

قال ابن عطاء: أشغلهم في الجنة استصلاح أنفسهم لميقات المشاهدة وهذا من أعظم الأشغال في المجاهدة وسئل بعضهم عن قول النبي صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله فقال من رضي من الله بالجنة.

وقال ابن عطاء: مكر بالحق في كل موضع وخدعهم عنه بكل شيء حتى في الجنة.

وقال الأستاذ: إنما يضاف العبد إلى ما كان الغالب عليه ذكره والأخذ بمجامع قلبه أمره فصاحب الدنيا من في أسرها وأصحاب الجنة الذين هم طلابها والساعون لها والعاملون لمنالها قال تعالى مخبراً عن مقالهم ومجمل حالهم: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ﴾ [الصفات: الآية 61]، وهذه الأحوال وإن جلّت منهم فهي بالإضافة إلى أحوال الأكابر والسادة تتقاصر عنهم، قال عليه السلام: «أكثر أهل الجنة البله»⁽¹⁾، ومن كان في الدنيا عن الدنيا حراً فلا يبعد أن يكون في الجنة عن الجنة حراً يختص برحمته من يشاء، يعني كما يختص بنعمته من يشاء ويختص بنقمته من يشاء ويختص برؤيته من يشاء. وقيل: هذا الخطاب لأقوام هم فيها فارغون فيقول لهم: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [الآية 55] وهم أهل الحضرة والذين لا يشغلهم الجنة عن أنس القربة وراحات الوصلة ولذات الرؤية وقالوا: لو علموا عمن شغلوا لما تهنأوا لما به شغلوا. ويقال: إنما يقال هذا لأقوام في العرصة أصحاب المعصية لم يدخلوا النار ولم يدخلوا الجنة فيقول: الحق لهم عبيدي أهل النار ليس يتفرغون إليكم لأهوالهم وما هم فيه من صعوبة أحوالهم وأصحاب الجنة اليوم في شغل عنكم لأنهم في لذات منالهم وما وجدوا من إفضالهم مع أهلهم وأشكالهم فليس لكم

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 124) رقم (1366)، والقضاعي في مسند الشهاب (2/ 110) رقم (989).

اليوم، إلا نحن وكرمنا بالقوم وقيل شغلهم تأهبهم لرؤية مولاهم وذلك من أهم ب/73 الاشتغال وأولاهم وهي أشغال مؤنسة مريحة لا منيفة موحشة. ويقال: / لا تنافي بين أشغالهم بأبدانهم مع أهلهم وشهود مولاهم كما أنهم اليوم مستديمون لمعرفته بأي حالة هم ولا يقدح اشتغالهم باستبقاء حظوظهم في معارفهم قلت: وهذا أكمل الأحوال في مقامات الرجال والصوفية يسمونه جمع الجمع من أعلى المرتبة وهو أن لا يمنع وجود الكثرة عن شهود الوحدة ويقال: لشغل نفوسهم بشهواتها حتى يخلص الشهود لأسرارهم بكمالاتها على غيبة من إحساس النفس الذي هو أصعب الرقباء في ملاحظاتها ولا شيء أعلى من رؤية الحبيب مع فقد الرقيب أقول: وهذا معنى اللطف من الأول وأشرف فتأمل .

﴿هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ [الآية 56] قيل أشكالهم في منازلهم وأحوالهم كقوله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: الآية 22]، وقيل حظاياهم من الحور العين وسائر نسائهم ﴿فِي ظِلِّ﴾ [الآية 56] من أشجار الجنة وقصورها وأستار أنوارها وقرأ حمزة والكسائي في ظلل ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: الآية 56] على السرر المزينة ﴿مُتَّكُونَ﴾ [الآية 56] على هيئة ما كان أهل الدنيا متنعمون.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ﴾ [الآية 57] ما يسمى فاكهة من جميع أنواعها وأصنافها ﴿وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ [الآية 57] يدعون زيادة على أجناسها وأنفاسها أو ما يتمنون في الدنيا من الجنة ودرجاتها.

﴿سَلَّمَ﴾ [الآية 58] أي ولهم سلام عظيم في مقام كريم يقال لهم قولاً كائناً ﴿قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ [الآية 58] والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة من الملائكة أو بغير واسطة تعظيماً لهم فيما أعطاهم وذلك نهاية مطلوبهم وغاية متمناهم.

وقد روى ابن أبي حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ [الآية 58] قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون

إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب منهم ويبقى نوره لديهم وبركته عليهم⁽¹⁾.

وقال ابن عطاء: السلام جليل الخطر وعظيم المحل وأجله ما كان في المشاهدة من المكافحة من الله الكريم حين يقول: ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [الآية 58].

وأفاد الأستاذ: أنهم يسمعون كلامه وسلامه بلا واسطة وأكد ذلك بقوله ﴿مِّن رَّبِّ﴾ [الآية 58] ليعلم أنه ليس بسلام على لسان/ سفير والرحمة في تلك الحالة أن يرزقهم الرؤية في حال من يسلم عليهم ليكمل النعمة ويقال: الرحمة في ذلك أن يبقيهم في حال سماع كلامهم وحال لقاء مرامهم لئلا يصحبهم دهشة ولا يلحقهم حيرة، ويقال إنما قال: ﴿مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [الآية 58] ليكون من العصاة من المؤمنين فيه نفس ولرجاءهم فيه مساغ فإن الذي يحتاج إلى كثرة الرحمة هو صاحب المعصية ويقال: قال ذلك ليعلم العبد أنه لم يصل إليه بفعله واستحقاقه وإنما وصل إليه برحمة ربه.

﴿وَأَمَّنُوا يَوْمَ أَيَّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 59] يريد بهم الكافرين أي وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم إلى الجنة وبغيرهم إلى العقوبة كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَرُونَ﴾ [الروم: الآية 14].

وأفاد الأستاذ: أن غيبة الرقباء من أتم النعمة وإبعاد الأعداء من أجل المنة فالأولياء في إيجاب القربة والأعداء في عذاب الكربة.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَأُحْضِرُوا فِيهَا لُذُومًا﴾ [الآية 60] ألم أوصكم بلسان أنبيائكم ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [الآية 60] أي لا تطيعوه فيما زين لكم من العصيان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 60] ظاهر العداوة في جميع الأوقات.

﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ [الآية 61] أطيعوني في الأوامر والزواجر ﴿هَذَا صِرَاطٌ

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 65) رقم (184)، وانظر تفسير ابن كثير (6/ 583)، وتفسير القرطبي (15/ 45).

مُسْتَقِيمٌ ﴿[الآية 61] دين قويم.

قال الواسطي: من عبد الله لنفسه وإنما يعبد نفسه ومن عبده من أجله فإنه لم يعرف ربه ومن عبده بمعنى أن العبودية جوهر يظهرها الربوبية فقد أصاب.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [الآية 62] خلقاً كثيراً ممن وجبت عليه الضلالة وثبتت له الجهالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بضمتمين وتخفيف اللام وأبو عمرو وابن عامر بضم فسكون ﴿أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 62].

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿۱۳﴾ ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾ [الآيات 63، 64] ادخلوها وذوقوا عذابها في العقبى ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية 64] بسبب كفرهم في الدنيا.

وورد في حديث رواه ابن جرير عن أبي هريرة مرفوعاً إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَنْبِئَ آدَمَ﴾⁽¹⁾ [الآية 60] إلى آخر الآية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الأقوال لو قالها مخلوق لمخلوق لكان شبه ب/74 اعتذار في الأحوال، أي لقد نصحتكم / ووعظتكم وعن هذا حذرتكم وكم وصلت لكم القول وذكرتكم ولم تقبلوا وعظي ولم تعملوا بأمرى فأنتم خالفتم وعلى أنفسكم ظلمتم وبذلك سبقت القضية منا لكم.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الآية 65] نمنعها عن الكلام ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 65] من الآثام. وفي حديث رواه مسلم إنهم يجحدون ويخاصمون فيختم الله على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم⁽²⁾.

قالوا: وفائدة هذا الكلام أن يعلم الأنام أن كل من كان عوناً على المعصية صار شاهداً على تلك الحالة فلا ينبغي لأحد أن يصحب إلا الله في

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (285/3)، والطبري في تفسيره (542/20)، وابن أبي حاتم في تفسيره (167/12).

(2) لم نثر عليه في صحيح مسلم، وانظر تفسير أبي السعود (176/7).

جميع حالاته لثلاً يفتضح عنده بسبب أهل صحبته .

وأفاد الأستاذ: أن اليوم سخر الله أعضاء الإنسان بعضها لبعض وغداً ينقض هذه العادة فيخرج بعض الأعضاء على بعض ويجري بينهم الخصومة والمنازعة فأما الكفار فشهادة أعضائهم عليهم لهم مبيدة أي مهلكة وأما العصاة من المؤمنين فقد يشهد عليهم أعضاؤهم بالعصيان ولكن يشهد بعض أعضائهم أيضاً لهم بالإحسان وكما قيل:

بيني وبينك يا ظلوم الموقف والحاكم العادل الجواد المنصف
وفي بعض الأخبار المروية المسندة أن عبداً يشهد عليه أعضاؤه بالزلة فيتطير شعره من جفن عينه تستأذن بالشهادة له فيقول الحق تكلمي يا شعرة جفن عين عبدي واحتجي عن عبدي فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادي مناد هذا عتيق الله بشعرة .

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الآية 66] لمسحنا أعينهم فأعميناهم
﴿فَأَسْبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ [الآية 66] فابتدروها ﴿فَأَذْرُ يُصِرُّونَ﴾ [الآية 66] فكيف يرونها ومن أين يسلكونها والمعنى لو شاء الله لهم الغواية بالعمى عن الهدى فكيف يبصرون طريق الهداية إلى المولى .

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ [الآية 67] بتغيير صورهم وإبطال قدرهم ﴿عَلَىٰ مَكَاتِبِهِمْ﴾ [الآية 67] وقرأ أبو بكر مكاناتهم أي على حالاتهم وفي مقاماتهم ﴿فَمَا أَشْطَطُوا مُضِيًّا﴾ [الآية 67] ذهاباً ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 67] أي ولا رجوعاً وإياباً ولا قدروا إقبالاً / ولا إداراً، والمعنى أنهم بكفرهم ونقض ما عهد إليهم أحقاء 75/أ أن يغفل ذلك بهم لكننا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة أمراً لهم .

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ [الآية 68] نطيل عمره ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [الآية 68] نقليه في خلقته فلا يزال يتزايد ضعف بنيته عكس ما كان عليه أمر بدائه فيصير إلى حال طفولته وقرأ عاصم بكسر الكاف وتشديدها للمبالغة ﴿أَفَلَا يَحْقُلُونَ﴾ [الآية 68] إن من قدر على ذلك قدر على البعث هنالك وقرأ نافع ابن ذكوان بالخطاب .

قال أبو بكر الوراق من عمره الله بالغفلة فإن الأيام تؤثر فيه حالاً فحالاً من طفوليته وشيبهه وكهولته وشيخيته إلى أن يبلغ ما حكاه الله من قوله ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [الآية 68] ومن أحياء الله بذكره فإن تلوين الأحوال لا يؤثر فيه فإن متصل الحياة بحياة الحي قال الله عز وجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَوَةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: الآية 97].

وأفاد الأستاذ: أن هذا التنكيس إنما هو في الجثث والمباني دون الأحوال والمعاني فإن الأحوال في الزيادة إلى أن تبلغ حد الخرافة فيختل رأيه وينتقص عقله وأصحاب الحقائق تشيب ذوائبهم ولكن محابهم ومعانيهم في عنفوان شبابها وطراوة جدتها .

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ [الآية 69] تعليم القرآن وتفهم الفرقان فإنه لا يماثله مبنى ولا يشابهه معنى لأنه غير موزون ولا مقفى وليس في معناه ما يقصده الشعراء من التخيلات المرغبة لها والمنفرة ونحوها مما لا أصل لها ولا حقيقة عندها وعن ابن عباس وغيره ما ولد عبدالمطلب ولداً ذكر ولا أنثى إلا يقول الشعر إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [الآية 69] وما يصح له الشعر ولا يتأتى له إن أراد ونظمه على ما اخترتم طبعه نحواً من أربعين سنة فمن أين لكم الشبهة في صحة النبوة أو معناه ما يصح للقرآن أنه شعر ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ [الآية 69] أي ليس الذي أتى به إلا موعظة من الله ونصيحة ﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 69] ظاهر الدلالة على أنه من الله لما فيه من المعجزة.

﴿لِيُنذِرَ﴾ [الآية 70] أي الله أو القرآن أو الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر بالخطاب ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [الآية 70] عاقلاً كاملاً فإن الغافل والجاهل يكون في مرتبة الميت نازلاً أو مؤمناً في علم الله على ما قدره وقضاه ﴿وَيَحَقِّقَ الْقَوْلُ﴾ [الآية 70] يجب كلمة العذاب ويثبت وقفة الحجاب ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ [الآية 70] ب/75 المصيرين / على كفرهم لما سبق لهم في قضائهم وقدرهم أموات في الحقيقة في حياة عمرهم.

قال جنيد: الحي من تكون حياته ببقاء مليكه ومن كان بقاؤه ببقاء نفسه

فإنه ميت في وقت حياته وعند وفاته .

وقال ابن عطاء: من كان في علم الله حياً أحياء الله بالنظر إليه والفهم عنه والسماع منه والاستسلام لديه .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا﴾ [الآية 71] مما عملنا بلا شريك لنا وتوليننا أحداث ما أردنا مما لم يقدر على إحداثه غيرنا ﴿أَنفَكَمَا﴾ [الآية 71] متمكنون من ضبطها والتصرف فيها من بدائع الفطرة ومنافع بالكثره ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ [الآية 71] متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا إياها ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ [الآية 72] فصيرناها منقادة لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوعُهُمْ﴾ [الآية 72].

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [الآية 72] مأكولهم.

﴿وَهُمْ فِيهَا مَنفَعٌ﴾ [الآية 73] أثار ومتاع من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ [الآية 73] من ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 35] من خلقها وذلكها.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً﴾ [الآية 74] اشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعمة الظاهرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الآية 74] رجاء أن ينصروهم في حق بهم من أمورهم والأمر بالعكس في حقهم كما أخبر سبحانه عنهم بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ [الآية 75] أي نصر أنفسهم فضلاً عن نصر غيرهم ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾ [الآية 75] لأصنامهم ﴿جُنُودٌ مُّحَضَّرُونَ﴾ [الآية 75] معدون لحفظهم والذب عنهم في الدنيا أو محضرون معهم في عذاب العقبي .

﴿فَلَا يَخْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية 76] فيك أو في كتابنا أو فينا ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 76] فنجازيهم بجميع أقوالهم وأعمالهم وفق أحوالهم وفيه تسلية للنبي والمؤمنين والإشارة إلى حسن مآلهم.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه ذكر جزيل منته عليهم وجميل نعمته لديهم بما سخر لهم من الأنعام التي فيها وجوه من انتفاع الأنام وذلك بما ينتفعون بركوبها وبأكل لحومها وشحومها وشرب ألبانها وبما يحمل عليها ويقطع

المسافات الشديدة بها فطال بهم بالشكر عليها ثم وصفهم بالتقصير في شكرها حكاية لو كانت في صفة المخلوقين كانت شكاية فقال مع كل هذه الوجوه من إحسان النعمة اتخذوا من دون الله آلهة ثم سلى نبيه عليه السلام بقوله: ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنََّّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 76] فإن العبد إذا علم أنه بمراى من مولاه هان عليه ما يقاسيه لا سيما إذا كان في الله.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) أ/76 [الآية 77] بين الخصومة لا يتأمل في بدء أمره ولا يستحي من آخر عمره. روي أن أبي بن خلف أو عاص بن وائل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال: يا محمد أنزع من أن الله يبعث هذا؟ فقال عليه السلام: «نعم يميئك الله ويبعثك ويدخلك النار» (1) فنزلت.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ [الآية 78] أمراً عجيباً وهو نفي القدرة على الإعادة ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [الآية 78] في البداية ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [الآية 78] أي بالية اسم لما بلي من العظام لا صفة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية 79] فإن قدرته كما كانت شاملة كاملة والمادة على حاله قائمة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 79] فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها ومواضعها وإعادة الأرواح إلى أشباحها.

وفي «تفسير السلمي» أي من يحيي القلوب الميتة بالإعراض عنه والقسوة والغفلة ويردها إلى التفويض والتسليم في الطاعة والعبادة.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [الآية 80] بأن يسحق المرخ على العفار وهما خضر وأن يقطر منها الماء فتندح منهم النار ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [الآية 80] لا تشكون في أنها نار خرجت منه حين تقدحون وفي المثل

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (6/ 593).

في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفرار فمن قدر على إحداث النار من خضر الأشجار مع ما فيها من الماية المضادة لها كان أقدر على إعادة الرطوبة فيما كان رطباً وعرض له اليبوسة.

وقال الأستاذ: أي شددنا أسرهم وجمعنا نشرهم وسوينا أعضاءهم وركبنا أجزاءهم وأودعناهم العقل والتمييز ثم إنه ﴿خَصِيصٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 77] ينازعنا في بابه ويعترض علينا في أحكامنا بزعمه في استصوابه كما قيل:

أُعْلِمَهُ الرماية كل حين فلما اشتد ساعده رمانى

ثم مهد لهم سبيل الاستدلال وقال: إن الإعادة في معنى الاستبداء فإذا أقررت بالابتداء فأى إشكال بقي في جواز الإعادة في الانتهاء.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية 81] مع كبر جرمها وسعة عظمها ﴿يَقْدِرُ عَلَيْكَ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الآية 81] في الصغر والحقارة بالإضافة إليها فإن خلق الصغر أسهل من الكبير عندكم أو في زعمكم ﴿بَلَى﴾ [الآية 81] جواب من الله مشعر بأنه لا جواب سواه وهو ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ [الآية 81] للعباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 81] بما أراد.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ [الآية 82] أي شأنه سبحانه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ [الآية 82] / أي /76 ب إيجاده أو إمداده ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ [الآية 82] أن يكونه ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية 82] فهو يكون أي يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته تعالى في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول الأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعماله آلة قطع لمادة الشبهة وهي قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفاً على يقول.

وأفاد الأستاذ: الله سبحانه يخلقه بقدرته وأخبرنا أنه يتعلق بالموّون كلمة على ما يجوز في صفته وسيان عنده خلق الكثير في كثرته والقليل في قلته .

﴿فَسَبَّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 83] بقبضه قدرته تصرف من

كل شيء في خلقته فهو الملك المدبر في مملكته ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 83] أي
تردون إلى حكومته، وفيه وعد للمقرّين ووعيد للمنكرين.

وقال الأستاذ: أي بقدرته ظهور كل شيء فلا يحدث شيء قل أو كثر
إلا بإبداعه وإنشائه ولا يبقى ما يبقى منها شيء إلا بإبقائه، فمنه ظهور ما
يحدث وإليه مصير ما يخلق.

سورة الصفات

[مكية]

وهي مئة واحد وثمانون آية (1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة إذا استولت على قلب قلبته وأزالت عنه من الدارين أربه ثم ألزمته على وجه التنقية جرمه ثم شرفت من حيث الهمة طلبه.

﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا ﴿١﴾ فَأَلْتَجَرَّتْ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَأَلْتَلَيْتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾ [الآيات 1، 3، 1]

أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم أنوار الربوبية منتظرين للأمر الإلهية الزاجرين للأنام عن المعاصي والآثام بأنواع الإلهام التالين آيات الله وجلالاً أنبائه على أنبيائه وأصفيائه والعطف لاختلاف الصفات وإلغاء لترقي المقامات.

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] جواب القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه وأما تحقيقه فبقوله:

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] فإن وجودها وانتظامها على وجه الأكمل في شهودها مع إمكان غيره دليل على وجود الصانع ووحدته وحكمته وقدرته وإرادته والمشارك مشارق الكواكب أو مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون تشرق في كل يوم من واحد وبحسبهما /تختلف المغارب في مغاربها ولذا أكتفي بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأكمل في النعمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنه واحد في ملكه وذلك أنهم تعجبوا

(1) كذا في الأصل المخطوط.

أن يقوم الواحد بجميع أحوال عالمه ومعنى كونه واحد تفرد في حقه عن التقسيم وتقده في وجوده عن التشبيه وتنزهه في ملكه عن الشريك واحد في جلاله واحد باستحقاق جماله واحد في أفعاله واحد في كبريائه بنعت علائه ووصف سنائه ورب المشارق مشارق النجوم والشمس والقمر ومشارق القلوب شمسها وأقمارها ونجومها.

﴿إِنَّا زَيْنًا أَلْمَاءَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 6] القربى منكم ﴿زَيْنَةُ الْكُوكِبِ﴾ [الآية 6] بزينة هي الكواكب والإضافة بيانية ويعضده قراءة حمزة وحفض بتنوين زينة وجر الكواكب على إبدالها منه وبيان زينة الكواكب فيها ويؤيده قراءة أبو بكر بالتنوين والنصب على الأصل.

﴿وَحِفْظًا﴾ [الآية 7] أي وحفظناها حفظاً ﴿مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الآية 7] خارج عن الطاعة برمي الشهب عليها.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 8] وقرأ حمزة والكسائي وحفض بالتشديد أي لا تسمع الشياطين ﴿إِلَى أَلْمَلِ الْأَعْلَى﴾ [الآية 8] الملائكة أو أشرافهم ﴿وَيُقَدُّونَ﴾ [سبأ: الآية 8] ويرمون ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الآية 8] من جوانب السماء الدنيا وأطرافها إذا قصدوا الصعود إليها.

﴿دُحُورًا﴾ [الآية 9] أي للطرد عنها وحال كونهم مطرودين منهما ﴿وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِْبٌ﴾ [الآية 9] أي دائم أو لازم وهو عذاب الآخرة.

﴿إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ﴾ [الآية 10] استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه أي إلا من اختلس كلام الملائكة مسارقة ﴿فَأَتْبَعُهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الآية 10] مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه وهو ما يرى كان كوكباً انقض من مكانه واختلف في أن المرجوم هل يتأذى به فيرجع عن قصده؟ أو يحترق به؟ لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيبه كالمروج لراكب السفينة ولذا لا يرتدعون عنه بالكلية أم لأنهم لا يعلمون بحقيقة القضية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زين السماء الدنيا بالنجوم وقلوب أوليائه بنجوم المعارف والأحوال وحفظ السماوات بأن جعل النجوم للشياطين

رجوماً كذلك زين القلوب بأنوار التوحيد فإذا قرب منها الشياطين رجمها بنجوم معارفهم إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب كذلك إذا اغتم الشيطان من الأولياء يلقي إليهم شيئاً من وساوسه تذكروا فإذا هم مبصرون ورجعوا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ / طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 201].

ب/77

﴿فَأَسْتَفِينَهُمْ﴾ [الآية 11] الضمير لمشركي مكة وغيرهم أو لبني آدم جميعهم فاستخبرهم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ [الآية 11] أي من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الآية 11] لاصق ثابت للمآرب فمن قدر على خلق هذه الأشياء في ابتداء قدر على إعادتهم في الانتهاء.

﴿بَلْ عَجَبْتَ﴾ [الآية 12] من قدرتنا وإرادتنا أو من إنكارهم لإعادتنا ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ [الآية 12] من تعجبك في كمال صفتنا وجمال حكمتنا وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء استعظمت من أن ينكر البعث ممن له هذه الأفعال أو هم يسخرون ممن يجوز هذه الحالة.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ [الآية 13] وإذا وعظوا لا يتعظون بالموعظة.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ [الآية 14] معجزة تدل على صدق القضية ﴿يَسْتَسْخَرُونَ﴾ [الآية 14] يبالغون في السخرية.

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 15] ظاهر السخرية.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا﴾ [الآية 16] تفرقت أعضاؤنا وتفتت أجزاءنا ﴿أَيُّنَا لِمَبْعُوثُونَ﴾ [الآية 16] أصله انبعث إذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقرأ نافع بحذف الهمزة الأولى ونافع والكسائي بطرح الثانية.

﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الآية 17] عطف على محل أن واسمها وسكن قالون وابن عامر الواو على أن الترديد فيها.

﴿قُلْ نَعَمْ﴾ [الآية 18] أنتم مبعوثون محشورون ﴿وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ﴾ [الآية 18] صاغرون.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الآية 19] أي إذا كان كذلك فإنما البعثة صحيحة واحدة هي النفحة الثانية وأمرها في الإعادة كما مرّ في البداية ولذا رتب عليهما ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية 19] فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينظرون ما يفعل بهم.

﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] أي اليوم الذي نجازى فيه بأعمالنا على حسب أحوالنا فيقال لهم.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكَذُّبُونَ﴾ [الآية 21] والفصل القضاء إذ الفرق بين المحسن والمسيء في الجزاء ويقول الله للملائكة: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 22] على أنفسهم بالكفر والمعصية من مقامهم إلى الموقف العظيم أو إلى وسط الجحيم ﴿وَأَزْوَجِهِمْ﴾ [الآية 22] وأشكالهم كعابد الصنم مع عبدته وأمثالهم أو نسائهم اللاتي على دينهم أو قرنائهم من شياطينهم ﴿وَمَا كَانُوا يَبْذُرُونَ﴾ [الآية 22] من دُونِ اللَّهِ ﴿[الآيتان 22، 23] من الأصنام وغيرهم زيادة في تخجيلهم / وتحسرهم ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 23] دلوهم إلى نحوها وعرفوهم طريقها ليلسكوها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد بأزواجهم قرنائهم وأشكالهم ومن عمل بمثل أعمالهم ومن أعانهم على ظلمهم بقليل أو كثير في حالهم ومآلهم وهكذا في هذه الطريقة من أعان صاحب فترة في فترته أو صاحب زلة على زلته كان مشاركاً له في عقوبته واستحقاق طرده وإهانته.

﴿وَقَفُّوهُمْ﴾ [الآية 24] احبسوهم في مواقف أحوالهم ﴿إِنَّمَا تَسْفُلُونَ﴾ [الآية 24] عن عقائدهم وأعمالهم وأحوالهم.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ﴾ [الآية 25] لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص وهو توبيخ وتقريع.

﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْمِئُونَ﴾ [الآية 26] منقادون بظهور عجزهم إليهم وانسداد أبواب الحياة عليهم.

وأفاد الأستاذ: أن مقام السؤال مقام صعب الحال قوم يسألهم الملك وقوم يسألهم الملائكة فالذين يسألهم الملائكة أقوام لهم أعمال صالحة تسأل للعرض والكشف وأقوام لهم أعمال لا يصلح للكشف وهم قسمان الخواص يستترهم الحق على اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والعقبى والعوام وهم أرباب الزلات يرحمهم الله فلا يفضحهم فيم أنهم يكونون في بعض أحوالهم بعين الهيبة وفي بعض ينعت البسط والقربة وفي الخبر أن قوماً يستترهم بيده ويقول لهم تذكر عذرك أي فيما مضى من أمرك وحديث الخلق في الصحيح وهو في هذا المعنى كالصریح وهؤلاء أصحاب الخصوص في تحقيق أسرار الأبرار، فأما الأغيار والأجانب والكفار فيقال: ادخلوا بحكمكم النار، ثم يقال لهم في بعض أحوال الفرع عليهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ﴾ [٢٥] ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْمِئُونَ﴾ [الآيتان 25، 26].

﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية 27] يعني الأتباع والرؤساء أو الكفرة والفرقاء ﴿يَسَاءَلُونَ﴾ [الآية 27] يسأل بعضهم بعضاً للتوبيخ والتقريع ولذا فسر يتخاصمون.

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الآية 28] عن أقوى الوجوه في صد الدين أو عن الحلف فإنهم كانوا يحلفون لهم أنهم على الحق اليقين.

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 29] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الآيتان 29، 30] من برهان مبين ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ [الآية 30] أجابهم الرؤساء للمتبعين أولاً بمنع إضلالهم بأنهم في / أنفسهم كانوا ضالين، وثانياً بأنهم ما أجبروهم على الكفر إذ لم يكن عليهم سلطان وإنما جنحوا إليه لأنهم اختاروا طريق الطغيان.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ [الآية 31] بعذاب الكافرين ﴿إِنَّا لَدَائِقُونَ﴾ [الآية 31] ما وعدنا على السنة المرسلين.

﴿فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ [الآية 32] ثم بين الرؤساء أن ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان أمراً مقضياً لا محيص لهم عنه أصلاً فأحبوا أن يكونوا

مثلهم وفيه، أي في هذا الباب، وإن غاية ما فعلوا باتباعهم أنهم دعواهم إلى الغي معهم لأنهم كانوا على الغي فأحبوا أن يكونوا مثلهم، وفيه إيماء بأن غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم إذ لو كان كل غواية بإغواء غاير فمن أغواهم فهذا نصير قوله صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الأول⁽¹⁾!، فتأمل فإنه يكشف لك من هنا باب التوحيد على الوجه الأكمل.

﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾ [الآية 33] أريد بهم الاتباع والمتبعون ﴿يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الآية 33] أي في العقبي كما كانوا مشتركين في الغواية في الدنيا بحسب مراتب زلاتهم واختلاف حالاتهم في جهالاتهم من ضلالاتهم وإضلالاتهم.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ فَعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 34] أي الذين كانوا يكفرون وعلى المعاصي يصرون.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 35] أن يقولوا ليس كمثلته شيء وينكرون على قائله.

وأفاد الأستاذ: إن احتجاجهم بقلوبهم أوقفهم في وهدة عذابهم وذلك أنهم استكبروا عن عبادته وقد قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: الآية 172] أي أن يكونوا عبيداً له لأن من عرف الله فلا لذة له إلا في طاعة الله.

﴿وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَنَرَكُنَّ وَإِلَهَاتِنَا لَشَاعِرٌ﴾ [الآية 36] يعنون به محمداً أعقل العاقلين.

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 37].

قال الأستاذ: لما لم يحتشموا من وصفه تعالى بما لا يليق به لم يبالوا بما أطلقوا من المثالب في وصف أنبيائه.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ [الآية 38] بإشراك الله العظيم وتكذيب الرسول الكريم.

(1) لم نعره عليه، وقد أورده الشرييني الخطيب في تفسير السراج المنير (1/ 3631).

﴿وَمَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 39] إلا مثل ما كنتم تصنعون
جزاء وفاقاً وقضاء استحقاقاً.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الآية 40] أي لكن عباد الله المخلصين من
الأنبياء والمرسلين والمؤمنين المحسنين.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الآية 41] / مشهور خصائصه من الدوام 79/أ
وتمحص اللذة في المرام ولذا بينه بقوله.

﴿فَوَاكِهِ﴾ [الآية 42] فإن الفاكهة ما تقصد به اللذة دون التقوية فإن أهل الجنة
أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة على تجلّل البينة فكانت أرزاقهم فواكه خالصة
أو ما في معناها من قصد اللذة ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ [الآية 42] في نيل الرزق إليهم
وحصوله من غير تعب لديهم ولا منة لأحد عليهم.

وقال أبو بكر بن طاهر: صحة البقاء مع الله إخلاص العبودية لله وقت
العبد مع الله ببقاء حظه من الله.

وأفاد الأستاذ: أن الإخلاص أفراد الحق سبحانه بالعبودية والذي يشوب
عمله رياء ليس بمخلص في أداء حق الربوبية ويقال: الإخلاص تصفية العمل
لا توفيته، وفي الخبر: «يا معاذاً أخلص العمل يكفيك القليل منه في
الأمّل؟⁽¹⁾». ويقال: الإخلاص فقد رؤية الأشخاص ويقال: أن لا يلاحظ
محل الاختصاص ويقال: هو أن تنظر إلى نفسك بعين الانتقاص. ثم قال في
أثناء التقارير: من كان له رزق معلوم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان من جملة المياسير وهذه صفة أهل الجنة كما وقعت به البشارة فلهم في
الآخرة رزق لإبشارهم وأسرارهم فالأغنياء اليوم لهم رزق معلوم لأنفسهم
وعيالهم والفقراء اليوم لهم رزق معلوم لقلوبهم وأحوالهم فواكه وهم
مكرمون، من ذلك وردد الرسول عليهم من قبل الله في كل وقت وحين
وكذلك ليوم الخطاب، وأراد من الله على قلوب الخواص في كل وقت بكل

(1) انظر تفسير القشيري (6/ 416)، وتفسير حقي (12/ 285)، والبحر المديد (5/ 231).

أمر من عوارف الدين ومعارف اليقين .

﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [الآية 43] في جنات ليس فيها إلا النعيم المقيم .

﴿ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الآية 44] في مقام التكريم يستأنس بعضهم برؤية بعض من أرباب التعظيم .

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الآية 45] يدار عليهم بإناء فيه خمر من معين من شراب معين أو نهر مبین أي ظاهر للعيون جمع عين بمعنى جسمه منه أو خارج من العيون وفيه الإيمان بأنها لكثرتها تجري كالماء .

﴿ بِيضَاءُ ﴾ [الآية 46] فيها حظٌ للناظرين ﴿ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ [الآية 46] منها ب /79 ووصفها بلذة / دون لذیذة لإرادة المبالغة في اللذاعة فكانها عينها .

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ [الآية 47] غائلة كما في خمر الدنيا من صداع ونحوها ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ ﴾ [الآية 47] يسكرون من نرف الشارب مجهولاً إذا ذهب عقله وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي من أنرف الشارب إذا نفذ عقله أو شرابه .

قال الأستاذ: شراب يحضرهم ولا يسكرهم شراب لا يزيل عنهم الحشمة ولا يرفع عنهم الهيئة فقوم يشربون من وراء الستور وقوم يسقون على نعت القرب في الحضور .

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتٌ أَلطَّرَفِ ﴾ [الآية 48] يقصرون أبصارهن على أزواجهن ﴿ عَيْنٌ ﴾ [الآية 48] جمع عيناً أي نجل العيون .

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ ﴾ [الآية 49] في صفاء الأنوار وضياء الأسرار ﴿ مَكُونٌ ﴾ [الآية 49] مصون من الغبار وإصابة يد الأغيار .

﴿ فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الآية 50] أي يشربون يتحادثون عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا من الشمائل كما قيل وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام .

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [الآية 51] جليس في الدنيا .

﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ [الآية 52] في العقبى.

﴿أَلَا إِذَا مَنَّآ وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الآية 53] مجزيون بأعمالنا ومحاسبون بأحوالنا.

﴿قَالَ﴾ [الآية 54] إن ذلك القائل لأهل الجنة أو الله أو بعض الملائكة ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ [الآية 54] هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار فتعلمون أين منزلتكم من منزلتهم في القرار.

﴿فَأَطَاعَ﴾ [الآية 55] عليهم ﴿فَرَأَاهُ﴾ [الآية 55] أي قرينه منهم ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 55] وسط عذاب الحميم.

﴿قَالَ تَأَلَّهَ إِنْ كِدْتَ لِتَزِدَّيْنِ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] لتهلكني بالإغواء عن الهداية، وإن مخففة واللام فارقة.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ [الآية 57] بالتوفيق والعصمة ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية 57] معك في عذاب الحرقه وحجاب الفرقه.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] أي نحن منعمون وغيرنا معذبون وكلنا مخلدون فما نحن بمن شأنه الموت والبلوى.

﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ [الآية 59] التي كانت في الدنيا ونصبها على المصدرية من الصيغة الفاعلية ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الآية 59] بالموت مرة أخرى والجملة تنمة كلامه لقرينه تقريباً له في دينه أو معاودة إلى مكالمه جلسائه ومحاوره إنشائية تحدثاً بنعمة الله وتحججاً بها وتعجباً منها.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] الإشارة إلى ما هم فيه من النعمة / والأمن من النعمة.

﴿لِيُمَثِّلَ هَذَا فليَعْمَلِ الْعَمَلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] أي لنيل مثل هذا الفضل يجب أن يعمل العمل لا للحظوظ الدنيوية المنسوبة بالأعراض الردية والأعراض الدنية والجملة من كلامهم في تقرير مرامهم أو من كلام الله والملائكة لهم.

وأفاد الأستاذ: أنه إن كان العابد يقول أو يقال له إذا ظهرت الجنة وبدت النعمة وزالت المحنة ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [الآية 61] الطاعة والعبادة فإذا بدأ به شظية من حقائق المعرفة وتباشير الوصلة أو ذرة من نسيم القربة، فبالحري أن يقول القائلون: لمثل هذه الحالة تبذل الأرواح وتفنى الأشباح. على مثل سلمى يقتل المرء نفسه وإن بات من سلمى على الباب طاوياً⁽¹⁾ وها هنا تضيق العبارات وتقصّر الإشارات.

﴿أَذْلَٰكُ﴾ [الآية 62] أي أما ذكر من النعمة في الجنة ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ [الآية 62] للأبرار ﴿أَمْ سَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الآية 62] التي ثمرها نزول أهل النار وفي ذكر النزول دلالة على أن ما ذكر من الثواب والعقاب جزاء بمنزلة ما يقام للنازل ابتداء ولهم ما وراء ذلك ما يغفر عنه الاتهام انتهاء والزقوم اسم شجرة منتنة مرّة تكون بتهامة سميت بها الشجرة الموصوفة.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ ﴿٦٣﴾ [الآية 63] محنة وعقوبة للكافرين في العقبي أو ابتلاء في الدنيا فإنهم لما سمعوا بها أنكروها وقالوا: لا يمكن وجودها ولم يعلموا إن من قدر على خلق ما يعيش فيها ويتلذذ بها فهو قدير على خلق الشجر في وسطها وحفظها من إحراقها.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٦٤﴾ [الآية 64] منبتها في قعرها وأغصانها ترتفع إلى دركاتها نظيرة ما لأهل الجنة من شجرة طوبى أصلها في أسفلها وأغصانها في أعلاها واصله إلى درجاتها.

﴿طَلَعَهَا﴾ [الآية 65] حملها ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الآية 65] في تناهي قبحها وهولها.

﴿فَأَنَّهُمْ لَأَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الآية 66] لغلبة الجوع على أهلها أو للجبر على أكلها.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (6/424).

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [الآية 67] بعدما شبعوا منها وعليهم العطش بها وطال استسقاؤهم فيها ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الآية 67] لشراباً من غساق أو صديد مشوباً بماء حميم يقطع أمعاءهم ويمزق أجزاءهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ﴾ [الآية 68] مصيرهم بعد أكلهم وشربهم ﴿لِأَلَى الْجَحِيمِ﴾ [الآية 68] إلى دركاتهما أو إلى سائر عقوباتها.

/ ﴿إِنَّهُمْ أَلَفُوا أَعْيَابَهُمْ﴾ [الآية 69] وجدوا أسلافهم ﴿ضَالِّينَ﴾ [الآية 69] عن 80/ ب طريق اليقين.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الآية 70] يسرعون متقلدين من غير استعمال أفكارهم في تحقيق الدين.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ [الآية 71] قبل هؤلاء الموجودين ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 71].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ [الآية 72] بالعقاب لمن أصر ومبشرين بالثواب لمن أقر.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الآية 73] من شدة الحال وفضاعة المآل.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 74] الذين أخلصوا دينهم لله. وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام أي الذين أخلصهم الله تعالى لدينه الإسلام والخطاب مع رسوله والمقصود به من آمن من قومه فإنهم أيضاً سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ [الآية 75] دعانا حين آيس من إيمان الكفرة فأجبناه أحسن الإجابة ﴿فَلْيَعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الآية 75] نحن لمن نادينا في حال محنته ودعانا لزوال بليته.

وقال الأستاذ: أي لما أصابه الأذى من قومه ولم يسمع قومه ما بلغهم من قوله فرجع إلينا وخاطبنا وخاطبناه وكلمنا وكلمناه ونادانا وناديناه وكان لنا فكنا له وأجابنا فأجبناه فلنعم المجيبون كان لنا ولنعم المجيبون كنا له.

﴿وَيَجْنَلُهُ وَأَهْلَهُ﴾ [الآية 76] أي من آمن معه ﴿مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية 76] من الغرق أو أذى الغرق كما أفاد الأستاذ: بقوله أخبر الله سبحانه عن كونهم جميعاً في الكرب ولكن شتان بين كرب نوح وأهله وبين كرب قومه:

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزّي النفس عنه بالتأسي
﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرّاً أَبَاقِينَ﴾ [الآية 77] إذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين
إذ روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير نبيه وأزواجهم السكينة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الآية 78] في الأمم المتأخرين.

﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 79] والجملة جيء بها على الحكاية ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في المؤمنين والملائكة.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 80] قيل: المحسن من أحسن لنفسه فلا يوقعها في ورطة الغفلة وفي هدة الزلة ويحسن إلى الخلق ولا يؤذيهم بسوء الخلق وبحسن العبادة والطاعة فلا يشوبها بشيء من الرياء والسمعة.

وقال الكتاني: بين العبد وبين الله سبحانه ألف مقام من/ نور وظلمة 81/أ
وإنما كان اجتهادهم في قطع الظلمة حتى وصلوا إلى نور القربة فلم يكن لهم رجوع إلى ما ورائهم فهؤلاء من المحسنين.

﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 81] تعليل للإحسان وإظهار لفضل الإيمان وإشعار لجلالة قدرة وأصالة أمره.

﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ [الآية 82] أي الكافرين.

﴿وَإِنِّ مِنْ شَيْعَتِهِ﴾ [الآية 83] ممن شايعه في الإيمان وأصول الشريعة من أركان الإحسان ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية 83] وكان بينهما ألفان وستماية وأربعون سنة وبينهما نبيان هود وصالح عليهم السلام والتحية.

﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الآية 84] من الخلائق والعلائق أو سليم من محبة الأعيان ومحنة الأقدار أو سليم من حظوظ نفسه وهواه مسلماً لله فيما اختاره وقضاه أو سالم من آفات القلوب وخالص لعلام الغيوب. ومعنى المجيء

يدربه إخلاصه له كأنه جاء به متحفاً لربه.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الآية 85] على جهة الإنكار عليهم والتوبيخ لهم على موضع غلطهم لديهم.

﴿أَيْفَاكَ إِلهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الآية 86] أي أتريدون آلهة دون الله إفاً وقربة فقدم المفعول به للعناية ثم المفعول له لأن الأهم أن يقرر لهم أنه على الباطل مبني أمرهم.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الآية 87] بمن هو حقيق للعبودية لكونه موصوفاً بالربوبية حتى تركتم عبادته أو أشركتم به غيره في طاعته أو أمنت من عذابه وعقوبته.

وقال الأستاذ: أي إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره فما الذي تقولون له وكيف بكم من مقام الحجة بين يديه وإن كنتم اليوم غافلين عنه غير ملتفتين إليه.

﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾ [الآية 88] إليها فرأى مواقعها.

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الآية 89] أي سقيم القلب لكفركم بالرب أو بصد الموتى ومعرض الفوت ومنه المثل: كفى بالسلامة داء، رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعاً⁽¹⁾.

وقول لبيد:

فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحنني فإذا السلامة داء⁽²⁾

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس جملة فقيل: ما هذا؟ قالوا: مات وهو صحيح في نفسه فقال أعرابي: أصحيح من الموت في عنقه وما أحسن قول من قال من أرباب الحال/:

(1) انظر جامع الأثير (306/15) رقم (1555)، وكنز العمال (308/3) رقم (6692) ص (166).

(2) انظر تفسير القرطبي (93/15) والكشاف (472/5).

كل أمرىء مُصبح في أهله والموت أذى من شراك نعله⁽¹⁾
 وحاصله إني سأسقم على الموهوم إن كان تأتيه الحمى للوقت المعلوم
 وقد تعلق به ليتأخر عنهم عند ذهابهم إلى عيدهم ليمشى له ما كان في نفسه
 من كسر أصنامهم وكيدهم.

وقال ابن عطاء: إني سقيم القلب لفوت مرادي من الرب فإن الحبيب
 أبداً يكون سقيم القلب في البعد والقرب.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ [الآية 90] فأعرضوا عنه ﴿مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 90] وإلى عيدهم
 وزينتهم مقبلين.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِنَّ﴾ [الآية 91] فذهب إليها بخفية ومال عليها بحيلة فرأى
 عندها أنواعاً من الطعام موضوعة للتبرك بذلك المقام ﴿فَقَالَ﴾ [الآية 91] لها
 استهزاء بها ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 91] كأحاد الحيوان.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الآية 92] كأفراد الإنسان. والمقصود إثبات
 الجمادية وأنهم بمعزل عن استحقاق العبودية.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الآية 93] أي فحمل عليهم يضربهم ضرباً
 بسبب اليمين وهو قوله تعالى: لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ﴾ [الآية 94] أي بعد ما رجعوا عن عيدهم ورأوا
 أصنامهم مكسرة في مكيدهم وبحثوا عن كاسر الأصنام وظنوا أنه إبراهيم عليه السلام
 كما بينه قوله تعالى: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾ [الأنبياء: 59] الآية يزفون يسرعون وقرأ
 حمزة بضم الياء أي يحملون أنفسهم أو بعضهم بعضاً على ما يبادرون.

﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الآية 95] أي ما تنحتونه من الأصنام.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 96] أي وما تعملونه من الأعلام فإن
 جوهرها بخلقه سبحانه وشكلها وإن كان بفعلهم وكذا جعل من عملهم فيإقذاره

(1) نسب إلى أبي بكر رضي الله عنه، انظر نهاية الأرب (4/ 339).

إياهم عليه وخلقته تعالى ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي إليه وحصول عددهم لديه.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُمُ بُيُوتًا﴾ [الآية 97] مرتفعاً أو احفروا له مكاناً منخفضاً ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الآية 97] في النار الشديدة الموقدة في البقعة البعيدة.

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ [الآية 98] فإنه لما قهرهم بالحجة التامة قصدوا هلاكه لئلا يظهر عجزهم للعامة ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الآية 98] الأذلين بإبطال كيدهم وإظهار برهانه وإعلاء شأنه كمالاً وتاماً حيث جعل النار عليه برداً وسلاماً روي أنه لما رمي من المنجنيق وقد حصل له ما حصل من الضيق فنزل جبريل من السماء وتعرض له في الهواء/ وقال: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا 82/أ فقال: فاسأل ربك؟ فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وفي رواية قال الخليل: حسبي الله ونعم الوكيل.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] حيث أمرني ربي بإقامته أو حيث أتجرد فيه لعبادته ﴿سَيِّدِينَ﴾ [الآية 99] سيدلني إلى ما فيه صلاح ديني وإنما بت القول لسبق وعده أو لتحقيق توكله أو للبناء على عادته تعالى معه من فضله ولم يكن موسى عليه السلام في مقام الخليل حين قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الفصص: الآية 22] حيث أتى بصيغة التوقع في المقام الجليل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن قول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] وأخبر عن صفة موسى بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: الآية 143] وقال في نعت نبينا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: الآية 1] فإبراهيم كان بعين الفرق وموسى بعين الجمع ونبينا بعين جمع الجمع انتهى.

واعلم أن المراد بالفرق هنا مقام البقاء وبالجمع حالة الفناء ولجمع الجمع أن لا يمنعه الكثرة عن الوحدة ولا تحجبه الوحدة عن الكثرة فهو الجامع بين المحو والصحو كما يقتضيه صفة الجلال ونعت الجمال ولعل فرقه عليم من قوله: ﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الآية 99] فإنه يشير إلى سيره إلى الله وهو مقام تفرقه بالنسبة إلى صاحب [الجمعية] ومؤمن من يكون سيره في الله

وهو حال ناقص أيضاً بالإضافة إلى مقام صاحب جمع الجمع وهو من يكون سيره بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبهذا التحقيق ظهر كساد ما أفاد الأستاذ بقوله: كان ذاهباً في الله، فلذلك قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] فذاهبه فيه أوجب ذهابه إليه ويقال: إنما طلب هداية مخصوصة لأنه كان صاحب هداية منصوصة ولو لم يكن له هداية في نفسه لما ذهب إلى ربه ويحتمل أنه كان صاحب هداية في الحال فطلب الهداية في الاستقبال أو الزيادة في الهداية من البداية إلى النهاية ويقال: طلب الهداية إلى كيفية [آداب] الرعاية في الحضرة ويقال: طلب الهداية إلى نفسه لأنه فقد فيه قلبه ونفسه فقال: ﴿سَيِّدِينَ﴾ [الآية 99] إلى الأقوم بحق عبوديته علي فإن المستهلك في / حقائق الجمع لا يصح منه أداء العبادة إلا بأن يرد إلى حالة التفرقة والتميز في الإرادة بين العبادة والعادة. وقالوا: معنى ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] إلى المكان الذي يعبد فيه ربي سيهدين إلى مقصدي.

ب/82

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 100] يعني ذرية صالحة تعينني على الدعوة والطاعة وتؤنسني في الغربة والكربة.

﴿فَبَشِّرْهُ بِأَخِيهِ حَلِيمٍ﴾ [الآية 101] بشره بذكر يبلغ أوان الحلم وزمان العلم وقد قيل: ما نعت الله نبياً بالحلم في كتابه لعزة وجوده في بابه غير إبراهيم وابنه وأي حلم مثل حلمها كما يشهد عليه فيما سيأتي حالهما.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [الآية 102] أي وجد وبلغ أن يسعى معه في أعماله الدينية أو أحواله الدنيوية وكان له يومئذ ثلاث عشر سنة ﴿فَكَأَلَّ يَبُوءَ بِإِذْنِي أَرْبَىٰ فِي الْمَنَازِرِ أَتَىٰ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الآية 102] من الرأي في المرام يحتمل أنه رأى حقيقة ذلك أو رأى ما هو تعبيره هنالك وروي أنه رأى ليلة التروية أن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك أن تذبح ابنك فلما أصبح روي أنه من الرحممن أو من الشيطان فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره هنالك وقال له ذلك ولذا سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والتحر، ثم الأظهر أن المخاطب إسماعيل لأنه الذي ذهب له أثر الهجرة ولأن البشارة

بإسحاق بعدما معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام: أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده إسماعيل والآخر أبوه عبدالله فإن عبدالمطلب نظر أن يذبح ولداً إن سهل الله له حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما سهل اقترع فخرج السهم على عبدالله فمنعه أخواله ففداه بمائة من الإبل ولذا سنت الدية مائة ولأن ذلك كان بمكة وكان قرنا الكيش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها أيام ابن الزبير ولم يكن إسحاق ثم ولأن البشارة بإسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فيبعد الأمر بذبحه قبل وقوعه وإنما شاوره فيه وهو حتم عليه ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء ربه فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه/ إن سلم وليوطن نفسه عليه فيهبون الأمر 83/أ لديه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله إليه وقرأ حمزة والكسائي ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء والمعنى أي شيء تراه ويحملني عليه من اعتقاده ﴿قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الآية 102] أي تؤمر به ولعله فهم من كلامه أنه رأى أن يذبحه مأموراً به أو علم أن رؤيا الأنبياء حق وأن مثل ذلك لا يقدمون عليه إلا بأمر منه ولعل الأمر به في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص في الأعمال وإنما قال: أرى لتكرير الرؤيا ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 102] على حكم الله وبلائه وقضائه في ابتلائه.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ [الآية 103] استسلما لأمر الله وحكمه أو سلمه الذبيح نفسه وإبراهيم ابنه وقد قرىء بهما ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الآية 103] صرعه على شقه فوق جبينه على جنبه وقيل: كبه على وجهه بأمره كيلا يرى فيه تغييراً يرق له فيمنعه عن ذبحه قيل: لما وصل إلى الأرض موضع السجود جاء الفرج وأثر الجود من الودود.

﴿وَتَدْبِرُنَّهُ أَنْ يَتَّابِرَهُمَا﴾ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ [الآيتان 104، 105] بالعزم والحزم من النيات والإتيان بالمقدمات روي أنه أمر السكين بقوته على حلقه مراراً فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما له تعالى على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله.

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَتُّ الْمَيِّنُ﴾ [الآية 106] الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره رد المحنة البينة فإنه لا أصعب من هذه البلية.

قال الحريري: البلاء على ثلاثة أوجه على المخلصين نقم وعقوبات وعلى السابقين تمحيص وكفارات وعلى الأنبياء والصديقين نوع من اختيارات.

وقال سهل: البلاء على صنفين بلاء رحمة وبلاء عقوبة، فبلاء الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله، وبلاء العقوبة يترك صاحبه على تديبه واختياره.

وقال جنيد: البلاء هو الغفلة عن المبلي.

ب/83 ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ﴾ [الآية 107] بما يذبح به بدله فيتم/ به فعله ﴿عَظِيمٌ﴾ [الآية 107] الجثة وقد ورد استشفروا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم أو عظم الرتبة لأنه يفدي الله سبحانه نبياً ابن نبي من نسله سيد الأنبياء فعن ابن عباس هو الكبش الذي قرّبه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة⁽¹⁾.

وعن الحسن: فدي بوعلى هبط عليه من ثبير⁽²⁾. وعن ابن عباس: لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم، أي في كل حجة أو سنة⁽³⁾.

قال ابن عطاء: استسلما انقياداً به ورضياً.

قال جعفر: أخرج إبراهيم من قلبه محبة ابنه وأخرج إسماعيل من قلبه محبة روحه وقيل: الحكمة في أمر الله إبراهيم بذبح ابنه لما أراد الله أن يزيل

(1) أورد الطبري في تفسيره (87/21)، والقرطبي في تفسيره (107/15)، والزمخشري في كشافه (479/5).

(2) أورد ابن كثير في تفسيره (31/7)، والقرطبي في تفسيره (107/15)، وابن أبي حاتم في تفسيره (104/12)، والأزرقي في أخبار مكة (120/3).

(3) أورد الكشاف في كشافه (479/5)، والنسفي في تفسيره (25/4).

عن سره محبة ولده لكيلا بزاحم محبته محبة غيره ويثبت محبته في قلبه لأن وجود محبة الله في قلب إبراهيم مع محبة الولد محال فنظر إلى أقرب الأشياء إلى قلبه فوجد ابنه فأمره بذبحه، والمبتغى مما أمره الله به إبراهيم من ذبح الابن إخلاء السر وترك عادة الطبيعة لا حصول الذبح في الشريعة ألا ترى لما أمر السكين انقلب فلم يقطع فنودي بقوله: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 107] أي وقد خلصت مما طالبناك به من طريق الإشارة فيما تقدمت إليك العبارة.

قال ابن عطاء: لما سعى إسماعيل في الطاعة سعيه وأقام بحقوق الله حسب ما رضي به الخليل وارتضاه وقرت عينه لقيامه بحقوق مولاه وأنس الخليل بمكانه وفرح من شأنه قيل له: اذبحه فإنه لا يصلح للخليل أن يفرح بشيء سوى خليله فابتلي بذبحه ثم لما أسلم وقام مقام الاستقامة واتبع الأمر في الطاعة فداه بذبح عظيم فصار ذبح الضحايا من سنة الأنبياء وروي أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال الخليل: الله أكبر والله الحمد فبقي سنة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآيتان 108، 109] قال الواسطي: ثناء جزيلاً عليه وقبولاً جميلاً إليه عند جميع الأمم المتأخرين.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآيتان 110، 111].

وأفاد الأستاذ: إنه يقال: أيهما كان أشد بلاءً؟ قيل إسماعيل لأنه وجد الذبح من يد أبيه الخليل/ ولم يتعود من يده إلا التربية بالجميل فكان البلاء 84/أ عليه أشد لأنه لم يتوقع منه ويقال: بل إبراهيم أشد بلاءً لأنه كان يحتاج أن يذبح ابنه بيده ويعيش بعده قلت: الأظهر هو الأول فتأمل ويقال: لم يأت في ذلك إسماعيل بالدعوى فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية 102] فتأدب بلفظ الاستثناء لصعوبة الصبر على مثل هذا البلاء ويقال: لو قال إسماعيل إما أن لا تقل يا بني بهذه اللطافة وإما لا تقل إني أذبحك فإن الجمع بينهما عجب في العبارة. قيل في التفاسير: كان إبراهيم يمر السكين على حلقه وكان السكين لا يقطع شيئاً من جلده فتعجب إبراهيم فنودي يا إبراهيم إنما المقصود

من هذا استسلامكما ويقال: إن الله ستر عليهما علم ما أريد منهما في حال البلاء وإنما كشف عليهما بعد مضي وقت المحنة لئلا يبطل معنى الابتلاء وكذلك لما ألقى إبراهيم في النار فأخفي عنه المراد منه ليحصل معنى الابتلاء وهكذا يكون الحال في حال البلاء تنشر وجود التهدي إلى الحال وكذلك كان حال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الإفك وهكذا حال أيوب وسائر الأنبياء في حال الابتلاء وإنما يتبين الأمر بعد ظهور آخر المحنة ولكن مع استعجاب الحال واستبهامه في أول القصة إذ لو كشف الأمر على صاحبه ابتداء لم يكن حينئذ ابتلاء ثم الناس في البلاء على أقسام: فبلاء مستصعب وذلك صفة العوام وبلاء مستعذب وهو نعت الأولياء الكرام، يستعذبون بلاياهم كأنهم لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا قلت: الأظهر أنهم يقولون ما قيل، اقتلونني يا ثقاتي، إن في قتلي حياتي وفي الحديث: «سترون ربكم ولن تروه قبل موتكم».

﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾ [الآية 112] مقضياً نبوته مقدراً ثبوته نبياً ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 112].

﴿وَبَشِّرْنَا عَلَيْهِ﴾ [الآية 113] على إبراهيم في أولاده وأحفاده ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ [الآية 113] بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بني إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا.

وأفاد الأستاذ: إن كل هذا بعد البلاء قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: الآية 6]، ﴿وَمِن دُرَيْتِهِمَا خُسْرٌ﴾ [الآية 113] على نفسه بالإيمان والطاعة ﴿وَقَالُوا لَنْفَسِهِ﴾ [الآية 113] بالكفر والمعصية ﴿مُبِينٌ﴾ [الآية 113] / ظاهر أثر كل ما واحد منهما وفيه تنبيه على أن النسب لا أثر له في الهدى والضلال أن الظلم في عقابهما لا يعود عليهما بالنقص والوبال.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ﴿[الآية 114]﴾ أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والمصالح الدنيوية.

﴿وَجَبَّيْتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية 115] من الغرق أو من تغلب فرعون وأتباعه.

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ [الآية 116] الضمير لهما مع قومهما ﴿فَكَانُوا هُمُ الْفَائِزِينَ﴾ [الآية 116] على فرعون وقومه.

﴿وَأَيَّلْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الآية 117] التبليغ بيانه العظيم برهانه وهو التوراة.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الآية 118] الدين القويم.

وأفاد الأستاذ: إنه هو شهود الوحدة والتبري عن الحول والقوة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْيَرِ﴾ [119] سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [120] إِيَّاهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَلِإِسْرَائِيلَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآيات 119، 123] هو إيلياس بن ياسين سبط هارون أخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقرأ ابن ذكوان في وجهه عنه يوصل هذه همزة إيلياس وقيل هو إدريس لأنه قرىء مكانه إدريس وإدريس.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 124] عذاب ربي أو مخالفة أمري.

﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا﴾ [الآية 125] أتعبدونه وهو اسم صنم كان لأهل الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ [الآية 125] وتتركون عبادته وتخالفون طاعته.

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى﴾ [الآية 126] جملة من مبتدأ وخبر أو خير مبتدأ مقدر هو هو وقرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الثلاثة على البدلية.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 127] ووعظهم فما صدقوه ﴿فَأَنبَأَهُمُ الْمَحْضُرُونَ﴾ [الآية 127] في العذاب يوم الحساب.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الآية 128] استثناء من الواو لصحة المبني لا من المحضرين لفساد المعنى.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٢٩) سَلَّمَ عَلََّ إِلَ يَاسِينَ ﴿ [الآيتان 129، 130] لغة في إلياس كسيناً أو سينين وقيل جمع له مراد به وهو وأتباعه من المؤمنين أو للمنسوب إليه بحذف ياء النسب كالأعجمين وقرأ نافع وابن عامر على إضافة آل إلى ياسين فتكون ياسين أي إلياس ويؤيده أنهما في المصحف مفصولان وقيل: المراد آل محمد ولا يناسبه نظم سائر القصص ولا قوله وتركنا عليه في الآخريين ولا قوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (١٣٢) وَإِنَّ لُوطًا لِّمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٣) إِذْ بَخَّيْتَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ﴾ [الآيات 131، 135] أي الباقيين.

أ / ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ﴾ (١٣٦) [الآية 136] أي الكافرين. ﴿وَاتَّكُرُ﴾ [الآية 137] يا أهل مكة ﴿كُتِرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 137] على منازلهم في متاجرهم إلى الشام فإن سدوم في طريقه ﴿مُصْبِحِينَ﴾ (١٣٧) ﴿[الآية 137] حال كونكم داخلين في الصباح تارة.

﴿وَيَائِيلٌ﴾ [الآية 138] أي وفي المسامرة أو نهراً أو ليلاً ولعل قريتهم وقعت قريب منزل يمرّ بها المرتحل عنه صباحاً والقاصد له مساء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 138] فتفكرون فتعتبرون.

﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ ﴿ [الآيتان 139، 140] أي هرب وأصل الإباق هرب العبد من سيده لكن لما كان هربه من قومه بإذن ربه حسن إطلاقه بلفظ ﴿إِلَى الْفَالِكِ الْمُشْحُونِ﴾ [الآية 140] المملؤ بأهله.

﴿فَسَاهُمْ﴾ [الآية 141] فقارع أهله ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الآية 141] فصار بالقرعة من المغلوبين روي أنه لما وعد قومه بنزول العذاب وحلوله خرج من بينهم قبل أن يأمره الله به فركب السفينة فوفقت فقالوا: ها هنا عبد آبق فافترعوا فخرجت القرعة عليه فقال: أنا الآبق ورمى بنفسه في الماء.

﴿فَأَلْقَمَهُ الْخُوتُ﴾ [الآية 142] فابتلعه مأخوذاً من اللقمة ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾

[الآية 142] آتٍ ما يلام عليه أو داخل في الملامة أو ملئم نفسه الندامة.

وأفاد الأستاذ: إنه كان في أول الأمر يطلب التفصي من النبوة فلم يعاف ثم استقبله ما استقبله فلم يلبث حتى رأى نفسه في بطن الحوت في الظلمة.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الآية 143] الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وقت حصره بقوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ونحوه أو من المصلين في جميع دهره.

﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 144] حياً وقيل: ميتاً وفيه حث على إكثار الذكر والدعاء وإظهار الشاء وإن من أقبل على الله في السراء أخذ بيده عند الضراء، وفي الحديث: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»⁽¹⁾.

قال الواسطي: كان من العارفين بأن تسبيحه لا ينجيه مما هو فيه من العناء وإنما ينجيه منه الفضل وسابق القضاء ويحتمل أن تكون معناه من المنزهين الله عن ظلمه والمعترفين بظلم نفسه كما يشير إليه قوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

﴿فَبَدَّنَهُ﴾ [الآية 145] بأن حملنا الحوت على لفظه وطرحه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ [الآية 145] بالفضاء من الصحراء⁽²⁾.

روي أنه سبحانه أوحى إلى الحوت أنا جعلنا بطنك له سجناً وله فيه مقاماً ولم نجعله لك طعاماً واختلف في مدة لبثه فليل بعض يوم وقيل: ثلاثة أيام وقيل: سبعة وقيل: عشرون وقيل: أربعون ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الآية 145] مما ناله وأصاب/ حاله قيل: صار بدنه كبطن الطفل حين نزل من بطن أمه.

ب/85

﴿وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ﴾ [الآية 146] أي فوقه مظلة لديه ﴿شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ [الآية 146]

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (3/ 623) رقم (6303)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 223) رقم (11560).

(2) في المخطوطة: السحراء، والمثبت من تفسير القرطبي وبحر العلوم للسمرقندي.

من شجر ينسبط على وجه الأرض ولا يقوم على ساقه في العادة والأكثر على أنها الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع على الدباء، ويدل عليه أنه قيل له صلى الله عليه وسلم: إنك لتحب القرع قال: «أجل هي شجرة أخي يونس عليه السلام»⁽¹⁾. وفي تفسير ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أنه قال: طرح يونس ابن متى عليه السلام بالعراء وأنبت الله عليه اليقطينة وهياً له أروية وحشية ترعى في برية وتأتيه فتفتح عليه فترويه⁽²⁾ من لبنها كل بكرة وعشبة حتى نبت لحمه وقيل هي التين وقيل الموز يتغذى يونس بورقه ويستظل بأغصانه ويفطر على ثماره.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (الآية 147) في مرأى الناظر أي إذا نظر إليهم وتأمل في عددهم قال: هم مائة ألف أو أكثر وقرىء بالواو ويبل هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد به ما سبق من إرساله إليهم أو إرسال ثان لديهم قيل: نام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فأصابته الشمس فبكى فأوحى الله إليه لا تحزن على شجرة يبست ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون أرسلناك إليهم فلم يتبعوك فأردت هلاكهم.

﴿فَأَمَّنُوا﴾ (الآية 148) فصدقوا به أو جددوا الإيمان بمحضره ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (الآية 148) إلى أجل مبين في لوح مبين.

وأفاد الأستاذ: أنه لما خرج يونس من بينهم ورأوا أثر العذاب قد أظلم ندموا وتضرعوا إلى الله سبحانه وآمنوا به فكشف الله العذاب عنهم فكانوا يقولون لو رأينا يونس لوقرناه وعظمناه فرجع إليهم بعد نجاته من بطن الحوت وعود قوته إليه فاستقبلوه معظماً وأدخلوه بلدهم مكرماً ويقال: الذنب كان من قومه وهم قد توعدوا بالعذاب ويونس لم يذنب فخرج من بينهم فكشف الله العذاب عنهم واستقبل يونس ما استقبله حتى بعد المقاساة التي نجافئها عجباً من سر تقدير القضاء وفي القصة إن الله سبحانه أوحى إلى

(1) أورده الزمخشري في كشافه (5/ 486)، والنيسابوري في تفسيره (6/ 360)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 27).

(2) انظر تفسير ابن كثير (7/ 39) وتفسير الطبري (21/ 113).

يونس بعد نجاته أن قل لفلان الفخار حتى يكسر ما عمله هذه السنة كلها فقال: يا رب إنه تعنى مدة في اتخاذ ذلك فأمره أن يكسرها كلها هنالك فقال له: يا يونس يرق قلبك بخزاف يتلف عمل سنة وأردت أن أهلك مائة ألف / 86/أ من عبادي يا يونس لم تخلقهم ولو خلقتهم لرحمتهم.

﴿فَأَسْفَنِيهِمْ أَلْبَنَاتُ﴾ [الآية 149] في قولهم الملائكة بنات الله وهم لها كارهون ﴿وَلَهُمُ الْبُنُوتُ﴾ [الآية 149] على ما يشتهون فكيف يصفون القديم بما عنه يستنكرون.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكِيَّةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الآية 150] خلقتهم أو خلقنا إياهم والمعنى سلهم من أين زعموا أو بأي حجة حكموا وفي أي أودية شبيهة وقعوا وعن أي قضية عموا.

﴿أَلَا إِنَّمِمْ مِّنْ إِنْكِهِمْ يَقُولُونَ﴾ [الآية 151] ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ [الآياتان 151، 152] لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الآية 152] فيما يتدين كل منهم ويدعيه.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الآية 153] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الآياتان 153، 154] له بوصف العاجزين.

﴿أَفَلَا نَذَكُرُونَ﴾ [الآية 155] أنه تعالى منزه عن ذلك.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 156] برهان عقلي واضح لما هنالك.

﴿فَأَنزَلْنَا بِكِتَابِكُمْ﴾ [الآية 157] بدليل نقلي في بابكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 157] في دعواكم.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ [الآية 158] يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعاً منهم أن يبلغوا هذه المرتبة في وصفهم ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ [الآية 158] أي الكفرة ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ [الآية 158] في العقوبة.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الآية 159] من الولد والنسب والشركة.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 160] فإن وصفهم جميل وأجرهم جزيل.

﴿فَإِنَّكُمْ﴾ [الآية 161] أيها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 161] من دونه.

﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 162] أي على دينه ﴿بِفَتْنَيْنِ﴾ [الآية 162] مفسدين الناس بالإغواء.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 163] إلا من سبق عليه القضاء بأنه داخل العذاب المقيم.

قال أبو عثمان: من مال إلى شيء سوى الله وعظم شيئاً مما عداه فذلك لترادف الفتنة عليه وبعد التوفيق والمنة إليه.

وقال القاسم: ما أنتم بمضلين إلا من أوجبت له الضلالة في السابقة.

وقال الأستاذ: أي إلا من أغويته فبحكمي ما ضلوا إلا بإضلالكم.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الآية 164] حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية الرد على العبد والمعنى وما أحد منا إلا له منزل معلوم في المعرفة والعبادة.

﴿وإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ [الآية 165] في مسالك الطاعة ومنازل الخدمة.

﴿وإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الآية 166] المنزهون الله عما لا يليق به من الصفة.

قال جعفر: الخلق مع الله على مقامات متفرقة وحالات مختلفة فللأنبياء مقام المشاهدة وللرسل مقام المعاينة وللملائكة مقام الهيبة وللمؤمنين مقام الخدمة والقربة وللعصاة مقام التوبة وللكفار مقام الطرد والغفلة.

86/ ب وقال أبو عثمان: /معلوم في علم الله إلى ماذا يصير أهل كل مقام في منتهاه.

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة لهم مقام معلوم لا يتخطون مقامهم ولا يتعدون حدهم ومرامهم والأولياء لهم مقام مستور بينهم وبين الله لا يطلع عليه أحد من غيرهم والأنبياء لهم مقام مشهور مؤيد بالمعجزات الظاهرة

والكرامات المتظاهرة لأنهم للخلق قدوة فأمرهم على الشهرة وأمر الأولياء على السترة.

﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ [الآية 167] أي مشركو مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [الآية 167] متمنين ومدعين.

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ﴾ [الآية 168] كتاباً من كتب المرسلين المتقدمين.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الآية 169] ولم نكن من المشركين.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ [الآية 170] بذكرهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 70] عاقبة كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا﴾ [الآية 171] أي عدتنا ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 171] بالنصرة والغلبة كما بينه بقوله.

﴿إِنَّهُمْ لَكُفْرًا مِّنْ الْمُنْجَرِينَ﴾ [الآية 172، 173] أي في غالب الأوقات ولأنه المقضي بالذات.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ [الآية 174] فأعرض عنهم ولا تبال بهم ﴿حَتَّىٰ يَبْصُرُوا﴾ [الآية 174] هو موعد نصرك عليهم وظهور دينك لديهم.

﴿وَأَبْصُرُهُمْ﴾ [الآية 175] على ما ينالهم من العقوبة ﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ [الآية 175] ما قضينا لك من الظهور والنصرة في الآخرة.

وقال الأستاذ: أي سبقت كلمتنا لهم بالسعادة وتقدم حكمنا لهم بالولاية والرعاية فهم من قبلنا منصورون وإن جندنا لهم الغالبون من نصره لا يغلب ومن قهره لا يغلب وجنده الذين نصبهم لنشر دينه وأقامهم لنصر الحق وتبيينه فمن أراد إذلالهم فعلى أذقانه يخرف وفي حبل هلاكه ينجر فتول عنهم إلى أن تنقضي آجالهم وتنتهي أحوالهم وانظر انقضاء أيامهم فإنه سينصرم حديث أحكامهم.

﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْلُونَ﴾ [الآية 176] لقللة علمهم وفرط جهلهم.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ [الآية 177] العذاب ﴿سَاحِبِهِمْ﴾ [الآية 177] وأناخ البلاء بعقوبتهم وحصل الفناء بفنائهم ووصل العناء بعنائهم ﴿فَسَاءَ صَبَاحَ الْمُتَذَرِّينَ﴾ [الآية 177] فبئس صباحهم قبل مسائهم.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الآية 178] فعن قريب يحصل ما منه يحذرون. ﴿وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ﴾ [الآية 179] تأكيد إلى تأكيد وتهديد بعد تهديد أو الأول لعذاب الدنيا والثاني لعقاب العقبي.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية 180] تقريباً له وتنزيهاً عما قاله المشركون وإضافة الرب إلى العزة لاختصاصها به إذ لا عزة إلا له أو لمن عزه.

﴿وَسَلِّمْ/ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 181] تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم بالتكريم. 87/أ

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 182] على ما أفاض عليهم وعلى من اقتدى بهم فيما أنزل إليهم من جميل النعمة وحسن العاقبة. والآية محتوية على صفاته السلبية ونعوته الثبوتية والمراد تعليم المؤمنين كيف يسبحونه ويحمدونه ويسلمون على رسله في مقام كلام يختمونه.

وعن علي ما رواه البغوي: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ [الآية 180]»⁽¹⁾ إلى آخر السورة.

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (7/ 47)، والزمخشري في كشافه (5/ 497).

سورة ص

[مكية]

وهي ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز اعترفت المعارف بالمقصود عن إدراكه، اسم جليل تقنعت العلوم خجلاً من الطمع في إحاطته، اسم كريم صغرت الحوائج على ساحة جوده، اسم رحيم تلاشت قطرات زلات عباده في تلاطم أمواج رحمته .

﴿ص﴾ [الآية 1] لسكون الدال وقرىء بكسرها على أنه أمر من المصادرة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فإنه يعارض النداء والمعنى عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره واتبه عن زواجه وقيل: معناه صدق وعده أو هو الصادق فيما حكمه أو صدق محمد فيما أخبره ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [الآية 1] أي ذي البيان الشافي والبرهان الوافي والموعظة البليغة والحجة البالغة والشرف والشهرة والجواب محذوف أي أنه لمعجزة أي معجزة أو أن محمد لصادق الكلمة .

وقال الأستاذ: إنَّ صاد مفتاح اسمه الصادق والصمد والصبور والصانع أقسم بهذه الأسماء وبالقرآن وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: الآية 64]، ويقال: أقسم بصفاء مودة أحبابه وبالقرآن الذي هو أشرف كتاب .

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِ﴾ [الآية 2] للنفس وعزة وغفلة وتكبر عن قبول الحق ﴿وَشَقَاقِي﴾ [الآية 2] خلاف الله ولرسوله فيما بين الخلق .

وقال الأستاذ: في ضلالة ظاهرة وعداوة بينة وإعراض عن بحث أدلة وتحقيق حجة.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [الآية 3] وعيد لهم على كفرهم استكباراً وشقاقاً في أمرهم استدباراً ﴿فَنَادَوْا﴾ [الآية 3] استغاثة واستعانة واعتذاراً واستنفاً ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [الآية 3] أي ليس حين ملجأ لخلاص.

وقال الأستاذ: / فنادوا حين هجم البلاء بالاستغاثة وقد فات وقت الإجابة.

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ [الآية 4] بشر من جنسهم أو أي من نوعهم ﴿وَقَالَ الْكَاذِبُونَ﴾ [الآية 4] المبالغون في كفرهم ﴿هَذَا سَجْرٌ﴾ [الآية 4] فيما يظهره من المعجزة ﴿كَذَّابٌ﴾ [الآية 4] فيما يدعيه من النبوة ومن الغريب العجيب أن لم يعجبوا من أن يكون المنحوتات آلهة.

﴿أَجْعَلِ الْأَيْلَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [الآية 5] بأن جعل الألوهية التي كانت لهم منحصرة لواحد مع كثرة العبادة إذ كانت العادة فيهم أن تختص كل قبيلة بصنم أو كل واحد بوثن بحسب اختلاف أهويتهم وتفاوت وهدات أوديتهم ولم يتصوروا حقيقة الألوهية التي ينافي الإثنية مع اعترافهم بأنه سبحانه هو المنفرد بوصف الخالقية ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [الآية 5] بليغ في العجب فإنه خلاف ما أطبق عليه إسلامه في الحساب والنسب.

﴿وَأَنطَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا﴾ [الآية 6] أي اذهبوا وتفرقوا قائلين بعضهم لبعض امشوا على طريقتكم ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [الآية 6] واثبتوا على عبادتها في محجتكم ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [الآية 6] أن هذا الأمر العجيب الشأن لشيء يراد بنا من رب الزمان فلا مرد له كسائر مصائب الدوران قال عمر والمكي لقد وبخ الله تعالى للتاركين الصبر من المؤمنين على دينهم وثبات يقينهم.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار إذا تواصلوا فيما بينهم بالصبر على آلهتهم فالمؤمنون أولى بالصبر على عبادة معبودهم والاستقامة في وقتهم على مقصودهم.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ [الآية 7] بالذي يقوله من دعوى التوحيد وادعاء النبوة
﴿فِي أَلَمَّةٍ أَلَّخِرَةٍ﴾ [الآية 7] في الملة التي أدركنا عليها آباءنا المتقدمة ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا
أَخْلَقُ﴾ [الآية 7] افتراء يجبر إلى خلاف وشقاق.

وأفاد الأستاذ: أنهم ركنوا إلى النشأة والعادة وما وجدوا عليه أسلافهم
من الضلالة ومالوا إلى تقليد أهل الجهالة وقالوا: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾
[الآية 8] إنكاراً لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ [الآية 8]
من كتابي وما فيه من أمري ﴿بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ﴾ [الآية 8] بل لم يذوقوا بعد
عذابي الذي استحقوه من كفرهم بي. والمعنى أنهم لا يصدقون بتحقيقه حتى
يمسهم العذاب فيلجئهم إلى تصديقه.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو استبصروا في أديانهم لما أقدموا على ما أسرفوا
فيه من جحودهم وعصيانهم / ولو أنا أدمنا لهم العاقبة في أبدانهم لما تفرغوا
إلى طغيانهم. 88/أ

﴿أَمَّ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [الآية 9] حتى يصيبوا بها من
شأؤوا ويصرفوها عنم شأؤوا.

﴿أَمَّ لَهُمْ مَثَلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [الآية 10]
فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى عالم العلويات وهو غاية آلهتكم بهم
لظهور عجزهم عن الأمور الجزئية في السفليات.

﴿جُنُدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [الآية 11] أي هم جنودنا من
الكفار المتحزبين على الأنبياء الأبرار مهزوم مكسور عما قريب في هذه الدار
فمن أين لهم التدابير الصمدانية والتصرف في الأمور الربانية وما مزية للتعليل
وهنالك إشارة إلى حيث أنفسهم من القيام لمثل هذا المرام والمراد أنهم في مفاد
الطرد والحجاب والبعد عن باب رب الأرباب.

وقال الأستاذ: أي هؤلاء الكفار الذين عارضوا ونازعوا وكذبوا
واحتجوا عندهم شيء من هذه الأشياء أو هم يقدرّون على شيء من هذه
الأشياء فيفعلوا ما أرادوا ويعطوا من شأؤوا ويرتقوا إلى السماء فيأتوا بالوحي

على من أرادوا ويهلكوا ما أرادوا بل هم جند ما كلهم عجزة لا يقدرّون على ذلك مهزومون هنالك شبههم في بقائهم عن مرادهم بالمهزومين عن بلادهم والمعنى أن هؤلاء الكفرة ليس معهم حجة ولا لهم قوة ولأصنامهم من النفع والضرر مكنة ولا في الرد والدفع عن أنفسهم شوكة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ [الآية 12] ذو الملك الثابت بالأوتاد ومنه قوله ولقد عتوا فيها بأنعم عيشه في ظل ملك ثابت الأوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب بأوتاده وقيل نصب أربع أسطوانات وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها ويضرب أوتاداً عليها ويتركه حتى يموت.

﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ [الآية 13] أي الغيضة⁽¹⁾ وهم قوم شعيب ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ [الآية 13] يعني المتحزبين على رسلهم الذي جعل الجند المهزوم بعضهم.

﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ [الآية 14] بيان لما اسند إليهم على وجه الإيهام من تكذيبهم وهو إما مقابلة جمعهم بجمعهم أو جعل تكذيب واحد منهم تكذيب جميعهم ﴿فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ [الآية 14] فثبت عليهم / عقابي ووقع لديهم حجابي. 88/ ب

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 15] أي وما ينتظر قومك الكافرون أو الأحزاب فإنهم في علم الله الحاضرون ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً﴾ [الآية 15] هي النفخة الأولى أو الأخرى ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [الآية 15] من توقف مقدار فواق وهو ما بين الجبلتين وقرأ حمزة والكسائي بضم الفاء.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا مَجَلٌ لَنَا قَطْنَا﴾ [الآية 16] قسطنا من العذاب ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [الآية 16] مبالغة في استبعاد نزوله وإنكار حصوله.

﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 17] فإنه لن تطول مدتهم ولا تمتد مهلتهم فعن قريب سينصر الله عبده ويصدق بالتحقيق وعده ويقوي جنده ويهزم الأحزاب

(1) وهي الشجرة المتكاثفة.

وحده ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [الآية 17] ذا القوة في الصبر على العبادة والمحنة ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [الآية 17] رجاع إلى الله بكثرة التوبة والأوبة وكان عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أفضل الصيام ويقوم نصف الليل عن المنام وهو أكمل القيام.

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ [الآية 18] مسبحات في أفضل حالات وأوقات ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ [الآية 18] بعد الظهر ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ [الآية 18] أي وبوقته وهو حين تشرق الشمس بضيائها وتصفو بشعاعها وصفائها وهو وقت الضحى فعن أم هاني أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى وقال: «هذه صلاة الإشراق»⁽¹⁾.

وعن ابن عباس: ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية⁽²⁾. وأما شروقها فطلوعها والتحقيق أن أول وقت صلاة الضحى حين شروقها وارتفاعها قدر رمح وآخره ما يقال له: ضحوة الكبرى.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْسُورَةً﴾ [الآية 19] إليه من كل جانب مجموعة محصورة ﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [الآية 19] أي كل منهما ومن داود له سبحانه رجاع بالتسبيح تعظيماً لشأنه وتكريماً لبرهانه.

وأفاد الأستاذ: أن داوود كان يسبح والجبال تسبح وكان يفهم تسبيحها على وجه تخصيصه كرامة له ومعجزة وكذلك الطير كانت تجتمع له فتسبح لله وداوود كان يعرف تسبيحهن وكل من تحقق بحاله مع ربه ساعده كل شيء كان يقربه ويصير غير جنسه بحكمه. وفي معناه أنشدوا:

ربّ ورقاء هتوف بالضحى ذات شجورٍ صرخت في فنين⁽³⁾
ذكرت إلفاً ودهراً صالحاً وبكت شوقاً فهاجت حزني

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (406/24) رقم (986).

(2) أورده الطبري في تفسيره (169/21) وابن كثير في تفسيره (58/7) والزمخشري في كشافه (5/6).

(3) نسبت هذه الأبيات إلى التهامي. انظر الكشكول (1/293).

فبكائي ربما أرقها وبكاهها ربما أرقني
ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمني
وغير أني بالجوى أعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني

الشجو: الحزن والفنن: والأفنان بمعنى الأغصان، والجوى: الحزن.

أ/89 / ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ﴾ [الآية 20] فقويناه بالهية وكثرة الجنود والغلبة والنصرة وقيل: أن رجلاً ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان لديه فأوحى الله إليه أن اقتل المدعى عليه فقال: صدقت إنني قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته كذا نقله البيضاوي وتفصيله في المثنوي المولوي وقيل: بالعقل والتؤدة وقيل: بالتوفيق والإنابة وقيل: صرفنا بصره عن الملك وجعلنا نظره إلى الملك وقيل: شددنا ملكه بوزراء صالحين فدلوه على الخير معاونين.

وقال الأستاذ: أن في التفسير كان يحفظ ملكه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ﴾ [الآية 20] بنصرنا له ورفعنا البلاء عنه ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ﴾ بالعدل في القضية وحسن السيرة في الرعية ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ﴾ بدعاء المستضعفين له ويقال: بأن رأى منا جميع نصرته وتبرأ من حوله وقوته ويقال: بتيقظه وحسن سياسته ويقال: برجوعه إلينا في سائر حالاته وأوقاته ﴿وَأَيَّنَهُ الْحِكْمَةَ﴾ [الآية 20] كمال العلم واتقان العمل أو النبوة وقيل: العلم بنا والفهم عنا وقيل: مخالطة الأبرار ومجانبة الأشرار ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ [الآية 20] أي الرشد والصواب أو فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل في الأحكام وقيل: هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار محل ولا إكثار ممل كما جاء في وصف كلام نبينا صلى الله عليه وسلم فصل لا نذر ولا هذر أي لا يسير ولا كثير.

﴿وَهَلْ أَتَتْكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ [الآية 21] استفهام معناه التعجب في شأنه والتشويق إلى استماع بيانه والخصم أريد به جنس المخاصم ولذا قال ﴿إِذْ سَوَّرُوا آلِ حِرَابٍ﴾ [الآية 21] إذ تصعدوا سور الفرقة من غير طريق الباب.

﴿إِذْ تَحَلَّوْا عَلَى دَاوُدَ﴾ [الآية 22] للفصل بينهم ﴿فَفَرَعَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 22] لأنهم نزلوا عليه في يوم الاحتجاب من فوق بيته والحرس على الباب فإنه عليه السلام

كان جزءاً زمانه يوماً للعبادة ويوماً للحكومة ويوماً للموعظة ويوماً للاشتغال بما له من الخاصة فتسور عليه الملائكة وتصوروا على صور الإنسان في يوم الخلوة ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [الآية 22] أي منا ﴿خَصَمَانِ﴾ [الآية 22] أي نحن فوجان متخاصمان ﴿بَعَى بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية 22] منا على فرض المسألة لأنهم كانوا / 89 ب ملائكة وقصدوا التعريض به في قضية ﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [الآية 22] ولا تبعد عن الصدق ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [الآية 22] أي وسطه وهو العدل بالرفق.

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ [الآية 23] في الديانة أو الصحبة ﴿لَهُ تَسَعٌ وَسَعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَجِدَّةٌ﴾ [الآية 23] وهي الأنثى من الضأن وقد كنى بها عن المرأة والتلويح أبلغ من التصريح وهذا تصوير للمسألة كما يقال: لي أربعون شاة ولهذا أربعون فخلطناهما وحال الحال عليهما فكم يجب فيهما ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾ [الآية 23] ملكيتها أو اجعلها كفلي أي نصيبي أو أنزل عنها حتى أكفلها ﴿وَعَزَفَ فِي الْخُطَابِ﴾ [الآية 23] وغلبنى في مخاطبته إياي في هذا الباب.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ [الآية 24] أي صاحبك في علاجه ﴿بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَى نِعَاجِيَّةٍ﴾ [الآية 24] قال ذلك بعد اعتراف الآخر أو على تقدير صدق المدعي لما قرر فضحك أحدهما في وجه صاحبه وصعد السماء من عنده فعلم أنه تنبيه في حقه وعتاب من ربه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِفَةِ﴾ [الآية 24] الشركاء الذين خلطوا أموالهم ﴿بِئْتِنِي﴾ [الآية 24] ليتعدى ﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية 24] في عامة أحوالهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [الآية 24] أي وهم قليل في غاية القلة وما مزيدة للمبالغة ﴿وَوَطَّنَ دَاوُدُ﴾ [الآية 24] أي استيقن ﴿أَتَمَّا فَتَنَتُهُ﴾ [الآية 24] ابتليناه بالمعصية أو بالفتنة الموعودة. أو امتحناه بتلك الحكومة هل ينتبه لها أم لا ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ [الآية 24] أي فطلب مغفرة ربه لما صدر عنه من ذنبه ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا﴾ [الآية 24] ساجداً على تسمية السجود ركوعاً بالتوسعة أو خاشعاً متضرعاً بهيئة السكينة ﴿وَأَنَابَ﴾ [الآية 24] ورجع إلى الله بالتوبة وحسن الإنابة.

﴿فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ [الآية 25] أي ما استغفر عنه هنالك ﴿وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزُومًا﴾

[الآية 25] أي لقربة بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَنَابٍ﴾ [الآية 25] مرجع في الجنة وعند صلى الله عليه وسلم السجدة التي في صاد سجدها داوود توبة ونحن نسجدها شكراً.

قال سهل: الإنابة هي الرجوع عن الغفلة إلى الذكر مع انكسار القلب وانتظار المقت.

وقال أبو عثمان الإنابة أجل من التوبة لأن التائب يرجع ببعضه فيسمى تائباً ولا يسمى منيباً إلا من رجع إلى ربه بالكلية.

وقال القاسم: إنابة العبد أن يرجع إلى ربه بنفسه وقلبه وروحه فإنابة النفس أن يشغلها بخدمته / وطاعته وإنابة القلب أن يخليه مما سواه وإنابة الروح دوام حضوره حتى لا يذكر غيره.

وقال أبو سعيد الخراز: زلّات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة زلف وكرامات ألا ترى إلى قصة داوود حين أحس تأويل أمره كيف استغفر وتضرع في دهره فأخبر الله تعالى بما ناله في حال ظنه من الزلفى فقال: ﴿وَطَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ [الآية 24] فتضرع ورجع وكان له بذلك عندنا زلفى وحسن مآب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أرسل إلى داوود عليه السلام ملكين على صورة رجلين فتحاكما إليه تنبيهاً له على ما كان منه من تزوجه بامرأة أوريا وكان تركه أولى وهذا على طريق من رأى تنزيه الأنبياء عليهم السلام من جميع الذنوب ومن جوز عليهم الصغائر قال: كان هذا من جملتها ثم قيل: لم يكن أوريا تزوج بها بعد وكان خطبها فأجابته في التزويج به فخطب داوود على خطبته وقيل: بل أرسل أوريا إلى قتال الأعداء فقيل: فتزوج بها وقيل: بل كانت امرأته فسأله أن ينزل عنها فنزل بأمره فتزوجها قلت: وكذا نقله محيي السنة عن ابن مسعود ولعله كان ذلك معتاداً فيما بينهم وقد واسبى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى عندهم.

ثم قال الأستاذ: وكان داوود عليه السلام قال: يا رب أني لأجد في

التوراة أنك أعطيت الأنبياء الرتب العالية في الاجتباء فأعطينها فقال: إنهم صبروا فيما ابتليتهم به فوعد داوود من نفسه الصبر إذا ابتلاه طمعاً في نيل تلك الدرجات فأخبر الله أنه يتليه يوم كذا فجعل داوود ذلك اليوم يوم عبادة وخلا في بيت وأمر حرسه أن لا يؤذن أحد في الدخول عليه وكانوا ثلاثين ألف رجل وأغلق على نفسه الباب وأخذ يصلي زماناً وقرأ التوراة زماناً لكن لم يمكنه غلق باب السماء فلم يدفعوا عنه حكم القضاء ولقد قال الحكماء: الهارب مما هو كائن في كف الطالب يتقلب ثم أنه كان في البيت كوة يدخل منها الضوء فدخل منها طير صغير من الذهب ووقع قريباً منه وكان لداوود ابن صغير فهم أن يأخذه ليدفعه إلى ابنه فتباعد عنه.

وجاء في التفاسير إنه كان إبليس/ تصور له في صورة طير فتبعه داوود 90/ب فلم يزل يتباعد قليلاً قليلاً وداوود يتبعه حتى خرج من الكوة فنظر داوود في أثر توقع بصره على امرأة أوريا وهي تنتقل متجردة فعاد إلى قلبه منها شيء فكان هذا السبب.

وقد جاء في التفسير أنه سجد أربعين يوماً لا يرفع رأسه من السجود إلا للمكتوبة عليه ويبكي حتى نبت العشب من دموعه ولم يأكل ولم يشرب في تلك المدة حتى أوحى الله إليه بالمغفرة فقال: يا رب كيف بحديث الخصم فقال: إنني استوهبك منه وقيل: كان لا يشرب الماء إلا ممزوجاً بدموعه ويقال: لما التجأ داوود عليه السلام في أوائل البلاء إلى التوبة والبكاء والتضرع واللجأ وجد المغفرة والتجاوز عن العناء وهكذا من رجع في أول الشدائد إلى الله فالله يكفيه ما ينوبه ومن صبر إلى حين من المدة طال عليه المحنة ويقال: إن زلة أسفك عليها يوصلك إلى ربك ويدنيك أجدي لك من طاعة إعجابك بها يبعدك عن ربك ويقصيك انتهى وفي معناه ما قاله ابن عطاء: معصية أورثت ذلاً واستغفاراً خير من طاعة أوجبت عزاً واستكباراً.

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 26] استخلفناك على الملك

فيها أو جعلناك خليفة ممن قبلك من الأنبياء القائمين بالحق المتعلق بها وبغيرها

وقيل: حاكماً من قبلي على أهلها ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 26] بحكم الهدى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [الآية 26] ما تهوي النفس وتتمنى من الردى ﴿فِيضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 26] عن طريق قرب المولى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ﴾ [الآية 26] بأنفسهم أو يضلون غيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 26] عن طريق الصواب ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [الآية 26] بسبب نسيانهم عن سبيل المولى فإن تذكره يقتضي ملازمة الهدى ومخالفة الهوى.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ [الآية 27] خلقاً باطلاً لا حكمة فيه أصلاً ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 27] أي خلقها باطلاً ﴿ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 27] أي مظنونهم جهلاً ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [الآية 27] بسبب هذا الظن الباطل الذي ليس تحته الطائل.

﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 28] في الدنيا والعقبى ﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 28] من الكفار ﴿أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 28] أي الأبرار من المؤمنين ﴿كَالْفُجَّارِ﴾ [الآية 28] من المجرمين.

91/أ وقد أخرج أبو يعلى / عن أبي ذر مرفوعاً كما أنه لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار⁽¹⁾.

وفي الآية دلالة على صحة الحشر والإعادة فإن التفاضل بينهما لا بد منه عقلاً ونقلاً وهو أما أن يكون في الدنيا والغالب فيها أن غير المؤمن أحسن حالاً وأكثر مالاً ومنالاً بحسب الظاهر أو في غيرها وذلك يستدعي أن يكون لهم داراً أخرى يجازون فيها.

﴿كِتَابٌ﴾ [الآية 29] أي مكتوب عظيم ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ﴾ [الآية 29] مقام كريم ﴿يَلِكِبْرُوا ءَايَاتِهِ﴾ [الآية 29] ليتدبروا آياته ويتفكروا فيها فيعرفوا حسن مبانيها وصحة معانيها فيعلموا بمقتضى أوامرها ونواهيها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 29] وليتعظ ذو العقول السليمة بمواعظه القويمه.

(1) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (9/ 173) رقم (3224).

أخرج سعيد بن منصور عن الحسن في قوله: ﴿يَدَّبُرُوا عَائِنِيَه﴾ [الآية 29] قال: إنما تدبر آياته اتباعه بعمله.

﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ [الآية 30] أي ابنه ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ [الآية 30] أي سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [الآية 30] رجع إلى الله بالتوبة والأوبة أو بالصبر في المحنة وبالشكر في النعمة. وسئل جنيد: من العبد؟ قال: الذي يكون مطروحاً عند سيده كالमित بين يدي غاسله لا يكون له تدبير ولا حركة.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 31] أي على سليمان ﴿بِالْعِشِيِّ﴾ [الآية 31] بعد الظهر ﴿الضَّفِينَتُ﴾ [الآية 31] الخيل التي تقوم على ثلاثة قوائم وتثني في وقوفها طرف سنبك يد أو رجل واحدة وهو في الخيل من الصفات المحمودة ﴿الْيَادُ﴾ [الآية 31] جمع جواد أو جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل: جمع جيد أصله جيود فخفف روي أنه عليه السلام غزا دمشق فأصاب ألف فرس فاستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وعقل عن العصر أو عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها وذبحها تقرباً إلى الله سبحانه وقيل: وضع عليها الكي فسلبها ووهبها لمن طلبها فعوضه الربح بدلاً عنها فمن ترك شيئاً لله لم يخسر على الله.

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ [الآية 32] أي الخيل التي شغلته ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [الآية 32] أي غربت الشمس بإضممارها من غير سبق ذكرها لدلالة العشي عليها.

﴿رُدُّوهَا﴾ [الآية 33] أي الصافنات ﴿عَلَى فُطُوقٍ مَسْحًا﴾ [الآية 33] فأخذ وشرع يمسح السيف مسحاً ﴿بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [الآية 33] بسوقها وأعناقها / يقطعها وقد أبعد من رد ضمير ردها إلى الشمس فإن المخاطبين لم يقدرُوا على ردها.

وفي «تفسير السلمي» قال أبو سعيد القرشي: من غار الله وتحرك له فإن الله تعالى شكره ألا ترى سليمان لما أشغله الأفراس عن الصلاة ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [الآية 32] قال: ﴿رُدُّوَهَا عَلَى فُطُوقٍ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [الآية 33] قيل: إنه كان عشرون ألف فرس منقش ذوات أجنحة أخرجهم الشياطين من البحر

فشكر الله سعيه بتسخير الريح، أبدله مركباً أهنأ منها وأنعم والله أعلم.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ ﴿٣٤﴾ [الآية 34] أظهر ما قيل في فتنته وامتحانه وبليته ما روي مرفوعاً أنه قال: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل: إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا فرساناً⁽¹⁾.

قال الأستاذ: فاستغفر من ترك الاستثناء وكان ذلك ترك ما هو الأولى فوقع في الابتلاء.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي﴾ [الآية 35] لا يتسهل ﴿لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [الآية 35] ليكون معجزة لي مناسبة لحالي ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [الآية 35] المعطي ما تشاء لمن تشاء.

قال ابن عطاء: أي مكني من مخالفة نفسي حتى لا أوافقها بحال من أحوالي وقيل: هب لي المعرفة بك لا أرى معك غيرك ولا تشغلني كثرة عروض الدنيا.

وقال سهل: ألهم الله سليمان أن يسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ليقصر به الجبابرة والكفرة الذين يخالفون ربهم ويدعون لأنفسهم قدرة وقوة من الجن والإنس فوق السؤال من سليمان على ما اختار الله له لا على اختياره لنفسه.

وقال جنيد: أي هب لي ملكاً على نفسي فإني إن ملكت الدنيا ولم أملك نفس أكون عاجزاً في ملكي.

وقال ابن عطاء: لما سأل سليمان من الله الملك وسخر له الريح أعلمه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3424) ومسلم في الصحيح (25/1654) والبيهقي في السنن الكبرى (4480) رقم (19694)، والترمذي في الجامع الصحيح (108/4) رقم (1532).

بذلك إن ما سواه ربح لا بقاء له ولا دوام معه .

وقال محمد بن علي في قوله: هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي هو أنه لا يشغله عن ربه شيء مما آتاه من الملك فتكون / حجة على من بعده 92/أ من الملوك وأبناء الدنيا .

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ [الآية 36] فذلّلناها لطاعته إجابة لدعوته ﴿بِحَرْي بِأَمْرِهِ مُخَاءً﴾ [الآية 36] لينته على وفق إرادته ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [الآية 36] أي أراد من قولهم أصاب الصواب فأخطأ الجواب .

﴿وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ [الآية 37] بدل منه ﴿وَعَاخِرِينَ﴾ [الآية 38] عطف على الريح كل ﴿بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ [الآية 37] أي وجماعة مردة ﴿مُتَقَرِّبِينَ﴾ [الآية 38] قرن بعضهم مع بعض ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ [الآية 38] في القيود والسلاسل ليكفوا عن الشر والردائل .

﴿هَذَا﴾ [الآية 39] أي الذي أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط بالغلبة في السلطنة ﴿عَطَاؤُنَا﴾ [الآية 39] لك ﴿فَأَمْنٌ أَوْ أَمْسِكُ﴾ [الآية 39] فاعط من شئت وامنع من شئت، فأو للتنويع ﴿بِعَيِّرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 39] غير محاسب على منه ومنعه لتقويض التصرف فيه إلى أمره والمعنى أنه عطاء من غير إمكان حصره .

وقال ابن عطاء: امنن على من أردت بعطائنا فإننا لا نمن عليك بذلك وإنما نمن عليك بالهداية إلينا والمعرفة لنا قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُوهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: 17] .

﴿وَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ [الآية 40] لقربى في العقبى مع ما له من الملك العظيم في الدنيا ﴿وَحُسْنِ مَتَابٍ﴾ [الآية 40] هو الجنة المأوى .

وأفاد الأستاذ: أن المشي في الهوى للأولياء في الجملة وقطع المسافات البعيدة في مدة يسيرة مما يعلم وجوده قطعاً في هذه الأمة إن لم يعلم للأفراد والآحاد على تعيين القضية وإظهاره على خدم خير البرية يدل على أن مقامه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب أشرف المقامات وألطف الحالات .

﴿وَأَذْكُرُ عَبْدًا أَيُّوبَ﴾ [الآية 41] أي ابن عموص ابن رعويل بن عيص ابن إسحاق ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ [الآية 41] بدل من عبدنا، وأيوب عطف بيان له ﴿أَيُّوبَ﴾ [الآية 41] بأني ﴿مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ [الآية 41] بتعب ﴿وَعَدَابُ﴾ [الآية 41] ألم ووصب.

والإسناد إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾ [الآية 41] أما لأن الله مسبب ببليته لما فعله أيوب بوسوسته كما قيل: إنه أعجب بكثرة ماله وسعة حاله أو استغاثة مظلوم فلم يغثه لاشتغاله أو لسؤاله امتحاناً لصبره في مقام كماله فيكون اعترافاً بذنبه وتقصيره في ماله أو مراعاة للأدب مع الرب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه في داره وتم أخرجه من دياره أو لأن المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه / ب 92 وبليته من عظم بلاء الله والقنوط من رحمته ويغريه على الجزع من حالته قيل: فبلغ أمره ووصل ضرره إلى أن لم يبق منه عضو سالم إلا قلبه ولسانه ويروي أنه قال في مناجاته إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم أكل إلا ومعني يتيم ولم أبت شعبان ولا كاسياً إلا ومعني جائع أو عريان فكشف الله سبحانه وتعالى عنه بقوله:

﴿رَكَضَ بِرِجْلِكَ﴾ [الآية 42] أي اضرب برجلك الأرض ﴿هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [الآية 42] أي فضربها فنبعت عين بها فقيل: هذا الماء مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهره ويعود إليك جمالك وكمالك قيل: لبث في البلية أربعين سنة وقيل: سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ [الآية 43] بأن جمعناهم بعد تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ [الآية 43].

وقال الأستاذ: رد الله عليه ماله ومثله وأحیی أولاده وأهله ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ [الآية 43] ورحمتنا عليه ونعمتنا لديه ﴿وَذَكَرْنَا لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 43] وتذكرة وموعظة لهم ليبتظروا الفرح بالصبر واللجأ إلى الله فيما يحق بهم.

﴿وَعُدُّ بِيدِكَ ضِعْفًا﴾ [الآية 44] حزمة صغيرة من حشيش ونحوه ﴿فَأَضْرَبَ بِهِ﴾ [الآية 44] بتركه روي أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل: رحمة بنت

أفرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برأ أن يضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الشريعة إذا قال: مائة جلدة أو مائة عصاة ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [الآية 44] فيما أصابه من شدة الحال في النفس والأهل والمال ولا يخل به شكواه من الشيطان إلى مولاه فإنه لا يسمى جزعاً في البلاء كتمني العافية وطلب الشفاء مع أنه قال: ذلك خشية أن يفتنه أو قومه فيما لا يرضي ربه ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ [الآية 44] أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [الآية 44] مقبل بكليته إلى الله في جملة بلواه.

قال ابن عطاء: صابراً أي واقفاً مع الرب بحسن الأدب لا يؤثر عليه دوام النعم وتمام المنن ولا يزعجه تواتر البلاء وتابع المحن لمشاهدة المنعم والمبلي ونعم العبد لم يشغله ما لنا عنا وقيل: الصبر الفناء في البلوى بلا إظهار الشكوى.

وقال القاسم: محنة / الأنبياء تقريب تهذيب وترتيب وكشف عن ظهور 93/أ ما لهم للعوام لقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ [الآية 44] عبد عرف أن لا رجوع له إلى مولاه فرجع إليه إنه أواب أي راجع إلينا في السراء والضراء مما ابتلينا.

وقال جعفر: لم يستعذب البلاء من لم ير البلاء من العطاء نعم العبد سره بلاؤنا كما سره عطاؤنا.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر أن لا يعترض على التقدير أقول ولعله أراد قل ما يراد به في التعبير كما عبر عن كماله بقوله. ويقال: التلذذ بالبلاء واستعذابه دون استصعابه، ولم ينف قوله: ﴿مَسْفَى الضَّرِّ﴾ [الأنبياء: الآية 83] اسم الصبر عنه لأنه لم يكن على وجه الشكوى منه ولأنه مرة واحدة والحكم للغلبة.

﴿وَأَذْكُرْ عِدَّتَنَا إِِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية 45] وقرأ ابن كثير: عبدنا على وضع الجنس موضع الجمع أو على إنه إبراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وإسحاق ويعقوب عطف عليه لكونهما تابعين لديه ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾

[الآية 45] أصحاب القوة في الطاعة وأرباب البصيرة في المعرفة أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الجزيلة وفيه تفريص بالبطلة الجهلة.

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46] جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة هي تذكرهم للآخرة بوصف المداومة وإطلاق الدار للإشعار بأنها الدار التي عليها المدار وإنما الدنيا معبر في نظر النظار من أهل الاعتبار وأصناف نافع وهشام بخالصة إلى ذكره للبيان.

﴿وَلَهُمْ عِنْدَنَا لِمَن الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] لمن المجتبيين من أمثالهم المختارين في أحوالهم.

قال الواسطي: إنا خلصناهم بخالصة لم يبق معها ذكر الدار وهو الكونين وما فيهما.

وقال أبو يعقوب السوسي: لما قال أخلصناهم بخالصة صفت قلوبهم بذكره عند ذلك ووقت أرواحهم له بإرادته هنالك فهم في مكشوف ما تقدم لهم في الغيب سبقت لهم منه الحسنى فصاروا بدرجة المخلصين.

وقال جنيد: الإخلاص ما أريد الله به من أي عمل كان.

وقال سهل: الإخلاص التبري مما سواه وقيل: أخلصناهم بخالصة أي أبقينا عليهم في أعقابهم حسن الثناء لديهم.

وقال الأستاذ: أي تفضيله خالصة وهي ذكرى الدار ذكر الجنة والنار 93/ ب بدعاء/ الناس إليها والهرب منها ويقال: بسلامة قلب من ذكرى الدار أي لم يعملوا على ملاحظة جزاء ويقال: تجردوا لنا بقلوبهم عن ذكرى الدارين.

﴿وَأَذَكَّرَ إِسْمَاعِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [الآية 48] أفردته بالذكر لشرفه وكونه جداً لأشرف الأنبياء في مقام لطفه ﴿وَالْيَسَعَ﴾ [الآية 48] استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استنبئ وقرأ حمزة والكسائي واليسع بتشديد اللام وسكون الياء ﴿وَذَا الْكَقَلِّ﴾ [الآية 48] ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف في نبوته ووجه تعته فقيل: فر إليه مائة نبي من القتل فأواهم وكفلهم وقيل: تكفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة.

وأفاد الأستاذ: أن اليسع وذا الكفل أخوان ﴿وَكُلُّ﴾ [الآية 48] أي كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [الآية 48] أي أختيار الأبرار.

﴿هَذَا﴾ [الآية 49] أي هذا القرآن ﴿ذَكَرَ﴾ [الآية 49] أي فيه ذكر ما كان وما يكون ويقال: أنه شرف لك لأنه معجزة تدل على صدقك أو هذا إشارة إلى ما تقدم من أمورهم ذكر شرف لهم ثم بين ما أعد لهم ولأمثالهم بقوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَتَابٍ﴾ [الآية 49] مرجع أو انقلاب وبيانه.

﴿جَنَّتِ عَدْنٌ﴾ [الآية 50] بساتين إقامة حال كونها ﴿مُفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَنْزُوبُ﴾ [الآية 50].

قال الأستاذ: أي إذا جاؤوها لا يلحقهم ذل الحجاب ولا كلفة الاستئذان أن بالباب بل تستقبلهم الملائكة بالتبجيل والإرحاب.

﴿مُتَّكِينَ فِيهَا﴾ [الآية 51] على أرائكهم في حجالهم بأنعم أحوالهم ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ﴾ [الآية 51] ما يتفله به ويتلذذ بسببه ﴿كَثِيرَةً﴾ [الآية 51] أي لا يسيرة ولا عسيرة ﴿وَشَرَابٍ﴾ [الآية 51] على ما يشتهون من كل باب.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مُّطَّرَفٌ﴾ [الآية 52] من الحور العين وغيرهن لا ينظرون إلى سوى أزواجهن ﴿أَنْزَابٌ﴾ [الآية 52] لذات أتراب مستويات في الأسنان فإن النجائب أثبت بين الأقران أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية منهن كلهن في سن ثلاث وثلاثين على ما ورد في حقهن.

وأفاد الأستاذ: أنهم مستويات في الحسن والجمال والشكل والدلال.

﴿هَذَا مَا نُوعِدُونَ﴾ [الآية 53] وقرأ ابن كثير وأبو عمر بالغيبة ﴿يُؤْمِرُ الْحِسَابَ﴾ [الآية 53] لأجله فإن الحساب علة الوصول إلى الجزاء من الثواب والعقاب.

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُم مِّن نَّفَادٍ﴾ [الآية 54] أي ليس له انقطاع ولا انتهاء في الدنيا ولا في العقبى.

﴿هَذَا﴾ [الآية 55] أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو خذ هذا أو هذا المعد للمتقين ﴿وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَتَابٍ﴾ [الآية 55] شر مرجع ومنقلب.

﴿جَهَنَّمَ﴾ [الآية 56] بدل منه ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ [الآية 56] حال أو استئناف يدخلونها ويعذبون بها ﴿فِيئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الآية 56] ما مهد لهم وأعد لأجلهم وهو جهنم لقوله: لهم من جهنم مهاد.

﴿هَذَا﴾ [الآية 57] العذاب أو العذاب هذا ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ [الآية 57] هو الماء الحار ﴿وَعَسَاقُ﴾ [الآية 57] ما يسيل من صديد أهل النار وقيل: المراد به الزمهرير وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتشديد السين وآخر أي مذوق آخر أو عذاب آخر وقرأ أبو عمرو وآخر أي ومذوقات أو عقوبات.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ﴾ [الآية 58] من مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدة ﴿أَزْوَاجٌ﴾ [البقرة: الآية 25] أجناس وأصناف.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ [الآية 59] فقال للمتبوعين: هؤلاء قوم من التابعين مقتحمون معكم النار وتابعون لكم في قرار دار البوار ﴿لَا مَرْجَأَ لَهُمْ﴾ [الآية 59] دعا من المتبوعين على التابعين أي ما أتوا رحباً وسعة بل حضروا ضيقاً وشدة ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ [الآية 59] داخلوها مع أثقال الأوزار.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 60] أي أي الأتباع للرؤساء ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ﴾ [الآية 60] بل أنتم أحق بما قلت من ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ [الآية 60] أي العذاب ﴿لَنَا﴾ [الآية 60] ياغوائنا وإغرائنا على ما قدمناه من الأحوال الفاسدة والأعمال الكاسدة ﴿فِيئْسَ الْقَرَارُ﴾ [الآية 60] في دار البوار.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 61] أي الأتباع أيضاً ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَدَابًا ضِعْفًا﴾ [الآية 61] مضاعفاً ﴿فِي النَّارِ﴾ [الآية 61].

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 62] أي الطاغون وهم الأتباع والمتبوعون من الكفار بعد دخولهم النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ [الآية 62] يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يستردلونهم ويسخرون منهم.

﴿أَتَخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا﴾ [الآية 63] صفة مستأنفة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على أنه إنكار لهم على أنفسهم وملامة لها في

الاستسخار بهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخرنا بالضم ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ
الْأَبْصَارُ﴾ [الآية 63] أم مالت عنهم أبصارنا فلا نراهم في النار وأم معادلة لما لنا لا
نرى أن المراد ففي رويتهم لغيبتهم كأنهم قالوا أغابوا عنها أم زاغت عنهم
أبصارنا فلا نراهم هنا أو منقطعة والقصد الدلالة على أن سبب استردالهم
واستحقارهم زيغ أبصارهم وقصور أنظارهم على رثائه حالاً الفقراء وانكسارهم
وذلك مثل فعل أبي جهل وإضرابه في حق مثل بلال وأصحابه.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 64] أي الذي حكينا/ عنهم ﴿لِحَقِّ﴾ [الآية 64] خبر 94/ ب
صدق لا بد أن يتكلموا هنالك ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [الآية 64] فيما بينهم عند ظهور
البوار بدل من حق أو خبر محذوف تقديره: هو.

﴿قُلْ﴾ [الآية 65] يا محمد للكفار ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ [الآية 65] مخوف لكم من
العذاب إن كفرتم ومبشر لكم بالشواب إن آمنتم ﴿وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَّحِيدُ﴾
[الآية 65] الذي لا يعبك في ذاته الكثرة والشركة ﴿الْفَهَّارُ﴾ [الآية 65] الموصوف
بالقدرة والغلبة.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 66] منه خلقاً وإليه أمرها ﴿الْعَزِيزُ﴾
[الآية 66] البديع في أفعاله على وفق مراده ﴿الْفَقْرُ﴾ [الآية 66] لذنوب المؤمنين
من عباده وفي هذه الأوصاف تقرير للتوحيد في الدين وتحرير بالوعد والوعيد
للموحدين والمشركين.

﴿قُلْ هُوَ﴾ [الآية 67] أي ما أنبأتكم من أني نذير بين يدي الساعة أو هو
بمعنى هذا والمراد به ما بعده من نبا آدم والملائكة ﴿نَبِيًّا عَظِيمًا﴾ [الآية 67].

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [الآية 68] لقللة معرفتكم وكثرة غفلتكم.

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى﴾ [الآية 69] أي ولا بكلامهم ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾
[الآية 69] في قضية آدم وغيره من مرامهم.

﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 70] أي ما أوحى إلي إلا الإنذار
لأنه المقصود الأهم بالنسبة إلى كثرة الكفار وقلة الأبرار على أن النذارة والبشارة

متلازمان في باب الرسالة وقد يكتفي بأحدهما عن الأخرى بحسب الدلالة أو التقدير لأنها والمعنى ليس يوحى إلي إلا لأني نذير مبين للبشارة.

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة الأعلى قوم من الملائكة في السماء العليا واختصاصهم كما ورد في الخبرية أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: لا أدري فقال جبريل: في الكفارة والدرجات من إسباغ الوضوء في المكروهات ونقل الأقدام إلى الجماعات وإفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وإنما اختلفوا في بيان كيفية المثوبة وكمية الفضيلة فيجتهدون ويقولون أيتها أفضل وأيتها أكمل وقيل: المراد بذلك الاختصاص ما وقع لهم في شأن آدم عليه السلام حيث قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [الآية 71] لا سيما على

القول بأنه بدل من إذ / يختصمون. 95/ أ

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ﴾ [الآية 72] عدلت صورته وكملت خلقته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الآية 72] وأحييته بنفخ الروح في بنيته وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته.

وقال ابن عطاء: أي روحت سره الممكنون بما يكون به الروحانيون ﴿فَقَعُوا﴾ [الآية 72] فخرُوا ﴿لَمَّ سَجِدِينَ﴾ [الآية 72] تكريماً وتعظيماً له نحو تبجيل الكعبة في كون المراد به القبلة فإنه لا يعبد الله ولا يسجد لسواه.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الآية 73].

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [الآية 74] استثناء متصل أو منفصل ﴿أَسْتَكْبَرَ﴾ [الآية 74] تعظم وتكبر ﴿وَكَانَ﴾ [الآية 74] وصار ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 74] باستكباره أمر الله إياه أو كان منهم في علم الله.

وأفاد الأستاذ: أن أخباره سبحانه كان للملائكة بذلك يدل على تفخيم شأن آدم هنالك لأنه تعالى خلق ما خلق من الكونين والجنة والنار والعرش والكرسي والملائكة وغيرهما ولم يقل في صفة شيء منها ما قال في صفة آدم

هنا ولم يأمر بالسجود، لأحد ولا لشيء من خلقه إلا لآدم وسبحان الله خلق أعز خلقه من أقل شيء وأخسّه وهو التراب والطين ثم روح آدم وإن كانت مخلوقة فلها شرف على سائر الأرواح لإفرادها بالذكر فلما سوى خلق آدم وركب فيه الروح الأعظم جلله بأنوار الخصوصية فوعدت هيئته على الملائكة فسجدوا لأمره وظهر لإبليس الشقاوة ووقع بامتناعه في اللعنة.

﴿قَالَ يَبْلِغُ مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [الآية 75] أي من سجودك ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [الآية 75] بعد وجودك بنفسي من غير الوساطة والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة أو اختلاف الصنعة حسب اختلاف الصفة المستدعية للهيبة والعظمة والحاصل أن في التنبيه إشارة إلى أنه جعل مظهر الكمال بظهور صفتي الجلال والجمال بخلاف سائر المخلوقات على اختلاف الأحوال فإن منهم من جعل مظهر الجمال فقط بدوام الطاعة بالملائكة المقربين ومنهم من خلق مظهر الجلال فحسب باستمرار الضلال كالشياطين ومنهم من لا يصلح لشيء من ذلك بل لحكم أخرى يقتضي هنالك ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ [الآية 75] الآن ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ﴾ [الآية 75] المستكبرين في مضي الزمان أو تكبرت من غير استحقاق أو كنت ممن علا واستحق بانفاق.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الآية 76] إظهار لمانع لديه وقوله ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الآية 76] دليل عليه.

وأفاد الأستاذ: أنه من هنا وقع الغلط له حيث توهم أن الفضيلة من حيث البنية والجوهرة ولم يعلم أن التفضل من حيث اللبسة دون الخلقة ويقال: ما أودع عند آدم لم يوجد عند غيره فيه ظهرت الخصوصية.

﴿قَالَ فَأَخْرَجْ مِنْهَا﴾ [الآية 78] من الجنة والسماء والصورة الملكية ﴿فَأَنزَلْنَاكَ رَجِيمًا﴾ [الآية 78] مطرود من الرحمة ومبعود من الكرامة.

وقال الأستاذ: مرمي باللعن والشهب من السماء وبالرجوم والشهب من قلوب الأولياء أن تعرضت لها بشيء من الأشياء.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الْآلِئِينَ﴾ [الآية 78] أي مستمرة وإنما غياه إلى

يوم القيامة فإنه يشاهد عقوبة في تلك الحالة تنسيه اللعنة فكأنها حينئذ منقطعة أو المراد باللعنة المغيابة المجردة عن العقوبة.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 79] أي أمهلني في العقوبة إلى يوم القيامة ولو وفق للطاعة لقال: انظرني إلى يوم الرحمة.

وأفاد الأستاذ: أنه من كمال شقاوته جرى هذا على لسانه وتعلق به إرادته بسؤال أنظاره ليزداد إلى يوم القيامة في سبب عقوبته فانظره الله وأجابه لدعوته لأنه بلسانه سأل تمام شقاوته.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ الممهلين في سؤالك الموهوم. ﴿إِلَى يَوْمِ أُلْقِيَ الْمَعْلُومِ﴾ [الآيتان 80، 81] وهي النفخة الأولى.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ [الآية 82] فبسلطانك وقهرك وعلو شأنك ﴿لَأَعْلُوِيَنَّهُمْ﴾ [الآية 82] أي آدم وذريته أصالة والجن تبعية ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 82].

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 83] الذي أخلصهم الله لطاعته بعصمته أو أخلصوا أحوالهم وأعمالهم بتوفيق الله ورحمته قيل المخلص الذي يكون سره بحيث لا يعلمه ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده.

وأفاد الأستاذ: أنه لو عرف حقيقة عزته لما أقسم به على مخالفته ويقال: تحاسره في مخاطبته الحق حيث أصر على المخالفة وأقسم عليه للمبالغة أقبح وأولى في استحقاق اللعنة من امتناعه للسجود ولآدم وترك الطاعة.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ [الآية 84] أي فأحق الحق أو أقول الحق.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ [الآية 85] أي من ذاتك أو جنسك في صفاتك لتناوله الشياطين ﴿وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 85] أي من الإنس والجن ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 85] وهو جواب القسم المقدر والجملة تفسير للحق المقول المقرر / وقرأ عاصم وحمزة برفع الأول على الابتداء أي الحق قسمني أو على الخير أي فأنا الحق.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 86] أي على التبليغ بالرسالة من

أجرة ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكَلِّفِينَ﴾ [الآية 86] المتصنعين بما لست من أهله فأنتحل النبوة وأتقول القراءة.

﴿إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْمَلِئِينَ﴾ [الآية 87] ما القرآن إلا موعظة للعالمين وهداية للمؤمنين وحجة على الكافرين.

﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُ﴾ [الآية 88] صدق ما فيه من الوعد والوعيد ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ [الآية 88] وقت الموت وحين الغرغرة أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام والغلبة.

سورة الزمر

[مكية]

وهي خمس وسبعون⁽¹⁾ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها يوجب للقلوب شفاءها وللأرواح ضيائها وللأسرار علاءها وبالحق بقاءها.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [الآية 1] أي نزله كله أو بعضه مبتدأ خبره ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ [الآية 1] الغالب على مراده ﴿الْحَكِيمِ﴾ [الآية 1] فيما يفعل بعباده.

وقال الأستاذ: هذا كتاب عزيز نزل من رب العالمين عزيز على عبد عزيز بلسان ملك عزيز في شأن قوم عزيز بأمر عزيز:

ورد الرسول من الحبيب الأول بعد التلاقي بعد طول تنزل

نزهة قلوب الأحباب بعد ذبول غصن سرورها في كتب الأحباب عند قراءة فصولها والعجب منها كيف لا تزهر سروراً بوصولها وارتياحاً بحصولها ويقال: كتاب العزيز عزيز. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الآية 2] إليك ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 2] ملتبساً بالحق أو بسبب إثبات الحق ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الآية 2] محضاً له الطاعة من الشرك والرياء والسمعة. ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الآية 3] أي تنبهوا أنه هو الذي وجب اختصاصه بخلوص العبودية فإنه المنفرد بصفات الألوهية ونعوت الربوبية.

(1) ذكرت في الأصل المخطوط اثنتان وسبعون آية وأثبتت هنا حسب المصحف.

وأفاد الأستاذ: أن العبادة معانقة الأمر على غاية من الخضوع والمذلة ويكون بالنفس وبالقلب وبالروح فالتى بالنفس الإخلاص فيها التباعده عن الانتقاص والتى بالقلب الإخلاص فيها العمى عن رؤية الأشخاص والتى بالروح فالإخلاص فيها التنقي عن طلب الاختصاص. ثم الدين الخالص ما يكون جملته لله وما للعبد فيه نصيب فهو عن الإخلاص بعيد لا قريب اللهم إلا أن يكون ما يسره فإنه إذا أمر العبد/ أن يحتسب الأجر على طاعته فإطاعته 96/ب لا تخرجه عن الإخلاص باحتسابه ما أمره به ولولا هذا المخلص لما صح أن يكون في العالم مخلص ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية 3] من غير الله آلهة يعبدونها قائلين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الآية 3] قربي في الدنيا والعقبى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 3] من أمر الدين بإدخال المحق الجنة والمبطل نار العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يقولوا هذا من قبل الله ولا بأمره ولا بإذنه وإنما حكموا بذلك من ذات أنفسهم فرد الله عليهم وفي هذا إشارة إلى أن ما يفعله العبد من القرب بنشاطه نفسه من غير أن يقتضيه حكم وقته وما يعقد بين وبين الله من عقود ثم لا يفي بها ولا يقوم بحققها فكل ذلك أتباع نفس وهوى لها قال تعالى: ﴿مَا كُتِبَ عَلَيْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا﴾ [الحديد: الآية 27]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية 3] إلى طريق الأبرار ﴿مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الآية 3] من طبع على الكذب والكفر من طوائف الفجار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لا يهديهم اليوم لدينه ولا في الآخرة إلى ثوابه وإشارة إلى تهديد حتى يتعرض لغير مقامه ويدعي شيئاً ليس بصادق في مرامه فالله لا يهدي قط إلى ما فيه طريق سداه ورشده وعقوبته أنه يحرمه ذلك الشيء الذي تصدى له بدعواه قبل تحققه بوجوده وذوقه.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الآية 4] كما زعموا ﴿لَأَصْطَفَىٰ مِنَ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 4] أي لاختيار ما يشاء من مخلوقاته من غير نحو عيسى وملائكته وما شابه سائر كائناته وفيه تنبيه أنه لا يتصور موجود سواه ألا وهو مخلوقه على

وصف قدره وقضاه وفيه إيماء إلى عدم تناهي قدرته وإمكان زيادة إرادته فقول الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان محتاج إلى تأويل في عبارته ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ [الآية 4] أي تنزيهاً له من اتخاذ الولد فضلاً عن تحققة المنافي لوحده وقهاريته بغلبته وعزته واستغنائه عن غيره ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الآية 4] فإن الألوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تناهي المماثلة المعبرة/ في الوالدية والولدية مع ما فيهما من لوازم عوارض الحدوثية المعارضة للتقدمية الأزلية.

أ/97

﴿خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 5] أي محققاً لا عابثاً أو بسبب ظهور الحق وزهوق الباطل ﴿يَكُوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الآية 5] يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللباس في الجملة أو يغييه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كاراً عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة ولعل الإشارة فيها إلى اختلاف الأطوار وتفاوت الأدوار وتداول المظاهر في الأسرار والأنوار.

وقد قال الشيخ أبو مدين المغربي لا تنكر الباطن في طوره فإنه بعض ظهوراته ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [الآية 5] أي ذللها بقدرته وفق حكمته ﴿كُلُّ﴾ [الآية 5] منهما ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 5] وهو منتهى دورته أو منقطع حركته ﴿أَلَا هُوَ الْكَرِيْمُ﴾ [الآية 5] الغالب على كل شيء بالقدرة ﴿الْفَرُّ﴾ [الآية 5] حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة.

وأفاد الأستاذ: أنه مضى فيما تقدم اختلاف أحوال العبد في القبض والبسط والجمع والفرق والأخذ والرد والصحو والسكر ونجوم العقل وأقمار العلم وشموس المعرفة ونهار التوحيد وليالي الشك والجحد ونهار الوصل وليالي الهجر وكيفية اختلافهما وزيادتهما ونقصانهما ألا هو العزيز المتعزز على المحيين الغفار للمذنبين.

﴿خَلَقَكُمْ﴾ [الآية 6] أي قدر خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الآية 6] وهي آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا﴾ [الآية 6] من ضلعها الأيسر فيها ﴿زَوْجَهَا﴾ [الآية 6] حواء

ليسكن إليها فتأملوا المعنى في صنيع الرب من خلق الإنسان لأنه أقرب وأكثر دلالة وأعجب بل قيل هو العالم الأكبر وما دونه من المخلوقات هو العالم الأصغر كما يشير إليه فيما ورد من الحديث القدسي والكلام الأنسي: «لا يسعني أرض ولا سماء ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»⁽¹⁾ ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾ [الآية 6] أي قضى وقسم لكم فإن القسم والقضايا توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح حال الابتداء والانتهاى وقيل: خلقها في الجنة ثم أنزل أصولها ﴿مِنْ الْأَنْعَامِ تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الآية 6] ذكراً أو أنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما مر في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقْكُمْ﴾ [الآية 6]/ باختلاف هيئاتكم ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ 97/ ب خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الآية 6] حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة من بعد عظام عارية من بعد مضغ علق من بعد نطف ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الآية 6] ظلمة البطن والرحم والمشيمة ﴿ذَلِكُمْ﴾ [الآية 6] الذي هذه أفعاله في خلقكم ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 6] هو المستحق لعبادتكم ﴿إِنَّهُ الْمَلِكُ﴾ [الآية 6] أي ظاهراً وباطناً ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 6] إذ لا يشاركه في خلق الأشياء غيره ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الآية 6] فكيف يعدلون عن عبادته إلى الإشراك به.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم حقيقة نسبتهم لثلاث يعجبوا بحالهم وصفتهم ويقال بين آثار أفعاله لحكمته في كيفية خلقتك البديعية من قطرتين من نطفة أمشاج متشاكلة الأجزاء مختلفة الصور في الأعضاء مسخراً بعضها لبعض في الأوقات العديدة محالاً للصفات الحميدة كالعلم والقدرة والحياة وغيرها من أحوال القلوب وانقلابها وكالسمع والبصر والشم ونحوها ويقال: هذه كلها نعم أنعم الله بها علينا فذكرنا بما هو موجود لدينا إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها ثم قال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 6] يعني الذي أحسن إليكم بجميع هذه الوجوه هو ربكم والمعنى أنا خلقتكم وأنا صورتكم فأحسن صورتكم وأنا رزقتكم وأكثر رزقكم وأنا الذي أسبغت عليكم إنعامي وخصصتكم بجميل إكرامي وغرقتكم في بحار أفضالي وعرفتكم استحقاق جمالي

(1) أورده النيسابوري في تفسيره (5/ 223).

وجلالي وهديتكم إلى توحيدى وألزمتكم رعاية حدودي فما لكم لا تنطقون بالكلية إلي ولا ترجون ما وعدتكم لدي ومالكم في الوقت لا تنظرون بقلوبكم إلي.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ [الآية 7] بإظهار كفرانكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكَمُ﴾ [الآية 7] وعن إيمانكم ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الآية 7] لاستضرارهم به رحمة عليهم ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الآية 7] لأنه سبب فلاحكم وموجب نجاحكم.

قال سهل: أول الشكر الطاعة وآخره رؤية المنة ثم اعلم أن قوماً استدلوا بهذه الآية على أنه تعالى لا يرضى كفر الكافرين وإن كان يريد به فإن الرضى والمحبة معانها واحد كما أن الإرادة والمشية مرادها متحد ثم بدل القرينتين تغاير ظاهر فهما تعلق به الثواب يقال: فيه إن الله رضىه وأحبه ويقال/ أيضاً إرادة ومشية وما تعلق به العقاب ويقال: إن الله تعالى أراد وشاء ولا يقال: أحبه ورضيه بل يقال: كرهه ونهى عنه ومعنى ذلك أنه لا يثيب عليه لأنه يقع قهروا لديه به كسائر مكروهات العباد فإن العبد يقع المكروه عليه قهراً ولو قدر على رفعه رفعه والله سبحانه يتعالى على هذا المعنى وهذا مذهب كثير من السلف ومشرب أكثر الخلف.

قال قتادة: والله ما رضى الله لعبد ضلالة ولا أمره بها ولا دعاه إليها وقد شاء وجودها فيمن خلق لها.

وقال ابن عباس والسدي وجماعة: أن الله يرضى الكفر للكافرين كما يرضى الإيمان للمؤمنين.

فالآية من العام الذي أريد به الخصوص أن لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ [الإسراء: الآية 65] وهو كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: الآية 6] أي المؤمنون الأبرار وهؤلاء الطائفة لا يفرقون بين الإرادة والمحبة والرضى بالمشية يقولون كل ما أراه فقد رضىه ممن أريد منه وإن كان لا يؤمر به ولا يثيب عليه.

وقال الأستاذ: في بيان معنى المراد إن أعرضتم وأبيتتم وفي جحود

كفركم تماديتم فما افتقرنا إليكم ونحن أغنياء عنكم ولكني لا أرضى لكم أن تبقوا عني في حال منكم أنت المسكين إن لم أكن لك فمن تكون أنت من الذي يحسن إليك من الذي يقبل عليك من الذي يرحمك من الذي ينثر التراب على جرحك من الذي يهتم بشأنك بمن تسلى إذا أبقيت عني من الذي يبيعك رغيفاً بمثاقيل ذهب عبدي أنا لا أرضى لك أن لا تكون لي فأنت كيف ترضى أن لا تكون لي يا قليل الوفاء يا كثير الجفاء إن أعطتني شكرتك وإن ذكرتني ذكرتك وإن خطوت لأجلي خطوة ملأت السماوات والأرضين من شكرك.

لو علمنا أن الزيارة حق لفرشنا الخدود أيضاً لترضى

﴿وَلَا تُزِرُّ وَازِرَةً وَزَدَّ أُخْرَى﴾ [الآية 7] لا تحمل نفس آئمة قل آئمة أخرى بل كل منهما بحملها أولى وأخرى في دنيا وأخرى ﴿ثُمَّ إِنْ رَكِبْتَ مَرْجِعَكُمْ فَيُنْبِتْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 7] بالمحاسبة والمجازاة ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية 7] فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم ولا غائبة من أحوالكم.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الآية 8] مقبلاً عليه ومتضرعاً لديه ﴿ثُمَّ إِذَا حَوْلَهُ﴾ [الآية 8] / أعطاه مما تمناه ﴿نِعْمَةً مِنْهُ نَسَى مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَىٰ﴾ [الآية 8] أي الضر الذي كان يدعو الله أي كشفه أو ربه الذي يتضرع في طلب لطفه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 8] قبل النعمة من الضر والمحنة ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [الآية 8] أي أشبهاً أو أضداداً ﴿لِيُضِلَّ﴾ [الآية 8] غيره ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الآية 8] عن دين ربه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء واللام لام العاقبة ﴿قُلْ تَمَنَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ [الآية 8] من الزمان أو تمتعنا قليلاً في هذا المكان إنك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الآية 8] على وجه الخزي والهوان والأمر للتهديد والوعيد الشديد.

قال الواسطي: الخلق مجبورون تحت قسمته مقهورون تحت خلخته ألا ترى إذا ضاقت الصدور واشتدت الأمور كيف يفزع بالإخلاص إلى الملك الغفور.

وقال الأستاذ: إذا مسه ضر خشع وخضع وإلى ربه فزع وتملق بين يديه

وتضرع إليه فإذا زال عنه ضره وكفاه أمره وأصلح شغله نسي ما كان يدعو إليه من قبل فيعود إلى رأس كفرانه وينهمك في كبائر عصيانه وأشرك بمعبوده وأصر على جحوده أو من كان هذا صفته فسحقاً له وبعداً سوف يلقي حزناً وطرداً.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَبِيتٌ﴾ [الآية 9] قائم بوظائف طاعاته ﴿ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [الآية 9] في ساعاته وأوقاته ولعل الاقتصار على آناء الليل من باب الاكتفاء أو لما يفهم منه غيره بالطريق الأولى أو تبييناً على الاستنباه فيه الأخرى والأعلى والمعنى بل أمر من هو قانت في أوقات عبادته كمن هو بضده في حالته. وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بتخفيف الميم أي أمن هو قانت لله كمن أتبع هواه وجعل أنداداً لمولاه ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الآية 9] حالان من ضمير قانت ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ [الآية 9] أي ما يؤدي إلى عذابها أو يخاف العذاب الموعود بها ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الآية 9] من دخول جنته وحصول نعمته ووصول رؤيته.

قال ابن عطاء: القانت الذي يجتهد في العبادة فلا يرى ذلك من نفسه بل يرى من فضل الله عليه ولطفه ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 9] أي ويعلمون ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 9] أي يجهلون أو لا يعملون بما يعلمون نفيًا لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم بالمزية. / وقيل: المعنى كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون.

قال رويم: المقامات كلها علم والعلم حجاب أي المقامات كلها معلومات لاصحاب الحالات والعلم حجاب عن شهود الذات بمشاهدة الأفعال والصفات وقد قيل: العلم حجاب نوراني والغفلة حجاب ظلماني ﴿إِنَّمَا يَذَكَّرُ﴾ [الآية 9] يتعظ في هذا الباب ﴿أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ﴾ [الآية 9] أي دون أرباب الحجاب.

وأفاد الأستاذ: أنهما لا يستويان هذا في أعلى الفضائل وهذا بأسوأ الرذائل والعلم المخلوق على ضربين مجلوب بكسب العبد وموهوب من قبل

الرب ويقال: موضوع ومصنوع ويقال: علم بيان وعلم برهان، فالعلوم الدينية كلها برهانية إلا ما يحصل بنعت الإلهامية انتهى. وقد قيل: علم مشروع وعلم مطبوع ولا بدّ منهما ولا يستغنى عنهما ومن كان فيه أحدهما فهو في مرتبة القصور ومن أوتيهما، وكان فيه أحدهما فهو نور على نور ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: الآية 40].

﴿قُلْ يَعْجِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَلْقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الآية 10] بلزوم طاعته ودوام عبادة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ [الآية 10] بالطاعات ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الآية 10] مثوبة مستحسنة في العقبي والإحسان هو الإتيان بجميع وجوه الإمكان وقيل: في هذه بيان لمكان جنسه أي للذين أحسنوا بالعبادة حسنة في الدنيا وهي الصحة والعافية والقناعة وحسن الخاتمة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ [الآية 10] فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان في وطنه فليهاجر إلى متمكنه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ [الآية 10] على مشاق الطاعة من احتمال الأحزان ومهاجرة الأوطان ومفارقة الإخوان ﴿أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 10] أجرًا لا يهتدي إليه حساب الحساب وفي الحديث إنه ينصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا ينصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تُقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل رواه الثعلبي وابن مردويه (1).

﴿قُلْ/ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الآية 11] أي الانقياد في 99/ ب الطاعة على وجه المحبة.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 12] أي وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والعقبى لأن إحراز قصب السبق في الدارين بالإخلاص في الدين.

قال جنيد: الإخلاص إخراج الخلوة من معاملة الحق والنفس أول الخلق.

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 60).

وقال الأستاذ: في الخبر أن الله يقول الإخلاص بين الله وبين عبده ويقال: إن الإخلاص لا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه الملكان.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ [الآية 13] بترك الإخلاص في الدعاء والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 13] لعظمة ما فيه من العناء.

﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الآية 14] في جميع أعماله وسائر أحوالي من القيام بالطاعة والحذر عن المخالفة.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾ [الآية 15] وهو غاية الوعيد ونهاية التهديد ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية 15] أي الكاملين في الخسران وإرادتهم الكافرين ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية 15] بالضلال ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ [الآية 15] بالاضلال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية 15] حين يدخلون النار بالسلاسل والأغلال بدل الجنة ونعيم الوصال إلى أزل الأزل ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الآية 15] أي الظاهر البرهان لأنهم جمعوا وجوه الخسران ووبال الهجران.

وأفاد الأستاذ: إن ذلك غاية الخسران وهو الخزي والهوان والخاسر على الحقيقة من خسر دنياه بمتابعة الهوى وخسر عقباه بارتكاب ما عنه نهي وخسر مولاه فلم نستحي منه فيما رأى.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الآية 16] أطباق منها.

وقال الأستاذ: وأحاط بهم سرادقها فهم لا يخرجون منها ولا يفترون عنها كما أنهم اليوم في جهنم عقائدهم يستديمون حجابهم ولا ينقطع عنهم عتابهم ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 16] إلى ما ذكر من العذاب ونحوه ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ [الآية 16] ليستجنبوا طريق خلافه ولو أرادته ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الآية 16] فخافوا عقوبتي واتقوا مخالفتي.

وقال الأستاذ: إن خفت اليوم كفيت اليوم وإلا فبين يديك عقبة كؤود

أي شاق عليك.

/ ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَبْنَا أَطَّغَوْتُمْ﴾ [الآية 17] المبالغ في الطغيان وهو الشيطان ومن يجري مجراه في العصيان ﴿أَنْ يَبْذُوهَا﴾ [الآية 17] بدل اشتغال منه أي يطيعوها ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 17] أقبلوا إليه واعتمدوا عليه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الآية 17] البشارة الكاملة بالمشوبة الشاملة على السنة الرسل في الدنيا أو الملائكة عند حضور الموت وحلول العقبي.

قال سهل: الطاغوت الدنيا وأصلها الجهل وفرعها المأكل والمشارب وزينتها التفاخر وثمرتها المعاصي وميراثها القسوة والعقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن طاغوت كل أحد نفسه وإنما يجتنب الطاغوت من خالف هواه وعانق رضى مولاه فعبادة النفس بموافقة الهوى وقليل من لا بعيد هواه ويجتنب حديث النفس وما يتمناه ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الآية 17].

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ [الآية 18] أي الأقوال الحسنة ﴿فَيَسْتَعِينُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الآية 18] يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل من بين محاسن السمائل ومناقب الفضائل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [الآية 18] لدينه وأبواب يقينه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 18] ذوو العقول السليمة عن منازعة الأوهام الذميمة قال عيسى عليه السلام: جالسوا من يذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عبادته كذا في «تفسير السلمي».

وأفاد الأستاذ: أن اللام في قوله القول للعموم يقتضي جنس المقول والاستماع يكون لكل شيء والاتباع يكون للأحسن وفيه قولان أحدهما أن يكون بمعنى الحسن والثاني أنه للمبالغة والحسن ما كان مأذوناً فيه والأحسن هو الأولى والصواب ويقال: أحسنه ما كان لله دون ما سواه ويقال: الأحسن ذكر الله خالصاً لرضاه ويقال: من عرف الله لا يسمع إلا بالله ويقال: للعبد دواعي باطنه فوساوس الشيطان تدعوا إلى المعاصي وهو أحبس النفس يدعو إلى ثبات الأشياء مما لها فيه نصيب وحظ وخواطر الملك تدعوا إلى الطاعات والقربان وخطاب الحق في حقائق التوحيد ودقائق التفريد ويقال: من أحسن أن يسمع من الله أحسن أن يسمع عباد الله.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ [الآية 19] وثبت له مذلة الحجاب ﴿أَفَأَنْتَ/ تَتَّقِدُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الآية 19] أي أتخلصه وتنجيه من العقاب وفيه إيماء إلى أن الأحوال اللاحقة إنما هي على طبق الأقوال السابقة.

وأفاد الأستاذ: إن الذين حقت عليهم كلمة العذاب فريقان فريق حقت عليهم كلمة بعدابهم في النار وأصحاب الحجاب حقت عليهم كلمة العذاب بأنهم اليوم لا يخرجون عن حجاب قلوبهم ولا يكون لهم بهذه الطريقة إيمان وإن كانوا من أهل الإيمان.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْقَلُوا رِهْمَهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ﴾ [الآية 20] علالي بعضها فوق بعضها ﴿مَبْنِيَّةٌ﴾ [الآية 20] بنيت على أسس قوية سفلية وعلوية بحسب مراتب بهية ومناقب رضية وفيه تنبيه على أن أبنية الجنة حسية لا كما توهم قوم أنها معنوية ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية 20] من تحت غرفها أو من تحت تصرف أهلها ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ [الآية 20] مصدر مؤكد لما سبق من الوعد ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾ [الآية 20].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه وعد المطيع بالجنة ولا محالة لا يخلفه ووعد التائبين بالمغفرة ولا محالة يغفر له ووعد المرید القاصد بالوجود والوصول فإذا لم يقنع له فترة فلا محالة يصدق وعده.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الآية 21] أي مباركاً وطهوراً ﴿فَسَلَكْتَهُمْ﴾ [الآية 21] أدخله ﴿يَنْبِغُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 21] هي عيون ومجار كائنة فيها ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [الآية 21] أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كفيياته من خضرة وحمرة ونحوهما ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ [الآية 21] يتم جفافه لأنه إذا تم حال يبوسته حان له أن يثور عن منبته ﴿فَتَرَهُ مُّصْفَرًّا﴾ [الآية 21] من يبسه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلًا﴾ [الآية 21] فتاتاً في تكسره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾ [الآية 21] لتذكر آياته بأنه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبأنه مثل الحياة الدنيا فلا يغتر بها إلا من اتبع هواه واختار دنياه على آخرته ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 21] إذ لا عبرة بغيرهم في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى أن الإنسان يكون طفلاً ثم يصير شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم يصير إلى أرذل العمر ثم آخره يخترم وعن حياته يحترم ويقال: إن الزرع ما لم يأخذ في الجفاف فلا يؤخذ منه الحب الذي هو المقصود منه كذلك الإنسان ما لم يجف من نفسه صوله لا يكون له قدر ولا قيمة ويقال: إن المؤمن بقوة عقله يوجب استقلاله بعلمه إلا أن يبدو منه/ كمال تمكنه من وقادة بصيرته ثم إذا بدأت لائحة من سلطان المعارف 101/أ تصير تلك الأنوار مغمورة فإذا بدت أنوار التوحيد استهلكت تلك الجملة كذلك قالوا:

فلما استنار الصبح أدرج ضوءه بأنواره أنوار تلك الكواكب ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الآية 22] من معرفة وهداية كائنة من عناية ربه ورعاية كمن ضيق قلبه فهو على ظلمة من نفسه من جهالة وغواية، وقد روى الحاكم وغيره عنه عليه السلام إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح فقليل: ما علامة ذلك؟ قال: الإجابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله⁽¹⁾.

﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الآية 22] أي من أجل ذكره وهو أبلغ من أن يكون عن مكان من لان القاسي من أجل الشيء أشد تائباً من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر له ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية 22] أي أصحاب القسوة وأرباب الغفلة ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 22] ظاهر الضلالة وأوضح الجهالة.

قال الحسين: قسوة القلب بالنعم أشد من قسوته بالنسيان فإن بالنعمة يشكر وبالشدّة يذكر.

وقال يحيى بن معاذ: قسوة القلب من اتباع الهوى ومخالفة الهدى.

وأفاد الأستاذ: أن النور الذي من قبله سبحانه اللوائح بنجوم العلم ثم

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (2/489) رقم (983)، وفي القضاء والقدر (1/353) رقم (334).

نور اللوامع ببيان الفهم ثم نور المحاضرة بزوائد اليقين ثم نور المكاشفة بتجلي الصفات ثم نور المشاهدة بظهور الذات ثم أنوار الصمدية بحقائق التوحيد وعند ذلك فلا وجد ولا قصد ولا قرب ولا بعد، كلا بل هو الله الواحد القهار، يعني ويظهر حينئذ معنى قول من قال ليس في الدار غيره ديار.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الآية 23] أي ما يحدث به ويشرح صدر العبد بسببه وهو القرآن العظيم والفرقان الكريم ﴿كَتَبْنَا﴾ [الآية 23] جامعاً للمعاني ﴿مُتَشَبِّهَاتًا﴾ [الآية 23] في المباني ﴿مَثَانِي﴾ [الآية 23] مثنياً فيه أحوال الداني والقاصي والمطيع والعاصي أو مشتتلاً على نوعي الثناء بذكر سلطانه وإحسانه وصفة الجنة والنار والوعد والوعيد للأبرار والفجار ﴿نَقَّشِعُرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الآية 23] تضرب/ وترتعد خوفاً مما فيه من الوعيد بالعقوبة ﴿شَمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 23] أي تستكن وتطمئن ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الآية 23] في وعده بالرحمة وعموم المغفرة.

وقال الأستاذ: تقشعر وتلين بالخوف والرجاء ويقال: بالقبض والبسط ويقال: بالهيبة والإنس ويقال: بالتجلي والاستتار أقول وقد يقال: بالفناء والبقاء ويقال: بالمحو والصحو ويقال: بالسكر والشكر ويقال: بالفرق والجمع ويقال: بالغفلة والخصور ويقال: بالشعور والغيبة ونحو ذلك مما يصح أن يقال هنالك:

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 23] أي الكتاب المعروف أو الحال الموصوف ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 23] هدايته ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ [الآية 23] أي ومن يخذله ويشأ ضلالته ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الآية 23] يخرج من غوايته في بدايته أو نهايته.

﴿أَفَمَنْ يَنْفِي بَوَجهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية 24] يجعله درقه لأنه يقي به نفسه حيث يكون مغلولة يده إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن من مقارنة العقوبة ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ [الآية 24] في

ذلك الحين ﴿ذُو فُوًا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الآية 24] أي سوء وباله وقبح حاله.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٧٥﴾

[الآية 25] من الجهة التي لا تخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها في حالهم.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾ [الآية 26] الذل والمهانة بغتة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[الآية 26] كالمسوخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ﴿وَالْعَذَابُ الْآخِرَ أَكْبَرُ﴾

[الآية 26] خزيًا وأكثر حزنًا لشدته ودوام مدته ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 26]

ذلك لا اعتبروا بما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أن أشد العذاب ما يكون بغتة كما أن أتم السرور ما يكون فلتة ومن الهجران والفراق ما يكون فجأة غير متوقعة وهو أنكره للفؤاد وأشدّه في التأثير وأوجعه للقلب وفي معناه قلنا:

فبتنا بخير والذنى مطمئنة وأصبحت يوماً والزمان تقلباً

وأتم السرور وأعظمه تأثيراً في الصدور ما يكون فجأة حتى قال قائلهم: أشد السرور قفلة على غفلة، أي رجعة في حال جذبة ومنه فقولهم جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقيلين، وفي معناه أنشدوا:

بينها خاطر المنى بالتلاقي سائح في فؤاده وفؤادي

جمع الله بيننا / فالتقينا هكذا بغتة بلا ميعاد⁽¹⁾ 102/أ

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ [الآية 27] بينا لهم ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾

[الآية 27] يحتاج إليه الناظر في أمر دينه وتحقيق يقينه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 27]

يتعظون به ويتفكرون في مصدره ومورده وينتفعون بما هو المقصود من ذكره.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 28] منصوب على المدح أي مقرأً غريب المعاني

عربي المباني ﴿غَيْرِ ذِي عِوَجٍ﴾ [الآية 28] لا اختلال في مبانيه ولا اختلاف في

معانيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْقُرُونَ﴾ [الآية 28] لكي يتقوا ما ينافيه ويتبعوا ما فيه من أوامره

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/5) و(31/7).

ونواهيه قال ابن أنس في قوله: غير ذي عوج أي غير مخلوق كذا في «تفسير السلمي». ولعله أشار إلى مضمون قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: الآية 82] وهذا ما وجد أحد فيه اختلافاً سيراً فدل على أنه من عنده وإنه كلامه لا كلام غيره لأن المخلوق من حيث هو لم يخلو من نقص في وصفه.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ [الآية 29] أي بين مثلاً للمشرك والموحد وأبدل منه ﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُشْتَكِسُونَ﴾ [الآية 29] متخالفون متنازعون ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الآية 29] مثل المشرك على ما تقتضيه طريقتة من أن يدعي كل واحد من معبودية عبوديته بعبد تشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتناوبون في خدمته على وفق مهامهم المختلفة في تحيره وتشتت فكره وتوزع أمره وتضييق صدره ومثل الموحد بمن خلص لواحد في ملازمته ليس لغيره عليه سبيل في مطالبته وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلماً بفتحتين وهو مصدر نعت به مبالغة ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ [الآية 29] أي الرجلان أو المثلان ﴿مَثَلًا﴾ [الآية 29] أي صفة وحالاً ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 29] لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لأنه المنعم بالذات على ما عدها ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 29] فيشركون غيره. به من غلبة جهالتهم وقوة ضلالتهم.

قال ابن عطاء: لا يعلمون ما لهم في حمد الله من الذخر والفخر.

فقال جعفر: لا يعلمون أن أحداً من عباده لم يبلغ الواجب من حمده.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الآية 30] ستموت وغيرك أيضاً من المؤمنين

والكافر يموتون.

102/ ب / ﴿يُمْ إِنَّكُمْ﴾ [الآية 31] على تغليب المخاطب على الغيب ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ عند رَبِّكُمْ فَخَصِّمُونَ﴾ [الآية 31] فتحتج عليهم بأنك اجتهدت في التبليغ والإرشاد وأنهم لجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالأباطيل مثل أطعنا سادتنا وكبرانا وإنا وجدنا آباءنا أو المراد به الاختصاص العام فيما دار بينهم في الدنيا يقصد الانتقام في ذلك المقام.

قال ابن عطاء: إنك ميت عمّا هم فيه من الاشتغال بالدنيا وإنهم ميتون

عما كوشفت به من حقائق التقريب ودقائق قرب المولى وقيل: إنك ميت عن رؤية الأكوان وبمشاهدة المكون أي بخلاف أحوال أهل الغفلة والنسيان.

وأفاد الأستاذ: أن من لم يتفرغ من ما تم نفسه وأنواع همه فليس له من هذا الحديث أثر شمه فإذا فرغ قلبه عن حديث نفسه وعن الكون بجملته فحينئذ يجد الخبر من ربه وليس هذا الحديث يصح منهم إلا بعد فنائهم عنهم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 32] افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾ [الآية 32] وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ [الآية 32] من غير تفكر في أمره وتوقف في دهره ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الآية 32] أي ذلك يكفيهم فيما يجازيهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى من أشار إلى أشياءكم يبلغها ويدعي وجود أشياء لم يذق شيئاً منها وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ أَلْقَيْتُمُ تُرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: الآية 60]، ويقال: لا بل هؤلاء الكفار وأفاما المدعي الذي لم يبلغ ما يدعيه من حاله فكيف يكذب على ربه وإنما كذب على نفسه حيث ادعى لها أحوالاً لم يجدها ولم يذوقها فأما غير المتحقق الذي يكذب على الله فهو الجاحد والمبتدع الذي يقول في صفته سبحانه ما يتقدس ويتعالى عنه عز شأنه.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الآية 33] أريد به الجنس ليدخل الرسل والمؤمنون لقوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الآية 33] وقيل: هو النبي وأتباعه أجمعون وقيل: الجائي هو الرسول والمصدق أبو بكر وقيل: على ما في الدر وذلك يقتضي إضمار الذي وهو جائز عند الأخفش والكوفيين خلافاً / للبصريين 103/أ قال أبو سعيد الخراز الصدق منزلة تبلغ الآمل مأموله.

وقال الأستاذ: جاء بالصدق في أفعاله من حيث الإخلاص وفي أحواله من حيث الصدق وفي أسراره من حيث الحقيقة.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ [الآية 34] من النعمة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 34] في الجنة

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 34] في الطاعة.

وقال الأستاذ: لما سلموا له المشيئة استيقنوا بأن الله يفعل ما يشاء سلم لهم المشيئة غداً فقال: لهم ما يشاؤون عند ربهم ثم ظاهر هذا الخطاب أن يرى ربه كل وقت وأراده ثم لا يريد دوام الرؤية أي سلب عنه هذه الإرادة ليتم له اللذات المعتادة.

﴿يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 35] أي ليغفر لهم ويستتر عنهم ﴿أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الآية 35] أخص الأسوأ للمبالغة فإنه إذا كفر كان غيره أولى بذلك في العادة أو للإشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب الصادرة عنهم يحسبون أن ما فرط فيهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيء وإنما لم يؤت به لئلا يتوهم عدم مغفرة الأسوأ ﴿وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ [الآية 35] ويعطيهم ثوابهم ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 35] فيعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم فيها.

وأفاد الأستاذ: أن من لا يكون مؤمناً فليس من أهل هذه الجملة ومن كان معه إيمان فإذا كفر عنه أسوأ عمله وأسوأ أعماله كبائره فإذا غفرت يجزيهم بأحسن أعمالهم وأحسن أعمال المؤمن الإيمان والمعرفة فإذا كان المؤمن مؤقتاً كان ثوابه مؤقتاً وإلا ليس كذلك وإذا كان الإيمان على الدوام فثوابه على الدوام ثم يجب أي بمقتضى الوعد أن يكون على أحسن الأعمال أحسن الثواب وأحسن الثواب الرؤية فيجب أن يكون على الدوام وهذا استدلال قوي في المرام أقول الظاهر أن المراد بأحسن الأعمال جنس الأحوال من الإيمان وغيره من الأقوال والأفعال وكذا أحسن الثواب جنس مترتب على ما ذكر في هذا الباب ولذا قال بعض المحققين أن الرؤية في العقبى إنما هي بقدر المعرفة وحالة المراقبة والمحاضرة / والمشاهدة في الدنيا.

ب/103

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الآية 36] أي رسوله ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية 36] حيث قال

قريش له إنا نخاف أن تخيلك آلهتنا بعبك إياها ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ [الآية 36] حتى عقل عن كفايته وخوفه بما لا ينفع ولا يضر بحسب ذاته ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الآية 36] يهديه إلى إرشاده.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ [الآية 37] اكتفى بحمايته ورعايته ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ [الآية 37] عن طريق هدايته إذ لا راد لفعله ولا معقب لحكمه كما قال ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ [الآية 37] غالب منيع بديع ﴿ذِي أَنْتِقَامٍ﴾ [الآية 37] من أعدائه لأحبابه.

قال أبو بكر بن طاهر: من لم يكتف بربه بعد قوله أليس الله بكاف عبده فهو في درجة الهالكين.

وأفاد الأستاذ: أن الله كاف عبده اليوم في عرفانه بتصحيح إيمانه وغداً في غفرانه وما بينهما فكفاية تامة وسلامة عامة.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ﴾ [الآية 38] إذ لا جواب لهم سواه ﴿اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 38] أي ما تعبدون مما سواه ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الآية 38] بمضرة من محنة ومشقة ومرض وفاقة ﴿هَلْ هُنَّ كَشَفَتْ ضُرَّيَّ﴾ [الآية 38] هل من يكشفه ويرفعه عني ﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية 38] بنعمة من صحة وسعة وراحة ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِي﴾ [الآية 38] فيمنعها مني وقرأ أبو عمر وبتنوين كاشفات وممسكات ونصب ضره ورحمتي ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الآية 38] كافياً في إصابة الخير ودفع الضر إذ تقرر أنه القادر الذي لا مانع لما يريد من الخير أو الشر ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الآية 38] وقرأ أبو بكر.

[﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا أَعْمَلُوا﴾ عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾ [الآية 39] أي حالاتكم ومراتب مقاماتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ [الآية 39] على مكاتي بقدر حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 39].

﴿مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُعْزِيهِ﴾ [الآية 40] أي بهيبته ويهلكه ويرديه في الدنيا ﴿وَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [الآية 40] دائم وهو عقاب العقبي.

وقال الأستاذ: سوف ينكشف ربحنا وخسرانكم وسوف يظهر زيادتنا ونقصانكم وسوف نطالبكم ولا جواب لكم ونعاقبكم ولا شفيع لكم وندم عليكم فلا صريخ لكم ولا مغيث لديكم.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ ﴾ [الآية 41] / لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبساً بالصدق.

104/أ

قال سهل: ليهتدوا ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ [الآية 41] إلى الحق ﴿ فَمَنْ أَهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ﴾ [الآية 41] إذا نفع به نفسه في حالها ومآلها ﴿ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الآية 41] فإن وبالها لا يتخاطاها ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [الآية 41] ما وكل إليك أمرهم لتجبرهم، على الهداية وإنما أمرت بالتبليغ وقد بلغت وفي النصيحة بالغت.

وأفاد الأستاذ: أن من أحسن لإحسانه إلى نفسه اكتسبه ومن أساء فبلاؤه إلى نفسه جلبه والحق غني عن التجميل بطاعة من أقبل والتنقص بزلة من أعرض.

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الآية 42] أي يقبضها عن الأبد إن جميعها بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهراً أو باطناً وذلك عند الموت أو ظاهراً لا باطناً وهو في حالة النوم ﴿ فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَى ﴾ [الآية 42] أي قدر وحكم ﴿ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ [الآية 42] ولا يردّها إلى بدنها وقرأ حمزة والكسائي بضم القاف وكسر الضاد ورفع الموت ﴿ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى ﴾ [الآية 42] أي النائمة إلى بدنها عند يقظتها ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الآية 42] وهو الوقت المضروب لموته. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتميز، والروح التي بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم⁽¹⁾.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: تخرج الروح عند النوم ويبقي شعاعه

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 205) رقم (1118).

في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا نبه من النوم عاد الروح إلى جسدها بأسرع من لحظة⁽¹⁾.

وقال سهل: إن الله تعالى إذا توفى الأنفس أخرج الروح النوري من لطيف نفس الطبع الكثيف فالذي يتوفى في النوم من لطيف نفس الطبع لا من لطيف نفس الروح فالنائم يتنفس نفساً لطيفاً وهو نفس الروح الذي إذا زال لم يكن للعبد حركة وكان ميتاً وقال: حياة نفس الطبيعي بنور لطيف الروح وحياة لطيف نفس الروح بذكر الله وقال أيضاً: الروح / يقوم بلطيفه في ذاتها بغير 104/ب نفس الطبع ألا ترى أن الله خاطب الكل في الذر بنفس الروح مع فهم وعقل وعلم لطيف بلا حضور طبع كثيف ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 42] أي فيما ذكر من التوفي والإمساك والإرسال ﴿لَأَيَّتِ﴾ [الآية 42] لدلالات على كمال قدرته وجمال حكمته وشمول رحمته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 42] في كيفية تعلقها بأبدانها وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وإمساكها باقية ولو صارت أبدانها فانية وما يعتربها من السعادة وأحوالها والشقاوة وأهوالها وفي الحكمة في توفيها على ظواهرها وإرسالها حيناً بعد حين إلى توفي آجالها.

وأفاد الأستاذ: أن قبض الأرواح في حال النوم بإخراج اللطيفة التي في البدن وهي الروح ويخلق بدل الاستشعار والعلم الغفلة والغيبة في محال الإحساس والإدراك ثم إذا قبض الأرواح عند الموت خلق في أجزائه الموت بدل الحياة والموت ينافي الإحساس والعلم وإذا ردت الأرواح بعد النوم إلى الأشباح خلق الإدراك في محل الاستشعار فيصير مستيقظاً والأرواح إذا قبضها الله في حال النوم فقد وردت الأخبار أن لها مراتب وإن روحاً تقبض على الطهارة ترفع إلى العرش وتسجد لله سبحانه ويكون لها تعريفات ومخاطبات والله أعلم.

﴿أَمْرٌ أَخَذُوا﴾ [الآية 43] بل اتخذ المشركون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءً﴾ [الآية 43]

(1) أورده البغوي في تفسيره (7/ 122)، والنسفي في تفسيره (4/ 56).

أَتَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى زَعْمِهِمْ ﴿قُلْ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 43] أي يشفعون ولو كانوا كما يشاهدون جمادات لا يقدرون ولا يعلمون.

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 44] أي هو مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة ولا يستقلّ بها ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 44] أي أنه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه وحكمه ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 44] إلى موافاة جزائه.

قال الواسطي: قطع أطماع العباد أجمع عنه أن يصل أحد إليه إلا به لقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 44].

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الآية 45] دون آلهتهم ﴿أَشْمَازَتْ﴾ [الآية 45] نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الآية 45] وما يتعلق بها من التوحيد والنبوة ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية 45] من صنم/ وغيره ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية 45] لفرط افتتانهم به ولقد بولغ في الأمرين غاية المبالغة في بيان العبارة فإن الاستبشار أن يمتلىء القلب سروراً حين ينسبط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلىء غماً حتى ينقبض أديم وجهه والعامل في إذا لمفاجأة.

قال أبو عثمان: كل قلب لا يعرف الله فإنه لا يأنس بذكره ولا سكن إليه ولا يفرح به.

﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 46].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوحى إليه وعلمه كيف يشي عليه، والآية تشتمل على الإشارة إلى البيان بما فيه التنصل والتذلل وابتغاء العفو والتفضل وتحقيق الالتجاء بحسن التوكل.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 47] أي لكل نفس ظلمت ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية 47] إقنات كلي لهم من الخلاص ووعيد شديد بعدم تصور المناس ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا﴾

يَحْتَسِبُونَ ﴿[الآية 47] زيادة مبالغة في الوعيد وهو نظير قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: الآية 17] في الوعد قيل: من اعتمد الفضل نجا ومن اعتمد العمل بدا له منه الهلاك.

وقال الأستاذ: لافتدوا به لم يقبل منهم واليوم لو تصدقوا بمثقال ذرة لقبول منهم كما أنهم لو بكوا في الآخرة بالدماء لا يرحم عليهم في البكاء ويدمعة واحدة اليوم يمحي كثير من دواوينهم ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِن آيَاتِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الآية 47] في سماع هذه الآية حسرات لأصحاب الانتباه ففي بعض الأخبار أن قوماً من المسلمين من أصحاب الذنوب يؤمر بهم إلى النار فإذا وافوها يقول مالك: من أنتم فإن الذين جاؤوا قبلكم من أهل النار وجوههم كانت مسودة وعيونهم مزرقة وأنتم لستم بتلك الصفة فيقولون ونحن لم نتوقع أن نلقاك وإنما انتظرنا سبباً آخر هنالك ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِن آيَاتِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الآية 47].

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الآية 48] سيئات أعمالهم حين تعرض صحائف أحوالهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 48] وأحاط بهم جزاء استهزائهم.

/ ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ [الآية 49] بلية مجازاة لأعماله أو امتحاناً لأحواله 105/ ب ﴿دَعَانَا﴾ [الآية 49] إخبار عن الجنس بما يغلب فيه من تقلب قلبه في مقابلة حكم ربه. قال جنيد: من يرى البلاء ضراً فليس بعارف إذ العارف من يرى الضر على نفسه رحمة ﴿ثُمَّ إِذَا حَوْلَتُهُ نِعْمَةٌ مِّنَّا﴾ [الآية 49] أعلننا إياه تفضلاً من عندنا ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية 49] على معرفة مني بوجوه كسبه وإلهاماً إن جعلت موصولة لا كافة وإلا فللنعمة والتذكير لأن المراد بها الإنعام ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ [الآية 49] امتحان له أشكر أم يكفر وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 49] حقيقة القضية.

﴿قَدْ قَالَهُمْ﴾ [الآية 50] أي هذه الكلمة أو الجملة المتقدمة ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 50] كقارون وأمثاله ممن اغتر بكثرة ماله ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 50] في متاع الدنيا عن ظهور هلاك العقبي.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الآية 51] أي جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 51] المشركين الموجودين ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الآية 51] فإنهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 51] فائتين.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 52] حيث ضيق عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 52] بأن الحوادث كلها من الله وأن لا متصرف في الكون سواه.

وقال الأستاذ: أو لم يروا كيف خالف بين أحوال الناس في الرزق فموسع عليه ومضيق له وليس لواحد منهم شيء مما خص به من التقصير والتكثير.

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 53] الظاهر أن الخطاب للكفرة وإن عموم المغفرة لما يترتب على الإيمان من الكفارة لثلاثا ينافي بعمومه قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية 48] ولا يناقض ما صح في الإخبار من عذاب جمع من المؤمنين في النار ولما روي في سبب نزوله على ما رواه الطبراني والبيهقي من أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أن من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له⁽¹⁾ فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا الأنفس ولقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 54] أي توبوا إليه ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الآية 54] أي بقلوبكم أو انقادوا بجوارحكم ﴿وَمَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [الآية 54] أو الآية عامة إلا أن عموم المغفرة يقيد بالتوبة الشاملة للكفر والمعصية وما أبعد من قال: أنه يغفر بلا توبة ولو بعد العقوبة.

قال الحريري: أمر الله عباده أن لا يعتمدوا على أعمالهم ولا يقنطوا من التقصير في أحوالهم فإن العناية والرعاية سبقت العباد أي على وفق المشيئة.

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 71).

وقال سهل في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ [الآية 54] ارحلوا إليه بالتضرع والدعاء والمسألة والثناء وأسلموا له فوضوا الأمر إليه.

وقال محمد بن علي: اعتذروا إليه مما سلف منكم من التقصير وأخلصوا على دوام الموافقة بعدها.

وأفاد الأستاذ: أن التسمية يا عبادي مدح والوصف بأنهم أسرفوا ذم فلما قال: ﴿قُلْ يَبْعَادَىٰ﴾ [الآية 53] طمع المطيعون ولم يكونوا هم المقصودين بالآية فرفعوا رؤوسهم ونكس العاصي رأسه وقال: من أنا حتى يقول لي هذا؟ فقال الله: ﴿الَّذِينَ اسْرَفُوا﴾ [الآية 53] فانقلب الحال فهؤلاء الذين نكسوا رؤوسهم انتعشوا وزالت مذلتهم والذين رفعوا رؤوسهم أطرقوا وزالت صولتهم ثم أزال الأعجوبة عن القضية بما قوى رجاءهم بقوله: ﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 53] يعني إن أسرفت فعلى نفسك أسرفت، يعني لا يضر بكبريائنا ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الآية 53] بعدما قطعت اختلافك إلى بابنا فلا ترفع قلبك عن جنابنا وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الآية 53] الألف واللام للاستغراق والعموم وذنوب جمع وجميعاً تأكيد فكانه قال: أغفر ولا أترك وأعفو ولا أبقى ويقال: إن كانت لكم جناية عميمة فلي بشأنكم عناية قديمة ثم الإنابة هي الرجوع بالكلية وقيل: الفرق بين الإنابة والتوبة أن التائب يرجع خوف العقوبة وصاحب الإنابة يرجع استحياء الكرامة المشهورة بين الصوفية في الفرق بين التوبة والإنابة إن الأولى من المعصية والثانية عن الغفلة والإسلام الذي هو الإخلاص بعد الإنابة أن يعلم أن نجاته بفضلته لإنابته فبفضلته يصل إلى إنابته وبإنابته يضل إلى فضلته وقيل: المراد بالعذاب الفراق والحجاب.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ [الآية 56] كرامة أن تقول نفس مقصرة في الطاعة ﴿بِحَسْرَتٍ﴾ [الآية 56] / وقرئ بالياء على الأصل ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّطْتُ﴾ [الآية 56] بما قصرت ﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الآية 56] في جانبه أي في حقه وهو طاعته أو في قربه وحضرته أو في جنب نعمته أو مقابلة منته ﴿وَإِن كُنْتَ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الآية 56] المستهزئين بأهل عبادته.

قال الواسطي: من قصد في مقصوده غير الحق فقد عظمت استهانتته للحق.

وقال سهل: من ترك مراعاة حق الله وملازمة خدمته واشتغل بعاجل الدنيا من سابقة النفس ولذة هواه فقد ضيع في جنب الله أي في ذاته من القصد إليه والاعتماد عليه.

وقال فارس: من هرب مني لأحرقنه أي من هرب مني إلى نفسه أحرقته بالتأسف على قوتي إذا شاهد حقاً مقامات أهل معرفتي ويدل عليه قوله: ﴿بَحْسَرْتَنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الآية 56] وهذا لا يقوله إلا محترق كذا في «تفسير السلمي».

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ [الآية 57] إلى الإيمان والإحسان ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 57] للعصيان.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ [الآية 58] أي رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 58] في العقيدة والعمل النافع في العقبى.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَآئِي فَكَذَّبْتُ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتُ﴾ [الآية 59] على من بينها ﴿وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 59] أي صرت ممن أصر على الكفر بها أو كنت في علم الله من الكافرين فلم يحصل لك منفعة فيها.

وأفاد الأستاذ: إنه يقال هذا في أقوام يرون بعض أمثالهم قدموا عليهم في علو أحوالهم فتذكروا ما سلف من تقصيرهم ورأوا ما وفق أولئك من توفيرهم فيعضون بنواجذ الحسرة على أنامل الخيبة.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُاْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 60] بإثبات الولد والشريك له ﴿وُجُوهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الآية 60] بما ينالهم من الظلمة والشدة ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآية 60] عن الإيمان والطاعة.

قال يوسف بن الحسين: أشد الناس عذاباً يوم القيامة من ادعى في الله ما لم يكن له أو أظهر من حال هو خال عنه قال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴿٦٠﴾ [الآية 60] قال: هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا صادقين في دعواه.

وأفاد الأستاذ: إن هؤلاء الذين ادعوا أحوالاً ولم يصدقوا فيها وأظهروا المحبة ولم يتحققوا/ بها وكفاهم افتضاحاً بذلك صباحاً ورواحاً.

أ/107

ولما ادعت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى تنزف الدمع بالبكا وتخرس حتى لا تجيب المناديا

﴿وَيَجِيءُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَازِنِهِمْ﴾ [الآية 61] بسبب فلاحهم من إيمانهم
وصلاح أعمالهم مفعلة من الفوز وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع مراعاة
للمضاف إليه ﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 61].

قال الواسطي: ينجيهم بما سبق لهم من الفوز بالسعادة ﴿لَا يَمَسُّهُمْ
السُّوءُ﴾ [الآية 61] زوال النعمة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 61] على فوت المنة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما وقاهم اليوم عن المخالفات حماهم غداً
عن المعاقبات فالمتقون فازوا بسعادة الدارين اليوم عصمة وغداً نعمة واليوم
عناية وغداً حماية.

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية 62] من خير وشر وإيمان وكفر ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الآية 62] يتولى التصرف فيه بما شاء منه.

قال الحسين: كل ما أراد الله به الإهانة والمذلة ألبسه لبسة المخلوقية
ألا ترى كيف نزه عن ذلك صفاته وكلامه فالله خالق كل شيء والمخلوقات
ليس لها عز إلا بالنسبة إلى خلقه.

وأفاد الأستاذ: أن اكتساب العباد دخل في هذه الجملة ولا يدخل
كلامه فيه لأن المخاطب لا يدخل تحت الخطاب ولا صفاته.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 63] مفاتيح أمرها من خيرها وشرها ولا
يتمكن غيره من التصرف فيها بأجمعها. وعن عثمان بن عفان: أنه سأل النبي
صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال: تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان

الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير رواه الطبراني وغيره بسند ضعيف⁽¹⁾.

والمعنى على هذا أن الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السماوات والأرض من تكلم بها أصابه خير منها.

وقال سهل: بيده مفاتيح القلوب موفق من يشاء لطاعته وخدمته وتصرف من يشأ عن بابه وحضرتة.

وأفاد الأستاذ: أن المراد منه أنه قادر على جميع المقدورات فما يريد أن يوجد أو جده من الكائنات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 63] دلائل قدرته وشواهد حكمته أو بكلمات توحيده وتمجيده ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ 107/ ب [الآية 63] في جميع الأزمان لخسرانهم رأس مالهم من الإيمان / وحرمانهم عن ربح حالهم من العرفان.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي﴾ [الآية 64] وقرأ نافع بالتخفيف وابن عامر تأمروني ﴿أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الآية 64] أي أبعد هذه الدلائل تأمروني بعبادة غيره أيها الجاهلون بوصفه وأمره.

قال أبو عثمان: عبادة الله على الإخلاص ينفي عن صاحبها الجهل قلت: لأن الإخلاص إنما ينشأ عن غاية المعرفة وترك العبادة أو ممزوجة بالرياء والسمعة تنشأ عن نهاية الجهالة.

وقال الأستاذ: أي متى يكون لكم طمع في أن أعبد غيره وبتوحيده رباني وبتفريده عزاني وشراب حبه سقاني.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية 65] من الأنبياء والمرسلين ﴿لَئِن شَرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية 65] في عملك كلام على

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (75/1)، وأبو السعود في تفسيره (7/261).

سبيل الفرض والتقدير وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد في التعبير، والمراد به تهيج الرسل وأقنات الكفرة والأشعار على حكم الأمة.

قال ابن عطاء: لئن طالعت غيري لتحرمنّ حظك من قربي وأمري.

وقال جعفر: لئن نظرت إلى من سواه لتحرمنّ في الآخرة لقاءه.

﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾ [الآية 66] لا غيره ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الآية 66] لأنعامه قيل: حقيقة العبودية تسليم الأمور للربوبية.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الآية 67] أي ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمتهم حيث جعلوا له شريكاً في ذاته أو وصفوه بما لا يليق به من صفاته ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ [الآية 67] ﴿فَبَضَّتْهُ﴾ [الآية 67] بطبقاته أي ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الآية 67] تنبيه على جمال عظمتهم وكمال قدرته ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 67] ما أبعد من هذه صفاته عن إشراكهم بمخلوقاته.

قال جنيد: متى كانت منشورة حتى صارت مطوية سبحانه نفى عن نفسه ما يقع من العقول من طيها ونشرها إذ كل الكون كحبة خردلة أو جناح بعوضة أو أقل من ذلك كذلك قوله: قائم على كل نفس يستحيل قيامه على هذا الكون الذي لا يزن ذرة عنده بل قيامه بنفسه لنفسه.

وقال الأستاذ: ما وصفوه حق وصفه فمن اتصف بتمثيل أو جنح إلى

تعطيل حاد عن السنن المثلى وانحرف عن الطريقة الحسنی وصفوا الحق / 108 أ
بالأعضاء وتوهموا في نعتهم الأجزاء فما قدره حق قدره فالخلق في قبضة قدرته والسموات مطويات بيمين قوته ولا يد في نعتهم أقسم أن يفنيها ويطويها سبحانه تنزيهاً له عما أشركوا في صفته.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الآية 68] النفخة الأولى ﴿فَصَوِّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 68] خر ميتاً ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية 68] قيل جبريل وميكائيل وإسرافيل: فإنهم يموتون بعد ذلك وقيل: حملة العرش والمقربون هنالك ﴿ثُمَّ نُفِخَ

فِيهِ أُخْرَى ﴿ [الآية 68] نفخة أخرى ﴿ فَإِذَا هُمْ ﴿ [الآية 68] أي الخلق كلهم ﴿ فَيَأْتِيهِمْ ﴿ [الآية 68] قائلون من قبورهم أو متوقفون في أمورهم ﴿ يَنْظُرُونَ ﴿ [الآية 68] في جوانبهم أو ينتظرون ما يفعل بهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه النفخة الأولى يموتون ثم في النفخة الثانية يجرون والنفختان متجانستان فيخلق الله عند أحدهما إزهاق الأرواح وفي الأخرى منهما إحياء الأشباح ليعلم أن النفخة لا تعمل شيئاً بعينها وإنما الجبار بقدرته يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد بعزته.

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الآية 69] بما أقام من العدل فيها كما في حديث الشيخين: الظلم ظلمات يوم القيامة⁽¹⁾. أو بسبب نور ربها في قلوب أهلها من المؤمنين ويؤيده قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ ﴾ أي نور إيمانهم ﴿ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [الحديد: الآية 12].

وقال سهل: قلوب المؤمنين يوم القيامة تشرق بتوحيد سيدهم والافتداء بسنة نبيهم. وقال القاسم: أشرقت الأرض بأولياء الله فهم أنوار الله.

وقال الأستاذ: نور يخلقه الله في القيامة فتشرق القيامة به وذلك عند تكوير الشمس وانكدار النجوم وذلك الإشراق والنور يستضيء به قوم دون قوم والكفار يبيتون في الظلمات والمؤمنون نورهم يسعى بين أيديهم ويقال: اليوم إشراق وغداً إشراق في القيامة إشراق الأرض واليوم إشراق القلب وغداً إشراق الأرض بنور ربها واليوم إشراق القلوب بحضورها عند ربها ويقال: غداً أنوار التولي للمؤمنين واليوم أنوار التجلي للعارفين ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾ [الآية 69] الجزاء والحسنات أو صحائف الأعمال في أيدي العمال وقيل: اللوح المحفوظ تقابل به صحائف أعمال العباد فتطابقه من غير زيادة ولا نقصان في جميع الموادي ﴿ وَجَاءَهُ بِالنَّبِيِّينَ ﴾ [الآية 69] أي والمرسلين ﴿ وَالشُّهَدَاءَ ﴾ [الآية 69] للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل: أراد بهم/ المستشهدين وفي معناهم

ب/108

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2447)، ومسلم في الصحيح (57/2579).

العلماء العاملين والأولياء من أرباب الشهود واليقين ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 69] بين الخلق ﴿بِالْحَقِّ﴾ [الآية 69] بالعدل والصدق ﴿وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ﴾ [الآية 69] بنقص ثواب وزيادة عقاب.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ﴾ [الآية 70] جزاؤه إن كان خيراً فخييراً وإن كان شراً فشرّاً ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 70] أي بأفعالهم وما يترتب عليها من الجزاء وفق أحوالهم.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرّاً﴾ [الآية 71] أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض بمراتب مختلفة على تفاوت إقدامهم في الضلالة والشرارة ﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الآية 71] ليشموا حدة ريحها ويدركوا حدة فوحها وقرأ الكوفيون: بالتخفيف هنا وفيما بعدها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا﴾ [الآية 71] تقريعاً وتوبيخاً ﴿الَّذِي يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الآية 71] من جنسكم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 71] وهي قوله تعالى: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآية 72] عن قبول الدين أو على أهل الحق واليقين وفيه تنبيه إن تكبرهم وسائر قبائحهم مسببة عن الحكم عليهم بشقائهم ففي الحديث: «إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموتوا على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار»⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار يساقون إلى النار عنفاً والمؤمنون يساقون إلى الجنة لطفاً فالسوق بجمع الجنسيتين ولكن شتان بين سوق وسوق إلى المكانين، فإذا جاء الكفار قابلهم خزنة النار بالثريب والتأنيب فلا تكريم ولا

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 593) رقم (4001)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 266) رقم (3075)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 347) رقم (11190)، وابن حبان في الصحيح (14/ 37) رقم (6166)، وأبو داود في السنن (4/ 363) رقم (4705).

تعظيم ولا سؤال ولا استقبال بل خزي وهوان ومن كل جنس من العذاب ألوان.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ﴾ [الآية 73] إسراعاً بهم إلى دار الكرامة ومحل السلامة وقيل: سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم على أقدامهم ﴿زُمرًا﴾ [الآية 71] على تفاوت أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سوق ولكن بغير تعب ولا نصب سوق ولكن بروح وطرب وقوله ﴿زُمرًا﴾ [الآية 71] جماعات / هؤلاء عوام الجنة وفوق هؤلاء قوله: ﴿يَوْمَ نَخَسِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَا﴾ [مريم: الآية 85]، وفوقهم من قال: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: الآية 90] غير بعيد، ففرق بين من يُساق إلى الجنة وبين من تقرب منها على سبيل المنة هؤلاء الظالمون والآخرون المقتصدون والآخرون السابقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحْتِ أَبْوَابَهَا﴾ [الآية 71] حذف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة ما لا تحيط به العبارة وإن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم تعظيماً لقدومهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم وافوا الجنة تكون الأبواب مفتحة لئلا يصيبهم وصف الاستنظار وفيه من المحنة ويقال: إذا كان حديث الجنة فالواجب أن يبادر إليها ولا يحتاج إلى أن يساق لها ولعل هؤلاء لا رغبة لهم في الجنة بالكثرة فلهم معه في الطريق طيب فيساقون إلى الجنة ولكن بلطف دون عنف ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 73] لا يلحق مكروه إليكم ﴿طِبَّتُمْ﴾ [الآية 73] طهرتم من أدناس وأرجاس كانت لديكم ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الآية 73] مقدرين الخلود فيها.

قال ابن عطاء: السلام في الجنة من وجوه منهم من يسلم عليهم خزنة الجنة يقولون: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبَّتُمْ﴾ [الآية 73] وهؤلاء قائم، ومنهم من يكون سلامه من الملائكة بقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَعِمَّ عُمَى الدَّارِ﴾ [الرعد: الآيتان 23، 24]، ومنهم من يكون له سلام من الحق سبحانه بقوله: ﴿سَلِّمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: الآية 58] وهم أرفعهم درجة. أقول:

ولا يبعد أن يحصل لبعضهم هذه الجملة.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ﴾ [الآية 74] بالبعث والمثوبة
﴿وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ﴾ [الآية 74] أرض الجنة ﴿نَنْبُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الآية 74]
بإدخال الجنة وإكمال المنة ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [الآية 74] الجنة ودرجاتها
العلية.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أقوام مخصوصون والذين هم أهل الغرف قوم
آخرون.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ﴾ [الآية 75] محققين ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الآية 75]
ومن زائدة أو ابتدائية ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 75] ملتبسين بحمده وثنائه،
والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله وجماله تلذذاً بنعوت كماله وفيه إشعار بأن
منتهى درجات العليين من الخلق هو الاستغراق في ذكر الحق.

قال أبو علي الجرجاني: ما تقرب أحد إليه إلا بالافتقار والعبودية
والتذلل والتنزيه للربوبية من كل ما نسب إليه مما لا يليق إطلاقه عليه. ألا
ترى إلى مقام الملائكة / مع كمال قربهم يحفون بالعرش يسبحون بحمد ربهم
وذلك غاية عباداتهم ونهاية لذاتهم ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 75] بين الخلق
﴿بِالْحَقِّ﴾ [الآية 75] بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة حسب دركاتهم ووفق
درجاتهم أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 75] على ما قضى بيننا أو على ما هدانا أو وآخر دعواهم أن
الحمد لله رب العالمين على أحوالنا في ديانا وآخرتنا.

سورة غافر (المؤمن) (1)

[مكية]

وهي خمس وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة من تحقق بها شرف من الحق مناله وصفت عنده أحواله خلع على نفسه ود الأفضال وألبس قلبه حلل الإقبال وأفرد روحه بروح لطف الجمال واستخلص سره بكشف وصف الجلال.

﴿حَمْدٌ﴾ [الآية 1] أمال حاء ابن عامر وحمزة والكسائي محضاً وورش وأبو عمرو بين بين ولا يبعد أن يكون في الحاء إيماء إلى بعض الأسماء كالحميد وفي الميم إشارة إلى بعضها كالمجيد أو بهما يشار إلى شطر الأول من الحميد وإلى طرفي حرفي الحكيم.

وأفاد الأستاذ: أن في تفسير حم أمر كان أي قضي بحلمي ومجدي لا أخلد في النار من آمن بي ويقال بهذه الحروف.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الآية 2] أي البالغ في القدرة الكاملة والحكمة البالغة الشاملة.

وقال سهل: الحي الملك هو الذي أنزل عليك الكتاب وهو الذي وله به قلوب العارفين العزيز عن درك الخلق ﴿الْعَلِيمِ﴾ بما شاء قدر.

وقال الأستاذ: أي المعز لأوليائه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بما كان ويكون منهم فلم

(1) في المخطوطة: المؤمن.

يمنعه علمه عما سلف لهم من قضاائه .

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [الآية 3] أي مشدده، بالعدل ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ [الآية 3] صاحب سعة الفضل وقيل: ذي الغنى عن الكل وفي إيراد هذه الصفات على هذا النسق والترتيب إيحاء إلى تحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب وفي أفراد نعت العقوبة مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 3] فيجب الإقبال الكلي على عباداته ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الآية 3] المرجع لمجازاته فيجازي المحسن والمسيء بحسب حالاته وقيل: / إذا كان إليه المصير 110/أ فقد طاب المسير قال بعضهم: غافر الذنب كرماً وقابل التوب فضلاً شديد العقاب عدلاً لا إله إلا هو فرداً إليه المصير تصديقاً للوعد غداً وقال بعضهم: غافر الذنب للظالمين وقابل التوب للمقتصدين ذي الطول للسابقين شديد العقاب للكافرين والجاحدين والمنافقين ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الآية 3] يصل الظالم بجوده إلى رحمته ويصل المقتصد بفضله إلى رضوانه ويصل السابق بمثته وكرمه إلى وجهه الكريم .

وقال الأستاذ: معنون بقبول توبته لعباده علم أن العاصي منكسر القلب فأزال عنه الانكسار بأن قدم نصيبه فقدم اسمه على قبول التوبة فسكن قلوبهم بوصفين يوجبان الرجاء وهو قوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [الآية 3] ثم عقبهما بقوله ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [الآية 3] ثم لم يرضى حتى قال بعده: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ [الآية 3] فيقابل قوله ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [الآية 3] وقوله: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ [الآية 3] وسبق قوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [الآية 3] ويقال: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ [الآية 3] لمن أصر واجترم ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [الآية 3] لمن أقر وندم شديد العقاب لمن جحد وعند ذي الطول لمن عرف ووجد .

﴿مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 4] بالطعن فيها والصد عنها دون الجدال لتبين مبانيها وظهور معانيها وتأويل ما ينافيها ولذا ورد أن جدالاً في القرآن بالتنكير على ما رواه البيهقي وغيره⁽¹⁾ .

(1) واللفظ: «إنَّ جدالاً في القرآن كفر»، انظر ما أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث (3) (216) رقم (1128) .

وقال سهل: هو المجادلة في الذات دون الفروع والحكومات ﴿فَلَا يَفْرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبَلَدِ﴾ [الآية 4] إمهالهم في دنياهم وإقبالهم على هواهم فإنهم عن قريب مأخوذون بفعلهم نحو من قبلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا ظهر البرهان واتضح البيان استسلمت الأبواب الصاحية للاستجابة والإيمان فأما للكفار فلهم على الجحود إصرار وشؤم شركهم بالاعتساف يحول بينهم وبين الانصاف وكذلك من لا يحترم أولياء الله يصرون على إنكارهم تخصيص الله عبادة بالآيات الواردة في أسرارهم ويعترضون عليهم بقلوبهم في حلول أنوارهم فيجدلون في جحد الكرامات وسيفتضحون كثيراً من الأوقات والحالات ولكن لا يميزون بين رجحانهم ونقصانهم.

110/ ب ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الآية 5] برسولهم ﴿وَالْأَحْزَابُ/ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية 5] والذين خرجوا على الرسل واجتمعوا على حربهم كعاد وثمود وحزبهم وافقوهم في تكذيبهم ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ [الآية 5] من هؤلاء الجماعة ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [الآية 5] ليعاقبوه ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾ [الآية 5] بما لا حقيقة له ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الآية 5] ليزيلوه به ﴿فَأَخَذْتُمُوهُمْ﴾ [الآية 5] بالإهلاك جزاء لهم برسولهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الآية 5] عقابي لهم فإنكم تمرون على ديارهم وترون آثار دمارهم وهو تقرير على تعذيب فيه نوع تعجيب وقال الأستاذ.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية 6] من انقراض من الكفار فيمن قبلهم كان التكذيب للرسول دأبهم والله انتقم منهم وعلى كفرهم اخترهم والمنكر لهذا الطريق بإنكاره يتوهم أن يتقرب إلى الله به فينعتة في أولياء الله من جملة إحسانه وخيراته والله في العاجل يعذبهم بتخليتهم فيما هم فيه وصد قلبهم عن هذه المعاني وجرهم ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 6] قضاؤه بالعذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 6] أي أصروا على الكفر ووقعوا في الحجاب ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الآية 6] بدل من كلمة ريك بدل الكل.

وقال الأستاذ: إذا انختم على عبد حكم الله بشقاوته فلا ينفعه كثرة ما

يورد عليه من النصح في حالته ومن أسرته يد الشقاوة فلا يخلصه من مخلبها الجهد والسعاية.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [الآية 7] أي ومن يكون حوله من الحافين وهم أعلى طبقات الملائكة المقربين ﴿يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 7] يذكرون الله بصفات الكمال من نعوت الجلال فالجمال ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الآية 7] أخبر عنهم بالإيمان إظهار لفضله وتعظيماً لأهله كما أشير إليه بقوله ﴿وَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية 7] وإشعاراً بأن حمله العرش وسكان الفرش سواء في معرفته رداً على المجسم في مقالته ثم استغفارهم لهم الشفاعة وحملهم على التوبة وإلهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه أن المشاركة في صفة الإيمان توجب النصيحة والشفقة والمرحمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية 10]، ﴿رَبَّنَا﴾ [الآية 7] يقولون يا ربنا ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةٌ وَعِلْمًا﴾ [الآية 7] أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات هنا باعتبار السابق واللاحق في القضية ﴿فَأَعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ [الآية 7] عن الشرك والمعصية ﴿وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ﴾ [الآية 7] / طريق يوصل إليك من الكتاب والسنة. 111/أ

قال سهل: هم الذين تابوا من الغفلة وأنسوا بالذكر والطاعة واتبعوا سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم على وجه المحبة ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 7] واحفظهم من عقاب الحرقه وحجاب الفرقه.

وأفاد الأستاذ: أن حملة العرش ومن حوله مأمورون بالتسبيح مع سائر الملائكة المقربين ثم بالاستغفار للمذنبين لأن الاستغفار مختص لأرباب السيئات فيجتهدون في الدعاء لهم كما في هذه الآيات ويدعون لهم بالنجاة ثم يرفع الدرجات ثم يحيلون الأمر فيه على رحمته بقوله: ﴿وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ﴾ [الآية 9] فلئن سلط عليك أراذل من خلقه وهم الشياطين فلقد قيس بشفاعتك أفاضل من خلقهم من الملائكة المقربين.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [الآية 8] أي إقامة أي ﴿أَلَيْ وَوَعَدْتَهُمْ﴾ [الآية 8] إياها ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الآية 8] أي الملائكة وأدخلهم معهم

من يصلح أن يكونوا في درجاتهم ليطم غاية سرورهم ونهاية لذاتهم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ﴾ [الآية 8] البديع المنيع ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 8] فيما يظهره من الصنيع.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 9] العقوبات في الدنيا أو جزاء السيئات في
العقبى ﴿وَمَنْ تَقَّ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 9] أي ومن تق ارتكاب المعاصي في
الدنيا ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ [الآية 9] في الأخرى ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية 9]
الحاصل من فضل المولى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ﴾ [الآية 10] يوم القيامة على رؤوس الأشهاد
ويقال لهم ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ [الآية 10] إياكم ﴿أَكْبَرُ﴾ [الآية 10] عظيم وأكثر ﴿مِنَ
مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية 10] الأمانة بالسوء ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ [الآية 10] اذكروا إذ
تنادون ﴿إِلَى الْأَيْمَنِ فَتُكْفَرُونَ﴾ [الآية 10] بالداعي والمدعو.

قال سهل: المقت غاية الإبعاد من الله تعالى عن العباد فالكفار إذا
دخلوا النار مقتوا أنفسهم بما رأوا من البوار ومقت الله لهم أشد عليهم من
دخول النار.

وأفاد الأستاذ: أن أشد العقوبات التي يوصله الحق إليهم أثار سخطه
وغضبه عليهم وأكره النقم التي يفردهم بها أثار إعراضه عنهم فإذا عرف
الكافر في الآخرة أن ربه عليه غضبان فلا شيء أصعب على قلبه منه في ذلك
الزمان حيث علم أن لا بكاء ينفعه ولا غناء يزيل عنه ما هو فيه ويرفعه ولا
يسمع له تضرع ولا يرجى له حيلة.

111/ب / ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي﴾ [الآية 11] إمامتين بأن خلقتنا أمواتاً في بدئ
أحوالنا ثم صيرتنا أمواتاً عند انقضاء آجالنا ﴿وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْنِي﴾ [الآية 11] إحياءة
الأولى في الدنيا وإحياءة البعث في العقبى كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: الآية 28]، وقيل: الإمامة
الأولى عند انخراط الآجال والثانية في القبر بعد الإحياء للسؤال والإحياء أن ما في
القبور ويوم النشور والصحيح أن الإمامة في القبر وإنما هو إمامة كما في الصحيح
من الخبر: يقال للمؤمن نم كنومة العروس وأما الكافر فيحصل له غشيان بعد

النفخة الأولى⁽¹⁾، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: الآية 52].

وأغرب الأستاذ حيث اختار القول الضعيف في الإسناد ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [الآية 11] اعترفوا بالمخالفة بعد المعاينة بما عقلوا عنه ولم يكثرثوا منه وهو اغترارهم بالدنيا وإنكارهم للعقبى ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ [الآية 11] نوع خروج من النار ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الآية 11] طريق فنسلكه وندخل الجنة مع الأبرار.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: أمّتنا اثنتين السمع والبصر فعجزتنا أن نفقه الحق وتتخذ سبيل الرشد والصدق فاعترفنا بذنوبنا أنا مصرفين تحت العداوة وأنت القادر علينا بوصف القوة.

﴿ذَالِكُمْ﴾ [الآية 12] أي الذي أنتم فيه من حالكم بأنه بسبب ﴿يَأْتِيهِ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحَدِّثُ﴾ [الآية 12] متحداً ومنفرداً ﴿كَفَرْتُمْ﴾ [الآية 12] بتوحيده وما شكرتم بتمجيده ﴿وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [الآية 12] بإشراكه ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ [الآية 12] المستحق للعبادة والقاسم لعباده مراتب الشقاوة والسعادة ﴿أَلَعَلَّيْ﴾ [الآية 12] شأنه ﴿أَلَكَبِيرُ﴾ [الآية 12] سلطانه.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء إمامتهم وإحياءهم محصورة فأما أهل الجنة فلهم في كل وقت موت وحياة حاضرة كما قال قائلهم:

أموت إذا فقدتك ثم أحيأ فكم أحيأ عليك وكم أموت

وإن الحق أبداً يردد الخواص من عباده بين الفناء والبقاء والحياة والممات والمحو والإثبات قلت: وفي هذا إشعار بعدم مداومة مشاهدة الذات مع أنها من أعظم اللذات.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ [الآية 13] مصنوعاته الدالة على توحيد ذاته وتحقيق صفاته ﴿وَيُرِيكُمْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [الآية 13] أسباب رزق صوري

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (3/ 383) رقم (1071)، وابن حبان في الصحيح (7/ 386) رقم (3117).

112/ أ

كالمطر مراعاة لمعاشكم أو/ أسباب رزق معنوي من الآيات القرآني والإلهامات السبحاني ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ [الآية 13] بالآيات الإلهية ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يرجع عن الغفلة عنها بالإقبال عليها والتفكر فيها والتأمل في مبانيها.

قال أبو بكر بن طاهر: من آياته في الأرض للعوام سوق الأرزاق إليهم من غير حركة منهم ولا سعي في ذلك لديهم ومن آياته للخواص من عباده مكان أوليائه وأصفيائه فمن صحبهم وتبعهم في طريقتهم وصبر على موافقتهم كفي الاهتمام في طلب الرزق ورزق من حيث لا يحتسب من بين الخلق قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [الآية 13].

وقال ابن عطاء: إنك لا تنظر إلى شيء من الموجودات إلا وهو يخاطبك بحقيقة توحيد الذات ويدلك على تحقق الصفات وذلك ظاهر لمن تبين وكشف له وأيد بالعناية معه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يريهم آيات فضله فيما يلاطفهم ويربهم آيات قهره فيما يكاشفهم ويربهم آيات عفوه إذا اتصلوا وآيات جوده إذا توسلوا وآيات جلاله إذا هابوا فغابوا وآيات جماله إذا أبوا واستجابوا وينزل لكم من السماء رزقاً لأبدانكم وهو توفيق المجاهدات ولقلوبكم وهو تحقيق المشاهدات ولأسراركم وهو فنون المواصلات والزيادات ويقال: ينزل من السماء ماء المطر فيحيي رياضكم وماء الرحمة فيحيي قلوبكم ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يرجع من العادة إلى العبادة ومن الشك إلى اليقين ومن الخلق إلى الحق ومن الجهل إلى العلم ومن النكرة إلى المعرفة.

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الآية 14] أي الطاعة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 14] هذه الحالة التي هي غاية الاستطاعة.

قال أبو عثمان: الإخلاص في الدعاء هو الذي إذا دعوته في كشف ضرر فكشفه ألزمت نفسك إلى الأبد شكره وإذا دعوته لاستجلاب خير فأعطاك ألزمت نفسك الحمد إلى الأبد وأن لا تخص نفسك بالدعاء دون سائر المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: أن شرط الدعاء تقديم المعرفة فتعرف من الذي تدعوه ثم تدعوه ما تحتاج إليه مما لا بد لك منه ثم تنظر هل أعطاك ما تطلب وأنت لا تدري به ثم لا تطلب ما يكون مخالفة لأمره ثم تتباعد عن سؤال الأشياء الدنية / الدنيوية وترضى ما يختار لك مولاك والإخلاص في الدعاء ألا ترى 112/ب الإجابة الآمنة ولا ترى لنفسك استحقاق إلا بفضلته وأن تعلم أنه إن بقيت في سؤالك عن مطلوبك الذي هو حظك لا تبقي عن عبادة ربك الذي هو حقه فإن الدعاء مخ العبادة ومن الإخلاص في الدعاء أن تكون في حال الاضطرار لما لا يكون ابتداءه جرمًا لك ويكون ضرورتك سراية جنايتك فإن ذلك يبعد من موعود الإجابة.

﴿رَفِيعٌ أَلَدْرَحَتِ﴾ [الآية 15] أي هو رافع السماوات أو مراتب المخلوقات أو درجات ثواب الحسنات ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ [الآية 15] صاحب العرش الذي هو أعظم المخلوقات فهو في قبضة قدرته كأضعف المكنونات.

وقال الأستاذ: أي رافع الدرجات للعصاة بالنجاة وللمطيعين بالمشوات وللأصفياء والأولياء بالكرامات ولذي الحاجات بالكفايات وللعارفين بتقويتهم عن جميع أنواع الإرادات ويقال: درجات المطيعين بظواهرهم في العقبى ودرجات العارفين بقلوبهم في العقبى فيرفع درجاتهم عن النظر إلى المكنونات وما عليها ومن المساكنة إليها وأما المحبون فيرفع درجاتهم عن أن يطلبوا في الدنيا والعقبى شيئاً غير رضى المولى ويقال: العرش الذي هو قبلة الدعوات أرفع المخلوقات وأعظمها جثة في المكنونات ﴿يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [الآية 15] أي ينزل الوحي الذي هو مبدأ خيره ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية 15] أي يختاره للرسالة إلى أهل بلاده ﴿يُنزِرُ﴾ [الآية 15] أي الله أو الروح أو من اختاره للنبوذة ﴿يَوْمَ النَّاقِ﴾ [الآية 15] يوم القيامة أي ليخوف مجيئه الشامل لأهل الوفاق والشقاق فيتلاقى فيه الأرواح والأشباح وأهل العلويات والسفليات والعابدون والمعبودون والأعمال والعمال.

قال ابن عطاء: حياة الخلق على حسب ما ألقى الحق عليهم من الروح

فمنهم من ألقى إليه روح الرسالة ومنهم من ألقى إليه روح النبوة ومنهم من ألقى إليه روح الصديقية ومنهم من ألقى إليه روح الشهادة ومنهم من ألقى إليه روح الصلاح والديانة ومنهم من ألقى إليه روح الخدمة والعبادة ومنهم من ألقى إليه روح الهداية ومنهم من ألقى إليه روح الحياة الحيوانية فقط فهو ميتة في الباطن وإن / كان حياً في الظاهر.

113/أ

وقال الأستاذ: روح بها ضياء أبدانهم وهو سلطان عقولهم وروح بها ضياء قلوبهم وهو شفاء علومهم وروح بها ضياء أرواحهم والذي هو الروح روح بقائهم بالله واستغنائهم عما سواه ويقال: روح هو روح إلهام وروح هو روح إعلام وروح هو روح إكرام ويقال: روح النبوة وروح الرسالة وروح الولاية وروح المعرفة ويقال: روح بها بقاء الخلق وروح بها ضياء الحق.

﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورُونَ﴾ [الآية 16] خارجون من قبورهم ظاهرين في نشورهم أو ظاهرة مراتب أعمالهم وسائر أحوالهم ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [الآية 16] لا من أعيانهم ولا من أفعالهم.

قال الواسطي: كيف يخفى عليه وهو الذي يبدي عليهم وكيف يسترون عنه بشيء وهو الذي يظهر عليهم ما عنه يسترون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلم الحاصل الموجود ويعلم المعدوم المفقود والذي كان والذي يكون والذي لا يكون مما علم أنه لا يجوز أن لا يكون والذي جاز أن يكون إن لو كان كيف كان يكون ﴿لَمِنَ الْمَلَكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدِ الْقَهَّارِ﴾ [الآية 16] وحكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به على لسان الجمع من القوم أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع وسائط الأكساب وأما حقيقة لسان الحال فدائماً ناطقة بذلك المثال.

قال جعفر الصادق: أحرَس المكونات من ذوات الأرواح عن جواب سؤاله في قوله لمن الملك اليوم فلم يجسر أحد على الإجابة وما كان يستحق أن يجيب سؤاله سواء فلما سكت الخلق عن الجواب أجاب الحق نفسه بما كان يستحقه من الجواب الصواب فقال لله الواحد القهار.

وقال الأستاذ: لا يتقيد ملكه بيوم ولا يختص ملكه بوقت ولكن دعاء للخلق اليوم لا أصل بها فتقطع تلك الدعاوى عزاً وترتفع تلك الأوهام عن عامة الأنام.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية 17] من العقائد والأحوال ومن الأقوال والأفعال وتحقيقه أن النفوس تكتسب بأعمالها أمراً لا توجب لذتها ومحنتها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فإذا قامت قيامتها زالت علائقها / وعوايقها وأدرت آلامها ولذات مرامها ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [الآية 17] ببعض الثواب وزيادة العقاب ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الآية 17] أو لا يشغله شأن عن شأن في جميع الأبواب.

113/ب

قال ابن عطاء: من طالع من نفسه أفعاله وأذكاره وطاعته جزى على ذلك ولا ظلم عليه ومن طالع فضله ومثته أسقطه عن درجة الجزاء إلى مقام الإفضال والرحمة لقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: الآية 58].

وقال الأستاذ: يجازيهم على أعمالهم الجنان وعلى أحوالهم الرضوان وعلى أنفاسهم القربة وعلى محبتهم الرؤية يجازي المذنبين على توبتهم المغفرة وعلى بكائهم والضياء والشفاء والرحمة لا ظلم اليوم أي أنه يستحيل تقدير الظلم منه أزلاً وأبداً فليستوي فيه اليوم وغداً فكل ما يفعله فله أن يفعله وهو سريع الحساب مع عباده لا يشغله شأن عن شأن من مراده وسريع الحساب مع أوليائه في الحال يطالبهم بالصغير والكبير والنقير والقطمير تحيناً لما لهم في المال.

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَازِفَةِ﴾ [الآية 18] أي القيامة الآتية القريبة ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [الآية 18] واصلة إليها حيث ترتفع عن أماكنها من أسافلها إلى أعاليها فلا تعود فيتروحو ولا تخرج فيستريحوا ﴿كَاطِمِينَ﴾ [الآية 18] مملؤين من الغيظ والهم دائمين متحسرين نادمين ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾ [الآية 18] قريب مشفق ﴿وَلَا سَفِيحٌ يُطَاعُ﴾ [الآية 18] أي حتى يقبل شفاعته.

وأفاد الأستاذ: أن قيامة الكل مؤجلة وقيامه المحبين معجلة لهم في كل

نفس قيامة من العتاب والعقاب والثواب والبعاد والإقرباب وما لم يكن لهم في الحساب وشهادة الأعضاء والأجزاء على وجه الإبداء فالدمع يشهد وخفقات القلب تنطق والنحول يخبر واللون يفصح ويعبر والعبد يستر ولكن البلاء يظهر يا من تغير صورتني لما بدا للجميع ما ظنوا بنا التصديق، وقلوبهم إذا أذف الرحيل بلغت الحناجر وعيونهم شرفت بدموعها إذا نودي بالرحيل وشدت الزوائد على الرحائل.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ [الآية 19] النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى المحرم عليه واستراق النظر إليه أو خيانة الأعين/ ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [الآية 19] من الضمائر والسرائر كالحزن والسرور فيجازي العباد بما في ظواهرهم وبواطنهم من أعمالهم وفق أحوالهم.

114/ أ

وأفاد الأستاذ: أن خيانة أعين المحبين استحسانهم أشياء من الدنيا والأخرى ومن خيانة أعينهم أن تأخذهم سنة الغفلة لأن السيئات في أوقات المناجاة من الخيانات وفي قصة داوود كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني ومن خائنة أعين العارفين أن يكون لهم خبر قلوبهم مما تقع عليه عيونهم ينظرون ولكن لا يبصرون ومن خائنة أعين الموحدين أن يخرج منها قطرة دمع تأسفاً على مخلوق يفوت في الدنيا والأخرى ولا على أنفسهم فيما تهوى.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [الآية 20] بالعدل الصدق ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ [الآية 20] وقرأ نافع وهشام بالخطاب ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ [الآية 20] أي لا يتمكنون على القضاء بشيء أصلاً لا ظلماً ولا عدلاً لأنهم جماد لا يقدرن نطقاً ولا فعلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الآية 20] تقرير لعلمه بخيانة الأعين وقضائه بالحق في الأعيان ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه على ما يزعمون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقضي للأجانب بالبعاد وبالوصال لأهل

الوداد.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 21] أي بطواهرهم أو بواطنهم ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 21] مآل حال المكذبين لرسولهم كعاد وشمود وأمثالهم ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 21] تمكناً وقدرة وقرأ ابن عامر أشد منكم قوة ﴿وَعَاثَرَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 21] من القلاع المرتفعة والمدائن الحصينة ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية 21] عاقبتهم ﴿يَذُوبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الآية 21] يمنع العذاب عنهم.

وقال الأستاذ: أو لم يسيروا بنفوسهم في أقطار الأرض وجوانبها ويطوفوا مشارقها ومغاربها ليعتبروا بها فيزهدوا فيها ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [الآية 21] بقلوبهم في الملكوت بجولان الفكر فيشهدوا أنوار التجلي فيستبصروا بها أو لم يسيروا بأسرارهم في ساحات الصمدية ليستهلكوا في سلطان الحقائق ويتخلصوا من جميع الخلائق قاصيها ودانيها.

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 22] الأخذ بالسيئات / ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ 114/ ب [الآية 22] بالمعجزات أو الأحكام الواضحات ﴿فَكَفَرُوا﴾ [الآية 22] بها ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية 22] بسببها ﴿إِنَّهُمْ قَوْمٌ﴾ [الآية 22] بما أراد ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [الآية 22] لمن كفر به من العباد.

وأفاد الأستاذ: أنه إن بقي من أهل السلوك قاصد لا يصل إلى مقصده فليعلم أن موجب حجه اعتراض عن بعض شيوخه مما خامر في قلبه ففي الخبر «الشيخ في أهله كالنبي في أمته».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 23] يعني المعجزات ﴿وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 23] وحجة قاهرة ظاهرة كالعصا واليد البيضاء من جهة الكرامات.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَتْرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ [الآية 24] أي هو يعني موسى جامع بين السحر للخلق والافتراء على الحق وفيه تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم ووعد للمؤمنين ووعد للكافرين.

وأفاد الأستاذ: أن أكرم خلقه سبحانه كان موسى عليه السلام في وقته وزمانه، وأخس خلقه وأذلهم في حكمه وأشدهم كفراً بربه كان فرعون إذ لم

يقول أحد غيره ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: الآية 38] فبعث الله أخص عباده إلى أخص عباده فقابله بالتكذيب ونسبه إلى السحر وأنه بأنواع التأنيب ثم أنه سبحانه لم يعجل عقوبته وأمهلته إلى أن أوصل إليه شقوته إنه سبحانه حلیم وعباده عليم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الآية 25] أي موسى ﴿بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ [الآية 25] أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم كي يصدوا عن مظاهره موسى ويضعفوا عن مقاومة مخالفهم ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ﴾ [الآية 25] منهم ومن غيرهم ﴿إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾ [الآية 25] أي ضياع في تدبير أمرهم.

وقال الأستاذ: عزم على إهلاكه وإهلاك قومه واستعان على ذلك بجنده وخيله ورجله ولكن كان كما قال: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾ [الآية 25] وإذا حفر واحد لولي من أولياء الله حفرة ما وقع فيها غير حافرها بذلك أجرى الحق سنته.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ [الآية 26] أي اتركوني وكانوا يكفونه عن قتله وأظهر على لسانه ما ذكر من تعلله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ [الآية 26] ليستعن بربه وهذا تجلد منه وجرأة في كفره ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ/ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [الآية 26] ما يفسد دنياكم فيما بينكم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ووقع الفساد.

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ [الآية 27] أي لقومه لما سمع من فرعون بعض قوله ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [الآية 27] خض اسم الرب لأن المطلوب هو التربية والتقوية وإضافته إليه وإليهم حثاً لهم على الموافقة لما في تظاهر الأرواح من استجلاب الإجابة وذكر وصفاً يعم فرعون وغيره لإفادة تعميم الاستعاذة وللدلالة على الحامل له على تلك المقالة.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 28] من أقاربه وهو ابن عمه

وقيل: من متعلق بقوله ﴿يَكْفُرُ بِمَنَّهُ﴾ [الآية 28] والرجل إسرائيلي من جنده ﴿أَنقَتُلُون رَجُلًا﴾ [الآية 28] أتقصدون قتله ﴿أَن يَقُول﴾ [الآية 28] لأن يقول أو وقت أن يقول ﴿رَبِّ اللَّهِ﴾ [الآية 28] أي وحده من غير تأمل في أمره ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 28] المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية 28] ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط في دفع قتله بقوله ﴿وَإِن يَكُ كَذِبًا فَلَيْتَهُ كَذِبٌ﴾ [الآية 28] أي لا يتخطاه وبال ما افتراه فيحتاج في دفعه إلى إهلاكه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [الآية 28] أي فلا أقل من أن يصيبكم بعضه أو يصيبكم بعض ما يعدكم من عذاب الدنيا وللعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ [الآية 28] في الأفعال ﴿كَذَابٌ﴾ [الآية 28] في الأقوال والمعنى إنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله إلى البيئات ولما قواه بتلك المعجزات أو أن من أهلكه الله وخذله فلا حاجة لكم في قتله ولا يبعد أن يكون تقريراً منه بحالهم وبما يؤول إليه من عاقبة مالهم.

﴿يَقَوْمٍ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ [الآية 29] غالبين قاهرين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 29] أرض مصر ﴿فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ [الآية 29] عقابه ﴿إِن جَاءَنَا﴾ [الآية 29] بسبب قتل نبيه وأدرج نفسه معهم أي بأنه يساهم فيما ينصح لهم ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ﴾ [الآية 29] ما أشير إليكم في أمره ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾ [الآية 29] من استصواب قتله ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [الآية 29] وطريق السداد.

115/ب

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 30] في تكذيبه والتعرض لقتله ﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [الآية 30].

﴿مِثْلَ﴾ [الآية 31] أيام الأمم الماضية ووقائعهم البادية مثل ﴿دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [الآية 31] مثل جزاء ما كانوا عليه دائماً من الكفر بربههم وإيذاء رسلهم ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَدِهِمْ﴾ [الآية 31] كقوم لوط ونحوهم ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [الآية 31] أي من نفسه فإنه لكونه محالاً في صفته لا يوجد فيه تعلق إرادته فلا يعاقبهم بغير ذنب صدر منهم ولا يخلي الظالم بغير انتقام عنه إما في الدنيا وإما في العقبى.

﴿وَيَقَوْمٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [الآية 32] يوم نزول البلاء والمحنة حين ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والحسرة.

﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 33] عن مساكنكم فارين عن المهلكة ﴿مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن عَاصِرٍ﴾ [الآية 33] يعصكم من العقوبة ﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الرعد: الآية 33] يرده إلى الهداية وقيل المراد بيوم التناد يوم القيامة وفيه أن القوم لم يكونوا مؤمنين بوقوعه والقائل في مقام نفيه من قوله اللهم إلا أن يحمل على فرض وقوع ما يدعي موسى مع قومه أو أظهر حينئذ ثبوت إيمانه بعد ما كان مدة على كتمانته كما سيظهر في بعض كلامه من تحقيق بيانه ثم من جملة نصحه قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ [الآية 34] أي ابن يعقوب على أن فرعون فرعون موسى فإنه نقل أنه عمر أربعمئة وأربعين سنة ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 34] قبل موسى ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 34] بالمعجزات روي أنه بعثه الله رسولاً يدعو القبط إلى طاعة الله وحده فما أطاعوه في ما يتعلق بالأمر الأخروي بل بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ [الآية 34] من الحكم الديني ﴿حَقَّقْ إِذَا هَلَكَ﴾ [الآية 34] مات ﴿فَلْتَمَنَّ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [الآية 34] فيما إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده على طبق حالته ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [الآية 34] شاك فيما تشهد به البيئات أنه طريق صواب.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ [الآية 35] بغير حجة وبرهان ﴿أَنَّهُمْ﴾ [الآية 35] بل أما تقليد طائفة جاهلة أو شبهة داحضة زائلة لاحت لهم والجملة مبتدأ خبره ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 35] عظم جدالهم غضباً عند ربهم ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 35] لأنهم متخلقون بأخلاق مولاهم ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [الآية 35] وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتنوين قلب/ على وصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما ومعدلهما. 1/116

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ لِي صِرَاحًا﴾ [الآية 36] بناءً مكشوفاً عالياً ﴿لَعَلِّي أَتْلُجُ الْأَسْبَابَ﴾ [الآية 36] الطرق العالية في الاكتساب.

﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ﴾ [الآية 37] أسباباً تعين الصعود إلى جهات العلويات

وهي بيان لما قبلها وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لسانها وتشويق للسامع إلى معرفة بيانها ﴿فَأَطِيعَ إِلَّآ إِلَهَ مُوسَى﴾ [الآية 37] عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترخي وهذه كلها منه أمور وهميات وتعللات تخيليات منشأها غاية الجهالة ونهاية الضلالة ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [الآية 37] في دعوى الرشاد وهذا كذب منه لظهور صدق موسى بقطعي الدلالة ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية 37] سبيل الرشاد وطريق السداد والفاعل هو الله حقيقة والشیطان وساطة وقرأ الحجازيان والبصري والشامي صد على بناء الفاعل على أن فرعون صد الناس عن البينات بأمثال هذه التموهيات ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [الآية 37] خسار ودار، قيل: من رأى في نفسه زلة وستر عليها ولم يجتهد في إزالتها زين في عينه مساوئه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 38] يعني مؤمن آل فرعون ﴿يَقَوْمِ أَتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ﴾ [الآية 38] بالدلالة ﴿سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [الآية 29] سبيلاً يصل سالكه إلى المراد وفيه تعريض بأن فاعله فرعون وقومه سبيل الغي والعناد.

﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتْعٌ﴾ [الآية 39] تمتع يسير لسرعة زوالها وانقضاء آجالها ﴿وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفَرَآرِ﴾ [الآية 39] لدوامها وبقاء آمالها.

قال محمد بن علي: لم تزل الدنيا مذمومة في الأمم السالفة عند العقلاء وطالبوها من المهانين عند الحكماء وما قام داع في أمة من نبي أو ولي إلا وحذر حبها وجمعها ألا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم الآية أي لن تصل سبيل الهداية وأهلها وفي قلبك محبة الدنيا وطلبها.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الآية 40] عدلاً من الله ونعمة وفيه دلالة على أن الجناية تغرم بنحوها.

وقال الأستاذ: إلا مثلها في المقدار لا في الصفة لأن الأول سيئة والمكافأة / حسنة. قلت وأما قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورى: الآية 40] فهو من باب المشاكلة أو من حيثيته الصورة من الهيئة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ

ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴿[الآية 40] أَي فِي الْمَالِ أَي الْمَدَارِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ﴿فَأَوْلِيكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [الآية 40] وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَشُعْبَةُ بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 40] بِغَيْرِ مَوَازِنَةٍ بِالسَّطَاعَةِ بِلِ أَصْنَافٍ مُضَاعَفَةٍ فَضْلًا مِنْهُ وَرَحْمَةً.

﴿وَيَقْوَمُوا مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾ [الآية 41] إِلَى مَا بِهِ النِّجَاةُ مِنَ الْعِقَابِ وَالْفَوْزِ بِالشَّوَابِ ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [الآية 41] مَا يَجْرَفُ إِلَى دَارِ البَوَارِ وَمَقَامِ الكُفْرِ وَالْفَجَارِ.

وقال أبو عثمان من أراد النجاة فليترك ما لا يعنيه ويشغل بما يعينه فإن نجاة الدارين فيه.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ [الآية 42] أَي بِأَلُوهِيَتِهِ ﴿وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ﴾ [الآية 42] بِرَبوبِيَتِهِ ﴿عَلِمَ﴾ [الآية 42] عَرَفَانَ وَالْمَرَادُ نَفِي الْمَعْلُومِ وَالْإِشْعَارِ بِأَنَّ الْأَلُوْهِيَّةَ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ بَرْهَانٍ وَأَنَّ اعْتِقَادَهَا لَا يَصِحُّ إِلَّا عَنِ إِيقَانٍ ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَعْلِيِّ﴾ [الآية 42] الْمَسْتَجْمَعِ لِصِفَاتِ الْأَلُوْهِيَّةِ وَنَعْوَتِ الرَّبُوبِيَّةِ مِنْ كَمَالِ الْقُدْرَةِ وَالْغَلْبَةِ وَمَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالتَّمَكُّنِ عَنِ الْمَجَازَاةِ عَلَى الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ وَالْقُوَّةِ عَلَى الْعُقُوبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ. ﴿لَا جَرَمَ﴾ [الآية 43] لَا بَدَّ وَلَا مَحَالَةَ ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [الآية 43] أَي إِلَى عِبَادَتِهِ مِنَ الْأَلْهَةِ ﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ﴾ [الآية 43] مُسْتَجَابَةٌ ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية 43] أَي أَصْلًا لِأَنَّهَا جَمَادَاتُ لَيْسَ لَهَا مَا تَقْتَضِي أَلُوْهِيَّتَهَا عَقْلًا وَنَقْلًا ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 43] مَرَجَعُنَا إِلَى حُكْمِ الْمَوْتِ وَغَيْرِهِ ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 43] فِي الضَّلَالَةِ كَالْمُشْرِكِينَ ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الآية 43] مَلَازِمُوهَا وَمُدَاوِمُوهَا.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ [الآية 44] عِنْدَ مَعَايِنَةِ الْأَهْوَالِ ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ [الآية 44] مِنَ النَّصِيحَةِ فِي تَحْسِينِ الْأَحْوَالِ ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 44] لِيَعِصِمَنِي مِنْ كُلِّ سِوَاءِ أَرَادَهُ بِي مِنْ سِوَاهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية 44] عَالِمٌ بِمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَأَرْبَابِ لِفْسَادِ.

قال أبو عثمان البصري: قلت لأبي صالح حمدون أوصني قال: أن

تصبح مفوضاً لا مدبراً وقال بعضهم: التفويض قبل نزول البلاء والتسليم بعد نزول العناء. وسئل ذا النون متى يكون العبد مفوضاً لأمره إذا أيس من نفسه وأفعاله والتجأ إلى الله في جميع أحواله.

﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ﴾ [الآية 45] أي حفظ مؤمن آل فرعون/ ﴿سَيِّئَاتِ مَا 117/أ مَكْرُوءًا﴾ [الآية 45] شدائد مكرهم في حقه ﴿وَحَاقَ بِكُلِّ فِرْعَوْنٍ﴾ [الآية 45] بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى به ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الآية 45] الإغراق في الدنيا والإحراق في العقبى كما قال تعالى في حق قوم نوح: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: الآية 25].

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [الآية 46] طرفي النهار وما بينهما معذبون بشيء آخر ودائماً أريد بالعشي الليل وبالغدو والنهار. وقد ثبت في الأخبار عن سيد الأخيار وسند الأخبار أنه قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدوة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ويقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»⁽¹⁾.

وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [الآية 46] أي هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت القيامة قيل لهم ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [الآية 46] فإن عذاب الآخرة أشد وأبقى وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ادخلوا على أمر الملائكة بإدخالهم النار وهذا إشكال منشؤه سؤال وهو أن الآية لا شك في أنها مكية.

وفي مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين أن يهودية في المدينة كانت تعيد عائشة رضي الله عنها من عذاب القبر فسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كذب يهود لا عذاب دون يوم القيامة فلما مضى بعض أيام نادى عليه السلام محمراً عيناه بأعلى صوته أيها الناس

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1379)، ومسلم في الصحيح (65/2866).

استعيذوا بالله من عذاب القبر فإنه حق»⁽¹⁾ وأجيب بأن الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ وما نفاه أولاً ثم أثبتته عليه السلام عذاب الجسد والمراد به الجمع بين العذاب الروحاني والجسماني في الجملة فلا ينافيه ما روي ابن مسعود رضي الله عنه أن أرواح الكفار في أجواف طير سود وتعرض على النار بكرة وعشياً⁽²⁾ إلى يوم القيامة.

وما روي غيره مرفوعاً أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش⁽³⁾.

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَنُونَ﴾ [الآية 47] أي واذكر حين يتخاصم الكفار ﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَتَاؤُ﴾ [الآية 47] الأتباع من الفقراء توبيخاً ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [الآية 47] للمتبوعين من / الأغنياء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [الآية 47] أتباعاً في الدين طمعاً في الدنيا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّقْنُونَ عَلْنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [الآية 47] بالدفع منا أو الحمل عنا.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ [الآية 48] نحن وأنتم واقعون فيها فكيف نغني عنكم شيئاً منها ولو قدرنا لأغنينا عن أعيننا ﴿إِنَّكَ اللَّهُ قَدَّ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [الآية 48] بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار على ما أراد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه وفي الآية إشارة إلى أن عذاب الأغنياء من الكفار لجمعهم بين الضلال والإضلال أشد من كفار الفقراء لاقتصار وبالهم على الضلال ففي الجملة دلالة على فضل الفقراء على الأغنياء كما ذهب إليه أرباب الكمال والله أعلم بحقيقة الحال.

- (1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 582) رقم (3604)، والطبراني في المعجم الكبير (25/ 103) رقم (268)، وابن حبان في الصحيح (7/ 395) رقم (3125).
- (2) ورد بلفظ: «أرواح آل فرعون» انظر ما أورده ابن كثير في تفسيره (7/ 148)، والطبري في تفسيره (21/ 395)، والقرطبي في تفسيره (15/ 319).
- (3) أخرجه مسلم في الصحيح (1887/ 121)، والطبراني في المعجم الكبير (9/ 183) رقم (8905)، وأبو يعلى في المسند (4/ 219) رقم (2331)، وأحمد في المسند (1/ 265) رقم (2388).

وقد صرح حجة الإسلام أن عذاب الكافر الفقير أحق من الكافر الغني فإذا نفع فقر الكافر صاحبه في دار الجحيم فكيف لا ينفع فقر المؤمن صاحبه في دار النعيم وقد ورد أشبعكم في الدنيا أجوعكم في العقبى .

وأفاد الأستاذ: أن الضعفاء يقولون للكبراء أنتم أضللتمونا والمستكبرون يقولون لهم بل أنتم باختياركم وافقتمونا فمحااجة بعضهم لبعض تزيد في غيظ قلوبهم فكما يعذبون بنفوسهم يعذبون بضيق صدورهم وبغض بعضهم من بعض في نحورهم .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ ﴾ [الآية 49] كلهم أو بعضهم ﴿ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ [الآية 49] وهي مشتملة على جميع دركاتهما وطبقاتها ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ يَحْفَافًا عَنَّا يَوْمًا ﴾ [الآية 49] وقتاً ما ﴿ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [الآية 49] شيئاً منه ولو يسيراً في هذا الباب ثم في قولهم ادعوا ربكم دون ادعوا ربنا أيما إلى كمال ضلالهم في مقام البعد وحال الحجاب .

وأفاد الأستاذ: أن هذه أيضاً من إمارات الأجنبية يدخلون واسطة بينهم وبين ربهم في الأدعية ثم أن الله تعالى ينزع الرحمة عن قلوبهم حتى لا يشفعوا في حقهم .

﴿ قَالُوا أَوْلَمَ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [الآية 50] أرادوا بهذا إلزامهم للحجة وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعوة وتعطيل أسباب الإجابة ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا ﴾ [الآية 50] أنتم فإننا لا تجترىء في ذلكم إذ لم يؤذن لنا في الدعاء لأمثالكم ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [الآية 50] لو دعونا هنالك ﴿ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الآية 50] ضياع لا يجاب .

لذلك ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [الآية 51] بالحجة وللنصرة من الكفرة بحسب الغلبة/ ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [الآية 51] من 118/أ
الملائكة والأنبياء والصالحين من العباد .

﴿ يَوْمَ لَا يَفْعَلُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ [الآية 52] وقرأ ابن كثير وأبو عمر وأبو عامر بالتأنيث وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة أو لأنه لا يؤذن لهم فيعتذرون فالآية

من باب نفي القيد والمقيد ﴿وَلَهُمْ اللَّعْنَةُ﴾ [الآية 52] البعد من الرحمة ﴿وَهُمْ سَوَاءٌ
الَّذِينَ﴾ [الآية 52] وفيها أشد العقوبة.

قال جعفر الصادق: نصرر رسلنا بالمؤمنين ظاهراً وننصر المؤمنين
بالرسل باطناً.

وقال سهل: نكرمهم بالعلم والمعرفة في الدنيا وبالرضا والرؤية في
العقبى.

وقال الأستاذ: نصرهم بالآيات وفنون من التعريفات حتى يعرفوا ويشهدوا
أن الظفر وضده من الله والخير والشر كله من عند الله ويقال: نصرهم بكيد خفي
ولطف غير مرئي من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب وكما ينصرهم في الدنيا
ينصرهم في الآخرة ينصرهم في الدنيا بالمعرفة واليقين بأن الكائنات من الله وفي
العقبى ليشهدوا بالإقرار ويعرفوا بالاضطرار أن التأثير من الله وغاية النصر أن
يقتل الناصر عدو من ينصره فإذا رآه حقيقة أنه لا عدو في الحقيقة وإن الخلق
أشباح يجري عليهم أحكام القدرة فالولي لا عدو له ولا صديق له ليس له إلا
الله، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: الآية 257].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ [الآية 53] ما يهتدي به في الدين من المعجزات
والأحكام البينات ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ [الآية 53] وتركنا عليهم بعده
التوراة.

﴿هُدًى وَذِكْرًا﴾ [الآية 54] هداية وتذكرة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 54]
لذوي العقول السليمة والطباع المستقيمة.

﴿فَأَصْبِرْ﴾ [الآية 55] على أذى الكفرة والفجرة ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55]
بالغلبة والنصرة ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [الآية 55] وتدارك فرطاتك كترك الأولى
وساعة الغفلة عن المولى والاهتمام بأمر العدي بالاستغفار ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [الآية 55] ودم على التسبيح والتحميد لربك فإنه تعالى كافيك
في النصر وإظهار الأمر وقيل صل بهذين الوقتين إذ كان الواجب بمكة ركعتان
بكرة وركعتان عشية.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر في /انتظار الموعود من الحق على حسب /118 ب الإيمان والتصديق بالإيقان فمن كان تصديقه ويقينه أتم وأقوى كان صبره أتم وأوفى، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55] وإنه يعطي وأن توهم العبد أنه يبطئ ويقال: الصبر على قسامين صبر على العافية وصبر على البلاء فالصبر على العافية أشد وأقل من الصبر على البلاء. ثم قال وفي قوله: وللمؤمنين دليل على أنه كان له ذنوب ولم يكن جميع استغفاره لأتمته لأنه ذكر استغفاره للمؤمنين ويكون ذلك محمولاً على ذنوبه قبل النبوة ويجوز أن يكون العبد قد تاب من الزلة ثم يجب عليه الاستغفار من ذلك الذنب كلما ذكره فإن تجديد التوبة يجب كما يجب أصل التوبة انتهى كلامه ولا يخفي ما فيه من نقصان مراده، فإن قوله: وللمؤمنين ليس في هذه الآية ثم إثبات الذنوب له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة مما لا يرتضيه المحققون من علماء الأمة بل حملوا إثبات هذه الآية على ما سبق من أن حسنات الأبرار سيئات الأحرار ثم ما ذكره من وجوب تجديد التوبة فلا أعرف أن أحداً من الفقهاء ذهب إليه ولا أحد من الصوفية اعتمد عليه بل اختلفوا هل تذكر المعصية وتجديد التوبة أفضل أو نسيانها من أصلها أكمل فتأمل فإنه موضع زلل وموقع وحل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ [الآية 56] حجة وبرهان ﴿أَنَّهُمْ﴾ [الآية 56] بل جادلوا فيها بما وافق هواهم ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ [الآية 56] تكبر عن أتباع الحق وتعظم عن التفكير والتعلم في طريق الصدق أو إرادة الرياسة والتقدم على الخلق ﴿مَا هُمْ بِبَلِغِيَّةٍ﴾ [الآية 56] ليسوا بواصلين مقتضيه فإن الله يعذر رسوله ومتابعيه ﴿فَأَسْتَوِذُ بِاللَّهِ﴾ [الآية 56] التجيء إليه واعتمد عليه واستسلم لديه ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الآية 56] لأقوالكم وأفعالكم فيجاريكم وفق أحوالكم.

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [الآية 57] أي أعظم وأشق في نظر العقل القاصر وإن استويا بالنسبة إلى قدرة الخالق القاهر فمن قدر على خلقها مع عظمها في زعمكم أولاً من غير أصل ومادة قدر على خلق الإنسان ثانياً من أصل موجود في / الجملة بعد مدة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الآية 57] لأنهم لا يتفكرون في مبدأ فطرتهم لفرط غفلتهم وأتباع أهوائهم وشهواتهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الآية 58] الغافل والمستبصر ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ [الآية 58] في العقائد والطاعات أي وما يستوي المحسن والمسيء فينبغي أن يكون لهم مال يظهر فيه تفاوت حال وهي فيما بعد البعث من دار البوار للكفار ومن دار القرار للأبرار وزيادة لا في المسمى لأن المقصود نفي مساواته مع ماله من سوء الحالة للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في مقصود التعبير أو للدلالة بالصراحة بعد الكناية للتأكيد والتقرير ﴿تَلِيًّا مَّا﴾ [الآية 58] تذكر أما قليلاً ﴿نَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 58] حيث لا ينتفعون والضمير للكفار أو لأكثر الناس من الفجار وقرأ الكوفيون بالخطاب تغليياً أو التفاتاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد به ما يستوي المؤمن والكافر ولا المربوط بشهوته كالمبسوط بصفوته ولا المجذوب بقربته كالمحجوب بعقوبته ولا المرقى إلى مشاهدة كالمبقي في مشاهدة ولا المحدود بسعادته كالمردود بشقاوته.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الآية 59] لا شك في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 59] لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به من أثرهم.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [الآية 60] أثبتكم لقوله ﴿إِنَّ الزَّيْبَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي﴾ [الآية 60] أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أبوابها بل زبدة أسبابها فقد ورد أن الدعاء مخ العبادة ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [الآية 60] صاغرين وفي الحديث من لم يدع الله غضب عليه وقرأ ابن كثير وأبو بكر بصيغة المفعول وهو أبلغ في الزجر.

قال ابن عطاء: إن للدعاء أركاناً وأجنحة وأوقاتاً وأسباباً فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقعة والخشوع والاستغائة وقطع القلب من الأسباب وتعلقه/ برب الأرباب وأجنحته الصدق في القول والفعل ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ.

119/ب

وقال الوراق: ادعوني على حد الالتجاء وغاية الاضطرار حيث لا يكون لكم مرجع إلى الأغيار.

ومرّ إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [الآية 60] ونحن ندعوا فلا يستجاب دعاؤنا فما بالنا فقال: إن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: أولها عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، والثاني: قرأتم كتابه [ولم] تعملوا به، والثالث: ادعيتم حب رسول الله ومودّته وتركتم متابعة سنّته والرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه في دعوته والخامس: ادعيتم حب الجنة فلم تعملوا لها والسادس: ادعيتم خوف النار فلم تتركوا المعصية خوفاً منها والسابع: أقررتم أن الموت والإعادة حق ولم تستعدوا لها والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم عن عيوب أنفسكم وإصلاحها والتاسع: أكلتم نعمة الله وكفرتكم بها والعاشر: دفنتم موتاكم في المقبرة ولم تعتبروا فيها.

وأفاد الأستاذ: أن معنى الآية: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [الآية 60] إن شئت لأنه قال في آية أخرى: ﴿فِيكَشْفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: الآية 41]، ويقال: ادعوني بشرط الدعاء ومن شرط الدعاء الأكل من الحلال فقد قيل: الدعاء مفتاح الحاجة أسنانه لقم الحلال ويقال: كل من دعاه استجاب له إما بما يسأله بعينه أو بشيء آخر هو خير له منه ويقال: الكافر ليس يدعوه لأنه إنما يدعو من له شريك وهو لا شريك له ويقال: إذا ثبت أن هذا الخطاب للمؤمنين فما من مؤمن يدعو ويسأله شيئاً إلا أعطاه إما في الدنيا وإما في الآخرة يقال له: هذا يدل ما طلبته في الدنيا وقد ادخرته لك إلى هذا اليوم حتى يتمنى العبد أنه ليت له لم يعط شيئاً في

الدنيا ويقال: ادعوني بالتفضل استجب لكم بالتفضل ادعوني بحسب الطاعة استجب لكم بكشف الفاقة ادعوني بالسؤال استجب لكم بالنوال.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا﴾ [الآية 61] مظلماً ﴿لَسْكَتُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [الآية 61] منيراً/ لتتحركوا فيه الأمر معاشكم وما يتعلق فيه من أمر معادكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [الآية 61] بوصف عميم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 61] فضله وإنعامه لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواقع إكرامه وتكرير الناس لتنقيص تخصيص الكفران بهم.

120/ أ

وأفاد الأستاذ: أن سكون الناس في الليل على أقسام أهل الغفلة ليسكنون إلى غفلتهم وأهل المحبة يسكنون بحكم وصلتهم فستان بين سكون غفلة وسكون وصلة قوم يسكنون إلى أمثالهم وأشكالهم وقوم يسكنون إلى حلاوة أعمالهم وقوم يعدمون القرار في ليلهم ونهارهم أولئك أصحاب الاشتياق فهم أبدأ في الاحتراق.

﴿ذَلِكُمْ﴾ [الآية 62] المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 62] أخبار متلاحقة تخصص اللاحقة السابقة ﴿فَأَنفِثُوا نُوْفُكُونَ﴾ [الآية 62] فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره وأنتم مغمورون في فضله وخيره فذلك أي مثل إفك ﴿كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الآية 63] ولا يتأملون ما هنالك.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [الآية 64] ذات قرار ومدار ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [الآية 64] سقفاً محفوظاً قال بعضهم: جعل الأرض قراراً لصفوته والسماء بناءً لملائكته ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ﴾ [الآية 64] بأن جعلك منتصب القامة بادي البشرية والهامة متناسب الأعضاء ومتعادل الأجزاء متهيئاً لمزاولة الصناعات واكتساب الكمالات ﴿وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الآية 64] المستلذات ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 64] مرببكم في أحوالكم ومقويكم في أعمالكم ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ [الآية 64] تكاثر خيره على من سواه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 64] فإن كل ما عده مربوب له ومفتقر إليه في دنياه وأخراه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق العرش والكرسي والسموات والأرض وسائر المخلوقات ولم يخاطبهم بهذا الخطاب وإنما قال لنا: ﴿وَصَوِّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [الآية 64] وليس الحسن ما يستحسنه الرقيب وإنما الحسن ما يستحسنه الحبيب.

ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب
كأنهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا

لم يقل للشموس في إعلانها ولا / للأقمار في ضيائها ﴿وَصَوِّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [الآية 64] ولما انتهى إلينا قال: ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [الآية 64] وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: الآية 4]. ويقال: إن الواشين قبحوا صورتكم عندنا فالملائكة كتبوا في صحيفتكم قبيح ما ارتكبتهم وصوركم أحسن صوركم عنده بأن محا من ذنوبكم الزلات وأثبت في ذلك الحسنات قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: الآية 39]، ﴿فَأُولَئِكَ يَدْعُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: الآية 70]. ثم لبس الطيب ما يستطيه الخلق الطيب ما يستطيه النفوس المطعومات والمشروبات ورزق القلوب لذات الطاعات.

﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ المنفرد بالحياة الذاتية الأزلية الأبدية. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 65] إذ لا موجود يساويه في ذاته وصفاته أو يدانيه ﴿فَادْعُوهُ﴾ [الآية 65] فاعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [الآية 65] الطاعة من الشرك والسمعة قائلين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 65] على سائر النعمة.

قال الحسين: هو الحي الذي أحيا العالم بنظره فمن يكن بنظره حياً فهو ميت وإن تحرك ونطق.

وقال جنيد: الحي على الحقيقة من به حياة كل حي.

وقال الأستاذ: هو الحي الذي لا يموت ولا فضله يفوت فادعوه تبيان القوة فإن ذلك عليه لا يفوت.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾

[الآية 66] من الحجج والآيات ﴿مَنْ رَزَىٰ﴾ [الآية 66] من عنده على وجه الكرامات ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 66] أن انقاد له في ديني أو أخلص له في يقيني.

وقال الأستاذ: أي أمرت بالتبري عما عبدتم والإعراض عما به اشتغلتم والاستسلام للذي خلقتني وبالنبوة أخلصني.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الآية 67] أي من نقلكم من تربة إلى قطرة ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ﴾ [الآية 67] أي كلاً منكم ﴿طِفلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ [الآية 67] ثم يبعثكم لتبلغوا شباباً ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شِوْخَاءً﴾ [الآية 67] وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم الشين ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤَفِّي مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 67] قبل الشيخوخة ﴿وَلِتَبْلُغُوا﴾ [الآية 67] أي ويفعل ذلك بكم لتبلغوا ﴿أَجْلاً مُّسَمًّى﴾ [الآية 67] وهو القيامة الصغرى أو الكبرى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 67] / ما في هذا المعبر من الحجج والعبر.

121/ أ

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الآية 68] أي ثم يبعثكم ثم في إحدى الدارين ينزل بكم ﴿فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ [الآية 68] أي أراد شيئاً ﴿فَأِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الآية 68] فلا يحتاج في تكوينه إلى عدة وبحسم كلفه ومدة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَحْدِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصِرُّونَ﴾ [الآية 69] عن التصديق بها والتأمل فيها وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه أو للتوكيد في الوعيد والتهديد فلا حجة يوردون ولا عذاب عن أنفسهم يردون.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ [الآية 70] بالآيات القرآنية أو بجنس الكتب السماوية ﴿وَيَمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 70] جزء أفعالهم الدنية.

﴿إِذِ الْأَغْطُلُ فِي أَعْتَفِهِمْ وَالسَّلْسِلُ﴾ [الآية 71] في رقابهم ﴿يُسْحَبُونَ﴾ [الآية 71] أي بها.

﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ [الآية 72] أي بالجحيم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [الآية 72] يحرقون والمراد أنهم يعذبون بأنواع العذاب ويتنقلون من بعضها إلى بعض كما

كانوا في عالم الأسباب.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّْا﴾
[الآيات 73، 74] غابوا عنا وضاعوا منا فليس لنا منهم إلا لعنا ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا
مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ [الآية 74] ينفعنا ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكٰفِرِينَ﴾ [الآية 74] حتى لا
يهتدوا إلى شيء ينفعهم في الدنيا والأخرى.

﴿ذٰلِكُمْ﴾ [الآية 75] الإضلال أو العذاب والأنكال ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ في
الأرض ﴿[الآية 75] تنظرون وتتكبرون فيها ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الآية 75] بغير استحقاق
بل بمجرد الطغيان ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [الآية 75] تتوسعون في الفرح بالعدوان
والعدول إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ والعتاب.

﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الزمر: الآية 76] الأبواب السبعة المقسومة لأهلها
﴿خٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 76] مقدرين الخلود فيها ﴿فِيئَسْ مٰثُوٰى الْمٰتَكِرِينَ﴾ [الآية 76]
فبين مشاهم ومصور بهم وساء ذهابهم ومسيرهم.

﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 77] كائن لا محالة ﴿فَكَيْفَ تُرِيَنَا﴾
[الآية 77] ما مزيدة لتأكيد الشرطية والمعنى فإن ترك ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [الآية 77]
وهو القتل والأسر والمذلة ﴿أَوْ نُوَفِّئَنَّكَ﴾ [الآية 77] قبل أن نرى تلك الحالة ﴿فَإِنَّا
يُرْجِعُونَ﴾ [الآية 77] جميعهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم على حسب ما
يستحقونه من العقوبة.

قال أبو بكر بن طاهر: صبراً على شدائد الدنيا فإن وعد الله حق لمن
صبر فيها على البلاء والعناء أن يوصله إلى الراحة الكبرى وهو مقعد صدق
عند مليك / مقتدر.

121/ب

وقال الأستاذ: أي كن بقلبك فارغاً عنهم وانظر من بعد إلى ما نفعل
بهم واستيقن بأنه لا بقاء لجولة باطلهم فإن لقيت بعض ما نتوعدهم به وإلا
فلا تك في ريب من مقاساتهم ذلك بعدك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾ [الآية 78] كثيراً ﴿مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾

[الآية 78] حاله مفصلاً أو مجملاً ﴿وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [الآية 78] حاله أصلاً إذ روي أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً والرسل ثلثمائة وخمسة عشر والمذكور قصتهم قيل أربعة وعشرون شخصاً ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ [الآية 78] من الأولين والآخرين ﴿أَنْ يَأْتِكَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية 78] فإن المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فهم كسائر القسم لغيرهم فليس لهم اختيار في إثارة بعضها والاستبداد بإتيان المقترح بها فإن بعضهم من ذكر القسمة وما جرى له في السابقة ينقطع عن السؤال والدعاء ويعلم أن القضاء كائن بالحق من الحق في الابتداء أو الانتهاء ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الآية 78] بعذاب المقترحة في الدنيا والآخرة ﴿فُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 78] بإنحاء المحق وتعذيب المبطل ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية 78] المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها من المعجزات.

وقال الأستاذ: لم يكن في وسع صاحب نبوة أن يأتي بمعجزة إلا إذا أظهرناها نحن عليه على ما أردنا إذا أردنا كما أردنا فكذلك إن طالبوك بآية فقد أظهرنا عليك من الآيات ما أزعجنا العذر وأظهرنا صحة الأمر وما اقترحوه إن شئنا أظهرناه وإن شئنا تركناه.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾ [الآية 79] من غاية الأنعام ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 79] والظاهر أن المراد بها الإبل وحدها لقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ [الآية 80] كإلبانها وجلودها وأوبارها ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الآية 80] بالمسافرة عليها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ [الآية 80] في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [الآية 80] بأثقالكم وأحمالكم.

﴿وَوَرِيكُمُ آيَاتِهِ﴾ [الآية 81] علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال رحمته ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 81] فأى آية من تلك الآيات ﴿تُنْكِرُونَ﴾ [الآية 81] فإنها لظهورها لا يمكن إنكارها.

أ/ 1/122 ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بسير قلوبهم أو البهم ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 82] مال أحوالهم مع كثرة آمالهم وإصرارهم

على كفرهم ومساوىء أعمالهم ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 82] عدة وعدة ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ [الآية 82] وأحد شوكة ﴿وَأَنَارًا﴾ [الآية 82] وأكثر عمارات فانية منهم باقية بعدهم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 82] كالقصور والقلاع ونحوها ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 82] الأولى نافية أو استفهامية والثانية موصولة أو مصدرية.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 83] بالمعجزات أو الآيات الواضحات ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [الآية 83] واستحققوا علم الرسل بجنب علمهم كما صدر عن بعض الحكماء السفهاء والمراد بعلمهم علوم الطبائع والتنجيم والمنطق ونحوها أو عقائدهم الفاسدة وشبههم الكاسدة من قولهم لا حساب ولا عذاب في الدار الآخرة ولئن رجعت إلى ربي أن لي عنده الحسنی فسامها علماً على زعمهم تهكماً بهم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 83] جزاء استهزاءهم وجهلهم بأنبيائهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [الآية 84] شدة عذابنا ويبينوا من الوقوف على بابنا ﴿قَالُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [الآية 84] من الصنم ونحوه.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾ [الآية 85] لامتناع قبوله حينئذ لأن إيماننا الابتلاء غير معتبر حال حلول البلاء ﴿سُنَّتَ اللَّهُ الَّذِي قَدْ حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [الآية 85] أي سنَّ الله ذلك سنة ماضية في العباد في جميع البلاد ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ [الآية 85] وقت رؤيتهم البأس ﴿الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 85] من الناس.

سورة فصلت

[مكية]

وهي أربع وخمسون آية⁽¹⁾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: أفلح من عرف بسم الله وما ربح من بقي عن بسم الله من صحب لسانه ذكر بسم الله وصحب جنانه حب بسم الله كفى له شفيحاً بسم الله إلى من تعبدنا بذكر اسم الله.

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾﴾ [الآية 1] قال سهل: حم قضي في اللوح المحفوظ وكتب فيه ما هو كائن من المذموم قال بعضهم: الحافظ الملك هو الله ولا يبعد أن يكون الحاء إيماء إلى صفة الرحمن والميم إلى نعت الرحيم وأشير إلى وسط الوصف الأول فإنه يعم ويشمل أهل الدنيا وأومئ إلى آخر النعت الثاني لأن محل ظهوره المؤمنون في العقبى ويؤيده قوله:

﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [الآية 2] حيث/ أضاف التنزيل إلى الوصفين الشريفين للدلالة على أنه مناط المصالح الدنيوية والمنافع الأخروية. 122/ب

وقال الأستاذ: أي بحقي وحياتي ومجدي في ذاتي وصفاتي إن هذا تنزيل من الرحمن الرحيم.

﴿كِنْتٌ﴾ [الآية 3] أي هذا كتاب جامع فيه لكل حكم باب ﴿فُصِّلَتْ﴾ ﴿أَيُّتُّهُ﴾ [الآية 3] باعتبار فصاحة مبانيها وبلاغة معانيها عن غيرها لتعلق الإعجاز بها.

(1) في المخطوط: ثلاث وخمسون آية.

وقال ابن عطاء: أي بينت أحكامه .

وقال الأستاذ: بينت دلالاته وعلاماته ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 3] نصب على المدح وفيه امتنان لسهولة مبناه وفهم معناه ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 3] العربية أو لأهل العلم والنظر في القضية بشيراً للعالمين به ونذيراً للمخالفين له .

وقال ابن عطاء: ﴿بَشِيرًا﴾ لمن آمن به برضا ربه ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن أعرض عنه بسخط ربه ويلائمه قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ [الآية 4] عن نذيره وقبوله ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 4] سماع تأمل في حصوله .

وأفاد الأستاذ: أن الدليل منصوب لكافة العالمين ولكن الاستبصار به للعالمين دون المعرضين الجاحدين بشيراً لمن اخترناهم واصطفيناهم ونذيراً لمن أبعدناهم ومن شهود آياتنا أعميناهم فأعرض أكثرهم عن دعائنا أيهم فهم مثبتون فيما أردنا بهم وعلى ذلك الوصف علمناهم .

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثَرِ﴾ [الآية 5] أعطية ﴿مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [الآية 5] ثقل وصمم ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [الآية 5] يمنعنا عن التواصل فينا ﴿فَاعْمَلْ﴾ [الآية 5] على دينك ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ [الآية 5] على ديننا .

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوه على الاستهانة والاستهزاء ولو قالوا: ذلك على بصيرة لكان ذلك منهم توحيداً فمنا بالمقت لما فقدوا من تحقيق الوقت قلت لو كان لهم بصيرة هنالك لما قالوا ذلك .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [الآية 6] أي قل لا ادعي أنني من جنس الملائكة بل ادعوكم إلى التوحيد بطريق اليقين مما دل عليه دلائل العقل وشواهد النقل .

وفي «تفسير السلمي» أي أنا مثلكم في الصورة ولست مثلكم في الحقيقة كما ورد إنني لست لأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [الآية 6] أي استقيموا في أفعالكم / متوجهين إليه بأحوالكم ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا﴾ [الآية 6] مما فرطتم في أعمالكم قيل: الاستقامة مساواة الأحوال في

الأقوال والأفعال وهو أن لا يخالف الظاهر الباطن ولا الباطن الظاهر فإذا استقامت جملة حالتك فاستغفر من رؤية استقامتك واعلم أن الله سبحانه هو الذي قومك لا إنك استقامت بنفسك كذا في تفسير السلمي.

ويحتمل أن يكون معناه واستغفروا مما فرط عنكم لأنكم لا تقدروا على حقيقة الاستقامة فيكم لقوله صلى الله عليه وسلم: استقيموا ولن تحصوا أي لن تطبقوا ولذا قيل الاستقامة أشد من ألف كرامة.

وقال الأستاذ: أي أنا بشر مثلكم في الصورة والبنية والذات والخلقة والتفرقة بيني وبينكم أنه يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فالخصوصية لي من قبله لا من قبلي ولقد لبثت فيكم عمراً ولقيتموني دهنراً فما عثرتم مني على غير صواب ولا وجدتم في قولي شوب كذاب وأمري لكم أن استقيموا في طاعة أمره واستسلموا لقضاءه وحكمه فطوبى لمن أجاب والويل لمن أصر وخاب. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ [الآيتان 6، 7].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ﴿٨﴾ [الآية 8] غير مقطوع في العقبى أو في الدنيا أيضاً لما قيل: إنها نزلت في المرضى والهرمي إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم أجر ما كانوا يعملون في العافية.

وقال الأستاذ: آمنوا: شاهدوا الألوهية والربوبية، وعملوا الصالحات: لازموا بساط العبودية، وأجر النفوس: الجنة، وأجر القلوب الرضا بالمنة وأجر الأرواح الاستئناس بالله وأجر الأسرار دوام المشاهدة لله.

﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية 9] في مقدار يومين أو في وقتين أو توقيتين وكفرهم به: إلحادهم في ذاته وصفاته ﴿وَيَجْعَلُونَ لَهُٗٓ أَنْدَاداً﴾ [الآية 9] ولا يصح أن يكون له ند في مراتب تعيناته ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 9] أي خالق الأرض في قدر معين فيها هو خالق جميع ما أوجد من الممكنات ومربها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق الزمان ولم يكن قبله زمان وخلق

123/ ب المكان ولم يكن قبله مكان / والحق سبحانه كان ولا مكان ولا زمان فهو عزيز

لا يدركه المكان ولا يهلكه الزمان ثم كيف يكون الذي لم يكن ثم حصل ندأً للذي لم يزل.

﴿وَجَمَلَ فِيهَا رُؤسَى﴾ [الآية 10] جبلاً ثوابت ﴿مِنْ فَوْقَهَا﴾ [الآية 10] مرتفعة عليها مفروشة فيها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار والاستدلال والاعتبار بأن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك وهو الله المتعال.

وقال القاسم الرواسي: الأجلّة من الأولياء الذين هم مشرفون على الخلق والثابتون بقدم الاستقامة على الحق ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ [الآية 10] وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوانات.

قال الأستاذ: يا أيتها المطر ببركات السماء ويندفع عنها البلاء ببركات الأولياء ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [الآية 10] أقوات أهلها بأن عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به وينفعه أو أقواتاً ينشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها ليظهر لطائف أسرارها.

وقال الأستاذ: أي جعلها مختلفة في الطعم والصورة والمقدار وكذا رزاق القلوب والأرواح والأسرار ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية 10] أي في تنمة أربعة أيام قيل: ولم يقل في يومين للإشعار باتصالهما باليومين الأولين والتصريح على فذلّة الوقتين ﴿سَوَاءٌ﴾ [الآية 10] أي استواء والجملة صفة أيام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجسر ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ [الآية 10] أي هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الآية 11] قصد نحوها وهو مجاز عن الإيجاد على نحو ما أراد، يقول العرب: فعل فلان كذا ثم استوى إلى عمل كذا يريدون أن أكمل الأول وابتدأ الثاني في العمل والظاهر أنه تم التفاوت ما بين الخلقين من الرتبة لا للتراخي في المدة لقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: الآية 30] أي بعد خلق السماء بسطها ودحوها متقدم على خلق الجبال فوقها.

وقال الأستاذ: قيل قصد وقيل: فعل فعلاً هو الذي يعلم تعيينه ويقال

رتب أقطارها وركب فيها نجومها وأزهارها ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [الآية 11] جوهر ظلماني ولعله أراد به مادتها والأجزاء التي ركبت منها.

أ/124

وفي «تفسير ابن عادل» قال المفسرون: / هذا الدخان بخار الماء وذلك أن عرش الرحمن كان على الماء قبل: خلق الأرض والسماء كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: الآية 7] ثم إنه تعالى أحدث في ذلك الماء اضطراباً إلى جمعه الهواء فأزبد وارتفع وخرج منه دخان وأما الزبد فبقي على وجه الماء وأخذت منه الأرض بأقطارها وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق من السماوات بأطوارها ﴿فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضُ أُنثَىٰ﴾ [الآية 11] بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر المتعلقين بكما وإبرازاً ما أو دعت فيكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [الآية 11] شئتما أم أبيتما والمراد إظهار كمال قدرته وجمال عزته وغلبته لإثبات الطوع والكره لهما ﴿قَالَتَا أَنِنَا طَائِعِينَ﴾ [الآية 11] منقادين بالذات مطيعين في الصفات والأظهر تمثيلهما بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله: كن فيكون ولا يبعد أن وقع لهما الخطاب وأقدرهما على الجواب بالوجه الصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل هذا على ضرب المثل إن لم يتعسر خلقه شيء منهما على ما أردنا وقيل: بل أحياهما وأعقلهما وأنطقهما فقالتا: ذلك وانقادتا لما هنالك وجعل نفوس العابدين أيضاً لطاعته وعبادته وجعل قلوبهم أفلاكاً لنجوم علمه وأقمار هدايته وشموس معرفته فأوتاد النفوس الخوف والرجاء والرغبة والرغبة وفي القلوب ضياء العرفان وشموس التوحيد ونجوم العلوم والعقول والنفوس والقلوب بيده يصرفها على ما أراد من حكمه.

﴿فَقَضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [الآية 12] خلقهن خلقاً إبداعياً وأتقن أمرهن اتقاناً إبداعياً والضمير للسماء على المعنى وسبع سماوات حال أو هو مبهم وسبع سماوات تمييز ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية 12] قيل: المراد بالأيام الأربعة: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، وإنه خلق السماوات يوم الخميس، والشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة، وختم بآدم أبي الخاتم فهو ﷺ باعتبار ظهوره كالعلة

الغائية وباعتبار تصور روحه ونوره في المرتبة الأولية ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [الآية 12] شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختياراً منها أو طبعاً فيها وقيل: أوحى إلى أهلها بأوامره على تفصيلها ﴿وَرَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوحٍ﴾ [الآية 12] فإن الكواكب ترى كلها كأنها تتلألأ عليها ﴿وَحَفِظْنَا﴾ [الآية 12] أي وحفظناها من 124/ب الآفات حفظاً ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الآية 12] البالغ في القدرة والحكمة.

قال ابن عطاء: زيننا قلوب العارفين بأنوار المعرفة وجعلنا فيها ضياء التوحيد ومصايح الهداية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زين وجه الأرض بمصايح وهي قلوب الأحباب فأهل السماء إذا نظروا إلى قلوب الأولياء بالليل فذلك متزهم كما أن أهل الأرض إذا نظروا إلى السماء استأنسوا برؤية الكواكب في منظرهم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ [الآية 13] عن الإيمان بعد البيان ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَبْعَةً﴾ [الآية 13] حذرتكم إصابة عقوبة شديدة الواقعة كأنها صاعقة ﴿مِثْلَ صَبْعَةِ عَادٍ وَتَمُودَ﴾ [الآية 13].

﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الآية 14] من جميع جوانبهم واجتهدوا به من كل جهة في بيان في رغائبهم ورهائبهم أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة من عذاب النار وكل منهما يحتملها ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ [الآية 14] بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبِّنَا﴾ [الآية 14] إرسال رسل إلينا ﴿لَأَنْزَلْنَا مَلَائِكَةً﴾ [الآية 14] برسالته المقبولة لدينا ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ [الآية 14] على زعمكم فيه ﴿كَفِرُونَ﴾ [الآية 14] جاحدون منكرون إذا أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا.

﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 15] على أهلها ﴿بِئْسَ الْحَقُّ﴾ [الآية 15] بغير استحقاق فيها ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 15] فخرة ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً﴾ [الآية 15] اغتراراً بما لهم من القوة والشوكة فقبل كان من قوتهم أن الرجل منهم ينزع بيده الصخرة فيقتلعها من أصلها ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 15] ألم يتصوروا ولم يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي

خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴿[الآية 15] قدرة فإنه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى من الممكنات ﴿وَكَاوُوا بِغَابِئِنَّا بِيَحْدُونَ﴾ [الآية 15] يعرفون إنها حق وينكرون.

قال الأستاذ: ركنوا إلى قوة نفوسهم بهواهم فخانتهم قواهم لما استمكن منهم بلواهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [الآية 16] باردة تهلك بشدة بردها ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ [الآية 16] جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعداً⁽¹⁾ وقرأ الحجازيان والبصري: بالسكون تخفيفاً قيل: كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء ﴿لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [الآية 16] أي الذل / ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ آخَرٌ﴾ [الآية 16] أكثر خزياً عليهم ﴿وَهُمْ لَا يُصْرُونَ﴾ [الآية 16] بدفع العذاب عنهم.

أ / 125

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 17] دللناهم على الهدى بنصب الآيات وإرسال الرسول بالمعجزات ﴿فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الآية 17] فاختاروا الضلالة على الهداية ﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [الآية 17] من السماء فأهلكتهم ﴿يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 17] من الكفر والمعصية وفي تفسير الأستاذ قيل: أنهم آمنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فأجرهم مجرى إخوانهم فيما عذبوا.

﴿وَجِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 18] من تلك الصاعقة ﴿وَكَاوُوا يَتَّقُونَ﴾ [الآية 18] المخالفة والظاهر أن المراد بالمؤمنين ممن ينجيهم الله من عذاب المخالفين وحملهم الأستاذ على العموم فأفاد أن منهم من نجاهم من غير أن رأوا النار عبروا القنطرة ولم يعلموا وقوم كالبرق الخاطف وهم أعلامهم وقوم كالراكض وهم أيضاً أكابرههم وقوم عن الصراط سقطوا وتردهم الملائكة على الصراط فيثبتون فبعد فبعد وقوم بعدما دخلوا النار فمنهم من تأخذه إلى كعبه ثم إلى ركبته ثم إلى حقويه فإذا بلغ القلب قال الرب للنار: لا تحرق قلبه فإنه محترق في وقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا وصاروا حمماً.

(1) إن الله تعالى أدام تلك الريح فيها على حالة واحدة لا تفتت وأهلكهم بها لا كما يزعم المنجمون من أن بعض الأيام قد يكون في ذاتها نحساً وبعضها سعداً / شيخ زاده / .

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ [الآية 19] وقرأ نافع بفتح النون وضم الشين ونصب أعداء ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [الآية 19] يحبس أولهم على آخرهم لثلاثا يتفرقوا في محشرهم وهو عبادة عن كثرهم.

﴿حَقَّقْ إِذَا مَا جَاءَهَا﴾ [الآية 20] حضروها وما مزيدة مؤكدة لاتصال الشهادة بحضورهم ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 20] بطواهرهم.

﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [الآية 21] سؤال توبيخ لهم ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية 21] أي ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء أراد إنطاقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية 21] الأظهر أنه استئناف من الله سبحانه في الدنيا والآخرة ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 21] طواعية أو كراهية.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [الآية 22] أي كنتم تسترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضيحة / 125 ب وما ظننتم أن أعضائكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفي تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال من الأحوال إلا وعليه رقيب مطلع على جميع ماله من الأعمال ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 22] لذلك اجترأتم على أن ما فعلتم.

قال أبو عثمان الجبري: من لم يذكر في وقت مباشرة الذنوب شهادة جوارحه عليه يجترئ على الذنوب وتقدم عليها ومن ذكر ذلك حين أراد مباشرتها ربما يلحقه التوفيق والعصمة فيمنعانه عنها وذلك مبتدأ أو بدل عنه .

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية 23] خبره ﴿أَزْدَلْتَكُمْ﴾ [الآية 23] أهلككم وأوقعكم في مقام الفاجرين ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية 23] فظهرت خسارتكم وما ربحت تجارتكم.

﴿فَإِنْ يَصِيرُوا فَاَلنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [الآية 24] لا خلاص لهم عنها ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا﴾ [الآية 24] يسألوا العتبي وهي الرجوع إلى الرضا ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [الآية 24] المجابين إليها.

﴿وَقِيصَّنَا﴾ [الآية 25] قدرنا ﴿لَهُمْ﴾ [الآية 25] لمن أراد أن يكفر بنا
﴿قُرْنَاءَ﴾ [الآية 25] إخواناً من شياطين الجن وإخواناً من شياطين الإنس ﴿فَزَيَّنُوا﴾
لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 25] من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلَفَهُمْ﴾ [الآية 25]
من أمر العقبي بإنكار العقوبات والمثوبات ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [الآية 25] أي
كلمة العذاب ﴿فِي أَمْرٍ﴾ [الآية 25] كائنين في جملة أمم أو معهم ﴿قَدْ خَلَّتْ مِنْ﴾
قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الآية 25] وقد عملوا مثل أعمالهم ﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية 25] أي
كلهم ﴿كَانُوا خَسِرِينَ﴾ [الآية 25] في أحوالهم وآمالهم في مآلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد بعبد سوءاً قويض له أخذان سوء
قرناء وإخوان شرهم الأضداد لهم فيما راموا، وإذا أراد بعبد خيراً قويض له
قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه إليها ومن ذلك
الشیطان فإنه مقيض مسلط على الإنسان يوسوس إليه بالعصيان وشر من ذلك
النفس وبئس القرين هي تدعو اليوم إلى ما فيه العقوبة وتشهد غداً عليه بفعل
الزلة فزينوا لهم ما بين أيديهم من طول الأمل وما خلفهم من نسيان الزلل
والتأخر في التوبة والتقصير في الطاعة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ﴾ [الآية 26] وعارضوه
بالهذيان ﴿لَقَلَّكَ تَغْلِبُونَ﴾ [الآية 26] على ما تطلقون.

قال ابن عطاء: من لم يكن / قلبه منور بالإيمان لا يلتذ بسماع القرآن
ولا يؤثر فيه مواعظه وأحكامه إنما يتعظ به من كان منور السر مشروح الصدر
مفتوح السمع حاد البصر معاناً بالتوفيق مسدداً بالعصمة والتحقيق فإذا سمعه
وعى فوائد أحكامه واتعظ بلطائف مواعظه.

أ/126

وأفاد الأستاذ: أن الكفار استولى على قلوبهم الجحد والإنكار ودام
على العداوة منهم الإصرار فاختلفوا بكل وجه أمكنهم فتواصوا فيما بينهم بأن
لا يستمعوا إلى القرآن لأنه يغلب القلوب ويسلب العقول وكل من أقبل عليه
مال إليه قالوا: فإذا أخذ محمد في تلاوة القرآن فألقى الكفار في قراءته اللغظ
فيقع هو في السهو والغلط ولم يعلموا أن الذي نور قلبه بالإيمان وأيد بالفهم

وأمدّ بالبصيرة وكوشف بسماع السر من الغيب فهو الذي يسمع ويؤمن والذي هو في ظلمات جهله لا يدخل الإيمان قلبه ولا يباشر السماع سره .

﴿فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 27] منهم ومن غيرهم ﴿عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 27] سيئات أعمالهم في أسوأ أحوالهم .

وقال الأستاذ: لنذيقنهم عذاباً شديداً في الدنيا بإدامة الحرمان التي هي الفراق وعذاباً بالتخليد في النيران التي هي الاحتراق .

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 28] الجزاء الأسوأ ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾ [الآية 28] مبتدأ وخبر ﴿النَّارِ﴾ [الآية 28] عطف بيان للجزاء لهم فيها في النار ﴿هُنَّ فِيهَا دَارُ الْمُجَلَّدِطِ﴾ [الآية 28] موضع إقامتهم ومحل إدامتهم لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَأْتِينَا يَمْجُدُونَ﴾ [الآية 28] ينكرون أو يلغون ويكفرون .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الآية 29] يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة وقيل: هما إبليس وقابيل فإنهما أول من سن المعصية ﴿تَجَمَّعَهُمَا نَحْتُ أَقْدَامِنَا﴾ [الآية 29] انتقاماً منهما ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الآية 29] محلاً وذلاً .

وأفاد الأستاذ: أن الفائدة من هذا هي الأخبار عن تبرئ بعضهم من بعضهم ووقوع الندم عليهم حين لا ينفعهم .

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الآية 30] اعترافاً بربوبيته وإقراراً بالالوهية ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [الآية 30] في الإقامة على وظائف عبوديته من اكتساب طاعته

واجتناب معصيته وما روي من الخلفاء الأربعة / في معنى الاستقامة من الثبات 126/ب على الإيمان ومن الأمر بالطاعة والنهي عن العصيان ومن الإخلاص في عمل الأركان ومن أداء فرائض الرحمن فجزئيات الاستقامة كما لا يخفي على أهل العرفان ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية 30] فيما يعن لهم قبورهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم خوفهم وحزنهم ويأتيهم فرحهم وسرورهم أو في هذا عند موتهم وجزائهم وحال نزعهم وفزعهم أو في قبورهم أو وقت نشورهم ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ [الآية 30] ما تقدمون عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [الآية 30] على ما فارقت منه

﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الآية 30] في الدنيا على لسان الأنبياء.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 31] نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل إمام الشياطين بأهل الكفر للباطل وحملهم على الشر ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية 31] بالكرامة والشفاعة حيث يتفادى الشياطين والكفرة بالبراءة والشفاعة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ﴾ [الآية 31] من اللذات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [الآية 31] تتمنون من المطلوبات.

﴿نُزُلًا﴾ [الآية 32] ضيافة للمؤمنين ﴿وَمِنْ عَفْوَ﴾ [الآية 32] للمذنبين ﴿رَجِيمٌ﴾ [الآية 32] بالمحسنين ويقال: برحمته وصلوا إلى مغفرته هذا وثم في الآية للتراخي في الرتبة إيماءً بأن مدخولها له زيادة المزية فالمعنى استقاموا في الحال ثم استقاموا في المآل بأن استدام إيمانهم وإحسانهم إلى حال الانتقال.

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوا بشرط الاستجابة ثم استبصروا بموجب الحجة ولم يكتفوا بالمقالة دون صفاء الحالة ويقال: هي يعني الاستقامة على قسمين في أصل التوحيد والمعرفة وهذه صفة عامة المؤمنين ومستقيم في الفروع من غير المعصية وهذه صفة خاصتهم من المتقين ثم الاستقامة لهم على حسب أحوالهم فمستقيم في عهده ومستقيم في عقده ومستقيم في جده ومراعاة حده ومستقيم في جهده وقصده وعهده ووجهه ووده وهذا أعمهم وفي المقام أتمهم ويقال: ﴿أَسْتَقَمُوا﴾ [الآية 30] على دوام الشهود وعلى انفراد القلب بواجب الوجود ويقال: ﴿أَسْتَقَمُوا﴾ في تصفية العقد ثم في توفية العهد ثم في صحة القصد بدوام الوجد ويقال: استقاموا بأقوالهم ثم بأعمالهم ثم بصفاء أحوالهم في وقتهم وفي مالهم ويقال: أقاموا على طاعته واستقاموا على معرفته/ 127 أ وهاموا في محبته وقاموا بشرائط خدمته ويقال: استقامة الزاهد أن لا يرجع إلى دنياه ولا يمتع بالجاه بين الناس عن الله واستقامة العابد أن لا يعود إلى الفترة وأتباع الشهوة ولا يتداخله الرياء والتصنع والسمعة واستقامة العارف أن لا يشوب معرفته حظ في دنياه وأخراه فيحجب به عن مولاه واستقامة المحبين أن لا يكون لهم إرب في قلوبهم من غير محبوبهم تكنفون من عطائه بقاءه ومن مقتضى

جوده بدوام عزّه ووجوده.

ثم قال: الخوف إنما يكون في المستقبل من الوقت وهو لحلول مكروه أو فوت محبوب والملائكة يبشرونهم بأن كل مطلوب لهم سيكون وكل محذور لهم لا يكون هذا تحقيق قوله ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [الآية 30] والحزن من حزنه الوقت والذي هو راض بجميع ما يجري عليه في حالته فلا حزنه في عيشته فالملائكة يبشرونهم بأنه لا حزنه في أحوالهم فهم في الروح والراحة ويبشرون بالجنة وهي حسن المآب وما وعد الله من جميل الثواب والذي هو موعود للأولياء بسفارة الملك موجود اليوم لخواص عباده بعباء الملك وهو أن لا يكون له مطالعة المستقبل من حوله ويكون بحكم الوقت فلا يكون له خوف لما قلنا أن الخوف لما سيحصل في الثاني من الحال من زوال محبوب أو حصول مكروه والذي هو بصفة الرضا فلا حزنه في حاله ووقته ويمكن القياس على ما قاله الناس في قولهم ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [الآية 30] بأن يقال: ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ من عذاب القيامة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أسلفتم من الجنابة ﴿وَأَبْشِرُوا﴾ بدوام الوصلة والخطاب في ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ [الآية 31] يحتمل أن يكون من قبل الملائكة وأن يكون أشد كلام من الله بطريق المواصلة والولاية من الله بمعنى المحبة ويكون بمعنى النصره ولو لم يكن المحبة الإلهية في الآزال لم يحصل النصره في الحال والمآل فيقال ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 31] بتحقيق المعرفة وفي الآخرة بتحصيل المغفرة ويقال: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 31] الدنيا بالعبادة وفي الآخرة بالمعانية في الدنيا بالرضا / بالقضاء وفي الآخرة باللقاء في دار البقاء في الحياة الدنيا بالإيمان وفي الآخرة بالغفران في الدنيا بالمحبة وفي الآخرة بالقربة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ [الآية 31] أي في الجنة ﴿مَا تَشْتَهُيْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [الآية 31] من أنواع اللذة، الولاية نقد وحصول الشهوات وعد فمن اشتغل بنقده قل ما يشتغل بوعده.

﴿زُلْزَلًا مِّنْ عَفْوَ رَحِيمٍ﴾ [الآية 32].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 33] إلى عبادته له ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الآية 33] يصلح لمرضاته ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 33] تحدثاً بنعمته والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات تامة وقيل: المراد بهم النبيون أو المؤذنون أو الأئمة الداعون أو الوعاظ الواعون.

قال ابن عطاء: ما دعا إلى الله من دعا بنفسه إلى الله حتى يدعوا إلى الله بالله فيكون هو داعي حق.

وأفاد الأستاذ: أن الداعي إلى الله هو الذي يدعو الناس إلى الاكتفاء بالله وترك طلب العوض من الله بأن يكل أمره إلى الله ويرضى من الله بقسمة الله وعمل صالحاً كما يدعو الخلق إلى الله يأتي بما يدعونهم إليه طلباً لرضاء الله.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [الآية 34] في المجازاة وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النافية ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 34] ادفع السيئة بأحسن ما يمكن دفعها به من أفراد الحسنه ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [الآية 34] أي إذا فعلت صار عدوك المشتاق مثل الولي القريب الشفيق المشتاق.

قال ابن عطاء: لا يستوي بين من أحسن الدخول في خدمتنا والخروج من حضرتنا وبين من أساء الأدب في الخدمة وبين من أساء في الغيبة فإن سوء الأدب في القرب أصعب من سوء الأدب في البعد وقد يصفح عن الجاهل الكبائر ويعاتب بالالتفات بعض الأكابر.

وقال الأستاذ: أي ادفع بالخصلة هي أحسن السببية يعني بالعفو عن المكافأة بالتجاوز والصفح عن الزلة وترك الانتصاف في المظلمة وهذا من جملة حسن الخدمة والأدب في حق صحبتك مع الرب أن تحلم عن عباده لأجله ومن جملة حسن الخلق في الصحبة مع الخلق أن لا تنتقم لنفسك وأن تغفو عن خصمك.

﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾ [الآية 35] أي هذه الخصلة المستحسنة وهي /مقابلة الإساءة بمقابلة الحسنه ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [الآية 35] حبسوا أنفسهم عن الأخلاق السيئة ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [الآية 35] من الشمائل البهية والفضائل الجليلة.

وقال الأستاذ: لا يصل إلى سني الدرجات إلا من صبر على مقاساة شدائد البليات .

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ [الآية 36] تحس شبه الوسوسة لأنها بعث على ما لا ينبغي من الحركة كالدفع بما هو أسوأ من السيئة وحبل النزغ نازغاً على طريقة جد جده للمبالغة ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الآية 36] من شره ولا تطعه في أمره ﴿إِنَّهُ﴾ [الآية 36] سبحانه ﴿هُوَ السَّوِيعُ﴾ [الآية 36] لاستعاذتك ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 36] بنيتك وصالح حالتك قال بعضهم: من طرد الشيطان بنفسه عن نفسه فهو أبداً قرينه ومن طرده بالالتجاء والتضرع إلى الله والاستعاذة به منه لم يجعل الله للشيطان عليه سبيلاً في دينه.

وقال الأستاذ: أي إذا اتصل بقلبك نزعة من نزغات الشيطان فلا تذرهما تتكرر إلى الله تعالى بالمرة بل ارجع إلى الله في أول الخطرة فإنك إن لم تخالف أول الوهلة صارت الفكرة ثم بعد ذلك يحصل العزم على الغفلة ثم إن لم يتدارك ذلك تجري الزلة فإن لم يتدارك بحسن الرجعة صار القسوة ويتمادى به الوقت فهو يحظر كل آفة من الشقوة ولا يتخلص العبد من نزغات الشيطان إلا بصدق الاستفاقة بالله وصدق الاستغاثة إلى الله فيه ينجو عن الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: الآية 42] فكلما زاد العبد في تفرده من حوله وقوته وأخلص بين يدي الله من تضرعه واستغاثته زاد الله في حفظه وحمايته ودفع الشيطان عنه بعنايته ورعايته.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الآية 37] أي ومن علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته اختلاف الوقتين وتفاوت النيرين ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [الآية 37] أي ونحوهما من سائر الكواكب بالأولى فإنهما مأموران مثلكم بل مخلوقان ولأنهما فلكان غافلان من علمكم ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [الآية 37] الضمير للأربعة المذكورة أو للكواكب المسطورة ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 37] فإن السجود أخص من العبادة هو موضع

السجدة عند الشافعية لاقتران الأمر به في المبنى وعندنا آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى.

﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا﴾ [الآية 38] عن الطاعة ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الآية 38] من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الآية 38] أي في جميع الأزمنة ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ﴾ [الآية 38] لا يملون ولا يفترون.

قال ابن عطاء: أظهر لك الآيات كلها لتشتغل بمظهرها دونها فمن اشتغل بها أشغله عن مظهرها ومن اشتغل بمظهرها أشغله ذلك عن الاشتغال بها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوضح الآيات وألاح البيئات وأزاح علة من رام الوصول إلى الكمالات فاختلف الليل والنهار ودوران الشمس والأقمار إمارات قدرته ودلالات حكمته لا تسجدوا للشمس في علائها ولا للقمر في ضياء سمائها واسجدوا للذات المنعوت بأوصافها وأسماؤها عار عليكم أن تسجدوا لغيره من المخلوقات في إبدائها وإنهاءها ويقال: الشمس وإن علت والقمر وإن حسن صورته وانجلت فلاجلك خلقناهما فاسجدوا لنا ولا تسجدوا لهما ويقال: خلق الملائكة ثم مع كثرة عبادتهم وتقدمهم في طاعتهم قال لهم: اسجدوا لآدم فامتنع واحد منهم ولعن إلى الأبد مطروداً عنهم وقال لأولاده: العصاة لا تسجدوا للشمس ولا للقمر فشتان ما هما فتدبر ويقال: الحق سبحانه يأمرك بصيانة وجهك عن الشمس والقمر وأنت لأجل كل حظ خسيس تنقل قدمك إلى كل أحد وتدخل بمحيالك على كل أحد. قلت: وما أحسن دعاء الإمام أحمد بن حنبل قدس سره الأكمل: اللهم كما صنعت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ [الآية 39] الدالة على كمال ذاته وجمال صفاته ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [الآية 39] يابسة ساكنة كالميتة متواضعة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ [الآية 39] تحركت بالإنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾ [الآية 39] انتفخت بالنبات ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ [الآية 39] بعد موتها وهي من الجمادات ﴿لَمَجِي الْمَوْتِ﴾ [الآية 39]

من الإنسان والحيوانات ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 39] بالغ القدرة كامل القوة على الإحياء والإماتة.

وأفاد الأستاذ: أن الأرض إذا صحبتها جذوبة الشتاء خشنت وفي وقت الربيع إذا نزل/ عليها المطر اهتزت بالنبات واخضرت كذلك إذا خشعت القلوب لاستشعارها بما عملت من الذنوب فأقبل الله عليها فظهرت فيها بركات الندم وعفا عن أربابها ما قصروا في صدق القدم وكذا إذا وقع للعبد فترة في معاملته وغيبته عن بساط طاعته فإذا تعهده الحق سبحانه بما يدخل على قلبه من تذكر ظلمة الشقاق أظهر في قلبه أنوار الوفاق فيعود إلى مألوف مقامة ومعروف مرامه ويعود عود سداذه غصاً طرياً وشجر وفائه وثمر صفائه ومما أصابه الجذوبة بماء العناية مستقيماً وكذا إذا حصل للعبيد من أهل العرفان وقفة أو بدر لسوء أدب جرى منهم حجة فإذا نظر الحق سبحانه إليهم بالرعاية وعين العناية اهتزت رياض أنفسهم واخضرت مشاهد قدسهم وانهزمت وفود وفتتهم وانعدمت وجوب حجيتهم بعد شهود فترتهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [الآية 40] يميلون عن الاستقامة ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ [الآية 40] بالظعن والتحريف بالنقصان والزيادة وبالتأويل الباطل والإلغاء فيها حال القراءة ﴿لَا يَحْفَظُونَ عَلِيمًا﴾ [الآية 40] فحسابهم إلينا وعذابهم لدينا ﴿أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ﴾ [الآية 40] بوصف الملامة ﴿خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [الآية 40] تهديد شديد ﴿إِنَّهُمْ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 40] وعد ووعد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ [الآية 41] بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الآية 41] بنعت الفرقان والخبر سيأتي قريباً من قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 44] أو محذوف مثل معاندون أو معذبون.

وقال الأستاذ: بقوا عنا ووقعوا في أهوائهم وشقوا إلى الأبد في عنائهم ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْتُبٌ عَزِيزٌ﴾ [الآية 41] كثير النفع عديم النظرير أو بديع منيع.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ﴾ [الآية 42] مما فيه من الأخبار الماضية والآثار الآتية ﴿تَنْزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [الآية 42].

قال ابن عطاء: كيف يكون للباطل عليه سبيل وهو من الحق بدأ وإلى الحق يعود وهو الحق فلا يتحقق به إلا بحق.

وأفاد الأستاذ: أنه كتاب عزيز لا مثل له لأنهم عجزوا عن الإتيان بمثله ويقال: عزيز على المؤمنين لأنه كتاب حبيبهم وهو لا ينقضه كتاب مما يقدمه 129/ب ولا ناسخ مما يأتي/ بعده ويقال: لا يدافع معناه مبناه ولا يخالف مبناه معناه.

﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ [الآية 43] أي ما يقول لك كفار قومك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية 43] إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم فاصبر كصبرهم أو ما يقول الله إلا مثل ما قال لهم فلست بدع مما بينهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ [الآية 43] لأوليائه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 43] لأعدائه والجملة استئناف منقطع عما قبله على الوجه الثاني يحتمل أن يكون المقول لهم بمعنى أن حاصل ما أوحى إليك وإليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والثوبة ووعد الكافرين بالمجازاة والعقوبة.

ومال الأستاذ إلى هذا حيث أفاد أن أصول التوحيد لا تختلف بالشرائع واختلاف الشرائع في الأحكام واحد في أنه يجب موافقة أوامره ومباعدة مزاجره ثم الله سبحانه قال في كل كتاب وشرع لكل أمة أن يعرفوا أنه للمطيعين ثواب عظيم وللكافرين عذاب أليم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ [الآية 44] أي الذكر المذكور ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا﴾ [الآية 44] أي بعض كفار العرب من المعاندين ﴿لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [الآية 44] بينت بلسان تفهمه وتعقل به أمور الدين ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [الآية 44] أي كلام أعجمي ومخاطب عربي والأعجم من لا يفصح الكلام كالأعجمي وقرأ هشام بالأخبار على تقدير همزة الأفكار ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى﴾ [الآية 44] إلى الحق والمعرفة ﴿وَشِفَاءٌ﴾ [الآية 44] لما في الصدور من الشك والشبهة ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 44] مبتدأ خبره ﴿فِي ءَأَذَانِهِمْ وَقُرْءٌ﴾ [الآية 44] هو في أذانهم ثقل وصمم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [الآية 44] وذلك لتصامهم عن سماعهم وتعامهم عما يريهم من الآيات مما يغنيهم ويعينهم ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 44]

هو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح بهم من مسافة بعيدة إلى محصلهم.

قال جعفر الصادق: القرآن شفاء لمن كان في ظل العصمة والرعاية وعمى على من كان في ظلمة الخذلان والغواية.

وأفاد الأستاذ: أن الكتاب موجب شفاء للمؤمنين وسبب شقاء للكافرين فهو شفاء للعلماء حيث استراحوا به عن كدّ الفكرة وتحير توارد الخطرة وشفاء لضيق صدور المريدين لما فيه من التنعم بقراءة مبانيه والتلذذ بالتفكير/ 130/ أ في معانيه وشفاء لقلوب المحبين من لواعج الاشتياق بما فيه من لطف المواعيد وشفاء لقلوب العارفين بما يتوالى عليه من أنوار التحقيق وآثار المواجيد.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ﴾ [الآية 45] بالتصديق والتكذيب
﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 45] وهي العدة بالقيامة وفصل
الخصومة في تلك الساعة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 45] بإفناء الكافرين وإنجاء
المؤمنين ﴿وَإِنْ هُمْ﴾ [الآية 45] أي الذين لا يؤمنون ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ [الآية 45] من
التوراة أو القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 45] موجب للاضطراب في البرهان.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [الآية 46] نفعه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [الآية 46]
ضره ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ﴾ [الآية 46] بذى ظلم ﴿لَلْعَبِيدِ﴾ [الآية 46] فيفعل بهم ما
ليس له أن يفعله.

﴿إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الآية 47] أي إذا سئل عنها أي لا يعلمها إلا هو
﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ [الآية 47] من أوعيتها وقرأ نافع وابن عامر
وحفص من ثمرات لاختلاف أنواعها وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق
﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ﴾ [الآية 47] بمكان أو زمان ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [الآية 47]
إلا مقروناً بعلمه واقعاً بحسب تعلقه به ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ [الآية 47]
بزعمكم حتى يخلصوكم ﴿قَالُوا ءَاذَنْتَكَ﴾ [الآية 47] أخبرناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾
[الآية 47] من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا عنهم ولعل تكرير السؤال عنهم
للتوبيخ بلسان القول أو ببيان الحال.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية 48] غاب أو ضاع منهم ﴿مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ [الآية 48] يعيدون ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 48] حيث لا ينفعهم ﴿وَطَنُوا﴾ [الآية 48] أيقنوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ [الآية 48] مهرب مما نزل بهم.

﴿لَا يَسْعَمُ الْإِنْسَانُ﴾ [الآية 49] لا يمل ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [الآية 49] من طلب السعة في النعمة ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ [الآية 49] أذى المضرة أو أذى المحنة ﴿فَيَتَوَسَّسُ فِتْنَاتٍ﴾ [الآية 49] من الفضل والرحمة والجمع بين الوصفين لزيادة المبالغة.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يمل من إرادة المنفعة وإن مسه المضرة فلا يرجو زوال المشقة لعدم علمه بربه وانسداد الطريق على قلبه في الرجوع إليه والاعتماد عليه.

﴿وَلَكِنْ أَدَقَّتْهُ رَحْمَةٌ مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ﴾ [الآية 50] بتفريجها عنه وإزالتها منه ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [الآية 50] حقي استحقه لما لي من الفضل والمال أو دائماً لا يزول في حال من الأحوال ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الآية 50] أي القيامة تقوم ﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 50] / على فرض الكلام ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 50] للحالة الحسنى من الكرامة والأنعام وذلك لاعتقاده الفاسد وظنه الكاسد ما أصابه من النعم الدنيوية فلاستحقاق لا ينفك عنه بالكلية ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ [الآية 50] فلنجزينهم بحقيقة أعمالهم ولنصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها من آمالهم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [الآية 50] بحسب أحوالهم.

ب/130

وقال الأستاذ: لئن كشفنا عنه البلاء وأثبتنا له الرخاء لا دعاه استحقاقاً أو إنفاقاً ولا يعتقد ذلك منا فضلاً وإنعاماً ويقول لو كان لي حشر ونشر لكان لي من الله لطف وخير وليعلمن الأمر بخلافه إذا أذقناه ما يستوجه من عذابه.

﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ آعْرَضَ﴾ [الآية 51] عن ذكرنا وانصرف عن القيام بشكرنا.

قال الواسطي: أعرض عن المنعم بالنعمة ﴿وَنَنَّا﴾ [الآية 51] وقرأ ابن

ذكوان نأى ﴿بِمَا نَبِيَّهُ﴾ [الآية 51] ذهب بنفسه وتباعد عن مقام أنسه تكبراً وتجبراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاةٍ عَرِيضٍ﴾ [الآية 51] كثير العرض والطول في طلب الخير.

وأفاد الأستاذ: إنه لا يميز بين البلاء والعطاء فكثير مما يتوهمه أنه عطاء وهو مكر واستدراج فيستديمه وكثير مما هو فضل وصرف عطاء ويظنه بلاء فعيافه ويكرهه ويقال: إذا أنعمت عليه صاحبه بالبطر وإذا أبليناه قابله بالضجر ويقال: إذا أنعمنا عليه أعجب بنفسه فتكبر مختالاً في زهوه لا يشكر ربه ولا يذكر فضله وتباعد عن بساط طاعته وكالمستغني عنا يهيم على وجهه وإذا مسه الشر فذوا دعاء كثير وتضرع عريض وابتهاج شديد واستكثار بدوام زمن مدين ثم إذا كشفنا ذلك عنه فله إلى عتوه ونبوه عود وعادة وإلى أسوأ طريقته في الجحود أعاده.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ [الآية 52] القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 52] أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم.

﴿سَتُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ [الآية 53] يعني ما ذكر لهم النبي عليه السلام من أخبار الحوادث الآتية وأثار النوازل الماضية وما يسر الله لخلفاءه من الفتوح وظهور السعادة على ممالك الشرق والغرب بطريق خرق العادة ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية 53] أي ما ظهر فيما بين أهل مكة وغيرهم / وما حل بهم من نزول شرهم وحلول خيرهم والمراد بالآفاق ظواهر الإنسان وأشباحهم وأنوارهم وبأنفسهم وبواطنهم ورواحهم وأسرارهم وما أبرز فيها من عجائب النعمة وأودع فيها من غرائب المنة الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته ﴿حَقَّقَ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [الآية 53] الضمير للقرآن أو الرسول أو التوحيد أو الله وهو الأحق ولا مانع من الجمع ﴿أَوْلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ [الآية 53] الباء مزيدة على الفاعل للمبالغة ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 53] بدل منه والمعنى أو لم يحصل الكفاية بأنه مطلع على كل شيء فيعلم حالك وحالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الآيات في الآفاق اختلاف أحكام الأعيان مع اتفاق جواهرها في التجانس وهذه هي آيات حدوث العالم واقتضاء المحدث بصفاته وفي أنفسهم من أمارات الحدوث واختلاف الأوصاف ويقال في الآفاق للعلماء وفي أنفسهم لأهل المعرفة مما يجدونه من العقاب إذا ألموا بمعصية ومن الثواب إذا أخلصوا في طاعة وكذلك ما يحصل لهم من اختلاف الأحوال كالقبض والبسط والفرق والجمع والحجب والجذب وما يجدونه بالضرورة في معاملاتهم ومنازلاتهم.

﴿أَلَّا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ [الآية 54] شك وشبهة ﴿مِن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 54] بالبعث والمجازات وفق المحاسبة ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [الآية 54] عالم أكمل الأشياء وتفصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها.

سورة الشورى

[مكية]

وهي ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: سلوة العاصين سماع رحمة الله وخطوة العابدين في رجائهم نعمة الله وراحة الفقراء في رضائهم بقسمة الله لكل من حاله نصيب وفي كل في نفسه مصيب.

﴿حَمَّ﴾ ﴿عَسَقَ﴾ ﴿[الآيتان 1، 2] لعلهما اسم واحد ولمطابقة السابقة واللاحقة فصل بينهما وقد سبق ما تعلق بهما وهنا زيادة العين للإيماء إلى بعض الأسماء كالعليم والسين إلى نحو السلام والقاف إلى نحو القاهر القادر.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية 3] أي مثل إيماء هذه الصورة أو مثل إيحاء هذه السورة ﴿يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية 3] وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على أنه مسند إلى إليك والله مرتفع بالابتداء والعزيم وما بعده أخبار.

وقال ابن طاهر: الحاء من الحليم والميم من الملك والعين من العليم والسين من السيد/ والقاف من القادر.

ب/131

وأفاد الأستاذ: أن الحاء مفتاح اسمه حليم وحافظ وحكيم والميم مفتاح اسم ملك وماجد ومجيد ومنان ومؤمن ومهيمن والعين مفتاح اسمه عالم وعدل وعال والسين مفتاح اسمه سيد وسريع الحساب والقاف مفتاح اسمه قادر وقاهر وقريب وقدير وقدس، أقسم الله بهذه الأسماء أو بهذه الحروف الدالة عليها بالإيماء أنه ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿[الآية 3].

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿[الآية 4] استئناف مقرر لكمال عزته وجمال حكمته.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ ﴿[الآية 5] قرأ نافع والكسائي بالتذكير ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ ﴿[الآية 5] يتشقق من عظمة الله وهيبته وقرأ أبو بكر وأبو عمرو ينفطرن بالنون ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ ﴿[الآية 5] أي مبدأ الانفطار من جهة كل واحدة منهن إلى أسفلهن أو الضمير للأرض باعتبار الجنس أي من فوق أهلهن لإهلاكهم بسبب إشراكهم وأغرب الأستاذ هنا حيث قال: تكاد السماوات يتشققن من عظمة من فوقهن والله يريد فوقية الرتبة ويقال: من ثقل الملائكة وكثرتهن فوقهن ﴿وَالْمَلَائِكَةُ سَاجِدُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿[الآية 5] بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الإلهام والشفاعة، وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة وذلك يعم المؤمن والكافر في الجملة ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ ﴿[الآية 5] لذو مغفرة للناس على ظلمهم من كمال حلمه ﴿الرَّحِيمُ﴾ ﴿[الآية 5] فما من مخلوق إلا وهو ذو حظ من رحمته كما سبق في علمه وفي الجملة المنبهة تنبيهه في الجملة على أن الله مع عظمته إذا كان غفوراً ورحيماً لجميع عباده فينبغي أن يكون كل من خواص خلقه متخلقاً بأخلاق ربه.

وقال الأستاذ: يغفر لهم مع كثرة عصيانهم ومع عظم جرمهم لا يقطع عنهم رزقهم وإن كان يريد في الآخرة أن يعذبهم.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ ﴿[الآية 6] أنداداً وشركاء ﴿اللَّهُ حَفِظُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿[الآية 6] رقيب على أعمالهم وحسيب بأحوالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿[الآية 6] بموكل لديهم أو بموكل إليك أمرهم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية من الإشارة أن من عمل بمتابعة هواه وترك لله حداً أو نقض له عهداً فهو متخذ الشياطين أولياء والله يعلمه ولا يخفى عليه أمره وعلى الله حسابه وإليه إيباه فإن شاء عذبه/ وإن شاء غفر له.

أ/132

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ ﴿[الآية 7] أي مكة والمراد

أهلها ﴿وَمَنْ حَوَّلَهَا﴾ [الآية 7] من العرب والعجم لأنها سرتها وعمدتها وفيها قبلتها ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ [الآية 7] يوم القيامة يجمع فيه الأرواح والأشباح أو العمال والأعمال ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 7] لا شك في كون ذلك اليوم أو الجمع والجملة معترضة ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الآية 7] والمعنى يجمعون في موقف الحساب ثم يفرقون إلى داري الثواب والعقاب والتقدير فريق منهم والضمير للمجموعين فيه لدلالة الجمع عليه.

وقال الأستاذ: كما أنهم اليوم فريقان فريق في راحات الطاعات وحلاوة العبادات وفريق في ظلمات الشرك والجحود وعقوبات العناد والكنود فذلك غداً أقرهم أهل اللقاء والبقاء وفريق أهل الشقاء والبلاء.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 8] موحدين أو ملحدين ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الآية 8] بالهداية والحمل على الطاعة ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ [الآية 8] بالكفر والمعصية ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [الآية 8] ينفعهم بالشفاعة ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية 8] يدفع عنهم العقوبة بالمقاومة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إن أراد أن يجمعهم كلهم على الرشاد والسداد لم يكن مانع وإذ لا زين لهم ولو شاء أن يجمعهم كلهم على العناد والفساد لم يكن دافع وإذا لا شين منهم وحيث خلقهم مختلفين على ما أراد فلا مبالاة بهم إنما هو إله واحد جبار غير مأمور ولا مجبور ولا يحكم أحد عن فعل مزجور.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ [الآية 9] بل اتخذ بعض الأنام ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية 9] كالأصنام ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الآية 9] بالحق وغيره الباطل المطلق ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [الآية 9] وغيره في المبنى جماد أو كالجماد في المعنى ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 9] وغيره غير قادر على نقير وقطير.

قال الواسطي: يحيي القلوب بالتجلي ويميت النفوس بالاستتار.

وأفاد الأستاذ: أنهم توهموا أن شيئاً من الحدثن بأحد فالله هو متولي جميع الأمور من الخير والشر والنفع والضرر وهو الذي يحيي النفوس

والقلوب اليوم ويميت النفوس والقلوب اليوم وغداً وهو على كل شيء قدير
أزلاً وأبداً.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ﴾ [الآية 10] أنتم والكفار ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 10] من أمور
الدنيا أو الدنيا ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 10] مفوض إليه يميز الحق من المبطل
بالنصرة والمعونة أو بالإثابة والمعاقبة وقيل ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ﴾ [الآية 10] من تأويل
ب/132 متشابهة فارجعوا فيه إلى محكم من كتابه ﴿ذَلِكُمْ﴾ [الآية 10] الحاكم ﴿اللَّهُ/ رَبِّي
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [الآية 10] في مجامع المهمات ﴿وَالَيْهِ أُتِيبُ﴾ [الآية 10] ارجع في
المشكلات.

وأفاد الأستاذ: في قوله فحكمه إلى الله أي إلى كتابه وسنة نبيه وإجماع
الأمة وشواهد القياس والعبرة وهذه الأشياء هي قانون الشريعة والكتاب يدل
على صحة هذه الجملة ويقال: إذا لم تهتدوا إلى شيء وتعارضت منكم
الخواطر فدعوا تدبيركم إلى تدبيره والتجئوا إلى ظل شهود تقديره وانتظروا ما
الذي ينبغي لكم أن تفعلوه بحكم تيسيره ويقال: إذا اشتغل قلوبكم بحديث
أنفسكم لا تدرون بالسعادة جرى حكمكم أم بالشقاوة مضى اسمكم فكلوا
الأمر فيه إلى الله واشتغلوا في الوقت بأمر الله دون التفكير فيما ليس لكم
سبيل إلى علمه من عواقبكم.

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 11] أي هو مبديهما ومبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية 11] من جنسكم ﴿أَزْوَاجًا﴾ [الآية 11] نساء ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ
أَزْوَاجًا﴾ [الآية 11] ذكوراً وإناثاً ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ [الآية 11] أي يكثركم بسبب هذا
التدبير في التقدير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الآية 11] أي كذاته أو صفاته لأنه فاطر
السموات والأرض وخالق ما فيهما من الطول والعرض ولا مثل يضارعه ولا
شكل يشاكله ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عني أنه يعطي معنى ليس غير أنه
أكد كما في قولهم مثلك لا يبخل على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي
عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الآية 11]
لجميع المسموعات والمبصرات ولعل صدر الآية مشير إلى توحيد جلال الفعل

في المصنوعات وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الآية 11] إلى جمال الذات وما بعده إلى كمال الصفات.

قال الواسطي: ليس كذاته الحسنى ذات ولا كاسمه من جهة المعنى اسم ولا كصفته صفة من جميع الوجوه إلا من جهة موافقة اللفظ، وكما لم يجز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة كذلك يستحيل أن يظهر من الذات الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ صفة حديثة وأن التكرار من حدوث الصفة جل ربنا وتعالى أن تحدث له اسم أو صفة إذ لم يزل تجميع صفاته واحداً ولا يزال كذلك أبداً.

وقال الشبلي: كل ما ميزتموه بأوهامكم وأدرتتموه بعقولكم في أتم مقامكم فهو مصروف إليكم ومردود عليكم ومحدث مصنوع مثلكم وحقيقته أعلى من أن / تدركه عبارة أن تلحقه إشارة أو يحيط به وهم كلا، كيف يكون 133/أ به علم وقد اتفق أصداد في وصفه بقوله: هو الأول والآخِر والظاهر والباطن أي عبارة تخبر عن حقيقة هذه العبارة كلا قصرت عنه الإشارات وخرست الألسن بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الآية 11] ويقال: معناه ليس له مثل إذ لو كان له مثل لكان لمثله شيء وهو مثله والحق لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أحكام بيناته فقوم وقعوا في تشبيه ذاته بذات المخلوقين فوصفوه بالحد والنهاية والكون في المكان وأقبح قولاً منهم من وصفه بالجوارح والآلات والأركان وقوم وصفوه بما هو تشبيه في الصفات فظنوا أن بصره في حدقة وسمعه في عضو وقدرته في يد إلى غير ذلك وقوم قاسوا حكمه على حكم عباده فقالوا ما يكون من الخلق قبيحاً فمنه قبيح وما يكون من الخلق حسناً فمنه حسن فهؤلاء كلهم أصحاب التشبيه والحق سبحانه مستحق التنزيه محقق بالتحصيل دون التعطيل والتمثيل مستحق التوحيد دون التحديد.

﴿لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 12] خزائنها أو مفاتيح أرزاق أهلها
﴿يَبْسُطُ﴾ [الآية 12] يوسع ﴿الرِّزْقِ﴾ [الآية 12] الضروري والمعنوي ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾
[الآية 12] ما يشاء من كمية وكيفية ﴿وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 12] ويضيق على من يشاء بما

يشاء على وفق مشيئته ومقتضى حكمته ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 12] فيفعل ما ينبغي له فعله.

وأفاد الأستاذ: أن المقاليد مفاتيح الخزائن وخزائنه مقدوراته ومن خزائنه القلوب والموجودات معادن الأشياء في المعادن جواهر مختلفة كذلك القلوب معادن أحوال من تلفه فكما أن بعض المعادن للذهب وبعضها للفضة إلى غير ذلك كذلك بعض القلوب معادن المعرفة وبعضها معادن لمعرفة الإرادة وبعضها معادن المحبة وبعضها للشوق وبعضها للأنس وغير ذلك من الأحوال كالتوحيد والتقرير والهيبة والرضا وأمثالها وفائدة تفريق أن المقاليد له قطع أفكار العبد من الخلق إليه في طلب ما يريده ويقبل عليه فإنه يوسع ويضيق رزق النفوس والقلوب كما قدر لديه.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

ب/133 إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الآية 13] أي أظهر وبين لكم من الدين/ دين أول الرسل وخاتم النبيين ومن بينهما من بقية أولي العزم في مقام اليقين بالأصل المشترك في ما بين الأنبياء منهم ومن غيرهم المفسر بقوله ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ [الآية 13] وهو الإيمان بما يجب تصديقه والطاعة في أحكامه من امتثال أوامره واجتناب زواجره وهي الحالة الكاملة الشاملة المعبر عنها بالتقوى كما تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: الآية 131] أي ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ [الحجرات: الآية 13] أي أعلمكم وأخشاكم ﴿وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ﴾ [الآية 13] أي لا تختلفوا في هذه الأصل وأما فروع الشرائع فمختلفة كما قال: لكل جعلنا منكم شرعة.

وفي «تفسير السلمي» قال سهل: أول من حرم الأمهات والبنات والأخوات نوح عليه السلام انتهى وما أظن صحة هذا الكلام لأن آدم عليه السلام أول من حرم بدليل قضية قابيل وهابيل وأما كون الأمهات والبنات حرم بعد تحليلهن فما ورد شيء في حقهن.

وأغرب الأستاذ حيث أفاد أن القصة أن تحريم البنات والأخوات إنما

شرع في زمن نوح عليه السلام ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 13] عظم عليهم ﴿مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الآية 13] من التوحيد والتفريد ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 13] أي يختار لما يدعوهم أو للدين أو لله ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ [الآية 13] بالإرشاد والتوفيق ﴿مَنْ يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يقبل إليه ويعتمد عليه في التحقيق ولعل الاجتباء للمراد من المجذوبين بوصف الطيران كما يشير إليه المشيئة المجردة والهداية للمريد من السالكين بنعت النيران كما يومئ إليه قاعدة الإنابة وهي الرجعة من الغفلة إلى الحضرة أخص من التوبة التي هي الرجعة من المعصية إلى الطاعة.

﴿وَمَا نَفَرُوا﴾ [الآية 14] أي الأمم السالفة ﴿إِلَّا مِنْ بَدٍ مَا جَاءَهُمْ أَلِيمٌ﴾ [الآية 14] بأن التفرق ضلال وطغيان وأصروا على باطلهم بعد وضوح البيان وظهور البرهان ﴿بِفِيءٍ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 14] طلباً للدنيا على وجه العدوان ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 14] أي حكم بتأخير العقوبة ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [الآية 14] وهو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقدرة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 14] بالعقوبة العاجلة ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي سَكِّ مِنْهُ﴾ [الآية 14] من كتابهم لا يعلمونه كما هو حقه/ أو لا يؤمنون به حق إيمانه وهو 134/أ ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 14] معلق في الريبة أو مدخل في الشبهة.

﴿فَلَذَلِكَ﴾ [الآية 15] فلأجل ذلك التفرق في القضية ﴿فَأَذُغُ﴾ [الآية 15] إلى الاتفاق على الملة الحنيفية ﴿وَأَسْتَقِمُّ﴾ [الآية 15] على ما يتعلق بالدعوة ﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾ [الآية 15] بالإقامة والقيام بالطاعة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية 15] الباطلة قيل: حقيقة الاستقامة لا يطبقها إلا الأنبياء وأكابر الأولياء لأنه الخروج من المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الحق على قدم الصدق ولذا قال عليه السلام استقيموا ولا تحصوا أي ولن تطبقوا الاستقامة التي أمرتم به.

وقال الأستاذ: أي إلى هذا القرآن ادع الخلق واستقم في الدعوة والطاعة أمراً لكل بالاستقامة وأفرده بذكر إلزام الاستقامة ويقال: السين في الاستقامة سين السؤال والرغبة أي سل مني أن أقيمك ﴿وَقَوْلَ ءَأَمَنْتَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الآية 15] يعني جميع الكتب المنزلة ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾

[الآية 15] في تبليغ الشرائع وفصول الحكومة والأول إشارة إلى كمال القوة العلمية وهذا إشارة إلى كمال القدرة العملية ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [الآية 15] خالق الكل ومربيه ومتولي أمره فيما يعنيه ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [الآية 15] فكل مجزي بحسب أحوالنا وأحوالكم ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 15] أي لا حجاج بمعنى لا خصومة أو الحق قد ظهر للعباد فلم يبق للخلاف مبدأ سوى العناد ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ [الآية 15] يوم القيامة ﴿وَالِيَهُ الْمَصِيرُ﴾ [الآية 15] مرجع الكل لفصل القضاء بالمشوبة والعقوبة.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ [الآية 16] يجادلون في دينه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ [الآية 16] من بعده ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والمعنى أن من جادل بالباطل والعدوان بعد وضوح الحق بالبرهان ﴿مُجْهِمٌ دَاحِضَةٌ﴾ [الآية 16] زائلة باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ [الآية 16] بمعاندتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 16] بمخالفتهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ [الآية 17] جنسه ﴿بِالْحَقِّ﴾ [الآية 17] متلبساً به ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ [الآية 17] أي العدل بأن أنزل الأمر به أو آله الوزن وإيجادها بأن أوحى إلى الخلق إعدادها ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الآية 17] إتيانها فاتح ب/134 الكتاب وواظب على العدل في الحساب قبل أن يناجيك / الذي يوزن فيه أعمالك ويوفي جزاء أحوالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يزرهم عن طول الأمل وينبههم على انتظار الأجل.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الآية 18] استهزاء لها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُسْنِفُونَ مِنْهَا﴾ [الآية 18] خائفون من وقوعها مع الاعتناء بها لتوقع الثواب فيها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الآية 18] الثابت الكائن وقوعها ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ [الآية 18] يجادلون في ثبوتها ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 18] عن حقيقة الحق وتصورها فإن البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء إلى غيره.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الآية 19] يربهم بصنوف من البر التي لا تبلغها الأفهام ولا تدركها الأوهام ﴿يُرِزُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 19] وفق مشيئته فيخص كلاً من عباده بنوع من البر على مقتضى حكمته ﴿وَهُوَ أَلْفَوْهُ﴾ [الآية 19] الباهر القدرة ﴿الْمَزِينُ﴾ [الآية 19] البديع المنيع في الغلبة والعزة.

قال ابن عطاء: يعلم من أنفسهم ما لا يعلمونه من نفوسهم.

قال جنيد: اللطيف الذي لطف بأوليائه حتى عرفوه بصفاته وأسمائه.

وقال علي بن عبدالرحيم: اللطيف من يلطف بهم من الجهات الخفية.

وأفاد الأستاذ: أن اللطيف هو العالم بدقائق الأمور وغوامضها واللطيف هو الملطف المحسن واللطف بالبعد في الحقيقة قدرة الطاعة وقوة العبادة ويقال: خاطب العابدين بقوله: ﴿لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الآية 19] أي يعلم غوامض أحوالهم من دقائق الرياء والتصنع في أعمالهم لئلا يعجبوا بأفعالهم وخاطب القضاة بقوله: ﴿لَطِيفٌ﴾ لئلا يياسوا من إحسانه في مالهم ويقال: سماع قوله الله يوجب الهيبة وسماع اللطيف يوجب الطمأنينة فسماع قوله الله أوجب لهم تهويلاً وسماع قوله اللطيف أوجب لهم تأميراً ويقال: من لطفه أنه أعطاك فوق الكفاية وكلفك دون الطاقة ويقال: من لطفه بالعبد إبهام عاقبته عليه لأنه لو علم سعادته لاتكل عليه وثقل عمله ومن لطفه بالعبد خفاء أجله عليه لئلا يستوحش إن كان قدرنا أجله ويقال: من لطفه بالعبد في الآخرة أنه ينسيهم / ما 135/أ عملوه في الدنيا من الزلة لئلا يتغص عليهم العيش في الجنة.

﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ [الآية 20] ثوابها شبهه بالزرع من حيث أنه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذا قيل: الدنيا مزرعة الآخرة ﴿نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ﴾ [الآية 20] فيعطيه بالواحد عشر إلى سبعمئة فما فوقها أو نزل له في حرقه الأخرى مع نفعه الدنيوي بأن يجمع له بين خيري الدنيا والأخرى ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [الآية 20] شيئاً منها على ما قسمنا له فيها ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الآية 20] حظ به يصيب إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة وقيل: من عمل لله محبة ورضاء ولم يطلب

ثواباً وجزاءً صغر عنده كل شيء دون الله فلا يطلب حرث الدنيا ولا حرث الآخرة بل يطلب المولى في الدنيا والآخرة.

وقال الأستاذ: نزد له في حرثه أي تزيده اليوم في الطاعات توفيقاً وصفاء الحالات تحقيقاً ونزيده في الآخرة ثواباً واقتراباً وفنون نجاة وصنوف درجات ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ مكثفياً به ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ ما يريد وليس ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الآية 20].

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ [الآية 21] بل ألهم شياطين ﴿شَرَعُوا لَهُمْ﴾ [الآية 21] بطريق التزيين ﴿مِنَ الَّذِينَ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الآية 21] كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ [الآية 21] أي القضاء السابق بتأخير العقوبة إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 21] بين الكافرين والمؤمنين من غير المهلة ﴿وَأَنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 21] لا يتخلف عنهم والمعنى أنه يمهلهم لكن لا يمهلهم.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 22] في القيامة ﴿مُسْفِينِينَ﴾ [الآية 22] خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ [الآية 22] من الشرك والمعصية ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الآية 22] أي وباله نازل عليهم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ [الآية 22] في أطيب بقاعها وأنزهها ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 22] أي ما يشتهونه ثابت عند ربهم لأجلهم ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الآية 22] الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا من النعم الكثير.

وقال الأستاذ: لهم في الدنيا جنات الوصلة ولذاذة⁽¹⁾ الطاعة والعبادة وطيب الأنفس في أوقات الخلوة وفي الآخرة روضات الجنة لهم ما يشاؤون عند ربهم إن أرادوا دوام اللطف دام لهم وإن أرادوا تمام الكشف كان لهم.

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 23] التبشير بروضات الجنات ﴿الَّذِي يَبْشِرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ

ب/135 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 23].

(1) في المخطوطة: ولذا ذات، وهو تصحيف.

وقال الأستاذ: أي الذي معنى ذكره في القرآن مغرقاً من أوصاف الجنة وما أعد الله لأهلها من المثوبة هو الذي يبشر الله عباده ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 23] على ما أتعاطاه من التبليغ والبشارة ﴿أَجْرًا﴾ [الآية 23] نفعاً منكم ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الآية 23] أي المحبة للتقرب إلى رضا المولى كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله.

قال سهل: أن تقربوا إلي باتباع سنتي.

وقال ابن عطاء: لا أسألكم على دعواكم أجراً إلا أن تتودوا إلي بتوحيده وتتقربوا إليه بدوام طاعته والتزام عبادته وقيل: الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم المودة في حق القرابة ومن أجلها، إذ روي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء؟ قال: علي وفاطمة وإناهما ﴿وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً﴾ [الآية 23] يكتسب طاعة سيما محبة أهل بيت النبوة ﴿زِدْ لَهُ فِيهَا﴾ [الآية 23] في تلك الحسنه ﴿حُسْنًا﴾ [الآية 23] بمضاعفة المثوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 23] للمذنبين ﴿شَكُورٌ﴾ [الآية 23] للمطيعين بالأجر الجزيل على العمل القليل.

وأفاد الأستاذ: أن من بشر بالخير أحداً طلب عليه أجراً فالله بشر المؤمنين على لسانه بالكرامات الأبدية والسعادات السرمدية ثم قال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الآية 23] لأن الله ليس يطلب منكم عليه عوضاً فأنا أيضاً لا أسألكم عليه أجراً فإن المؤمن أخذ من الله خلقاً حسناً والمودة في القربى هو أن يود من يتقرب إلى الله بطاعته والزيادة في الحسنه زيادة توفيق الطاعة ويقال: إذا آتينا توفيق المجاهدة نزيده بفضلنا تحقيق المشاهدة ويقال: من يقترف حسنة من الوظائف نزل له حسناً في اللطائف ويقال: تلك الزيادة على العبادة ما لم يدركه أحد من أهل السعادة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ [الآية 24] بل أتقولون ﴿أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 24] بدعوى النبوة ونزول القرآن ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الآية 24] أن يمسك القرآن والوحي عن صدرك أو يربط عليه بالصبر على بلواهم فلا يشق عليك أذاهم

﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الآية 24] استئناف لنفي الافتراء عما يقوله فإنه لو كان مفترياً لمحقه الحق سبحانه إذ من عادته تعالى محو الباطل وإثبات الحق موجهه أو بقضائه وسقوط الواو رسماً من يمح لا تباع اللفظ كما في قوله ويدع الإنسان ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ إِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية 24] / أي بالخواطر التي ترد عليها من الأمور.

1/136 أ

قال سهل: يختم على قلبك ختم الشوق والمحبة فلا تلتفت إلى الخلق ودعاءهم ولا تشتغل بإيمانهم وإيابهم.

قال الواسطي: فإن يشاء الله يختم على قلبك بما يشاء ويمحو الله الباطل بنفسه ونعته حتى يعلم أنه لا حاجة له إلى أحد من خلقه ثم يحق الحق في قلوب أنشأها للحقيقة وأبداها في الشريعة والطريقة.

وقال الأستاذ: إنك إن افتريته ختم الله على قلبك ولكنك لم تكذب على ربك ومعنى الآية: إن الله سبحانه يتصرف في عباده بما يشاء من إبعاد قريب وإدناء بعيد.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية 25] بالتجاوز عما تابوا عنه وأركان التوبة الندامة بالقلب من حيث أن الغفلة معصية الرب والامتناع بالفعل عنها والعزم على أن لا يعود إليها وقضاء ما يمكنه من حقوق الله وأداء ما يتصور له من حقوق العباد وكمالها ما أشار إليه علي كرم الله وجهه بقوله: هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته أي في حال الغفلة ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 25] صغائرها وكبائرها لمن يشاء ﴿وَيَعْلَمُ مَا نَفَعُونَ﴾ [الآية 25] فيجازي المطيعين على التوبة وغيرها ويتجاوز عن معصية المذنبين إن تعلق المشيئة بها وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالخطاب وكل منهما تغليب في هذا الباب فإن فيه وعد⁽¹⁾ ووعد لأولي الألباب.

(1) في المخطوطة: وهو، ولعله تصحيف.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 26] أي يجيب الله لهم فحذف اللام كما في وإذا كالوهم والمراد إجابة الدعوة والإثابة على الطاعة وتقدم أن الاستجابة أخص من الإجابة ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ [الآية 26] على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا به بالاستجابة ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 26] بدل للمؤمنين من ثواب عديد.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الزيادة بقول المفسرين من أهل السنة: الرؤية والمعنى أن الطاعات في مقابلتها الدرجات فيكون بمقدارها في النقصان والزيادات وأما الرؤية فسيبيلها الفضل / والفضل ليس فيه تمييز انتهى وكأنه أراد أن لا تمييز في أصل تعلق الفضل وإلا فلا شك في تفاوت مراتبه بالنسبة إلى اختلاف ومقامات مناقبه.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ [الآية 27] لو وسعه عليهم جميعهم أو أكثر مما هم عليه من وسعهم ﴿لَبَفَّغُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 27] لتكبروا وأفسدوا فيها بطراً وأشراً أو لبغي بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا بحسب حكم الغالب في القضية وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد في ما يتحرى كمية أو كيفية ﴿وَلَكِن يُّنَزِّلُ﴾ [الآية 27] رزق كل أحد ﴿بِقَدَرٍ﴾ [الآية 27] بتقدير أو بمقدار ﴿مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 27] ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الآية 27] يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم في مآلهم وقد صح عن علي كرم الله وجهه إن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت فالمراد بعباده خواص عباده ويلائمه ما أفاده الأستاذ: أن هذا الخطاب في الظاهر لم يشبه الاعتذار في خطاب الآدميين أي إنما لم أبسط أيها الفقير عليك الدنيا لما كان لي من المعلوم أنني لو وسعت عليك لطغوت على العباد وسعيت في الأرض بالفساد ويقال: قوله ولولا كلمة استدراك يقول: إن لم أوسع عليك الرزق بمقدار ما تريد لم أمنع عليك الكل بل أنزل عليك بقدر ما أشاء لكي يحيي قلوبهم وتنشرح صدورهم وتتسهل أمورهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [الآية 28] المطر الذي يغيثهم من الجذب وينفعهم

من جهة الخصب ﴿مِنْ بَدِّ مَا قَنَطُوا﴾ [الآية 28] أيسوا منه وقطعوا الطمع عنه ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الآية 28] في كل شيء من سهل وجبل ونبات وحيوان ﴿وَهُوَ أَلْوَنُ﴾ [الآية 28] الذي يتولى أمر عباده بإحسانه وفق مراده ﴿الْحَمِيدُ﴾ [الآية 28] المستحق للحمد على جميع أفعاله من منعه وعطائه.

قال ابن عطاء: إن الله يربي عباده بين طمع ويأس فإذا طمعوا فيه آيسهم بصفاته أي الجلالية وإذا أيسوا أطعمهم بصفاته أي الجمالية فإذا غلب على العبد القنوط وأشفق منه أتاه الله الفرج بعده ألا ترى يقول: وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا معناه ينزل غيث رحمته على قلوب أوليائه فينبت فيه التوبة والإنابة والرعاية والمراقبة.

وأفاد الأستاذ: أن/ العبد إذا ذبل غصن وقته وتكدر صفو وده وكسف شمس أنسه وبعد عن ساحة الحضرة وبساط القرب عهده فربما ينظر إليه الحق بعين عنايته فينزل على سره أمطار رحمته فيعود عوده طرياً وينبت من مشاهد أنسه ورداً جنياً.

أ/137

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ [الآية 29] أي عجائب مصنوعاته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 29] أي في أنفسهما فإنهما بذاتهما وصفاتهما يدلان على وجود صانع حكيم في إبداءهما وإبداعهما ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ [الآية 29] أي وخلق ما فرق ونشر عليهما ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ [الآية 29] يدب ويتحرك فيهما من الملائكة وحملة العرش وسكان الفرش ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ﴾ [الآية 29] في أي وقت شاء اجتماعهم ﴿فَدِيرٌ﴾ [الآية 29] متمكن منه لا يتخلف عنه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل في كل شيء من مخلوقاته وصنائع أفعاله دلالة على توحده في جلاله وتفردته بنعوت كبريائه وجماله والإشارة في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ فَدِيرٌ﴾ [الآية 29] أن الحق سبحانه يغار على أوليائه أن يسكن بعضهم بقلبه إلى بعض منهم فأبداً يبدد شملهم ولا يكاد يتفق الجماعة من أهل القلوب في موضع إلا ندره وذلك أيضاً مدة يسيرة ثم في بعض الأحيان وقد تفضل عليهم بأن يدنوا بهم الديار ويحصل بينهم في الظاهر

الاجتماع والتقاء الآثار وذلك وقت نظر الحق سبحانه بفضلله إلى العالم فإن في بركات اجتماعهم حياة العالم وهذا وإن كان نادراً فهو على جمعهم إذا يشاء قدير .

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ﴾ [الآية 30] بدنية أو مالية ﴿فِيَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية 30] فسبب كسب المعصية والمخالفة الدينية والفاء لأن ما شرطية ولم يقرأ بها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ﴿وَيَعْرِفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الآية 30] من الذنوب فلا يجازي بها ولا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم من المطيعين فلأسباب آخر منها رفع درجاتهم في عليين وقد ورد ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر .

وعن ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وإن ما عفي عنه أكثر في باب حسابه كان قليل النظر عن إحسان ربه .

وقال بعضهم: العبد ملازم للجنايات في جميع الأوقات / وجناياته في 137/ ب طاعته أكثر من جناياته في معصيته لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عباده من جناياته بأنواع، من مصيباته ليخفف عنه أثقاله يوم القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة من خطواته .

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مرفوعاً: من عفي عنه في الدنيا عفا الله عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم يثن عليه عقوبته في الآخرة⁽¹⁾ .

وروي أن هذه الآية من القرآن أرجى آية لأهل الإيمان .

وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا تحقق بهذه الآية فإذا أصابه شظية أو حالة مما يسوء وعلم أن ذلك جزاء له وعتاباً على ما بدر منه من سوء أدبه مع ربه

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 241) رقم (1152) .

فاستحيا بخجلته من فعله الموجب لمصيبته يشغله عن رؤية ذلك من الناس وفعلهم حتى ينتقم منهم أو يكافئهم أو يدعو عليهم ويقال: إذا كثرت الأسباب من البلايا على عبد وتوالت عليه فليتفكر في أفعاله المذمومة كما يحصل منه حتى يبلغ جزاء ما يفعله من العفو الكثير هذا المبلغ فعند ذلك يزداد أسفه وأحزانه لعلمه بكثرة ذنوبه وعصيانه.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 31] فايتمين ما قضى عليكم من المكاسب والمصائب فيها ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 31] من غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ [الآية 31] يحرسكم عنها ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية 31] يدفعها عنكم أو يرفعها.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ [الآية 32] علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته ﴿الْجَوَارِ﴾ [الآية 32] السفن الجارية ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَانِ﴾ [الآية 32] كالجبال الراسية.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ [الآية 33] وقرأ نافع الرياح ﴿فَيُظِلِّلَنَّ رَوَاكِدَ عَلَنَ ظَهْرِهِ﴾ [الآية 33] فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الآية 33] أي لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر.

﴿أَوْ يُوقِعَهُنَّ﴾ [الآية 34] أي إن يشأ يهلكهن بأن يفرق أهلهن ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية 34] من سوء عملهم فيهن أو غيرهن ﴿وَيَعَفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الآية 34] من أهلهن فلا يهلكهن ليشكروا نعمة نجاتنا.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ [الآية 35] محيد عن عقوباتنا وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف.

وأفاد الأستاذ: إن الإشارة في هذا إلى إمساك الناس في خلال فتن الوقت من الأنواع المختلفة ثم حفظ العبد في إيواء السلامة/ وذلك يوجب خلوص الشكر للمريد ليوجب له جزيل المزيد.

138/ أ

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 36] من الأمور الدنيوية ﴿فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الفصص: الآية 60] الدنية يتمتعون بها في مدة قليلة ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من ثواب

العقبى ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الآية 36] لخلوص نفعه ودوامه في الكيفية والكمية ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 36] في أمورهم لا على أعمالهم وأجودهم.

وقال الأستاذ: يعني أن الراحة في الدنيا لا تصفو ومن المشائب لا تخلو فإن اتفق البعض منها في أحيان من الأحوال فإنها سريعة الزوال وشيكة الارتحال وما عند الله من الثواب الموعود خير من هذا القليل الموجود.

﴿وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾ [الآية 37] من حقوق الحق ﴿وَأَلْفَوْحَشَ﴾ [الآية 37] من متعلقات الخلق وقرأ حمزة والكسائي كبير الإثم وفسر بالشرك والفواحش بالكبائر ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا﴾ [الآية 37] على أحد ممن ظلمهم ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الآية 37] بأنفسهم من غير اعتذار لديهم ولا شفاعة إليهم.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ [الآية 38] في دعوته إلى طاعته ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: الآية 277] خصوصاً ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ [الآية 38] فيما ليس عندهم نص من كتاب أو سنة ﴿شُورَىٰ يَلِيهِمْ﴾ [الآية 38] ذو تشاور بينهم في أمر دينهم ودنياهم لا يتفردون برأي حتى يتشاوروا ويجمعوا عليه ويختاروا وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في أمرهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ﴾ [الآية 38] في سبل خيرهم.

وأفاد الأستاذ: أن المستجيب لربه هو الذي لا يبقى معه نفس إلا على موافقة رضاه ولا يبقى منه له بقية في متابعة هواه فهؤلاء هم الذين لهم حسن الثواب وحميد المآب.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ [الآية 39] الظلم والعدوان ﴿هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الآية 39] بالعدل والإحسان.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية 40] سمي الثانية سيئة للازدواج والمشكلة والمراد بها سيئة صورية أو لغوية ﴿مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا﴾ [الآية 40] بقلبه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية 40] بينه وبين عدوه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 40] عدة مبهمة تدل على عظمة موعوده ﴿إِنَّهُمْ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 40] المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في المعاقبة.

وقال الأستاذ: فمن عفا عن الجاني عليه وأصلح ما بينه وبين ربه حتى يصلح الله ما بينه وبين خلقه فأجره على الله والذي للعبد من الله وعلى الله وعند الله خير مما يعلمه باختياره ويفعله باقتداره.

﴿وَلَمَنَ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ [الآية 41] بعدما ظلم وقد قرىء به ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الآية 41] بالمعاتبه.

138/ ب ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ/ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ [الآية 42] يشبونهم بالأضرار ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الآية 42] أي ويطلبون ما لا يستحقونه كما هو دأب الفجار ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 42] في النار على ظلمهم وبغيهم مع الإصرار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه علم أن الكل من عباده لا يجد الخيرية من أحكام النفس ولا يستمكن من محاسن الخلق فرخص لهم في المكافأة على سبيل العدل والقسط وإن كان الأولى بهم الصفح والعفو.

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ [الآية 43] على الأدنى ﴿وَعَفَرَ﴾ [الآية 43] أي وعفا أو ستر حاله وحال من أذى بعدم الشكوى ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 43] منه ﴿لَمِنَ عَزْرِ الْأُمُورِ﴾ [الآية 43] أي معزومات الأمور ومطلوباته عنه.

وقال الأستاذ: أي صبر على البلوى من غير شكوى وغفر بالتجاوز عن خصمه ولا يبقي لنفسه عليه دعوى بل يبرىء خصمه من جهة ماله عليه من كل دعوى في الدنيا.

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَّالِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية 44] من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله إياه ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [الآية 44] حين يرون نار العذاب وآثار العقاب ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَّا مَرَدٌّ﴾ [الآية 44] أي إلى رجعة إلى الدنيا أو الحالة الحسنی ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [الآية 44] أي طريق توفيق فيقال لا كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَمَادُوا﴾ [الأنعام: الآية 28].

﴿وَقَرَّبَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 45] على النار ﴿خَشَعِينَ مِنَ الدَّلِّ﴾ [الآية 45] منكسرين محتقرين مما يلحقهم من المذلة ﴿يَنْظُرُونَ مِّنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الآية 45]

يبتدئ نظره إلى نيرانهم من تحريك ضعيف لأجفانهم كالمصبورين ينظرون إلى السيف حين امتحانهم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْحَسْرَةَ ﴾ [الآية 45] أي الكاملين في خسرانهم ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ ﴾ [الآية 45] بالتعرض للعذاب المخلد المعد لهم ﴿ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ [الآية 45] بسبب عصيانهم ﴿ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقْتَرِبٍ ﴾ [الآية 45] من تمام كلامهم أو تصديق من الله لمراهم.

﴿ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ ءَأُولِيَآءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [الآية 46] إلى الهداية في الدنيا ولا إلى النجاة في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن الذين أضلهم الله وأعمى أبصارهم أوقعهم في كد كسبهم وحرهم برد الرضا بحكم ربهم فليس لهم ولي من دون الله ولا مانع عنهم من عذاب الله وتراهم يعرضون على نار العقوبة وهم خاشعون من غاية المذلة لا ينفعهم ندامة ولا يسمع منهم دعوة ولا ناصر ينصرهم ولا راحم يرحمهم.

/ ﴿ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ ﴾ [الآية 47] لا 139/أ يرده الله بعد ما حكم به أو من قبل أن يأتي يوم من الله لا يمكن رده ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ ﴾ [الآية 47] موضع فرار ﴿ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ [الآية 47] إنكار لما اقترفتموه من أوزار لأنه مدون في صحف أعمالكم وتشهد ألسنتكم وجوارحكم بأفعالكم وهو عالم الغيب مطلع بتفاصيل أحوالكم.

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ [الآية 48] عن الاستجابة ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [الآية 48] رقيباً بالمحاسبة ﴿ إِنْ عَلَيَّ إِلَّا الْبَلْعُ ﴾ [الآية 48] بتبليغ الرسالة وقد بلغت وبالغت ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ﴾ [الآية 48] أراد بالإنسان الجنس لقوله ﴿ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدَمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ [الآية 48] يبلغ الكفران ينسى النعمة وأيامها ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها.

قال جنيد: استجابة الحق لمن سمع هواته وأوامره وخطابه فيتحقق فيه الإجابة بذلك السماع ومن لم يسمع الهواتف كيف يجيب وإنى له محل الجواب من الرقيب.

وأفاد الأستاذ: أن الاستجابة الوفاء بعهده والقيام بحقه والرجوع من مخالفته إلى موافقته والاستسلام في كل وقت لحكمه ثم الطريق اليوم إلى الاستجابة مفتوح وعن قريب سيغلق الباب على القلب بغتة ويؤخذ فلتة فإن أعرضوا عن الإجابة فليس عليك إلا تبليغ الرسالة ثم نحن أعلم بما نعاملهم به من تقلب الحالة وإذا أذقنا الإنسان منا رفاهية ونعمة فرح بتلك الحالة بطراً وتوصل بتمام عاقبته وسلامته إلى دوام مخالفته وإن إصابته فتنة وبلية ومستهم مصيبة ورزية فإنه كفور لنعمائنا جحود لآلائنا .

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 49] فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء بين البرية ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 49] من أنواع المنحة وأصناف المحنة ويقسمها بين عباده بمقتضى مشيئته وموجب حكمته ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثَاءً﴾ [الآية 49] أي من البنات ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الآية 49] من غير لزوم ومجال اعتراض في الأمور.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً﴾ [الآية 50] أي يخلطهم عقيماً ﴿وَيَجْمَعُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الآية 50] جملة يهب بدل من يخلق والمعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة الإلهية لا على مقتضيات الطبائع البشرية ب/139 فمن خص الإناث من الأنبياء لوط عليه السلام وبالذكور إبراهيم / عليه السلام وبالجمع نبينا عليه الصلاة والسلام وبالمنع يحيى وعيسى عليهما السلام ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الآية 50] فيفعل ما يفعل بحكمته واختياره لبريته.

وقال بعض العارفين: يهب لمن يشاء إناثاً أي العلوم الظاهرية ويهب لمن يشاء الذكور أي المعارف الباطنية أو يزوجهم يجمع لهم بينهما ويجعل من يشاء عقيماً خالياً عنهما .

﴿وَمَا كَانَ لَشَيْءٍ﴾ [الآية 51] وما صح له ﴿أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الآية 51] كلاماً خفياً يدرك بسرعة لأنه تمثل ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة بتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور ولكن

عطف قوله ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ [الآية 51] عليه يخصه بالأول فالآية دليل على جواز الرؤية في الجملة لا على امتناعها بالكلية أو يرسل رسولاً أي ملكاً فيوحي إليه بإذنه بأمر ربه باعتبار ذاته ونعته ما يشاء من حكمه وقرأ نافع ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 51] بالرفع فيهما ﴿إِنَّهُ عَلِيُّ﴾ [الآية 51] عن صفات المخلوقين باعتبار ذاته ونفسه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 51] يفعل بمقتضى حكمته فيكلم تارة بواسطة وأخرى غيرها إما عياناً وإما من وراء حجاب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بحق ملكه أن يفعل ما يشاء في ملكه ويعطي من يشاء من عباده ما يشاء من أمره ولكن أجرى العادة بأنه لا يفعل إلا ما في هذه الآية فلا يكلم أحداً إلا بالوحي أو من وراء حجاب، يعني وهو لا يرى الحق فالمحجوب يكون العبد لا الرب والحجاب أن يخلق في محل الرؤية ضد الرؤية وتعالى الله عن أن يكون وراء حجاب لأن ذلك صفة الأجسام المحدودة التي تسبل على المحجوب سترًا أو يرسل رسولاً بحق مخاطبته إيانا بإرسال الرسل إلينا.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الآية 52] أي وحيًا نحويًا به قلوب عبادنا ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ﴾ [الآية 52] أي قبل الوحي ﴿وَلَا أَلِيمُنُ﴾ [الآية 52] أي تفاصيل أحكامه ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ [الآية 52] أي الروح المراد به الوحي أو الكتاب أو معرفة الإيمان بتفاصيله ﴿تُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الآية 52] المؤمنين بالتوفيق لقبوله والنظر فيه لحصوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ [الآية 52] أي تدل وتدعوا ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 52] دين قويم.

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 53] مَلِكًا وَمَلَكًا

/ ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الآية 53] بارتفاع الوسائط وتعلقات المخلوقين وفيه 140/أ
وعد للمطيعين ووعيد للمجرمين.

قال القاسم: ألا إلى الله تصير الأمور لأن منه مبدأ كل شيء وإليه منتهى كل شيء فما كان منه وإليه فهو الساعة به وله.

سورة الزخرف

[مكية]

وهي تسع وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز من وثق بجوده ونعمه لم يعلق بغيره صواعد هممه ولم يقف على شدة مخلوق بقدمه في ابتغاء كرمه اسم عزيز من عوده خفايا لطفه لم يتدلل في طلب شيء لغيره ولم يرجع إلى غيره شره وخيره.

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ وَأَلْكِتَبِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ [الآيتان 1، 2].

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 3] أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآناً عربياً وهو من غريب البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه، ولعل إقسام الله تعالى بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه، والقرآن المبين يبين طريق الهداية وما يحتاج إليه في الديانة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 3] مبانيه وتفهمون معانيه.

قال سهل: بين فيه الهداية من الضلالة والخير من الشر وسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

﴿وَإِنِّي﴾ [الآية 4] أي القرآن ﴿فِي أُمَّرٍ أَلْكِتَبِ﴾ [الآية 4] في اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب السماوية ومظهر بعض العلوم الإلهية ﴿لَدَيْنَا﴾ [الآية 4] محفوظ عندنا عن التبديل والتحويل ﴿لَعَلِّي﴾ [الآية 4] رفيع الشأن ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 4] ذو حكمة بالغة البرهان.

﴿أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الآية 5] أي انهملكم فسنبعد عنكم

الذكر إعراضاً عن تكليفكم والمراد إنكار أنه يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال كتاب مبين للخير والشر والنفع والضرر ﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾ [الآية 5] أي لأجل أن كنتم ﴿قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الآية 5] وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الإعراض عن بيان حال المكلفين وقرأ نافع وحزمة والكسائي أن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك في القضية بياناً لحالهم أنهم من السفهاء وما قبلها دليل الجزاء.

وقال الأستاذ: أي لا تفعل ذلك والمعنى / أفنقطع عنكم ذكر خطابنا وتعريفنا بما فيه عقابنا وثوابنا بأن أسرفتم في خلافكم على بابنا أي لا نرفع عنكم التكليف بأن خالفتم ولا نهجركم بقطع الكلام معكم وإن أسرفتم وفي هذا إشارة لطيفة وهو أنه لا يقطع الخطاب اليوم عن تمادى في عصيانه وأسرف في أكثر شأنه فأرجو أن من لم يقصر في إيمانه وإن تلطخ بعصيانه ولم يدخل في ميدان عرفانه لا يمنع عند لطالب غفرانه.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ﴾ [الآيتان 6، 7] ﴿إِلَّا كَانُوا﴾ أي أكثرهم ﴿بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 7] وفيه تسلية لرسوله عن استهزاء قومه به. ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ [الآية 8] من القوم المسرفين ﴿بَطْشًا﴾ [الآية 8] قوة وشوكة ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 8] وسبق في القرآن المبين قصتهم العجيبة وقضيتهم الغريبة وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين الآخرين بمثل ما جرى الأولين.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] أي الله المنعوت بصفات الجلال والجمال.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الآية 10] أي كالمهد فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيون مهاداً أي فراشاً ممهداً والموصول مقطوع عما قبله مرفوع على أنه مستأنف خبر مبتدأ مقدر هو هو ومنصوب بتقدير أعني قبله ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الآية 10] تسلكونها ﴿لَسَلَّكُمْ نَهْدُونَ﴾ [الآية 10] لكي تهتدوا إلى مقاصدكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر وصفه في انفراده بإبداعه واختراعه فقال: الذي جعل لكم الأرض مهدياً فكما جعل لهم الأرض قراراً لأشباحهم جعل الأشباح قراراً لأرواحهم فالخلق سكان الأرض والأرواح سكان النفوس فإذا انتهى مدة كون النفوس على الأرض حكم الله بخرابها كذلك إذا فارقت الأرواح الأشباح بالكلية قضى الله بخرابها.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ﴾ [الآية 11] بمقدار مقدر ينفع ولا يضر ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الآية 11] أحيينا به مكاناً زال عنه النماء ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْجَوْنَ﴾ [الآية 11] تنشرون من قبوركم. وقرأ ابن ذكوان وحمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء.

وقال الأستاذ: كما يحيي الأرض بالمطر يحيي القلوب بحسن النظر.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا﴾ [الآية 12] أصناف المخلوقات جميعها.

/ وقال الأستاذ: كذلك جنس عليكم الأحوال كلها فمن رغبة في الخيرات / ومن رهبة في العقوبات وخوف يحملكم على ترك الزلات ورجاء يبعثكم على فعل الطاعات طمعاً في المثوبات وغير ذلك من فنون الصفات ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ السَّحَابَ مَوْبِقًا﴾ [الآية 12] أي الإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الآية 12] أي فيه أو عليه.

﴿لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الآية 13] أي ظهور ما تركبون ﴿ثُمَّ تَذُكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ﴾ [الآية 13] بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها بالسنتكم ﴿إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ [الآية 13] المركوب ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الآية 13] مطيقين.

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الآية 14] أي راجعون والنكته في اتصال هذه الجملة أن الركوب للرحلة والنقلة العظمى هو الانقلاب إلى المولى.

قال ابن عطاء: خاطب العوام بأنهم يذكرون النعم في وقت دون وقت وفي حالة دون حالة لأنهم لا يعرفون نعم الله عليهم في كل نفس وطرفة ولحظة ولمحة وسكون وحركة.

وقال أبو بكر بن طاهر: ليكن ركوبهم على الدواب ضرورة على المشي في الحاجة أو حرباً في المجاهدة ولا يكون ركوبهم عليها ركوب اللهو والفخرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما سخر لهم الفلك في البحر والدواب في البر للركوب عليها وأعظم المنة بذلك عليهم فيها كذلك سهل للمؤمنين مركب التوفيق فحملهم عليه إلى بساط الطاعة وسهل للمريدين مركب الإرادة فحملهم عليه إلى عرصات الجود وعرفات الوجود وسهل للعارفين مركب الهمة وأناخوا بقوة العزة وعند ذلك محط الكافة لم يخرق سرادقات العزيمة مخلوق سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلأً أو ولياً مكرماً وعند سطوات العز يتلاشى كل مخلوق ويقف وراءها كل محدث مسبق.

﴿وَجَمَلُوا﴾ [الآية 15] أي كفار مكة ﴿لَهُ﴾ [الآية 15] أي الله سبحانه ﴿مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الآية 15] وقرأ أبو بكر بضميتين أي ولداً حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 15] ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد للرحمن لأنها من فرط الجهل وغاية الطغيان.

﴿أَمْ أَلْخَذَ مِمَّا يَطْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الآية 16] وهم الجزء الأخس لديكم وأبغض الأجزاء إليكم ﴿وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ [الآية 16] واختياركم بإعطاء ما تختارونه من الجزء الأحسن عندكم وفي العبارة إشارة إلى أن ما سوى / الله مخلوق له فلا يتصور له الولد حقيقة وأما الاتخاذ على التوسعة فلو وجد لما كان أخس الأشياء فصنعهم هذا دل على أنهم من أجهل السفهاء.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ [الآية 17] أي بالجنس الذي جعله له إذ الولد لا بد أن يكون لوالده ماثلاً ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [الآية 17] صار وجهه أسود في الغاية لما يعتره من الحزن والكآبة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الآية 17] مملوء القلب من كثر الكرب.

﴿أَوْ مَنْ يُشَوُّوا فِي الْحَلِيَّةِ﴾ [الآية 18] أي واتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ [الآية 18] في المجادلة مع الرجال ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الآية 18]

غير مقدر لما يدعيه من نقصان عقله وضعف رأيه وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد مجهولاً أي يربي في الخلوة دون الجلوة.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ [الآية 19] كفر آخر من قبح أحوالهم تضمنه سوء مقالهم وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله مقاماً وأنقصهم رأياً وأحسنهم صنفاً وقرأ الحجازيان والشامي عند علي تمثيل زلفا لهم وتقربهم عند مولاهم ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الآية 19] احضروا خلق الله أياهم فشاهدهم إنثاً فشهدوا فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرأ نافع بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة مسهلة على صيغة المجهول ﴿سَتَكُنُّبُ شَهِدَتْهُمْ﴾ [الآية 19] التي شهدوا بها على الملائكة ﴿وَيَسْتَلُونَ﴾ [الآية 19] عنها يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ لَوَجَدُوا الْعِبَادَةَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَصْنَامَ عِبَادَتَهُمْ﴾ [الآية 20] فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العباداة على امتناع النهي عنها أو على تحقق حسننها وذلك باطل لأن المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض في عالم الوجود مأموراً كان أو منهيماً مستحسناً كان أو مستقبحاً ولذلك جهلهم فقال ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ [الآية 20] الاستدلال ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 20] يفيد في معرض الجدل ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الآية 20] يحتالون ويتكفون المحال.

وأفاد الأستاذ: أنهم إنما قالوا ذلك استهزاء واستبعاداً لا إيماناً وإخلاصاً فقال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 20] فلو علموا ذلك وقالوا على وجه التصديق لم يكن ذلك معلولاً منهم في مقام التحقيق.

﴿أَمْ أَلْبِسْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الآية 21] قبل القرآن على صحة ما قالوه من البرهان ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الآية 21] بذلك الكتاب مستمسكون والحاصل/ أن كلامهم خارج عن طريق العقل وتحقيق النقل وإنما هو مبني على محض التقليد وصراف الجهل.

أ/142

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ [الآية 22] أسلافنا ﴿عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الآية 22] طريقة مسلوكة ﴿وَرِئَاءَ عَالِيهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية 22] أي جنحوا إلى تقليد آبائهم الجهلة.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [البقرة: الآية 143] ومثل هذه الحالة ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ [الآية 23] أي تنعموها ﴿إِنَّا وَجَدْنَا عِبَادَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ عَاقِبَتِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الآية 23] وتخصيص المترفين إشعار بأن التمتع وحب البطالة صرفهم عن النظر في الدلالة إلى تقليد أرباب الضلالة وأصحاب الجهالة وإيماء إلى أن غالب المؤمنين كانوا فقراء وعلماء في كل وقت وحين.

﴿قَالَ أَوْلَوْا بِحَيْثُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الآية 24] أي أتبعون أهواءكم وتقلدون آباءكم لو جئتم بأهدى من دين قدامتكم وهو حكاية أمر ماض أوحى إلى كل نذير ويؤيده أنه قرأ ابن عامر وحفص قال ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الآية 24] أي وإن كان أهدى إقنأطاً للنذير من أن ينظروا ويتفكروا فيه.

﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الآية 25] باستئصالهم ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ [الآية 25] أي سوء أحوالهم وقبح مآلهم.

قال أبو عثمان علامة انتقام الله من عباده أن يجريهم في ميدان الغفلة ولا يحملهم على مدارج الذكر ومعارج الفكر ورياض القدس وحياض الإنس.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّنْكُمْ وَإِنِّي عَلَىٰ بَرَاءٍ بِمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 26] أي من عبادتكم أو آلهتكم والمعنى واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد حين تولى التوفيق بالتحقيق والتأييد.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الآية 27] أي لكن الذي خلقني ابتداء ﴿فَإِنَّهُ سَيهِدِين﴾ [الآية 27] إلى ما وراء ما هداني إليه انتهاء.

﴿وَجَعَلَهَا﴾ [الآية 28] أي جعل الله كلمة التوحيد ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ [الآية 28] في ذرية فيكون فيهم أبداً من يوحد الله ويدعوا إلى ملته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 28] أي من أشرك منهم حين ظهور حجته.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَاتِلَاءَ﴾ [الآية 29] الكفار المعاصرين للرسول المختار

﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ [الآية 29] بالمد في العمر وأنواع النعمة فاغثروا بذلك وانهمكوا في أصناف الشهوة ﴿حَقَّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الآية 29] دعوته ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 29] ظاهر رسالته.

142/ ب ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الآية 30] ينبههم عن غفلتهم ﴿قَالُوا/ هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الآية 30] زادوا في شرارتهم بإظهار معاندتهم قسموا القرآن سحراً وصرحوا به كفراً واستحققوا بالرسول فقراً.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِثِيِّينَ﴾ [الآية 31] أي من أحدهما مكة والطائف ﴿عَظِيمٌ﴾ [الآية 31] بالجاء والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي قال: الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم ولم يعلموا أنها الرتبة الروحانية فتستدعي عظمة النفس بالتجلي بالفضائل الأنسية والشمائل القدسية لا التزخرف بالزخارف والدينية.

﴿أَهْرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الآية 32] أي نبوته التي أعلى مراتب أهل العقبي ﴿لَمَّا قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 32] وهم عاجزون عن تدبير ومتحيرون في تقديرها وهو خويصة أمرهم في دنياهم فمن أين لهم أن يتدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب في دنياهم وأخراهم قال بعضهم: لم يترك قسمة معاش الدنيا بالبعد مع خسته وكثافته فكيف يترك قسمة الرحمة بالبعد مع شرافته ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية 32] أوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الآية 32] ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف ينتظم بذلك نظام أعمالهم وأحوالهم لا لكمال في الموسع عليه ولا لنقص في المضيق عليه ثم الاعتراض لهم علينا في ذلك فكيف يكون فيما هو أعلى من هنالك ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 32] يعني النبوة وما يتبعها من الإيمان والمعرفة ﴿حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الآية 32] من حطام الدنيا وزخرفها فالعظيم من يرزق من الرحمة الخاصة لا من النعمة العامة.

قال ابن عطاء: اعتذار من الله لأنبيائه وأوليائه إنه لم يزد عنهم الدنيا إلا لأنها لا خطر لها ولا قدر عنده فيها وإنما فانية فآثر لهم العقبي التي هي

باقية انتهى . ويؤيده ما قال صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى منها كافراً شربة ماء»⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه العبارة إنه الحق سبحانه وتعالى لم يجعل/ قسمة السعادة والشقاوة إلى أحد من خلقه وإنما المردود في حكمه 143/أ وقضائه وقدره من رده والمقبول في حكمه من جملة عبادته من أراده ومن قبله قبله لا لعله وسبب ومن رده لا لأمر مكتسب إنما ذلك سبباً يتغير معلوله، وقضاؤه غير مردود ثم قسم لبعض عبادته النعمة والغناء ولبعض الفقر والعنا وجعل لكل واحد منهم سكتاً يسكنون إليه ويشغلون به فللأغنياء وجود الأنعام وجزيل الأقسام فشكروا واستبشروا وللفقراء من هؤلاء شهود القسام فحمدوا وافتخروا فالأغنياء وجدوا النعمة واستغنوا واشتغلوا والفقراء سمعوا قوله نحن فاستقلوا وفي الخبر أنه عليه السلام قال للأَنْصار: أما ترضون أن يرجع الناس بالشاء والغنم وترجعون بالنبي إلى أهاليكم فقالوا: رضينا رضينا⁽²⁾.

وقوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الآية 32] أي لو كانت المقادير متساوية لتعطلت المعاش ولبقي كل على حاله فجعل بعضهم مخصوصاً بالترف والمال وآخرين بالفقر ورقة الحال حتى احتاج الفقير في حين حاجته إلى أن يعمل للغني ليرتفق من جهته فيصلح بذلك أمر الغني والفقير جميعاً انتهى . ولما كان هنا مظنة سؤال وإيراد إشكال وهو أن أكثر الأبرار فقراء وأكثر الفجار أغنياء فما الحكمة في ذلك وما النكتة لما هنالك ولم لم يعكس البلية مع أنه بها أيضاً يتم نظام القضية وأيضاً بمقتضى القسمة الإلهية أن تكون الدنيا جنة الكافر كما أنها سجن المؤمن فيوجب ذلك أن يكون الكافر بوصف يكون المؤمن هنالك قال تعالى .

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 33] لولا كراهة أن يرغبوا في

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (4/ 341) رقم (7847)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 560) رقم (2320)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 325) رقم (10465).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4330)، ومسلم في الصحيح (1061/ 139).

الكفر إذا رأوا الكفار في سعة ونعمة لحبهم الدنيا العاجلة وذهولهم عن العقبي الآجلة فيجتمعوا على الكفر والطغيان ولم يلتفتوا إلى الإيمان والعرفان ﴿لَجَمَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الآية 33] بناءً على حقارة الدنيا وحرمان الكافر عن نظارة 143/ ب العقبي ﴿لِيُؤْتِيَهُمْ/ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ﴾ [الآية 33] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفاً اكتفاءً بجمع البيوت ﴿وَمَعَارِجَ﴾ [الآية 33] مصاعد ﴿عَلَيْهَا يَطَّهُرُونَ﴾ [الآية 33] يعلون السطوح.

﴿وَلِيُؤْتِيَهُمْ آبَوَابًا وَسُرَرًا﴾ [الآية 34] أي من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكُونَ﴾ [الآية 34] على أرائكهم.

﴿وَزُخْرَفًا﴾ [الآية 35] وزينة عطفاً على سقفاً أو ذهباً عطف على محل من فضة ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكُمْ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 35] إن هي المخففة واللام على الفارقة وقرأ نافع وعاصم وهشام في رواية لما بالتشديد بمعنى ألا وإن نافية والمعنى أنه تمتع قليل عام للمؤمنين والكافرين ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الآية 35] خاصة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 35] لمن اتقى الكفر والمعصية وفيه إشارة إلى أن العظيم هو العظيم في العقبي لا في الدنيا وإشعار بما لأجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الإيمان وهو أنه تمتع يسير بالإضافة إلى ما لهم في الآخرة من أجر كثير مخل في الأغلب بالطاعات لما فيه من الآفات قلّ من يتخلص عنها ويسلم منها.

قال أبو بكر الوراق: التقوى سراج القلب يدلّه على موضع الخلل منه فيصلحه ومن لم يكن له تقوى لم يكن له في قلبه نظر ولا بصر ينفعه ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية 282].

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ [الآية 36] يتعام عن رؤية الآيات ويعرض عن الأذكار والدعوات ويتغافل عن وظائف الطاعات بسبب فرط اشتغال بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات ﴿نُقِصَّ لَهُ شَيْطَانًا﴾ [الآية 36] نقدره له ونسلطه عليه ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الآية 36] يوسوس له ويغويه في دوام الأوقات وتمام الحالات.

قال سهل: حكم الله تعالى أنه لا يرى قلب عبد يسكن إلى شيء سواه إلا أعرض عنه وسلط عليه الشيطان ليضله عن طريق الحق ويغويه عن سبيل الصدق.

وأفاد الأستاذ: إن من لم يعرف قدر الخلوة مع الله فحاد عن أذكاره العلية وأخلد إلى خواطره الردية قيص الله له من يشغله عن الله بالأمر الدنيوية فهذا جزاء من ترك الأدب في الخلوة الرضية وإذا اشتغل العبد في خلوته بربه فإذا تعرض له من يشغله عن ذكره صرف الحق/ عنه بأي وجه كان ^{أ/144} وصرف دواعيه عن معالجته بما يشغله عن ربه ويقال: أصعب الشياطين نفسك الذي بين جنبيك والعبد إذا لم يعرف قدر فراغ قلبه للاشتغال بذكر ربه واتبع شهوته وتمنناه وفتح ذلك على نفسه بقي أسيراً في يد هواه لا يكاد يتخلص عنه إلا بعد مدة أرادها الله.

﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية 37] عن الطريق الذي من حقه أن يسلك وجمع الضميرين لإرادة الجنسين من العاشي والشيطان المذكورين ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية 37] أي يظن العاشون أن الشياطين مهتدون إلى الحق وهادون إلى الصدق.

وأفاد الأستاذ: أن الذي سولت له نفسه مرأً فيتهم أنه على صواب وإنه قصد خيراً ثم يحمل صاحبه على موافقته في باطله ويدعي أنه حق في أصله فقد أضر بنفسه وبغيره ثم أنه إذا انكشف غداً الغطاء تبين خيانه صاحبه وندم على صحبته حين لا ينفع في ندامته.

﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَنَا﴾ [الآية 38] أي العاشي مع قرينه أو كل واحد منهما وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر جاءنا أي العاشي والشيطان ﴿قَالَ﴾ [الآية 38] أي العاشي للشيطان ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُدْءَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الآية 38] بعد المشرقين المشرق من المغرب فغلب المشرق وأضيف البعد إليهما ﴿فَيَأْسَ الْقَرَيْنُ﴾ [الآية 38] أنت على ما ظهر في هذا الحين.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ﴾ [الآية 39] أي ما أنتم عليه من التمني في العقبى ﴿إِذْ

ظَلَمْتُمْ ﴿ [الآية 39] حين تبين ﴿ أَنْكُمُ ﴾ [الآية 39] ظلمتم أنفسكم في الدنيا وهو بدل من اليوم إنكم ﴿ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الآية 39] أي لأن حَقَّكُمْ أن تَشْتَرِكُوا أَنْتُمْ وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في أسبابه من أنواع الحجاب.

﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ ﴾ [الآية 40] كلام الصدق ﴿ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى ﴾ [الآية 40] إلى طريق الحق ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الآية 40] روي إنها نزلت حين كان صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء في قومه وهم لا يزيدون إلا جفاءً في حقه.

وقال الأستاذ: أي ليس يمكنك هداية من سدنا بصيرته ولبسنا عليه رشده ومن صببنا في مسامع أذنه رصاص الشقاء والحرمان فكيف يمكنك إسماعه القرآن وتفهمه الإيمان.

ب/144 ﴿ فَأَمَّا نَدَّبَنَ بِكَ ﴾ [الآية 41] فإمَّا قبضناك قبل أن نصرناك ﴿ فَإِنَّا/ مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴾ [الآية 41] بعدك في الدنيا والأخرى.

﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ ﴾ [الآية 42] أي أو إن أردنا أن نريك ما وعدناهم من عذابنا ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ [الآية 42] لا يفوتونا ولا يعجزونا.

وقال الأستاذ: يعني أن انقضى أجلك ولم يتفق لك شهود ما نتوعدهم بذلك فلا يتوهم أن صدق كلامنا يشوبه مِين أن ما أخبرنا عنه فلا محالة سيكون له أين أثبتته على حد الخوف والرجاء ووقفه على وصف التجويز لاستبداده سبحانه بعلم الغيب وكذلك المقصود في الأمر من كل أحد أن يكون من جملة نظارة التقدير ويفعل الله ما يريد.

﴿ فَأَسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ [الآية 43] من آيات القرآن وشرائع الإيمان ﴿ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الآية 43] دين قويم.

قال ابن عطاء: أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالاستمسك وهو لم يخل من التمسك بما أمر به لحظة لكنه خاطبه لرفع درجته وعظيم مرتبته لتكون أنت مبادراً بأداب التمسك والافتداء ليتم لك باب الوصل والاهتداء

ويعلم ويعلم أن مثله إذا خوطب بمثل هذا الخطاب ما الذي يلزمك من الاجتهاد في هذا الباب .

وقال الأستاذ: أي اجتهد من غير تقصير وتوكل على الله من غير فتور وقف حيث ما أمرت بما أمرت من أمر قويم وفق بأنك على صراط مستقيم .

﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرٌ﴾ [الآية 44] لوعظ وتذكر ﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الآية 44] لمن اتبعك ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الآية 44] عن قيامكم بحقه يوم ظهور حكمه .

قال ابن عطاء: إنه لشرف لك بانتسابك إلينا وشرف لقومك بالانتساب إليك لعظمتك لدينا .

﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الآية 45] أي سل علماء دينهم وسائر أممهم ﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الآية 45] هل حكمنا بعبادة الأوثان في ملة من مللهم والمراد الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أنه ليس ببدع من الرسل في مقام التفريد أو المراد بهذا الخطاب غيره ممن يتردد ويرتاب ولا يبعد أن يكون الأمر بالسؤال من الرسل والأنبياء في ليلة الإسراء لكنه عليه السلام لما كان في المقام الأكمل قال: «لا أشك ولا أسأل» .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا/ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 46] أي التسع من معجزاتنا ﴿إِلَىٰ 145/ أ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الآية 46] فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم وإشارة إلى أن دعوة موسى عليه لم تكن إلا إلى التوحيد والإسلام ورد لقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فإنه وأكثر الأنبياء لم يكونوا أغنياء بل كانوا فقراء وضعفاء وكذا أتباعهم وأشياعهم كما جرى به القضاء .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَصْحَكُونَ﴾ [الآية 47] فاجاؤوا وقت ضحكهم والمعنى استهزؤوا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها .

﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الآية 48] أي إلا وهي

بالغة في الإعجاز أقصى درجاتها بحيث يحسب الناظر فيها أنها أكبر مما يقاس إليها من الآيات تمامها والمراد وصف كل منها بالكبر في بابها ﴿وَأَخَذْنَهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ [الآية 48] كالسنين والظوفان والجراد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 48] على وجه يرجي رجوعهم إلى طريق الرشاد.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاجِرُ﴾ [الآية 49] نادوه به في شدة حالتهم لفرط حماقتهم وغاية عداوتهم ﴿أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾ [الآية 49] ليكشف العقوبة عنا ﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ [الآية 49] بعهده عندك من النبوة أو استجابة الدعوة ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الآية 49] بشرط أن تدعوا لنا ويكشف عنا.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [الآية 50] فاجأ وانكث عهدهم بالاهتداء إلى طريق الصواب.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ﴾ [الآية 51] بنفسه أو مؤذنه ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ [الآية 51] في مجتمعهم أو فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم ﴿قَالَ يَفْقَوْمِ الْأَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ لِيَ وَمَعْظَمُهَا أَرْبَعَةُ نَهَرِ الْمَلِكِ وَنَهْرُ طُولُونَ وَنَهْرُ دَمِيَاطُ وَنَهْرُ نَيْسَ﴾ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الآية 51] تحت أمري أو قعري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 51] عزي وقدري.

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ [الآية 52] أي بل أنا خير مع هذه المملكة والبسطة في الجاه والمال ﴿مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ [الآية 52] ضعيف فقير حقير الحال لا يستعد للرياسة ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الآية 52] الكلام لما به من الرقة فكيف يصلح للسياسة.

وأفاد الأستاذ: أنه تعزز بملك مصره وجري النيل بأمره فكان هلاكه في 145/ ب قعره ليعلم أن من تعزز بشيء دون الله فحتمه وهلاكه/ فيه دون غيره واستصغر حديث موسى وعابه بفقره فسלטة على أمره وجعل هلاكه بيديه ليعلم أن أحداً ما استحق أحداً إلا سلت عليه.

﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسُورَةٌ﴾ [الآية 53] قرأ حفص سورة ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الآية 53] أي فهلاً ألقى إليه مقاليد الملك إن كان صادقاً في الاقتدار إذا كان من عادتهم أنهم إذا سودوا رجلاً سوروه بالسوار ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّبِينَ﴾ [الآية 53]

مقرونين يعينونه بالإقرار.

﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ﴾ طلب الخفة منهم في مطاوعة أمره ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما أمرهم به ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [الآية 54] خارجين عن نهج العقل وطوره.

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ [الآية 55] أغضبونا بالإفراط في عنادهم وعصيانهم في بلادهم ﴿أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 55].

قال ابن عطاء: إذا كان عصيان الرسل عصياننا فمن أسفهم أسفنا.

وقال الأستاذ: أي أغضبونا وإنما أراد أغضبوا أوليائنا وهذا أصل في باب الجمع أضاف إيسافهم أوليائه إلى نفسه وفي الخبر القدسي أنه يقول: «مرضت فلم تعدني»⁽¹⁾.

وقال في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: الآية 27] والمعنى يأتونا أو بيتنا. وقال في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: الآية 80].

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ [الآية 56] قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدرون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت بهم أو جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضمين جمع سليف كرغف جمع رغيف ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الآية 56] وعظة وعبرة للمتأخرين.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ [الآية 57] ضربه ابن الزبيري من المشركين قبل دخوله في الإسلام لما جادل النبي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: الآية 98] بأن قال النصراني أهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون أنه ابن الله فالملائكة أولى بذلك⁽²⁾ ﴿إِذَا

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (43/2569)، وابن حبان في الصحيح (1/503) رقم (269).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/416) رقم (3449)، والطبراني في المعجم الكبير (12/153) رقم (12739)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/340) رقم (31882).

﴿قَوْمُكَ﴾ [الآية 57] قريش ﴿مِنْهُ﴾ [الآية 57] من هذا المثل ﴿يَصُدُّونَ﴾ [الآية 57] يضحجون ويصيحون فرحاً لظنهم أن الرسول صار به ملزماً وقرأ نافع وأبو عامر والكسائي بضم الصاد أي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل: وهما لغتان ومعناهما يضحجون فرحاً.

﴿وَقَالُوا ۗءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ [الآية 58] أي عندك ﴿أَمْ هُوَ﴾ [الآية 58] أي عيسى/ فإن كان في النار فليكن آلهتنا معه ﴿مَا صَرَّوهُ﴾ [الآية 58] أي هذا المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الآية 58] لأجل الخصومة والطغيان لا لتمييز الحق من البطلان ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الآية 58] شداد الخصومة حراس على لجاج المجادلة وتمام الجواب ما سبق في سورة الأنبياء من أن عيسى ونحوه ممن عبد من دون الله ليس داخلًا في ما تعبدون لما تقرر من أن ما لغير ذوي العقول وعلى تقدير عمومها استدرك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية 101] ولعله اكتفى هنا عن تمام الجواب بقوله: ﴿إِنَّ هُوَ﴾ [الآية 59] أي ما عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أُنْمِنَّا عَلَيْهِ﴾ [الآية 59] بالنسبة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الآية 59] أمراً عجيباً وشأناً غريباً حيث خلقناه من غير أب وخلقناه إلينا قريباً.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ [الآية 60] بدلكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ [الآية 60] أي يعقبون ويترددون.

﴿وَإِنَّهُ﴾ [الآية 61] أي نزول عيسى ﴿لِعَلِمٍ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الآية 61] أي من أشراتها يعلم به دنوها وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها: افتق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام يعني المهدي فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به⁽¹⁾ ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الآية 61] فلا تشكن في حقيقة

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2/ 79) رقم (1309)، وفي المعجم الصغير (1/ 69) رقم (84)، وأبو يعلى في المسند (10/ 279) رقم (5877)، وأحمد في المسند (2/ 394) رقم (9110)، وعبد الرزاق في المصنف (11/ 401) رقم (20845).

الساعة ووقوعها ﴿وَأَتَّبِعُونَ﴾ [الآية 61] واتبعوا شرعي أو رسولي ﴿هَذَا﴾ [الآية 61] الذي ادعوكم إليه ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 61] لا يضل سالك لديه.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية 62] عن المتابعة ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 62] ظاهر العداوة بأن أخرجكم من الجنة وأوقعكم في المحنة.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 63] بالمعجزات أو بالشرائع الواضحات ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ [الآية 63] بالإنجيل والشريعة ﴿وَلَأُتِّينَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الآية 63] من أمر دينكم فإن الأنبياء لم يبعثوا إلينا أمر الدنيا ولذا قال عليه السلام أنتم أعلم بأمر دنياكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 63] فيما أنهاكم ﴿وَاطِيعُونَ﴾ [الآية 63] فيما أمركم.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الآية 64] بيان لما أمرهم من إطاعة الطاعة وهو اعتقاد التوحيد في الألوهية والتفريد في الربوبية والتعبد بأحكام الشريعة في العبودية ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الآية 64] طريق قويم.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ [الآية 65] / الفرق المتحزبة والطوائف 146/ ب المجتمع من بين النصارى أو اليهودي والنصراني من بين قومه المبعوث إليهم ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 65] أي ممن ثبت على ظلمه من المتحزبة ﴿وَمِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ [الآية 65] يوم القيامة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية 66] أي الظالمون اجتمعوا ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ [الآية 66] بدل والمعنى ما ينتظرون إلا إتيان الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ [الآية 66] فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 66] غافلون عنها لإنكارهم لها ولاشتغالهم بأمر الدنيا وما يتعلق بها.

﴿الْأَخِلَاءُ﴾ [الآية 67] الأصدقاء ﴿يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الآية 67] ويكونون يومئذ كالأعداء ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 67] إلا المؤمنين الأتقياء فإن خلتهم لما كانت في الله ومرضاته تبقى نافعة في السراء والضراء.

وأفاد الأستاذ: أن الأخلاء الذين اصطحبوا على مقتضى الأهواء يتبرأ

بعضهم عن بعض وأما الأخلاء في الله فيشفع بعضهم في بعض وشرط الخلة في الله أن لا يستعمل بعضهم بعضاً في الأمور الدنيوية ولا يرتفق بعضهم ببعض في الأغراض الدنية حتى تكون الصحبة خالصة للمولى لا نصيب لها في الدنيا ولا يجري بينهم مداهنة في المعاملة فبقدر ما يرى فيه من قبول طريق الله له يقبله فإذا علم منه شيئاً لا يرضاه الله لا يرضى من صاحبه فإذا عاد إلى تركه عاد إلى موته وإلا فلا يساعده على معصيته ثم يتقي بقلبه أن يسكن إليه لغرض دنيوي أو لطمع أو عوض دني.

﴿يَعْبَادُ﴾ [الآية 68] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء وأبو بكر بفتح الياء ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الآية 68] حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون.

قال الصادق: لا خوف على من أطاعني في الفريضة واتبع رسولي في السنة وقيل: لا خوف في العقبى على من خافني في الدنيا وقيل: الخوف على القلب والحزن على القلب.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 69] صفة للمنادى ﴿وَكَاثُرًا مُّسْلِمِينَ﴾ [الآية 69] أي مخلصين في إحسانهم وإيمانهم أو مستسلمين لقضائه ومنقادين لما فيه من رضائه.

وأفاد الأستاذ: أن يقال لهم غداً ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [الآية 68] مما يلقاه أهل الجمع من الأهوال ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الآية 68] فيما قصرتم فيه من الأعمال أما الذنوب فعفونهاها وأما الأهوال فكفيناها وأما المظالم فقضيناها فإذا قال المنادي / هذا الخطاب يطمع الكل ويقولون نحن عباده في هذا الباب 147/أ فإذا قال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين أيس الكفار وقوي رجاء الأبرار.

﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ [الآية 70] نساؤكم المؤمنات قيل: وأشكالكم ومن هو في درجاتكم ﴿تُحْبَرُونَ﴾ [الآية 70] تسرون أو تزينون أو تكرمون أو تفتون أو تبسطون.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الآية 71] أي من ذهب والصحاف جمع صحفة والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له ﴿وَفِيهَا﴾ [الآية 71] وفي

الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ [الآية 71] وقرأ ابن عامر ونافع وحفص تشتهيه أي في معيشتها ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الآية 71] بمشاهدته ﴿وَأَسْرُّ فِيهَا فَتَلِدُونَ﴾ [الآية 71] دائمون فإن كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وما أحسن من قال:

أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالاً
قال جعفر: شتان بين ما تشتهي الأنفس وبين ما تلذ الأعين لأن جميع ما في الجنات من النعيم والشهوات في جنب ما تلذ الأعين أصعب يغمس في البحر لأن شهوات الجنة لها حد ونهاية وما تلذ الأعين في الدار الباقية من لقاءه لا حد له ولا صفة ولا غاية.

وقال الواسطي: الذي ذكر مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ثواباً لأولياته لم يقدر أحد أن يصفه فكيف يقدر أحد على وصف مثبه انتهى وكأنه أشار إلى معنى الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»⁽¹⁾.

وقال الأستاذ: لهم فيها ما تشتهي أنفسهم لأنهم قاسوا في الدنيا بحكم المجاهدة ألم الجوع والعطش وتحملوا وجوه المشاق في كل باب فيجازون في الجنة بوجوه من الثواب وأما أهل المعرفة والمحبة فلهم ما تلذ أعينهم من النظر إلى الله لطول ما قاسوه من شدة الفراق وفرط الاشتياق بقلوبهم وما علوه من الاحتراق لشدة غليلهم.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 72] أي هي التي أعطيتكم درجاتها بمقابلة أعمالكم وحسب مقامات أحوالكم. وأفاد الأستاذ: أن الخطاب لأصحاب الإخلاص في أعمالهم والصدق في أحوالهم.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (4/2824).

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 73] بعضها تأكلون لكثرتها /147 ب
ودوام أنواع نعمها.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 74] كاملي الإجرام تاركي الإسلام ﴿فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الآية 74] ثابتون دائمون.

﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 75] لا يخفف من عقوباتهم ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الآية 75] آيسون من نجاتهم ومتحIRON في ظلماتهم.

قال الأستاذ: وأما أهل التوحيد فقد يكون قوم منهم في النار ولكن لا يخلدون فيها وقد يفتقر العذاب عنهم بها وفي الخبر الصديق أنه يميتهم الحق إمامة ولعل المراد بالإمامة الغشبية أو الإنامة إلى أن يخرجهم من النار وذكر في الآية أن الكفار مبلسون والإبلاس الخيبة فدل على أن المؤمنين فيها لا يأس لهم فهم وإن كانوا في بلائهم فهم على وصف رجائهم يعدون أيامهم إلى أن تنتهي أشجانهم ولقد قال الشيخ إن حال المؤمن في النار من وجه أروح لقلوبهم من حالهم في الدنيا لأن اليوم خوف الهلاك وغداً يقين النجاة ولقد أنشدوا:

عيب السلامة أن صاحبها متوقع لقواصم الظهر
وفضيلة البلوى ترقب أهلها عقب الرجاء ونومة الدهر⁽¹⁾

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ [الآية 76] لأنه من المحال ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 76] على أنفسهم بما أورثهم سوء الحال.

﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِيَفْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الآية 77] أي سل ربك أن يميتهنا وينجيننا من عقوبتنا ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَعَكُونُ﴾ [الآية 77] لا خلاص لكم بموت ولا مناص لكم بفوت.
وأفاد الأستاذ: أنهم لو قالوا يا ملك بدل قولهم يا مالك لعله كان أحوالهم أقرب من الإجابة قلت: وكذا لو قالوا ليقتض علينا ربنا لعله كان أقوالهم أنسب إلى أدب الدعوة الموجبة لقرب الإجابة ولكن وقعوا في الحجاب فلم يروا آداب الخطاب.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/374).

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 78] أي بيان طريق الصواب بالإرسال والإنذار
 ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ [الآية 78] لما في اتباعه من إتعاب الأرواح وآداب
 الأشباح.

﴿أَمْ أَمْرًا أَمْرًا﴾ [الآية 79] في تكذيب الحق لمعانديتهم ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾
 [الآية 79] أمراً في معاقبتهم.

وقال الأستاذ: بل أمورهم منقطعة عليهم قل ما يتمشى لهم ما دبروه
 وقل ما يرتفع له من الأمور شيء على ما قدره.

﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ [الآية 80] حديث أنفسهم بذلك ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾
 [الآية 80] وتناجيتهم هنالك ﴿بِكَلِمَةٍ﴾ [الآية 80] نسمعها ﴿وَرُسُلَنَا﴾ [الآية 80] الحفظة
 مع هذا ﴿لَدَيْهِمْ﴾ [الآية 80] ملازمون لهم ﴿يَكْتُوبُونَ﴾ [الآية 80] ما لهم وما
 عليهم.

وقال الأستاذ: إنما خوفهم بسماع الملائكة/ وكتابتهم أعمالهم عليهم 148/أ
 لغفلتهم عن الله ولو كان لهم خبر عن الله لما خوفهم بغير الله ومن علم أن أعماله
 تكتب عليه ويطلب بمقتضى ما جرى لديه قل إمامه بما يخاف أن يسأل عنه.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ [الآية 81] في زعمكم ﴿فَأَنَا أَوْلُ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 81]
 الموحدين لله الذي لا يلتفتون إلى سواه.

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية 82] من
 كونه ذو إله أو صاحبة أو كفؤ ومماثلة.

﴿فَذَرَهُمْ مَبْجُوثًا﴾ [الآية 83] في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ [الآية 83] في دنياهم
 ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ [الآية 83] أي القيامة ومنزلة الندامة وفيه دلالة
 على أنهم مطبوع على قلوبهم في الدنيا معذبون على كفرهم في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن في هذا دليلاً على أنه لا ينبغي للعبد أن يغتر بطول
 السلامة فإن العواقب غير مأمونة الملامة.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الآية 84] مستحق لأن يعبد

فيهما وفيه نفى الآلهة السماوية والأرضية واختصاصه باستحقاق الألوهية ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الآية 84] كالدليل على اتصافه بالربوبية الموجبة للعبودية.

وأفاد الأستاذ: أن المعبود في السماء هو الله والمقصود في طلب الحوائج في الأرض هو الله فأهل السماء لا يعبدون غير الله وأهل الأرض لا يقضي أحد حوائجهم غير الله وهو الحكيم فيما قضى وأراد العليم بأحوال العباد.

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 85] كالهواء أي بقدرته يظهر ملكهما إلا أنه يتعزز بظهورهما ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الآية 85] التي تقوم فيها القيمة ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 85] للجزاء على الطاعة والمعصية وقرأ نافع وأبو عمر وابن عامر وعاصم بالخطاب وفيه وعد ووعد.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾ [الآية 86] كما تتوهمون شفاعة الآلهة ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 86] لكن من شهد بالتوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 86] حقيقة التفريد فله الشفاعة في تلك الساعة.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دليلاً على أن جميع المسلمين شفاعتهم غداً مقبولة.

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ [الآية 87] أي المشركين ﴿مَنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الآية 87] من خلق العابدين والمعبودين ﴿لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الآية 87] إذ ليس لهم جواب سواه إذ من فرط 148/ ب ظهوره / تعذر المكابرة في أمره ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الآية 87] تصرفون من عبادته إلى عبادة غيره.

﴿وَقِيلِهِ﴾ [الآية 88] أي ويعلم قوله رسوله وقرأ عاصم وحمزة بالجر وعنده علم قوله ﴿يَكْرَبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 88] وعلى كفرهم مصرون. ﴿فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ﴾ [الآية 89] أعرض عن بهتانهم آيساً عن إيمانهم ﴿وَقُلْ سَلِّمُوا﴾ [الآية 89] في رد طغيانهم أين أمري تسلم منكم ومتاركة عنكم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 89] عقوبة ما يستوجبون وقرأ نافع وابن عامر بالخطاب وفيه تهديد شديد لهم بنزول العقاب.

سورة الدخان

[مكية]

وهي سبع⁽¹⁾ وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة من ذكرها نال في الدنيا والعقبى بهجته ومن عرفها بذل في طلبها مهجته كلمة إذا استولت على قلب عطلته عن كل شغل وإذا واظب على ذكرها عبد أمنت من كل هول.

﴿حَمْدٌ ۝١ وَأَلَكِتَابٍ ۝٢﴾ [الآيتان 1، 2] الحاء يشير إلى حقه والميم يشير إلى محبته ومعناه بحق محبتي لعبادي وكتابي أن لا أعذب أهل محبتي بفرقتي وحجابي.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ [الآية 3] في ليلة القدر أو البراءة ابتداءً فيها إنزاله وأنزل فيها من اللوح جملة إلى السماء الدنيا ثم أنزل منجماً بحسب القضايا وبركتها لكثرة خير وجد فيها فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والمصالح الدنيوية أو لما فيها من كثرة نزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسمة النعمة وفصل الأفضية قيل: أعظم الليالي بركة ليلة أقيمت فيها لربك مناجاته وأقلها عليك بركة ليلة غفلت فيها عن أذكاره وطاعاته.

وأفاد الأستاذ: أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فيها كل سنة بمقدار ما كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم بنجومها وأشد الليالي بركة ليلة يكون العبد فيها حاضراً بقلبه مشاهداً لربه

(1) كذا في الأصل المخطوط.

يتنعم بأنوار الوصلة ويجد فيها نسيم القربة ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الآية 3] أي ومبشرين كما يشير إليه قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الآية 4] فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظامها وكرائمها.

149/أ وقال/ الأستاذ: أي في هذه الليلة ينزل النسخة من السماء لما يحصل في السنة من أقسام الحوادث من الخير والشر والمحن والمنن والنصرة والهزيمة والخصب والجذب ولهؤلاء القوم من الحجب والجذب والفصل والوصل والوفاق والخلاف والتوفيق والخذلان والقبض والبسط فكم من عبد نزل له الحكم والقضاء بالشقاء والبعد وآخر ينزل حكمه بالولاء والرفد.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ [الآية 5] أي أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من لدنا على مقتضى حكمتنا ووفق إرادتنا ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الآية 5].

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 6] بدل من إنا كنا منذرين أي إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتاب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم كما تقتضيه الربوبية ليقوموا بحق العبودية أو المعنى لأن من شأننا أن نرسل رحمتنا فإن فصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها وصدور الأوامر الإلهية من باب الرحمة وإرادة النعمة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 6] لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 6] بأعمالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن رحمة هي رحمة نبي الأمة وفي الخبر: «أنا رحمة مهداة»⁽¹⁾. ويقال: إنا كنا مرسلين رحمة لقلوب أوليائنا بالتوفيق ولقلوب أصفائنا بالتحقيق إنه هو السميع لأنين المذنبين العليم بحنين المحبين.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 7] أي هو خالقهما ومربي ما فيهما وقرأ الكوفيون بالجر بدلاً من ربك ﴿إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾ [الآية 7] أي مردين اليقين

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 91) رقم (100)، والطبراني في المعجم الأوسط (3/ 223) رقم (2981)، والدارمي في السنن (1/ 21) رقم (15)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 325) رقم (31782).

فاعلموا ذلك فإنه النافع في الدين.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 8] أي لا خالق سواه ﴿يُخَيِّءُ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 8] كما تشاهدون في قضاياها.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الكلمة الطبية نفي ما أثبتوه بجملهم وإثبات ما نفوه بجحدهم ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ [الآية 8] أي مربى أصلكم ونسلكم من الأولين والآخرين.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الآية 9] في غفلة عن الدين وهو رد لكونهم موقنين.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 10] يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهية الدخان من ضعف الأبصار أو لأن الهواء يظلم عام القحط لقللة الأمطار وكثرة الغبار وقد قحطوا حتى أكلوا جيف الكلب والحمار أو يوم/ ظهور الدخان المعدود في أشرط الساعة لما روي أنه عليه السلام لما قال أول الآيات الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر والدخان قال حذيفة وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية⁽¹⁾.

وقال سهل: الدخان في الدنيا قسوة القلب والغفلة عن ذكر الرب.

وأفاد الأستاذ: أن هذا من أشرط الساعة يتقدم عليها وقيامه هؤلاء معجلة وأما القوم فلهم يوم غيبة الاحتجاب وانسداد ما كان مفتوحاً لهم من الأنس بالأحباب.

﴿يَخْشَى النَّاسَ﴾ [الآية 11] يحيط بهم صفة للدخان وقوله ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 11] بيان لشأن ذلك الزمان.

(1) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (266/3) رقم (1174)، وانظر ما أورده البغوي في تفسيره (230/7)، والرازي في تفسيره (7/14).

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 12] أي يقولون بلسان
القال أو بيان الحال.

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ [الآية 13] من أين لهم أنهم يتذكرون بهذه الحالات ﴿وَقَدْ
جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 13] يبين لهم ما هو أعظم منها في إيجاب التذکر من
الآيات والمعجزات.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾ [الآية 14] أعرضوا عن كلمته وأدبروا عن صحبته ﴿وَقَالُوا
مُعَافٍ﴾ [الآية 14] في قراءته ﴿مَجْنُونٌ﴾ [الآية 14] في دعوى رسالته.

وأفاد الأستاذ: أن القوم قد يستزيدوا العذاب على العذاب على عكس
أحوال أصحاب الحجاب فهم يسألون البلاء بدل ما يستكشفه الخلق من
الغطاء ويتمنون أنواع الغطاء وأما هم فيقولون:

أنت البلاء فكيف أرجو كشفه إن البلاء إذا فقدت بلائي

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ [الآية 13] أي إن خالفوا سفرة قلوبهم من الخواطر التي ترد
من الحق عليهم عوقبوا في الوقت بما لا يتسع له وسعهم فإذا أخذوا في الاستغائة
يقال لهم: أنى لكم ذكري وقد جاءكم رسول على قلوبكم فخالفتهم أمري.

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ [الآية 15] بدعاء نبينا فإنه دعانا برفع القحط والغلاء
﴿قَلِيلًا﴾ [الآية 15] زماناً قليلاً وهو ما بقي من أعمارهم ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الآية 15]
إلى الكفر عقب كشف الضر ومن فسر الدخان بما هو من الأشراف قال إذا جاء
الدخان غوث الكفار بالدعاء لكشف البلاء فيكشف الله عنهم بعد أربعين وريثما
يكشفه عنهم يرتدون على عقبهم.

﴿يَوْمَ نَبْطِئُ الْبَاطِنَةَ الْكُبْرَى﴾ [الآية 16] يوم القيامة أو يوم بدر أي نأخذهم
أخذة أكيدة ونواخذهم مؤاخذه / شديدة ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الآية 16] عموماً أو
خصوصاً.

وقال الأستاذ: أي نورثكم ذلك اليوم حزناً طويلاً ولا تجدون في ظل
انتقامنا مقيلاً.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 17] امتحناهم بإرسال موسى عليه السلام إليهم وأوقعناهم في الفتنة بالإمهال وتوسع الرزق عليهم ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 17] على ربه أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه.

﴿أَنْ أَدُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الآية 18] بأن أذوهم إلي وأرسلوهم معي والمراد تخلية بني إسرائيل من استعباد فرعون واستسخار جنده ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ [الآية 18] من عنده ﴿أَمِينٌ﴾ [الآية 18] مؤتمن على وحيه.

﴿وَأَنْ لَا تَمْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 19] لا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله ﴿إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ [الآية 19] برهان واضح على تحقيق نبوتي وتصديق رسالتي من أنواع المعجزات والأدلة الواضحات.

﴿وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [الآية 20] التجات إليه وتوكلت عليه من أن تؤذوني ضرباً أو شتماً أو قتلاً.

﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّونِ﴾ [الآية 21] فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ [الآية 22] بعد ما أصروا على تكذيبه ﴿أَنْ هُوَءَاءَ﴾ [الآية 22] بأن هؤلاء السفهاء ﴿قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ [الآية 22] كاملون في الإجرام مستحقون سوء الانتقام.

﴿فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾ [الآية 23] وقرأ الحرميان بهمز الوصل أي فقال تعالى: سر معي بني إسرائيل في ليل إلى جانب النيل ﴿إِنكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ [الآية 23] يتبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم من عنده.

﴿وَأَتْرَكُ الْبَحْرَ﴾ [الآية 24] أي بعد ما تتجاوزه ﴿رَهْوًا﴾ [الآية 24] مفتوحاً ذا فجوة واسعة أو ساكناً على هيئة مطمئنة ولا تضربه بعصاك ثانية ليرجع إلى حاله حتى يدخل فرعون مع جميع [آله] ﴿إِنَّهُمْ بِسِنْدٍ مُتَرَفُونَ﴾ [الآية 24] وبعد إغراقهم محرقون.

﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ [الآية 25] تركوا كثيراً تركوا ﴿مِن جَنَّتٍ وَعَيْونِ﴾ [الآية 25] جارية.

﴿وَزُرُوعٍ﴾ [الآية 25] وافية ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 26] محافل مزينة ومنازل

مستحسنة.

﴿وَنِعْمَةً﴾ [الآية 27] وتنعم وسعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾

[الآيتان 27، 28] متنعمين متلذذين.

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ [الآية 28] ليسوا منهم في شيء من النسب

والدين وهم بنوا إسرائيل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه فتنهم بعدما أصروا في جحودهم ولم يوجبوا إلى طريق الرشد من نفرة عنودهم وجاءهم رسول جليل طالبهم بإزالة الظلم ب/150 عن بني إسرائيل واستبصر بالله وأظهر الحجة / من قبل الله ثم أمره بأن يسري بعباده المؤمنين وعرفه أنهم يستنقذون وإن عدوهم جند مغرقون وما خلفوه من أموالهم ورياشهم وبقي عنهم من أسباب معاشهم استلبناه عنهم وأورثناهم واسكننا قوماً آخرين في منازلهم ومبناهم.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الآية 29] مجاز عن عدم الاكتراث

بهلاكهم ونفي الاعتداد بوجودهم ومنه ما ورد في الأخبار أن المؤمن ليكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وفي حديث ما من مؤمن مات في غربة غابت منها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض وقيل: تقديره فما بكت عليهم أهل السماء والأرض ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الآية 29] ممهلين إلى وقت آخر أدنى حين قال الأستاذ: لم يكن لهم من القدر والخطر ما يتحرك في العالم بسببهم ساكن أو يسكن متحرك فلا الخضراء بفقدهم أغبرت ولا الغبراء بحينهم أحمرت لم يبق منهم عين ولا خبر ولم يظهر من قبلهم على قلب أحد من عبادنا أثر وكيف تبكي السماء بفقد من لم يستبشر في حياته من قبله فإن المؤمن الذي تسر السماء بصعود عمله إليها تبكي عند فقدة عليها.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا نوحًا وَسُلَيْمَانَ وَسِدْرَةَ مَرْيَمَ بَنَاتٍ إِتَّخَذَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ نَفْسًا ذَلِيلَةً﴾ [الآية 30]

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 31] بدل مما قبله بحذف مضاف أو بدونه للمبالغة أي

من استبعاد فرعون إياهم وقتله أبنائهم ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا﴾ [الآية 31] متكبراً في

الجبابرة ﴿مَنْ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 31] في العتو والشرارة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نجاهم وأملكهم وأفنى عدوهم وأهلكهم.

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية 32] عالمين بأنهم أحقاء بهذا الحال أو مع علم منا بأنهم يزيغون في بعض الأحوال ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 32] أي على عالمي زمانهم أو لكثرة الأنبياء منهم.

قال الواسطي: اخترناهم على علم منا بجنایاتهم وما يقترفون من أنواع مخالفاتهم فلم يؤثر في سابق علمنا فيهم أن الجنایات لا تؤثر في الرعايات.

وقال الأستاذ: أي اخترناهم وعلمنا ما يحتقبون من أوزارهم فرفعنا باختيارنا من أقدارهم ما وضعه فعلهم بتدنسهم بأوضارهم ويقال: على علم بما نودع / عندهم من أسرارنا ومكاشفتهم به من حقائق أنوارنا.

أ/151

﴿وَأَنبَأْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ [الآية 33] كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ﴿مَا فِيهِ بَلْأُتُوْا مُبْتَلًى﴾ [الآية 33] نعمة جليلة أو بلية خفية.

وقال الأستاذ: من مطالبته بالشكر عند الرخاء والصبر عند الكد والعناء.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 34] أي قومك من السفهاء ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [الآية 34].

﴿إِنْ هِيَ﴾ [الآية 35] ما عاقبة الدهر ونهاية الأمر ﴿إِلَّا مَوْلَانَا الْأُولَىٰ﴾ [الآية 35] المزيلة للحياة الدنيوية ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الآية 35] بمبعوثين للحياة الأخروية.

﴿فَأَتُوا بِآبَائِنَا﴾ [الآية 36] الميتين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 36] في أنا معذيين والخطاب لمن أوعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ [الآية 37] في القوة والمنعة ﴿أَمْ قَوْمٌ تُبِخُّ﴾ [الآية 37] أي الحميري الذي سار بالمجوس وصير الحيرة وبنى سمرقند وقيل: هدمها وقد كان مؤمناً وقومه كافرين ولذا ذمهم دونه وعنه عليه السلام: «ما أدري أكان تبع نبياً أو

غير نبي»⁽¹⁾. ويقال لملوك اليمن: تبابعة لأنهم يتبعون ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 37] كعاد وشمود ونحوهم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الآية 37] أي مع كثرة عدتهم، وشدة قوتهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الآية 37] أي قوماً كافرين.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 38] وما بين جنسيهما ﴿لَعِينِينَ﴾ [الآية 38] لاهين مبطلين وهو دليل على صحة الحشر والنشر كما مر مراراً.

﴿مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 39] إلا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الإيمان والطاعة أو البعث والجزاء بالمشوبة والعقوبة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 39] لقلة نظرهم وتفكرهم وقصور تصورهم.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ [الآية 40] أي وقت فصل الحق من الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء الكامل ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾ [الآية 40] وقت مواعدهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 40] قال بعضهم: يوم الفصل بين كل عامل وعمله فمن صحح له مقاله وأعماله قيل منه وجوزي عليه ومن لم يصحح له أعمالاً وأحوالاً كان عمله عليه أنكالاً وأثقالاً.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى﴾ [الآية 41] من قرابة أو غيرها ﴿عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ [الآية 41] من الإغناء أو من العناء ﴿وَلَا هُمْ يُنصُرُونَ﴾ [الآية 41] بمساعدة الأولياء.

﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ﴾ [الآية 42] بالعفو عن جرمه أو قبوله الشفاعة في حقه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 42] الغالب على من أراد انتقامه ﴿الزَّحِيمُ﴾ [الآية 42] لمن شاء إنعامه.

151/ ب ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الآيتان 43، 44] أي / كثير الإثم والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه.

﴿كَالْمُهْلِ﴾ [الآية 45] وهو ما يهمل في النار حتى يذوب قيل: وروي الزيت وقيل: النحاس المذاب ﴿يَطَّلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الآية 45] وقرأ ابن كثير وحفص بالتذكير على أن الضمير للطعام أو للزقوم وقيل: للمهل وهو الأقرب وإن كان

(1) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (270/3) رقم (1179).

الأولان أنسب.

﴿ كَفَلِيَ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الآية 46] غلياناً مثل على الماء الحار.

﴿ حُدُوهُ ﴾ [الآية 47] يقال: للزبانية امسكوه ﴿ فَأَعْتَلُوهُ ﴾ [الآية 47] وقرأ الحجازيان وابن عامر بالضم أي فجروه ﴿ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الآية 47] أي وسط النار الموقدة.

﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الآية 48] أصله ثم صبوا فوق رأسه الحميم كما في سورة الحج ثم حول إلى صبوا فوق رأسه عذاباً هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب إلى الحميم تحقيقاً وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع.

﴿ ذُقْ ﴾ [الآية 49] أي العذاب الأليم ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الآية 49] عند قومك وأما عندنا فأنت الذليل المهين وقرأ الكسائي بالفتح أي لأنك والمعنى قولوا له ذلك تهكماً به وتقريعاً على ما كان في زعمه.

﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ [الآية 50] العذاب المعاین ﴿ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمَرُّونَ ﴾ [الآية 50] تشكون فيه.

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ ﴾ [الآية 51] في موضع قيام وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم أي في موضع إقامة ﴿ آمِينَ ﴾ [الآية 51] يا من صاحبه عن آفة الزوال ومحنة الانتقال.

﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الآية 52] بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشرب في إقامته.

﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ ﴾ [الآية 53] ما رق من الحرير ﴿ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الآية 53] ما غلظ منه ﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الآية 53] في مجالس قدسهم ومنازل أنسهم.

﴿ كَذَلِكَ ﴾ [الآية 54] الأمر أو الأمر كذلك ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الآية 54] قرناهم بهن وأبحناهن لهم من غير تزويج وتزوج لهن والحوراء البيضاء والعيناء عظيم العين الحسناء والصحيح أنهن غير نساء الدنيا.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ [الآية 55] يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه في جميع الأحيان لا يتخصص شيء منها بزمان ولا مكان ﴿ءَامِينَ﴾ [الآية 55] من الضرر والنقصان.

وأفاد الأستاذ: أن الولي تمكن بهذه الأوصاف من هذه الألفاظ ثم قد تختطف قوماً من بين هذه الأسباب فيجزهم عن هذه الجملة وكما أن الزهاد وطن الدنيا عليهم قلبها فيخطفهم عنها كذلك في الآخرة / طمع الحور العين في صحبتهم فيسليهم عنها فالزاهد من الدنيا بحمية والعارف من الجنة بحمية. 152/أ

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ [الآية 56] أي في الآخرة ﴿الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَى﴾ [الآية 56] وهي قبض أرواحهم في الدنيا وهي أول أحوال في العقبي قيل لجنيد أهل الجنة باقون ببقاء الحي قال: لا ولكنهم مبقون ببقاء الحي والباقي على الحقيقة من لم يزل ولا يزال باقياً ﴿وَوَقَّهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 56].

﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 57] عطاء وتفضلاً من ربك الكريم ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية 57] لأنه خلاص عن المكاره الجلية وفوز بالمطالب العلية.

قال الواسطي: هو الفضل من كرمه ورحمته لا الاستحقاق بجهد العبد وكده وحركته.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الآية 58] سهلناه حيث أنزلناه بلغتك وهو فذلكة السورة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 58] لعلهم يفهمونه فيتعظون به فلما لم يتذكروا به ولم يتفكروا فيه.

﴿فَارْتَقِبْ﴾ [الآية 59] فانتظر ما يحل بهم ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ [الآية 59] منتظرون ما يحل بك فيه وعيد لأعدائه ووعد لأحبابه.

قال ابن عطاء: فتح باب ذكره على من يشاء من عباده فلا يفتر عن ذكره بحال وأغلق باب ذكره على من يشاء من عباده فلا يقدر على ذكره بحال.

وقال الأستاذ فارتقب العواقب ترى العجائب أنهم مرتقبون ولكن لا يرون إلا ما يكرهون.

سورة الجاثية

[مكية]

وهي سبع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: وملك لا يستظهر بجيش أحد لا يستمسك بعيش، جبار ارتدى بكبريائه، قهار اتصف بعز سنائه.

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾﴾ [الآية 1] أي بحياتي ومودتي لأولياي لا شيء أعز على أحبائي من لقائي.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ ﴿٢﴾﴾ [الآية 2] بجلاله في أزاله ﴿الْحَكِيمِ﴾ [الأنعام: الآية 18] في أفعاله وحسن إقباله.

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الآية 3] أي في خلقهما. وأفاد الأستاذ: أن شواهد الربوبية لائحة وأدلة الإلهية واضحة فمن صحا فكرته عن سكرة الغفلة ووضع مسيرته في منزلة العبرة حظي لا محالة بحقائق الوصلة.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابِّهِ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] لتتميم معاشكم ﴿إِنَّتُمْ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 4] الجملة محمولة على محل إن واسمها وقرأ حمزة والكسائي بالنصب حملاً على اسمها.

وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا أنعم/ نظره في استواء قده وقامته واستكمال عقله وتمام تمييزه وما هو مخصوص به في جوارحه وحوادثه ثم فكر فيما عداه من الدواب في أجزائها وأعضائها ووقف على اختصاصه وامتيازه بني آدم

من بين البرية من الحيوانات في الفهم والعقل والتمييز والعلم ثم في الإيمان والعرفان ووجوه خصائص أهل الصفة من هذه الطائفة من فنون الإحسان عرف تخصيصهم بمناقبهم وانفرادهم بفضائلهم في مراتبهم فاستيقن أن الله كرمهم وعلى كثير من المخلوقين قدمهم.

﴿وَأَخْلَافٍ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ [الآية 5] مطر وسماه رزقاً لأنه سببه ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 5] يسها ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ [الآية 5] باختلاف جهاتها وأنواع صفاتها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح ﴿ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 5] فيه القراءتان المتقدمتان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل العلوم الدينية كسببية مصححة بالدلائل العقلية والشواهد النقلية فمن لم يستبصر بها زلت قدمه عن الصراط المستقيم ووقع في عذاب الجحيم فاليوم في ظلمة الحيرة والتقليد وفي الآخرة في تخليد الوعيد.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 6] الآيات السابقة ﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 6] علامات قدرته ودلالات حكمته ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 6] ملتبسة بالصدق ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ﴾ [الآية 6] أي بعد حديثه وهو القرآن لقوله الله نزل أحسن الحديث ﴿وَأَيُّهُ﴾ [الآية 6] المذكورة والمعنى إذا لم تؤمنوا بما ذكرنا فبأي دليل بعد آياته المتلوة وعلاماته المنصوبة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 6] وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وحفص بالغيبة.

وقال الأستاذ: من لم يؤمن بها فبأي حديث يعترف ومن أي بحر في التحقيق يغترف هيهات ما بقي للأشكال في هذا من المحال.

﴿وَيْلٌ﴾ [الآية 7] هلاك شديد وعذاب أكيد ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ [الآية 7] مبالغ في الكذب ﴿أَثِيرٍ﴾ [الآية 7] كثير الذنب.

﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلِّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ [الآية 8] يقيم على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ [الآية 8] عن سماع ذكره ﴿كَأَنَّ لَّمْ يَسْمَعَهَا﴾ [الآية 8]. أي كأنه لم يسمع آيات ربه ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ [الآية 8] تهكماً به ﴿بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الآية 8] على إنكاره وإصراره.

وأفاد الأستاذ: أن كلاً من آياته سبحانه صامت ناطق صامت عن القول والكلام ناطق بالبرهان في الأحكام فمن استمع بسمع الفهم / واستبصر بنور التوحيد فاز بذخر الدارين وتصدى لعز المنزليين ومن تصامم بحكم الغفلة وقع في وهدة الجهل ووسم بكبي الهجر.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾ [الآية 9] أي وإذا بلغه شيء وعلم أنه منها ﴿أَتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ [الآية 9] مهزوءاً بها من غير أن يرمي فيها ما يناسب استهزاؤها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الآية 9] غاية الإهانة جزاء وفاقاً في المعاملة.

وقال الأستاذ: اتخذها هزواً أي قابله بالعناد أو ناوله على ما يقع له من وجوه المراد من دون تصحيح بإسناد فهو لاء ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الآية 9] مدل بين العباد وقد يكشف العبد من بواطن القلب بتعريفات لا يتداخله فيها ريب ولا يتخالجه منها شك فيما هو به من حالة فإذا استهان بها وقع في ذل الحجة وهوان الفرقة فعند هذه الفقرة في وقت هذه المحنة فلا عذر يقبل منهم ولا خطاب يسمع عنهم ولهم عذاب الضعف ولا يردون إلى ما كانوا عليه من الكشف.

فخل سبيل العين بعدك للبكا فليس لأيام الصفاء رجوع
﴿يَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الآية 10] أي من قدامهم لأنهم متوجهون إليها أو من خلفهم لأنه بعض القضاء آجالهم يوقعون عليها ﴿وَلَا يُفْنِي﴾ [الآية 10] لا يدفع عنهم ما كسبوا﴾ [الآية 10] من الأموال والأبناء ﴿شَيْئًا﴾ [الآية 10] من الإغناء أو من العذاب والعناء ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 10] أي من الأصناف ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية 10] على زعم أنهم شفعاء ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 10] ليس له انتهاء.

﴿هَذَا هُدًى﴾ [الآية 11] هذا القرآن برهان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ بِهِمْ﴾ [الآية 11] مع ظهور أنوارها وبيان أسرارها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 11] على إنكارها وقرأ ابن كثير وحفص برفع الميم والرجز عذاب عظيم.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ [الآية 12] أي سطح بحره ﴿يَتَجَرَّى الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ [الآية 12] بتسخيره وأنتم راكبون على ظهره ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾

[الآية 12] بالتجارة والصيد والغوص ونحوه ﴿وَلَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 12] ربكم على نعمه.

وأفاد الأستاذ: أنهم يركبون البحر فربما تسلم السفينة وربما تغرق وكذلك العبد في فلك الاعتصام في بحار التقدير يمشي بهم في رياح العناية مرفوع لهم شراع التوكل مرسي في بحر اليقين فإن هبت رياح السلامة نجت السفينة وإن هبت نكبا الفتنة لم يبق بيد الملاح شيء من الحيلة فعند ذلك 153/ ب المقادير / غالبه وبلغت الحناجر قلوب أهل السفينة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية 13] بأن خلقها نافعة لكم منه حال كون تسخر هذه الأشياء كائنة ﴿مِنْهُ﴾ [الآية 13] أو هي منة منه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 13] في صنعته ويقومون بشكر نعمته.

قال أبو يعقوب النهرجوري: سخر لك الكون وما فيه لئلا يسخرك شيئاً منه وتكون مسخراً لمن سخر لك الكل .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سخر لكم ما خلق من وجوه الانتفاع فيهما إذ ما من شيء من الأعيان الظاهرة إلا ومن وجه للإنسان به انتفاع فالسماء لهم بناء والأرض لهم مهاد إلى غير ذلك فمن الغبن أن يستسخر ما هو مسخر لك وليتأمل العبد في كل شيء إن لم يكن أي خلل كان يرجع إلى الخلق فلولا الشمس كيف كانوا يتصرفون بالنهار ولو لم يكن الليل كيف يسكنون فيه ولو لم يكن القمر كيف كانوا يهتدون إلى الحساب والآجال وكذلك جميع المخلوقات .

ونقل القطب الرباني عبد القادر الجيلاني في كتابه «فتوح الغيب» عن ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله: ﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الآية 13] أي الكل منه فقال: في كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من اسمه فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله باطناً بقدرته وظاهراً بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال وكشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات وأخفى الصنع في الصنعة وأظهر الصنع بالأدوات هو باطن في غيبه

وظاهر في حكمته وقدرته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية 11].

قال الشيخ: ولقد أظهر الله في هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح أمره رفع يد العصمة بابتهاج: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل أنا لنا الله من بركتهم وحشرنا في زمرتهم.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا﴾ [الآية 14] يعفوا ويصفحوا ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الآية 14] لا يتوقعون وقائعه بأعدائه أو لا يأملون الأوقات التي عينها الله لنصر أحبائه ﴿لِيَجْزِيَ﴾ [الآية 14] أي الله ﴿قَوْمًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 14] علة للأمر والقوم هم المؤمنون أو الكافرون والكسب المغفرة أو الإساءة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿لِيَجْزِيَ﴾ [الآية 14] / بالنون.

أ/154

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ندبهم إلى حسن الخلق وجميل العشرة والتجاوز عن الجهلة والتنقي من كدورات البشرية ومضايقات الشح والحالات النفسية وبيّن أن الله لا يفوته أحد فمن أراد أن يعرف كيف يحفظ أوليائه ويهلك أعداءه فليصير أياماً قلائل ليعلم كيف صارت عواقبهم.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [الآية 15] لها ثوابه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [الآية 15] عقابه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 15] فيجازيكم على أعمالكم وفق أحوالكم. وقال الأستاذ: من عمل صالحاً فله مهناه ومن ارتكب سيئة قاسى بلواه ثم مرجعه إلى مولاه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ [الآية 16] التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ [الآية 16] الملك والحكومة أو الحكمة العلمية والعملية ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الآية 16] إذ كثر الأنبياء فيهم ما لم يكثر في غيرهم أو علوم النبوة من حسن سيرتهم وسمت طريقتهم ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الآية 16] الحلالات من المستلذات ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 16] أي عالمي زمانهم بإنزال الآيات الواضحات.

﴿وَعَآيِنَاهُمْ يَبْيِّنُ مِنَ الْأَمْرِ﴾ [الآية 17] أدلة في أمر الدين وتندرج فيه

المعجزات ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ [الآية 17] في ذلك الأمر ﴿إِلَّا مِنْ بَدَمَ مَا جَاءَهُمْ أَلِيمٌ﴾ [الآية 17] بحقيقة الحال وما يترتب عليه من المآل ﴿بَيِّنًا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 17] عداوة وحسداً فيهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 17] بالمؤاخذه للعاصين والمجازاة للمحسنين.

قال سهل: فتحنا أسماعهم لفهم خطابنا وجعلنا أفئدتهم وعاءاً لكلامنا وكتابنا وأعطيناهم فراسة صادقة يحكمون بها في عبادنا حكم حق وإخبار صدق في هذه البينات من الأمر.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ﴾ [الآية 18] واضحة ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ [الآية 18] أمر الديانة ﴿فَاتَّبَعَهَا﴾ [الآية 18] اتبع شريعتك الثانية بالحجج البينة ﴿وَلَا تَسْمَعُ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 18] أو الجهال التابعة للهوى أو الشهوة.

قال سهل: على منهاج من كان قبلك من الأنبياء والأولياء فإنهم على منهاج الهدى وسراج الضياء والشريعة هو الشارع الممتد الواضح إلى طريق النجاة وسبيل الرشد والصفاء والوفاء.

وقال الأستاذ: أي أفردناك بلطائف فاعرفها وبيننا لك طرائق فاسلكها وأثبتنا لك حقائق فلا تتجاوزها ولا تجنح إلى متابعة غيرك فيها.

154/ ب ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا/ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [الآية 19] مما أراد بك من العطاء أو العناء ﴿وَأَنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الآية 19] إذ الجنسية علة الانضمام فلا توألم باتباع أهوائهم ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 19] فواله بالتقى واتباع الشريعة والهدى أو فكن من الأولياء المتقين وحزبهم في مقام اليقين.

قال سهل: من استغنى بغير الله تعالى فبغناه افتقر ومن تعزز بغيره سبحانه فبعزه ذل واحتقر، ألا ترى أن الله يقول: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [الآية 19].

وقال الأستاذ: إن أراد الله بك نعمة فلا يمنعها أحد وإن أراد بك فتنة فلا يصرفها عنك أحد فلا تعلق بمخلوق فكرك ولا تتوجه بضميرك إلى غير

ربك والتجئ إليه وتوكل عليه واستسلم لديه .

﴿ هَذَا ﴾ [الآية 20] القرآن ﴿ بَصَايِرَ لِلنَّاسِ ﴾ [الآية 20] بينات تبصرتم وجه
العرفان بعمومهم ﴿ وَهَدَى ﴾ [الآية 20] من الضلالة ﴿ وَرَحَّمَهُ ﴾ [الآية 20] ونعمة في
الدلالة ﴿ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الآية 20] يطلبون اليقين في الدين بخصوصهم .

وأفاد الأستاذ: أن أنوار البصيرة إذا تلالأت انكشفت دونها تهمة التجويز
وناظر الناس على مراتب من نظر بهجوم نجومه وهو صاحب عقل ومن ناظر
بنور فراسته وهو صاحب ظن ومن ناظر بتقوية روح ولكنه من وراء ستر ومن
ناظر بيقين علم بحكم برهان وشرط فكر ومن ناظر بعين إيمان بوصف اتباع
ومن ناظر بنور بصيرة هو على نهار وشمسه طالعة وسماؤه مصحية .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ [الآية 21] بل أظن الذين اكتسبوا الكفار
والمعاصي ﴿ أَنْ يَجْعَلَهُمْ ﴾ [الآية 21] نصيرهم ﴿ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾
[الآية 21] أي مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله ﴿ سَوَاءٌ نَجْعَلُهُمْ وَمَمَاتِهِمْ ﴾
[الآية 21] الجملة بدل من الكاف والضميران للموصول الأول إذا المعنى إنكار أن
تكون حياتهم ومماتهم سيئين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه
قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾
[الآية 21] قبح حكمهم ذلك أو يئس شيئاً حكموا به هنالك .

وقال الأستاذ: أي أمن خفضناه في حضيض الضعة كمن رفعناه في
هواء المنعة ومن أخذنا بيده فنعشناه كمن داسه الخذلان فرجمناه ومن بعد
بذل جهد واستفراغ وسع وإسبال دمع واحترق قلب عذرناه / فرحمناه كمن 155/أ
بسط وقت وإنس حال وروح لطف خصصناه فرقيناه وشكرناه ثم قربناه وأدنيناه
يئس ما يحكم قوم لا ولا يخافون أن يتوجه عليهم لوم .

﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ [الآية 22] المقتضي للعدل والصدق
المستلزم للفرق بين المسيء والمحسن في الخلق وإذا لم يكن في الحياة فلا بد
أن يكون بعد الممات ﴿ وَوَيْتَجَزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الآية 22] من الخير
والشر ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: الآية 281] بتنقيص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية

ذلك ظلماً مع أنه لو فعله لم يكن منه إلا عدلاً لأنه لو فعله غيره لكان ظلماً ففي العبارة استعارة كالاتلاء والاختبار.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الآية 23] مهواه بترك متابعة الهدي إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعيده ﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ﴾ [الآية 23] خذله ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية 23] مع علم بضلاله وفساد جوهر روحه في ماله ﴿وَوَحَّمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ [الآية 23] فلا يبالي بمواعظه ولا يتفكر في آياته ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الآية 23] فلا ينظر بعين بصيرة وعبرة وقرأ حمزة والكسائي عشوة ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الآية 23] من بعد إضلاله أو من غيره ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 23] يتعظون بوعظه ويتمثلون بأمره.

وأفاد الأستاذ: إن من لم يسلك سبيل المتابعة ولم يستوف أحكام الرياضة ولم ينسلخ عن حكم هواه بالكلية ولم يؤد به إمام مقتدى به فهو ينجر في كل وهدة ويهيم في كل ضلالة خسارانه أكثر من ربحه ونقصانه أوفر من رجحانه أولئك في ضلال بعيد يعملون القرب على ما يقع لهم من نشاط نفوسهم زمامهم بيد هواهم أولئك قد مكروا واستدرجوا من حيث لم يشعروا.

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الآية 24] يموت بعضنا ويحيى بعضنا ﴿وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الآية 24] مرور الزمان وانقلاب الدوران ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 24] يعني في نسبة الحوادث إلى الدهر وإنكار الحشر والنشر ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الآية 24] إذ لا دليل لهم عليه وإنما قالوه بناء على التقليد والإنكار لما لم يحسوا بعين التأيد.

وأفاد الأستاذ: اغتروا بما وجدوا عليهم سلفهم وخلفهم وزجوا في 155/ ب البهيمية عيشهم وعمرهم وأغفوا عن كد النكرة قلوبهم فلا بالعلم / استبصروا ولا من التحقيق استمدوا رأس مالهم الظن وهم غافلون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 25] واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ [الآية 25] أي متشبثهم عند معارضتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَأْتُونَنَا بِبَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 25] وإنما سماه حجة على حسابانهم

ومساقهم في معرض بيانهم أو المراد حجتهم الداخضة.

﴿قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 26] أولاً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية 26] ثانياً ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ [الآية 26] بأحبابكم ثالثاً في قبوركم مستمرين ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 26] لا ينبغي أن يكون فيه شبهة فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازات والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها وكان يمكن الإتيان بالآباء لكن الحكمة اقتضت أن يعادوا يوم الجمع للجزاء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 26] لقللة تفكرهم وقصور نظرهم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 27] تعميم للقدرة بعد تخصيصها في الجملة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية 27] أي يظهر خسرانهم ويتبين بطلانهم.

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الآية 28] باركة مستوقدة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ [الآية 28] صحيفة أعمالها وحسابها ﴿الْيَوْمَ يُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 28] بثواب أعمالكم وعقابها.

﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ [الآية 29] أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأن كتابة الكتب إنما كانت بأمره ولا يبعد أن يراد بالكتاب اللوح المحفوظ بالإضافة للتشريف ﴿يَطُوعٌ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 29] يشهد عليكم بما عملتم على وجه الصدق من غير زيادة أو نقصان ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ [الآية 29] ستكتب الملائكة ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 29] أي أعمالكم العامة.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الآية 30] التي من جملتها نعيم جنته ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الآية 30] الظفر الظاهر على المرادات لخلوصه عن شوائب الكدورات.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 31] أي فيقال لهم: ألم يأتكم رسلي أفلم تكن آياتي تتلى عليكم ﴿فَأَسْتَكْبِرْتُمْ﴾ [الآية 31] عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الآية 31] بمخالفتها.

وقال الأستاذ: فأما الذين آمنوا فإزوا وسادوا وأما الذين كفروا فهلكوا وبادوا.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 32] كائن صدق ﴿وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الآية 32] إفراد للمقصود من الموعود وقرأ حمزة بالنصب عطف على اسم إن ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ [الآية 32] أي شيء الساعة استغراباً لها واستهجاناً بأمرها ﴿إِنْ نَظُنُّ﴾ [الآية 32] في وقوعها ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ [الآية 32] ضعيفاً لا يفيد الإيمان بها ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ﴾ [الآية 32] بإمكانها.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ﴾ [الآية 33] ظهر عندهم ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [الآية 33] قبحها أو جزاؤها ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 33] أي وباله ووخامة مآله.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِكُمْ﴾ [الآية 34] نتركهم في العذاب ترك ما ينسى ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الآية 34] كما تركتم استعداده وما هيأتم زاده ﴿وَمَا أَوْنَكُمُ النَّارُ﴾ [الآية 34] في دار السوار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾ [الآية 34] أي من أعوان وأنصار.

وقال الأستاذ: ويقال لهم أنتم الذين إذا قيل لكم في حديث عتابكم كذبتهم مولاكم فالיום كما نيستمونا نسيناكم والنار مأواكم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ [الآية 35] استهزأتم بهم ولم تفكروا فيها ﴿وَعَزَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 35] أي مالها وجاهها فحسبتم أن لا حياة سواها ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الآية 35] وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الآية 35] ولا يطالب منهم أن يعتبوا ربهم في عصيانه ويرضوه لفوات أوانه.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ [الآية 36] على ما يبدي وينشئ ويجري ويمضي ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 36] إذ الكل بعض نعمته الدال على كمال قدرته وجمال حكمته.

﴿وَالَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ [الآية 37] الرفعة والعلاء والعظمة والبهاء ﴿فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضُ ﴿ [الآية 37] إذ ظهر فيهما آثارها وتبين أنوارها ﴿ وَهُوَ الْمَرْيُومُ ﴾ [الآية 37] الغالب في مراده ﴿ الْمَكِيمُ ﴾ [الآية 37] فيما قدر ودبر لعباده فاحمدوه وكبروه في بلاده.

قال سهل: العلو والقدرة والعظمة والحول والقوة له في جميع المملكة فمن اعتصم به أيده بحوله وقوته ومن اعتمد على نفسه وكله الله إلى حاله وحركته.

سورة الأحقاف

[مكية]

وهي أربع⁽¹⁾ وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة للقلوب سالبة حكمة للقلوب غالبية واهبة ناهية للمطيعين واهبة ومن العارفين ناهية فالذين تهبهم فلهم لطفه والذين تنهاهم فمن محقه فهو عنه خلفه .

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾﴾ [الآية 1] حميت قلوب أهل عنايتي فصرفت عنها خواطر التجويز وأثبتها في مشاهد اليقين بنور التحقيق فلاح فيها شواهد برهانهم فأضفنا إليها لطائف إحسانهم فكملنا منالهم من عين الوصلة وغذيناهم بنسيم الإنس في ساحات القرية .

156/ب / ﴿تَزِيلُ الْكِنَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الآية 2] المعز للمؤمنين بإنزال كتابه عليهم المحكم لكتابه عن التبديل والتحويل لديهم .

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 3] إلا خلقاً ملتبساً بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والعدل والصدق وقيل: دليل على وجود الصانع وحكمته وجوده وإشارة إلى البعث للمجازاة بمقتضى موعوده ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 3] أي وبتقدير أجل معين ينتهي إليه الكل وهو يوم القيامة أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له في القسمة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا﴾ [الآية 3] من هول ذلك الوقت ونزول العذاب وحصول المقْت ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [الآية 3] لا يتفكرون في

(1) كذا في الأصل المخطوط .

أمره ولا يستعدون لحلوله.

قال ابن عطاء: خلق السماوات والأرض وأظهر فيهما بدائع صنعته وبوادي قدرته فمن نظر إليهما ورأى آثار الصنع فهو لنقصه من نظر وشاهد الصانع فهو لتحققه.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الآية 4] أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل أن يكون لها مدخل في أنفسها في خلق شيء من أجزاء العالم سفلياتها وعلوياتها فتستحق العبادة لأجلها ﴿أَتُنْفِي بِكُتُبٍ مِّن قَبْلِ هَذَا﴾ [الآية 4] الكتاب وهو القرآن فإنه ناطق بالتوحيد وطريق الصواب ﴿أَوْ أَتُكْفَرُ مِنِّي عَلَيْهِ﴾ [الآية 4] أي من بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين الصادرة من نقول الأنبياء أو عقول الحكماء هل فيها على استحقاق العبادة للأصنام ونحوها ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 4] في دعوكم بألوهيتها وهو إلزام بعدم ما يدل على ألوهيتها نقلاً بعد إلزامهم بعدم ما يقتضيها عقلاً.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 5] أي ما يعبد ما سواه ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ [الآية 5] حين دعاه ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية 5] أي في حين ومدة ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ [الآية 5] أي عبادتهم أو ندائهم ﴿عَفْوُونَ﴾ [الآية 5] لأنهم إما جمادات لا يعقلون وأما عباد مسخرون وبأحوالهم مشغولون.

وقال الأستاذ: وأي أثر منهم في الملك أو القدرة والمضرة إن كان لكم حجة فأظهورها أو دلالة فيبينوها وإذ قد عجزتم عن ذلك وعلمتم فهلا رجعتم عن غيركم وأقلعتم ومن أشد ضللاً ممن عبد الجماد الذي ليس له حياة ولا منة في النفع والضرر إثبات.

/ ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ [الآية 6] ليجازوا جزاء ﴿كَثُرًا لَهُمْ أَعْدَاءُ﴾ [الآية 6] 157/ أ يضررونهم ولا ينفعونهم كما ظنوا أنهم شفعاء ﴿وَكَانُوا يَبْكَدُهُمْ كُفْرِينَ﴾ [الآية 6] مكذبين بلسان الحال أو بيان القول.

وقال سهل: هي نفوسهم التي أقادتهم إلى متابعتها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 7] واضحات أو مبيّنات ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ [الآية 7] لأجل الأمر الحق وفي شأن القول الصدق ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الآية 7] حين جاءهم من غير نظر في أمره وتأمل في حكمه ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 7] ظاهر بطلانه ومتحایل برهانه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ [الآية 8] أفترى على الله كذباً على وفق مهواه ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ﴾ [الآية 8] فرضاً وتقديراً ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الآية 8] فلا تقدرون على دفع شيء مني ولو بالحيلة إن عاجلني الله بالعقوبة فكيف اجترى عليه بما يكون سبباً للمضرة ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [الآية 8] تندفعون به من القدح في آياته وتخوضون في معارضة بيناته ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ [الآية 8] بالله ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 8] يشهد لي بالصدق وتبليغ الحق عليكم بالكذب والإنكار مع الإصرار ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 8] وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن منهم وإشعار بحكم الله مع عظم ما صدر عنهم.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنِ الرُّسُلِ﴾ [الآية 9] بديعاً منهم ادعوكم إلى ما لا يدعون إليه أو أقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الإتيان بالمقترحات لديه.

وقال الأستاذ: أي لست بأول رسول أرسلت ولا بغير ما جاؤوا في أصول التوحيد حيث إنما أمرتكم بالإخلاص في العبادة والصدق في العبودية والدعاء إلى محاسن الأخلاق البشرية ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الآية 9] ما يفعل ربنا بنا في الدارين مفصلاً إذ لا علم لي بالغيب إلا مجملاً ﴿إِنْ أُنِجَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الآية 9] أي ما أتجاوز ما نزل علي وهو جواب عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 9].

قال الأستاذ: وفي الآية دليل على فساد قول أهل القدر أن إيلام البريء قبيح في العقل لأنه لو لم يجز ذلك لكان يقول أعلم قطعاً إني رسول الله معصوم فلا محالة يغفر لي ولكنه قال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ليعلم أن الأمر أمره والحكم حكمه له أن يفعل بعباده وفق مراده.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الآية 10] نزل من عنده على عبده

/ ﴿وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿[الآية 10] وهو عبدالله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الآية 10] وهو كونه من عند ربه ﴿فَتَأْمَنَ﴾ [الآية 10] بالقرآن ﴿وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الآية 10] عن الإيمان ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 10] إلى سبيل الإتيان وطريق العرفان.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 11] لأجلهم وفي حقهم ﴿لَوْ كَانُوا﴾ [الآية 11] الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَّوْنَا إِلَيْهِ﴾ [الآية 11] إذ عامتهم موالي وفقراء ورعاء الشاء قاله جماعة من قريش أو يهود كانوا عظماء وأغنياء ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ [الآية 11] ظهر عنادهم في حقه ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الآية 11] كما قالوا ما هذا إلا أساطير الأولين.

﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ [الآية 12] قبل القرآن وهو خبر لفقوله ﴿كُتِبَ مُوسَى﴾ [الآية 12] ناصب لفقوله ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الآية 12] على الحال ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ﴾ [الآية 12] أي لما بين يديه وقد قرئ به أن لما تقدمه من جميع كتب الله النازلة على رسله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 12] حال من ضمير كتاب في مصدق ﴿يُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 12] علة مصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر والبخاري بخلاف عنه بالخطاب ﴿وَنُشِرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 12] عطف على محله والمعنى إنذار للمسيئين وبشارة للمحسنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ [الآية 13] على ما أمره وقضاه جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلوم الدينية والاستقامة في الأمور التي هي منتهى الأعمال الأخروية وثم للدلالة على تأخر رتبة عمل الإحسان وتوقف اعتباره على معرفة التوحيد وعلم الإيمان ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 13] من لحوق مهروب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 13] على فوات محبوب.

وأفاد الأستاذ: أن من خرج على الإيمان والاستقامة حظي بكل الكرامة ووصل إلى جزيل السلامة وقيل: السين في الاستقامة للطلب وإن المستقيم هو الذي يتהל إلى الله تعالى في أن يقيمه على الحق ويثبته على الصدق.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 14] من

اكتساب الفضائل العملية بعد حصول الفواضل العلمية.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الآية 15] وقرأ الكوفيون إحساناً قال بعضهم: أوصى الله تعالى العوام ببر الوالدين لما لهما عليهما من نعم التربية والحفظ فمن حفظ وصية الله / في الأبوين وقَّفه ببركة ذلك حفظ حرمت الله وكذلك رعاية سائر الأوامر والمحافظة عليها توصل بركاتها بصاحبها إلى محل الرضا والإنس ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الآية 15] ذات كراهة ومشقة وقرأ الحجازيان وأبو عمر وهشام بالفتح ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ﴾ [الآية 15] ومدة حملة وطاقمه ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الآية 15] كل ذلك بيان لزيادة ما تكابده الأم في تربيته الولد مبالغة في الوصية بها، ولذا قال عليه السلام: «برَّ أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك»⁽¹⁾ وقيل: دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه إذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ففي ذلك وتخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [الآية 15] استحکم عقله وقوته ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الآية 15] وهو وقت كمال هدايته فقد قيل: لم يبعث نبي إلا بعد الأربعين ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ [الآية 15] ألهمني أو وفَّقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ بِعَمَلِكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ [الآية 15] من النعم الدينية والدينية.

قال بعضهم: إنما الشكر المعرفة بالعجز عن الشكر وأن توفيق الشكر يوجب الشكر إلى ما لا نهاية لذلك ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الآية 15] أي عملاً يصلح لقبوله ويستجلب رضاه.

قال ابن عطاء: العمل الصالح المرضي ما يصلح للعرض على الحق وقال أيضاً: وفقهم لصالح الأعمال ترضى بها عنهم.

وقال محمد بن علي: لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلاً ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الآية 15] واجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي.

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (19/ 405) رقم (959)، وأبو داود في السنن (499/4) رقم (5141).

وقال سهل: اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق ﴿إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 15] عما لا ترضاه أو يشغل عنك ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسَابِقِينَ﴾ [الآية 15] المنقادين المخلصين.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [الآية 16] يعني طاعتهم فإن المباح حسن ولا يثاب عليه إلا عند تحسين نياتهم ﴿وَنَجَّأُوهُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الآية 16] لتوبتهم أو محو خطيئتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما ﴿فِي أَحْصَابِ الْبُنْتِ﴾ [الآية 16] كائنين في عدادهم ﴿وَعَدَّ الْصِدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الآية 16] من قبل الحق.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍ لَكُمَا أَتَدَانِي﴾ [الآية 17] وقرأ هشام أتعداني بنون واحدة مشددة ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ [الآية 17] من القبور للبعث / والنشور ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ [الآية 17] فلم يرجع أحد منهم قبلي ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ [الآية 17] يقولان الغياث بالله منك ومن قولك ويسألانه أن يعيثنه بالتوفيق للإيمان ﴿وَيْلَكَ ءَامِنٍ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 17] وأخباره صدق ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [الآية 17] أباطيلهم التي كتبها بعض المتقدمين.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [الآية 18] بأنهم أهل النار ﴿فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ [الآية 18] بيان للأمم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [الآية 18] في معاملتهم غير رابحين في تجارتهم خسروا في الدنيا والآخرة وضيعوا رؤوس أموالهم في مدة أعمارهم الذاخرة حيث لم يصرفوها في تحصيل الأحوال الفاخرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمر الإنسان برعاية حق والديه على جهة الاحترام لما عليه لهما من حق التربية والإنعام ورعاية حق الأم من حيث الشفقة والإكرام وإذا لم يحسن حرمة من هو من جنسه فهو أبعد من مراعاة حق سيده ولو لم يكن في هذا الباب إلا قوله صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخطهما لكان ذلك كافياً وللمقصود وافياً وقد وعد الله على بر الوالدين قبول الطاعة بقوله: أولئك الذين نتقبل عنهم

الآية فقبول الطاعة وغفران الزلة مشروط ببر الوالدين وقد ذم الذين اتصفوا في حقهما بالتأفيف وفي ذلك تنبيه على ما رواه في التعنيف فحكم أن صاحبه من أهل الخسران والخسران نقصان في الإيمان فسبيل العبد في رعاية حق الوالدين أن يصلح ما بينه وبين الله فحينئذ الله يصلح بينه وبين غيره وشر خصال الولد في رعاية حق الوالدين التبرم بطول حياتهما والتأدي بما يحفظ من حقهما وعن قريب يموت الأصل وقد يبقى النسل ولا بد من أن يتبع الأصل ولقد قالوا في هذا المعنى رويدك إن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانظر الدهر.

﴿وَلِكُلِّ﴾ [الآية 19] من الفريقين ﴿دَجَّتْ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الآية 19] مراتب لجزاء أعمالهم من الخير والشر في أحوالهم والدرجات مستعملة في المثوبات كما أن الدرجات / في العقوبات وهانها جاءت على أصل اللغة أو بحسب الغلبة ﴿وَلِيُؤْيِبَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 19] جزاءها وقرأ نافع وابن ذكوان وحمزة والكسائي بالنون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 19] بنقض ثواب أو زيادة عقاب بل ليس هنالك إلا عدل أو فضل.

159/ أ

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الآية 20] يعذبون بها كعرض الكتاب عليها ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ [الآية 20] أي يقال لهم أذهبتم وقرأ ابن كثير وابن عامر بالاستفهام ﴿طَبَّيْتُمْ﴾ [الآية 20] لذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الآية 20] باستيفاء شهواتكم ﴿وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا﴾ [الآية 20] فما بقي لكم شيء منها ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الآية 20] الهوان وقد قرئ به ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الآية 20] بغير استحقاق ﴿وَمَا كُنْتُمْ نَفْسُونَ﴾ [الآية 20] تخرجون عن طاعة الله من خلاف وشقاق.

قال الواسطي: من أسره شيء من الأكوان الفانية دق أو جل أو لاحظها بقلبه أو بعينه فقد دخل تحت قوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَبَّيْتُمْ﴾ في حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا [الآية 20].

وأفاد الأستاذ: أن سبيل العبد أن لا ينسى في كل حال معبوده حتى إذا

كان معه همه وسروره أو معه مناجاته في رجائه وبلائه فإن طاب له وقت أو اتفق أن يحصل له أنس أو يغلب عليه رجاء وبسط أو يهجم على قلبه قبض أو يمسه حزن فخطبه ربه فيه فلا يكون من جملة من يقال له: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الآية 20].

﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ﴾ [الآية 21] أي هود عليه السلام ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الآية 21] جمع حقف بالكسر وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشجر من اليمن ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْبُحُرُ﴾ [الآية 21] أي الرسل ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الآية 21] قبل هود وبعده ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية 21] أي لا تعبدوا سواه ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 21] بسبب إصراركم على أشر الحكم.

﴿قَالُوا أَجِئْنَاكَ لِتُؤْتِنَا عَنْ آهَاتِنَا﴾ [الآية 22] لتصرفنا عن عبادتها ﴿فَأَنزَلْنَا بِمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 22] من العقوبة على إشراكها ﴿إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 22] في دعوى نزولها.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 23] لا علم لي بوقت عذابكم وإنما علمه عند ربي فيأتيكم به في وقته قدر لكم ﴿وَأُتِيغَمَّرُ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [الآية 23] إليكم وما علي إلا تبليغ ما وجب عليكم ﴿وَلَنَكْفِيَنَّ/ أَرْكَرُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الآية 23] فيما اخترتم لديكم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ [الآية 24] أي العذاب ﴿عَارِضًا﴾ [الآية 24] سحاباً عرض ونشأ في أفق من السماء ﴿مُسْتَقِيلًا أَوْدِيْنِيْمَ﴾ [الآية 24] متوجهاً من سائر جهاتها ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنًا﴾ [الآية 24] ممطر لنا ﴿بَلْ هُوَ﴾ [الآية 24] أي قال هود ليس كما تظنون أنه السحاب بل هو ﴿مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ [الآية 24] من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ [الآية 24] أي هو ريح عقيم ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 24].

﴿تُدْمِرُ﴾ [الآية 25] أي تهلك وقد قرىء به ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 25] من نفوسهم وأموالهم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الآية 25] إذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون إلا بمشيئته ووفق حكمته ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى﴾ [الآية 25] أيها المخاطب لو

حضرت في مكانهم وزمانهم ﴿إِلَّا مَسْكُتُهُمْ﴾ [الآية 25] خالية عن أعيانهم وقرأ عاصم وحمزة بالياء المضمومة ورفع مسانهم ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 25] أي وننجي المؤمنين فقد روي أن هود عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وفرقهم من البر في البحر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن قصة هود وقومه عاد وما جرى بينهم من الخطاب وما توجه عليهم من العقاب وأخذهم بأليم العقاب.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الآية 26] إن نافية وهي أحسن موقعا من هنا لأنها توجب تكرير المبنى وما موصولة أو موصوفة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً﴾ [الآية 26] ليعرفوا تلك النعم بأسرها ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها ويداوموا في فكرها وذكرها فلم يلتفتوا إليها واغتروا بها وطغوا لديها ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 26] أي ما دفع عنهم شيئا من الإغناء أو العناء ﴿إِذْ كَانُوا يَحْضَدُونَ بِأَيْدِي اللَّهِ﴾ [الآية 26] المنزلة أو بحجج أنبيائه المرسله ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 26] من العقوبة الموعودة.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ [الآية 27] يا أهل مكة ﴿مِنَ الْقُرَىٰ﴾ [الآية 27] كحجر ثمود وقرى قوم لوط عليه السلام ﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ﴾ [الآية 27] بتكريرها وزيادة تقديرها ﴿لَهُمْ يَرْجُونَ﴾ [الآية 27] عن إنكارها.

﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلهَةً﴾ [الآية 28] بدل أو عطف بيان والمعنى / فهلا منعهم من إهلاكهم آلهتهم الذين يتقربون بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ [الآية 28] غابوا عن نصرهم بل ولم يدروا عن أمرهم من نفعهم وضرهم ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ [الآية 28] أي أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ﴿وَمَا كَانُوا يَمْتَرُونَ﴾ [الآية 28] من أنواع الجهالة وأصناف الضلالة فلن يغني عنهم ما أتيناهم حين ما أهلكتناهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾ [الآية 29] أملنا ووجهنا ﴿إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمُونَ أَلْقَرَهُ﴾ [الآية 29] حال ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ [الآية 29] أي القرآن أو الرسول ﴿قَالُوا﴾ [الآية 29] أي بعضهم لبعض ﴿أَنْصَتُوا﴾ [الآية 29] اسكتوا لتسمعة ﴿فَلَمَّا فَضَيَّ﴾ [الآية 29] فرغ من قراءته ﴿وَلَوْأَ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الآية 29] مخوفين إياهم بما سمعوا من هداهم روي أنهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده أو يصلي بأصحابه الفجر على ما رواه الشيخان⁽¹⁾.

قال محمد بن سليمان: ليس في مقام الحضرة إلا الخمول والذبول والسكون تحت موارد الهيبة مع الذلول.

وقال النصرآبادي: هيبة المشاهدة إذا طالعت السرائر بحقائقها أخرست الألسن عن النطق في مشهدها كالجن لما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يقرأ عليهم أوصى بعضهم بعضاً بالإنصات تأدباً لديه.

وأفاد الأستاذ: أن الصيحة على الباب وفي البساط هيبة لأولي الألباب لما حضر الجن بساط خدمته عليه السلام تواصلوا فيما بينهم بحفظ أدب المقام فلما حضروه ﴿قَالُوا أَنْصَتُوا﴾ [الآية 29] فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار وأما الثوران والانزعاج فيدل على غيبة أو غفلة أو قلة تيقظ أو نقصان اطلاع من الحضرة.

﴿قَالُوا يَفْقَهُمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ [الآية 30] من العقائد اليقينية ﴿وَإِلَّا طَرِيقَ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 30] من الشرائع الدينية.

وقال ابن عطاء يهدي إلى الحق في الباطن وإلى طريق مستقيم في الظاهر.

﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الآية 31]

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 495) رقم (3701) وأورده البيضاوي في تفسيره (1/ 185).

160/ ب بعضها وهو ما يكون في خالص حق الله فإن المظالم كالقصاص لا تغفر/ بالإيمان كذا في التأويلات ذكره صاحب المدارك ﴿وَيُجْرِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الآية 31] مما هو معد للكفار واحتج أبو حنيفة وحده رحمه الله باقتصارهم على المغفرة والإجازة على أن لا ثواب لهم في الآخرة والأظهر كما عليه الأكثر أنهم كبنی آدم كما يدل عليه ما في سورة الرحمن من مشاركتهم للإنسان فيما ذكر من نعيم الجنان.

﴿وَمَنْ لَا يُجِيبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 32] إذ لا ينجى منه مهرب ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ﴾ [الآية 32] يمنعونه من عذاب ربه ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 32] حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه ولم يلتفتوا إلى طاعة من هذا سلطانه.

قال سهل: لا يجيب الداعي إلا من سمع النداء ووفق لجواب الدعاء وإلا فمن يقدر أن يجيب هذه الدعوة وقال أيضاً: في قلب كل مؤمن داع يدعوه إلى رشده والسعيد من سمع دعاء الداعي وتبعه في حكمه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 33] ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ﴾ [الآية 33] ولم يتعب ولم يعجز في إبدائهن وإبقائهن فإن قدرته واجبة لا تنقضي بالإيجاد ولا تنقطع بالإمداد ﴿بِقَدْرِ﴾ [الآية 33] الباء مزيدة لتأكيد النفي أي قادر ﴿عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 33] انتهاء كما قدر على أحبابهم ابتداء ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 33] تقدير للقدرة على وجه العام فيكون كالبرهان على المقصود التام.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الآية 34] أي يقال لهم ﴿أَلَيْسَ هَذَا الْعَذَابُ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 34] الثابت في الكتاب ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الآية 34] رب الأرباب ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية 34] في مقام الحجاب.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الآية 35] أولوا الشبث والجد والحزم منهم فإنك من جملتهم بل ومن أجلتهم ومن للتبيين أو للتبعض وأولو العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقديرها وصبروا على تحمل مشاقها

وتكريرها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام أو المراد بهم الصابرون على بلائه كنوح صبر على أذى قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على مفارقة/ ولده 161/أ وفقد بصره ويوسف على محنة حبه ومشقة سجنه وأيوب على ضربه وموسى على طغيان فرعون وشره وداود بكى على خطيئته أربعين سنة من عمره وعيسى لم يضع لبنة على لبنة في دهره وقال: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال تعالى في آدم: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾ [طه: الآية 115]، وفي يونس: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُتُوْتِ﴾ [القلم: الآية 48]. وفي «تفسير السلمي»: أن الدنيا أسست على المحن والبلوى وليس لها دواء إلا الصبر في العناء.

وقد قال ابن عطاء الله: ما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الأقدار.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر هو الوقوف لحكم الله والثبات من غير بث ولا استكراه ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ هُمْ﴾ [الآية 35] لكفار قريش بالعذاب وأمهلهم فإنه لا محالة نازل بهم في وقت عين لهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الآية 35] من آثارنا ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الآية 35] استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى تحسبوا ساعة في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن مدة الخلق من مبتدأ وقتهم إلى منتهى أجلهم بالإضافة إلى الأزلية كلحظة بل هي أقل من لمحة إذ الأزل لا ابتداء له ولا انتهاء وأي خطر لما حصل في لحظة خيراً كان أو شراً بلاغ هذا القرآن أو هذه السورة ﴿بَلِّغْ﴾ [الآية 35] أي كفاية لمن قدر له هداية ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الآية 35] الخارجون عن الطاعة من البداية أو في النهاية.



[مدنية أو مكية]
وهي ثمان وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: من ذكر بسم الله جلت رتبته، ومن عرف بسم الله صفت حالته، ومن أحب بسم الله استكملت قضيته، ومن صحب بسم الله امتحنت أنانيته وتلاشت بالكلية جملته.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 1] أي ومنعوا غيرهم عن سلوك طريق فيه خيرهم ﴿أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الآية 1] جعل مكارمهم كصلة الأرحام وفك الأسارى وشفقة الأيتام ضائعة لامتناعهم عن الإسلام.

وقال الأستاذ: ﴿كَفَرُوا﴾ امتنعوا ﴿وَصَدُّوا﴾ ومنعوا فلأنهم امتنعوا عن الله استوجبوا العقوبة ولأنهم منعوا الخلق عن الله استحقوا الحجة والغيبة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 2] يعم المجاهدين والأنصار ب/161 ﴿وَأَمِنُوا﴾ [الآية 2] من أختيار الأخبار ﴿بِمَا نَزَّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [الآية 2] تخصيص / للمنزل عليه مما يجب الإيمان به تعظيماً له وإشعاراً بأن الإيمان لا يتم دونه ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 2] أي الثابت الذي لا نسخ بعده ﴿كَفَرَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الآية 2] محا عنهم ما صدر منهم من مساوىء أعمالهم ﴿وَأَصْلَحَ بِهِمْ﴾ [الآية 2] حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد في غالب أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: إن الكفر للأعمال محبط والإيمان للتخليد في العذاب مسقط ويقال: [الذين اشتغلوا] بطاعة الله ولم يعملوا شيئاً مما خالف الله فلا

محالة نقوم بكفاية أشغالهم لله .

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 3] ما ذكر من الإضلال والتكفير والإصلاح ﴿يَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 3] وهو تصريح بعد تلويح في
بيان أمرهم .

قال ابن عطاء: أتباع الأوامر والسنن وأتباع الباطل ارتكاب الشهوات
أو ما في النفس ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ [الآية 3] يبين لهم أحوالهم
والمعنى يضرب أمثال هؤلاء لسيئاتهم وأمثال هؤلاء لحسناتهم .

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 4] في المحاربة ﴿فَضْرَبَ الرِّقَابِ﴾ [الآية 4] أي
فاضربوا ضرب الرقاب أو فالزموه فإنه أنفع هذا الباب ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَرُّوهُمْ﴾ [الآية 4]
أكثرتم قتلهم وأغلظتم فشلهم ﴿فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ﴾ [الآية 4] فأسروهم واحفظوهم
بالوثاق ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [الآية 4] فأما تمنون مناً أو تفدون فداء والمراد
والتحية بعد الأسر بين المن والإطلاق وبين أخذ الفداء وهو ثابت عند الشافعية
فإن الذكر الحر المكلف إذا أسر تخير الإمام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق
ومنسوخ عند الحنفية أو مخصوص بحرب بدر فإنهم قالوا يتعين القتل
والاسترقاق .

وأفاد الأستاذ: في بيان المراد أنه إذا حصل الظفر بالعدو فالعفو عنهم
وترك المبالغة في النكير عليهم موجب للندامة وتضييع للفرضية بل الواجب
إزهاق نفوسهم واستئصال أصولهم وكذلك العبد إذا ظفر بنفسه فلا ينبغي أن
يبقى في انتقاش شوكة بقية ولا في قلع شجرها شظية فالحية وإن بقيت من
الحياة بقية فيها فمن وضع عليها أصبعاً بثت فيه سمها لكن إذا رأى في حال
المجاهدة مع النفس أن في إغفاء ساعة وإفطار يوم ترويح لها من الكد وقوة
لها على الجهد فيما يستقبل له من الأمر فذلك على ما يحصل به
الاستصواب/ من لسان شيخ أو فتوى بيان وقت أو فراسة صاحب مجاهدة 162/أ
﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَرْزَاقَهَا﴾ [الآية 4] آلتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح
والكراع ونحوها والمعنى حتى تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسلم

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 4] أي الأمر فيهم ﴿وَلَوْ بَشَاءَ اللَّهِ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 4] لانتقم منهم باستئصالهم ﴿وَلَكِنْ لِيَبْأُولَىٰ أَرْبَابَهُمْ بِبَعْضِ الَّذِي ظَنُّوا﴾ [الآية 4] ولكن أمركم بقتالهم ليلبوا المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم لهم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن كفرهم ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 4] أي جاهدوا في طريق رضاه وقرأ أبو عمرو وحفص قتلوا أي استشهدوا ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 4] فلن يضيعها بل يعطيها آمالهم ويعظم ثوابهم ويكرم ما بهم.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ [الآية 5] سيثبت هدايتهم ﴿وَيُضِلُّهُم بِأَعْمَالِهِمْ﴾ [الآية 5] شأنهم وحالهم. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ الَّتِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الآية 6] في الدنيا حتى اشتاقوا إليها فعملوا ما به استحقوها أو بينها لهم في العقبى بحيث يعلم كل أحد مسكنه ويهدي إليه كأنه كان ساكنه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 7] دينه ورسوله ﴿يُنصُرُكُمْ﴾ [الآية 7] على عدوكم ﴿وَتُؤْتِيهِمُ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الآية 7] في القيام بحقوق إسلامكم والمجاهدة مع مخالف نظامكم.

وقال الحكيم الترمذي: إن أكرمتهم أوليائي أكرمكم.

وأفاد الأستاذ: أن نصره الله من العبد نصره دينه بإيضاح الدليل وتبينه ونصرة الله للعبد بإعلاء كلمته وقمع أعداء ملته.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ [الآية 8] فعثاراً ودماراً حاصلًا لهم وخاصاً بهم.

وقال الأستاذ: لعناً وطرذاً وقمعاً وبعداً وانتصابه بفعله الواجب إضماره سماعاً ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 8] ضيع أحوالهم وأبطل آمالهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية 9] من القرآن لما فيه من التكاليف المخالفة لما ألفه طباعهم ﴿فَأَحْطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 9] حيث لم تكن على وفق هداهم بل كانت على طريق هواهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما زاغوا بقلوبهم أزاغوا بالتلبيس في معاملاتهم

أحبط الله أعمالهم وهتك أستارهم وأظهر للمؤمنين أسرارهم وأحمد نارهم .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 10] بأبدانهم أو بأبصارهم ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ/ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 10] أي مآل حال كفارهم ﴿دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ 162/ ب [الآية 10] استأصل ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم وديارهم وآثارهم ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ امْتَلَأَهَا﴾ [الآية 10] أشباه تلك العاقبة من العقوبة والمهلكة .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 11] ناصرهم على أعدائهم ﴿وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [الآية 11] يرضى عنهم فيدفع العذاب منهم .

قال أبو عثمان: هو معين من أقبل عليه وناصر من استغاث لديه .

وأفاد الأستاذ: أن المولى قد يكون بمعنى المحب فهو ﴿مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي يحبهم ﴿وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [الآية 11] لا يحبهم ويصح أن يقال هذه أرجى آية في القرآن حيث لم يقل مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد وأرباب الاجتهاد بل قال: ﴿مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 11] والمؤمن وإن كان عاصياً فهو من جملة الذين آمنوا لا سيما وآمنوا فعل والفعل لا عموم له .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ﴾ [الآية 12] ينتفعون بمتاع الدنيا من الحرام ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ [الآية 12] حريصين غافلين عن عاقبة الأيام ووخامة الآثام ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [الآية 12] منزل ومقام على الدوام .

وأفاد الأستاذ: أن الأنعام تأكل بلا تمييز بين الحلال والحرام كذلك الكافر غفول والأنعام ليس وقت لأكلها بل تأكل في كل وقت حصل لها كذلك الكافر أكل .

وفي الخبر: «أن الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن في معى واحد»⁽¹⁾ . ويقال: هي تأكل على الغفلة فمن كان في حال أكله ناسياً لربه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (5393)، ومسلم في الصحيح (182/2060).

فأكله كأكل الأنعام في وصفه .

﴿وَكَايَنَ مِّن قَرِيْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرِيْبِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ [الآية 13] أي على حذف المضاف وهو الأهل وإجراء أحكامه على المضاف إليه مجازاً والإخراج باعتبار التسبب ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الآية 13] بأنواع العذاب ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [الآية 13] يكشف عنهم الحجاب قال بعضهم: لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً منهم كما خرج موسى عليه السلام ولكنه خرج حين أُخْرِجَ ألا ترى أن الله يقول أخرجتك ولم يقل خرجت ولا فررت ولا نزعت لأنه بالله والله في جميع أوقاته فلم يجبر عليه الالتفات إلى غير ذات/ الله ومشاهدة صفاته.

أ/163

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الآية 14] حجة من عنده وبيان وهو القرآن أو ما يعمه من البرهان ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ [الآية 14] من الشرك والعصيان ﴿وَالْتَبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية 14] من غير شبهته لهم فضلاً عن حجة عندهم .

وأفاد الأستاذ: أن البينة الضياء والحجة والاستبصار بواضح المحجة فالعلماء في ضياء برهانهم والعارفون في صفاء بيانهم فهؤلاء بأحكام أدلة الأصول يبصرون وهؤلاء بحكم الإلهام والوصول يستبصرون .

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الآية 15] أي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وحالتها الغريبة أو صفتها ما يذكر منها أن ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [الآية 15] وقرأ ابن كثير أسن بالقصر أي غير متغير طعمه ولونه وريحه ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [الآية 15] لم يصر قارصاً ولا حامضاً ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن حَمْرٍ لَّدَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [الآية 15] لذيدة لهم لا كراهة طعم وريح في ابتدائها ولا غائلة سكر وخمار في انتهائها ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصًّى﴾ [الآية 15] لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وأمثالها والمعنى أن في العقبى جميع ما يستلذ منها في الدنيا مجرداً عما ينقصها وينغصها ومعداً لأهلها بكثرتها واستمرار مدتها ﴿وَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الآية 15] صنّف شريف ونوع لطيف خارج عن جنس المشاهدات ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية 15] عن السيئات والغفلات ﴿كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ [الآية 15] أي أفمن هو خالد في هذه الجنة كم هو خالد في العقوبة ﴿وَسُقُواْ مَاءً حَمِيْمًا﴾ [الآية 15]

مكان تلك الأشربة ﴿فَقَطَعَ أَمْمَاءَهُمْ﴾ [الآية 15] من فرط الحرارة.

وقال الأستاذ: كذلك اليوم للأولياء لهم شراب الوفاء ثم شراب الصفاء ثم شراب الولاء ثم شراب في حلل اللقاء ولكل من هذه الأشربة محمل ومحو ولصاحبه سكر وصحو فمن تحسى شراب الوفاء لم ينظر في أيام غيبته عن أحبائه إلى أحدكما قال قائلهم:

وما سر صدري منذ شطت بك النوى أنيس ولا كأس ولا متصرف⁽¹⁾

ومن شرب كأس الصفاء خلص له عن كل شوب فلا كدورة في عهده فهو في كل وقت صاف عن نفسه خال عن مطلوباته قائم به بلا شغل في الدنيا والآخرة ولا حاجة من حاجاته ومن شرب كأس الولاء عدم فيه القرار ولم يغب سره لحظة لا في الليل ولا في النهار ومن شرب في حال اللقاء أنس/ على الدوام ببقائه فلم يطلب مع بقاءه شيئاً آخر لا من عطائه ولا من لقاءه لاستهلاكه في علاته عند سطوات كبريائه.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ [الآية 16] من المنافقين ﴿مَنْ يَسْتَعِجْ إِلَيْكَ﴾ [الآية 16] ليعلم ما نزل عليك أو وقع من الكلام لديك ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [الآية 16] من علماء الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ ءَانفَأُ﴾ [الآية 16] أي شيء الذي قال في هذه الساعة استهزاء في أنفسهم وقرأ البزي بقصر الهمزة بخلاف عنه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية 16] ولذا أظهروا استهزاءهم.

﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا﴾ [الآية 17] من أهل الإسلام ﴿زَادَهُمْ﴾ [الآية 17] بالتوفيق والإلهام ﴿هُدًى﴾ [الآية 17] هداية شاملة للأحكام ﴿وَعَآئِنَهُمْ نَقْوَاهُمْ﴾ [الآية 17] أعطاهم أسبابها وأعانهم على اكتسابها.

قال ابن عطاء: الذين تحققوا في طلب الهداية أوصلناهم إلى مقام الهداية وزدناهم هدى بالوصول إلى الهادي وهو المقصود في البداية والنهاية.

وقال الأستاذ: ﴿أَهْتَدُوا﴾ بأنواع المجاهدات فزادهم هدى بأنوار

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 268).

المشاهدات و﴿أَهْتَدُوا﴾ بتأمل البرهان فزادهم هدى بروح البيان و﴿أَهْتَدُوا﴾ بعلم اليقين فزادهم هدى بحق اليقين.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ [الآية 18] أي ما ينتظرون غيرها ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ [الآية 18] بدل اشتغالهم من الساعة وقوله ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [الآية 18] كالعلة له أي لأنه ظهر بعض إماراتها كمبعث خاتم الأنبياء وانشقاق القمر في السماء ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [الآية 18] فكيف لهم تذكرهم بالطاعة إذا جاءتهم الساعة فحينئذ لا هي تدفع ولا طاعة تنفع فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

﴿فَاعَلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الآية 19] في جميع الكائنات ﴿وَأَسْتَغْفِرَ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية 19] أي إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاء الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم اليقين بالوحدانية الإلهية وتكميل النفس الإنسانية بإصلاح أعمالها وإنجاح أحوالها ويضمها بالاستغفار لما صدر من الزلات في حالة الغفلات منك ومن أتباعك وإن كان تفاوت بين السيئات فإن حسنات الأبرار سيئات الأحرار ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَبِّحَكُمْ﴾ [الآية 19] في الدنيا فإنها مراحل لا بد من قطعها ﴿وَمَثُورِكُمْ﴾ [الآية 19] في العقبى فإنها / دار إقامتكم فلا بد من دوامها.

164/أ

قال جنيد: أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق عن الأصنام والأوثان إليه فدعاهم فمنهم مجيب ومنهم منكر لديه ودعاه سبحانه إليه من نفسه ومن الأكوان والخلق وأنسه فقال: ﴿فَاعَلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الآية 19] أي الذي اصطفاك على البشر ليس غيره يستحق الألوهية ويقتضي العبودية.

وقال ابن عطاء: عالم قول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ محتاج إلى أربعة أشياء تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة فمن لم يكن له تصديق فهو منافق ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع أي غافل جاهل ومن لم يكن له حلاوة فهو مرء غير مخلص ومن لم يكن له حرمة فهو فاسق لأن حرمة هذه الكلمة القيام بما يقتضيه من الطاعة.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان عالماً بأنه لا إله إلا الله وأمره

باستدامة العلم واستزادته وكذلك في الثاني من حالته من أول العلم وبدايته لأن العلم أثر ولا يجوز البناء على الأثر فكل لحظة يأتي بها ويقال: كان له علم اليقين فأمر بعين اليقين أو كان له عين اليقين فأمر بحق اليقين ويقال: إنما أمره بالانقطاع إليه من الخلق ثم بالانقطاع منه إلى الحق وإذا قال العبد: هذه الكلمة على العادة والغفلة عن الحقيقة فليس لهذا القول كبير قيمة وهكذا إذا تعجب من شيء فتذكر هذه اللفظة ليس له قدر ولا مرتبة وإذا قاله مخلصاً فيه ذاكراً لمعناه متحققاً بحقيقة مبناه فإن قاله بنفسه فهو في وطن التفرقة.

وعندهم هذا من الشرك الخفي وإن قاله بالحق فهو الإخلاص الجلي والعبد يعلم أولاً ربه بدليل وحجة، فعلمه بنفسه ضرورة وهو أصل الأصول وعليه يبنى كل علم استدلالي ثم تزداد قوة علمه بزيادة البيان وزيادة الحجاج من أنواع البرهان ويتناقض علمه بنفسه لغلطات ذكره الله بقلبه فإذا انتهى إلى حال المشاهدة واستيلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه في تلك الحالة ضرورياً ويقال: الذي في البحر غلب عليه ما يأخذه في الرؤية للبحر عن ذكر نفسه فإذا ذكر البحر قوّى هذه الحالة فإذا غرق في البحر فلا إحساس له بشيء سوى ما هو مستغرق فيه مستهلك وإذا علمت أنك علمت فاستغفر لذنبك من علمك فإن الحق على جلال قدره لا يعلمه غيره.

﴿ وَيَقُولُ / الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ [الآية 20] هلا نزلت سورة في أمر 164/ب
 الجهاد ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةً ﴾ [الآية 20] مبيّنة ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴾ [الآية 20]
 أي الأمر به ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ [الآية 20] ضعف في اليقين ونفاق في
 الدين ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ [الآية 20] على وجه الكراهة ﴿ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ
 الْمَوْتِ ﴾ [الآية 20] جبناً ومخافة ﴿ فَأَوَّلَى لَّهُمْ ﴾ [الآية 20] دعاء عليهم بمكروه يقع
 لديهم يؤول إليه أمرهم.

﴿ طَاعَةٌ ﴾ [الآية 21] أي أمرهم طاعة ﴿ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ [الآية 21] أو حكاية
 قولهم لقراءة أبي يقولون طاعة أي أمرنا طاعة أو أولى لهم طاعة منهم لله ورسوله
 وقول معروف بالإجابة لما أمروا به من الجهاد وغيره أو طاعة وقول معروف خير

لهم ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [الآية 21] أي جد أصحابه ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 21] فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان ﴿لَكَانَ﴾ [الآية 21] الصدق ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية 21].

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [الآية 22] توقعتم من أنفسكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية 22] أمور العام وتأمرتم عليهم في الأحكام أو عرضتم وتوليتم عن الإسلام ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 22] بالظلم والعدوان أو بالكفر والعصيان ﴿وَتَقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [الآية 22] حرصاً على الولاية وتجاذباً للإمارة.

﴿أَوْلَيْتَكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية 23] أبعدهم عن رحمته وطردهم عن جنته لإفسادهم وقطع أرحامهم ﴿فَأَصْحَمَهُمْ﴾ [الآية 23] عن استماع الحق ﴿وَأَعَمَّتْ أَبْصَارَهُمْ﴾ [الآية 23] فلا يهتدون سبيل الصدق.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ﴾ [الآية 24] ألا يتأملون ما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يتحسروا على الكبائر ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [الآية 24] فلا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر.

قال سهل: إن الله تعالى خلق القلوب وأقفل عليها بأقفالها وجعل الإيمان مفاتيحها فلم يفتح على التحقيق إلا قلوب الأنبياء والمرسلين والصديقين وأما سائر الناس فيخرجون من الدنيا وقلوبهم مقفلة كالزهاد والعلماء والعباد لأنهم طلبوا مفتاحها من القفل فضلوا الطريق ولو طلبوا من باب الفضل وجهة التوفيق لفتح أقفال قلوبهم للتحقيق ومفتاح القلوب إن الله قائم عليك رقيب على جوارحك والعلم بأن العمل لا يكمل إلا بالإخلاص.

وقال الأستاذ: أي إن تدبروا القرآن أفضى بهم إلى حسن العرفان وخلص أرواحهم عن ظلمه التحير في وادي الطغيان.

165/أ / ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ [الآية 25] إلى ما كانوا عليهم من إنكارهم وإصرارهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ [الآية 25] بالدلائل اللائحة والمعجزات الواضحة ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ [الآية 25] سهل لهم اقتراف السيئات وحملهم على أتباع الشهوات ﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 25] ومد لهم في آمالهم وأمانهم

أو أمهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لمعاصيهم وقرأ أبو عمرو وأملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير لهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ [الآية 26] أي اليهود أو المنافقين ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ [الآية 26] للمشركين ﴿سَنُطِيقُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [الآية 26] في بعض أموركم ولو كان مخالفاً للدين ﴿وَاللَّهُ يَصْأَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [الآية 26] ومنها قولهم هذا الذي أنشأه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالكسر على المصدر.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية 27] فكيف يعلمون ويحتالون حينئذ حال كونهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ﴾ [الآية 27] بمقامع من حديد فيها بأس شديد.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾ [الآية 28] من الكفر ومعصيته الأمر وإظهار الشر ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [الآية 28] ما يرضاه من الإيمان وطرق الخير ﴿فَلَحَبَطْ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الآية 28] وضيع أحوالهم وأبطل آمالهم.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الآية 29] ضعف دين أو قلة يقين ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ﴾ [الآية 29] لن يظهر لرسوله والمؤمنين ﴿أَصْفَحْتَهُمْ﴾ [الآية 29] أحقادهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ﴾ [الآية 30] لعرفناكم بدلائل تعرفهم بأعيانهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الآية 30] بعلاماتهم التي يسمهم بها واللام لجواب لو كررت في المعطوف للمبالغة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [الآية 30] جواب قسم محذوف ولحن القول أسلوبه الدال على انحراف الفعل من تعريض وتورية في العبادة وغمز ورمز في الإشارة كما يعرف بالفراسة والكياسة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الآية 30] فيجازيكم على حسب أحوالكم.

قال القاسم: إن الأكابر والسادة يعرفون صدق المرید من كذبه في سؤاله وكلامه لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [الآية 30].

وأفاد الأستاذ: في لحن القول أي في معنى الخطاب وأن الأسرة تدل

على السريرة وما يخامر القلوب فعلى الوجوه يلوح أثره كما قيل:

لست ممن ليس يدري ما هوان من كرامة
إن للحب وللبغض على الوجه علامة

ب/165 والمؤمن ينظر بنور الفراسة والعارف/ ينظر بنور التحقيق والموحد ينظر بالله فلا يستتر عليه شيء ويقال: بصائر الصديقين غير مغطاة ففي الخبر: «سدوا كل خوذة غير خوذة أبي بكر»⁽¹⁾.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [الآية 31] بالأمر بالجهد وسائر التكاليف الشاقة المحتاجة إلى المجاهدة ﴿حَتَّى تَمَّارَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ [الآية 31] حتى نميزهم ﴿مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾ [الآية 31] على مشاقها من الواقعين في شقاقها ﴿وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ [الآية 31] ما يخبر به عن أعمالكم فتظهر حسناتها وقبحها من أحوالكم وقرأ أبو بكر الأفعال الثلاثة بالياء لموافقته ما قبلها.

وأفاد الأستاذ: أن الابتلاء والامتحان يتبين جواهر الرجال في اختلاف الأحوال فيظهر المخلص الموافق ويفتضح الممارق وينكشف المنافق إن الذين آمنوا وأخلصوا نجوا وتخلصوا والذين كفروا وناقفوا وقعوا في الهوان وذلوا ووسموا بالشقاوة وقطعوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 32] جمعوا بين الضلال والإضلال ﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ [الآية 32] وخالفوه بعدما ظهر لهم سبيل أهل الكمال ﴿أَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [الآية 32] بما صدر عنهم من الأفعال ﴿وَسَيُحِطُّ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الآية 32] ثواب حسنات أعمالهم الصورية في نظر العوام أو مكائدهم التي نصبوها في مشاقرة الرسول وأصحابه الكرام.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ [الآية 33] في أمره ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [الآية 33] في حكمه ﴿وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾ [الآية 33] بالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (467).

قال الواسطي: أطيعوا الله في حرمة رسول الله وأطيعوا الرسول في تعظيم الله ولا تبطلوا أعمالكم برويتها وطلب النجاة منها.

قال الأستاذ: ﴿وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [الآية 33] بالمساكنة إليها أو بطلب الأعواض عليها أو بتوهمكم أنه يجب بها شيء دون فضل الله لديها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [الآية 34] عام في كل من مات على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القلب ونحوه ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر أمره.

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ [الآية 35] فلا تضعفوا في الجهاد ﴿وَدَعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ [الآية 35] ولا تدعوا إلى الصلح في البلاد ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [الآية 35] الأغلبون من العباد ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [الآية 35] ناصركم في مالكم / ﴿وَلَنْ يَرْكُمَ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الآية 35] لن ينقصكم أعمالكم ولن يضيع أحوالكم.

وقال الأستاذ: لا تميلوا إلى الصلح مع الكفرة وأنتم الأعلون بالحجة والنصرة والله معكم يراكم ومن علم أن سيده يراه في طاعته يتحمل كل مشقة برويته.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الآية 36] لا ثبات لها ولا بقاء بها ﴿وَإِنْ تُرْمُوا وَتَنَفُّوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ﴾ [الآية 36] ثواب إيمانكم وتقويكم ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ [الآية 36] جميعها بل يقتصر على جزء يسير منها كربع العشر ونحوها.

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ [الآية 37] فيجهدكم بطلب كلها ﴿تَبَخَّلُوا﴾ [الآية 37] في إعطائها ﴿وَيُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ﴾ [الآية 37] أي يظهرها الله أو البخل أنواع، حقدكم وأصناف حسدكم وأجناس كيدكم لرسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه.

وأفاد الأستاذ: أن هذا إنما يقوله لمن لم يوق شح نفسه وأما الأحرار ومن علت ربتهم في باب حرية القلب فلا يسامحون في استيفاء ذرة لمرضاة الرب ويطلبون ببذل الأرواح والتزام الغرامات في الأشباح.

﴿هَتَأْتُمْ﴾ [الآية 38] المخاطبون ﴿هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 38] الموصوفون ﴿تُدْعَوْنَ﴾
لِئُسْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 38] طريق رضاه ﴿فَمِنْكُمْ مَن يَبْخُلُ﴾ [الآية 38] في
إنفاق ماله مع أن فيه كماله ونظام ماله ﴿وَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ﴾
[الآية 38] لأنها محل وباله في سوء حاله ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ [الآية 38] عنكم وعن
عبادتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ [الآية 38] إلى رحمته في دنياكم وآخرتكم أو في
بدايتكم ونهايتكم فيما يأمركم به فهو لحاجتكم فإن امتثلتم فلکم نفعه وإن توليتم
فعليكم ضره.

قال جنيد: لأن الفقر يليق بالعبودية والغنى بالربوبية.

وأفاد الأستاذ: أن الفقير الصادق من يشهد افتقاره إلى الله وصدق الفقر
شهود فقرك إلى الله ومن افتقر إلى الله استغنى بالله ومن افتقر إلى غير الله وقع
في الذل والهوان من جهة مهواه ﴿وَلَيْتَ تَتَوَلَّوْا﴾ [الآية 38] عطف على وإن تؤمنوا
أي وإن تعرضوا عن طاعته وعن الإيمان به ومتابعته ﴿يَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾
[الآية 38] أشد منكم طاعة وأصدق منكم عبادة والمعنى هو قادر على أن يخلق
أشكالكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [الآية 38] في العصيان والإعراض عن الإيمان
وترك الشكر بالإحسان بل يكونوا خيراً منكم في أعمالكم وأحوالكم وهم الفرس
ب/166 لأنه يسأل عليه السلام عنهم وكان سلمان رضي / الله عنه إلى جنبه فضرب فخذ
وقال: هذا وقومه (1).

وقال بعضهم: لا يستقر على بساط العبادة إلا أهل السعادة وقد يطأ
البساط المترسمون بالعبودية أوقاتاً ثم لا يستقرون عليه ثباتاً ويبدل الله مكانهم
فيه منه من أوجب السعادة له ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَلَيْتَ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [الآية 38].

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (62 / 16) رقم (7123)، والترمذي في الجامع الصحيح
(383 / 5) رقم (3260)، والطبراني في المعجم الأوسط (8 / 349) رقم (8838).

سورة الفتح

[مدنية]

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله يشير إلى سموه في أزله وعلوه في أبده فمعرفة سموه توجب للعبد سمواً ومعرفة علوه توجب للعبد علواً.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الآية 1] الجمهور على أن المراد بالفتح صلح الحديبية وقال بعضهم فتح مكة المكرمة ويؤيد الأول ما روى محيي السنة إنه لما نزلت في طريق الرجوع إلى المدينة سنة ست من الهجرة قال عمر رضي الله عنه: أو فتح هو يا رسول الله قال: «نعم والذي نفسي بيده وهو صلح بسببه خير الدنيا والآخرة»⁽¹⁾. وفيه بيعة الرضوان وظهور الإسلام وانتشار العلم.

قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا أخبارهم وأسرارهم وشاهدوا أنوارهم وتمكن الإسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير منهم ومن هنا استقبل فتح خبير على أيدي أهل الحديبية من غير مشاركة لغيرهم انتهى.

والمعنى أنه سمي فتحاً لأنه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب

(1) أورده البغوي في تفسيره (7/ 198) والطبري في تفسيره (22/ 202). وورد بلفظ آخر، انظر ما أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 120) رقم (3766)، وفي المعجم الكبير (19/ 445) رقم (1082)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 325) رقم (12648).

فغزاهم وفتح مواضع من مأويهم ولا يبعد أن يكون الفتح بمعنى القضاء أي قضينا لك أنواعاً من الفتوحات المكية وغيرها مما جرى على يديه في وقته أو بعده على أمته فتحاً مبيناً أن بعظمتنا فتحنا لأجل قدرك في حضرتنا ظاهراً معيناً لكونه سبحانه له ناصرأ ومعيناً.

﴿يَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ [الآية 2] المسمى بالاسم الجامع لصفتي الجمال والجلال ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الآية 2] جميع ما فرط منك مما يصح أن يتعاطب عليه لكونه نقصان في مقام الكمال ﴿وَيُتِرُ نَسَمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [الآية 2] بإعلاء كلمة الملة وضم الملك إلى النبوة ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية 2] في تبليغ الرسالة / وإقامة مراسيم الرياسة.

167/أ

﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية 3] نصرأ فيه عزة ورفعة وقوة ومنعة وإنما جعل المغفرة علة للفتح والنصرة لأنه مسبب عن جهاد الكفرة والسعي في إزاحة الفجرة وتخليص الضعفة عن أيدي الظلمة وقيل تعليم للأمة بحملهم على طلب المغفرة.

وقال بعضهم: ما تقدم أي ذنوب أبويك آدم وحواء بحرمتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك.

وعن عطاء الخراساني: ما تقدم في الجاهلية وما تأخر ما لم يعمله في القضية والمعنى قد استوى ما عملت وما لم تعمل في عموم المغفرة وهذا من أوفى المنة وأصفى العطية.

وقال ابن عطاء: كشف الله تعالى ذنوب الأنبياء حتى نادوا على أنفسهم وستر ذنب محمد عليه السلام بقوله: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال جعفر الصادق: من تمام النعمة على نبيه صلى الله عليه وسلم أنه جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع رسله وعرج به إلى المحل الأدنى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ بصره وما طغى وبعثه إلى الأسود والأبيض وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعاً مشفعاً وجعله سيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وهذا تمام نعماه.

وقال الأستاذ: أي ينصرك على هواك ونفسك وينصرك على حسن خلقك ومقاساة الأذى عن قومك نصراً معزاً من آمن بك.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ [الآية 4] السكون الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 4] كما أنزل على الصحابة يوم الحديبية فطمأنت قلوبهم بالصلح في القضية وقيل: السكينة ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه كما روي أن السكينة لتتلق على لسان عمر.

وروى السلمي عن ابن عطاء: أن السكينة نور يقذف في القلب يبصر به مواقع الصواب في طريق الرب.

وأفاد الأستاذ: أن السكينة ما سكن إليه القلب من البصائر والحجج فيرتقي القلب بوجوده عن حد الفكرة والسير في روح اليقين وثلج الفؤاد فيصير العلوم ضرورية وهذا للخواص من المسلمين ﴿لِيَزِدَّاكُمْ إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الآية 4] إيقاناً مع إيقانهم وإحساناً مع إحسانهم وعرفاناً مع عرفانهم وهكذا مترقياً في جميع شأنهم.

وقال الأستاذ: سكوناً مع سكونهم / تطلع أقمار عين اليقين على نجوم علم اليقين ثم يطلع شمس حتى اليقين على بدر عين اليقين ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 4] يدبر أمرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوضع فيهما بينهم السلم منه كما تقتضيه منيع حكمته وبديع معيشته وقيل: المراد بالجنود جميع لمخلوقات الدالة على وحدانيته.

وأفاد الأستاذ: إن ما سلطه الحق على شيء فهو من جنوده سواء سلطه على وليه في الشدة والرخاء أو سلطه على عدوه في الراحة والبلاء ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا﴾ [الآية 4] فيما يدبر ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 4] فيما يقدر.

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 5] أي قدر ما قدر ودبر ما دبر من نصرة المؤمنين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها بعباداتهم فيدخلوا مراتب الجنة على قدر حسناتهم ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿[الآية 5] لأنه منتهى ما يطلب من جلب خير ودفع ضرر.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُتَفِينِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الآية 6] بحسب مراتبهم في الدرجات ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّوا السُّوءَ﴾ [الآية 6] ظن الأمر السوء هو أن لا ينصر رسوله ولا يعطيه سؤله، واكتفى عن ذكر الظاننات إمّا تغليباً لإيجاز المقامات أو إشعاراً بأن ظن السوء كان غالباً على رجالهم في أغلب أحوالهم ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ [الآية 6] أي عليهم خاصة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا تتخطاهم شيء منها ويحيط بهم إحاطة الدائرة بما فيها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السوء بالضم ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 6] فطردهم عن رحمته ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ [الآية 6] أبعدهم عن جنته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 6] مكان نعمته ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية 6] وقبحت مصيراً.

قال الأستاذ: في العاجل بكفرهم ونفاقهم وفي الآجل بعذابهم وسوء عقابهم فكفروا بغضبه وغضبه إرادة العقوبة بهم في العقبي وكون الشرك والنفاق في الدنيا ولعنهم وحقّ فيهم كلمته وسبقت لهم من الله بالشقاوة قسمته .

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 7] باطناً وظاهراً وأولاً وآخراً ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا﴾ [الآية 7] غالباً على مراده ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 7] فيما دبر من أمر عباده. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾ [الآية 8] على أمتك يوم القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ [الآية 8] للمحسنين بالجنة على الطاعة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 8] للمسيئين بالعقوبة على المعصية.

وقال سهل: شاهد بالتوحيد والمعرفة / ومبشراً لهم بالمغفرة ونذيراً محذراً إياهم البدعة والضلالة. 168/أ

وقال الأستاذ: شاهداً بوحدانيتنا ورسوله ويقال: شاهداً من قبلنا ومبشرات، بأمرنا عنا ونذيراً من جانبنا ولنا ومنا ويقال: أقمناك لتبلغ إليهم عنا بنا ولنا ومنا.

﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [الآية 9] الخطاب للنبي والأمة ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ [الآية 9] تقووه بتقوية دينه وتنصروه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الآية 9] تعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الآية 9] تنزهوه أو

تصلّوا له ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الآية 9] دائماً أو غدوة وعشيّاً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الأفعال الأربعة بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن تعزيره إيثاره بكل وجه على نفسك وتقديم حكمه على حكمك وتوقيره باتباع سنته والعلم بأنه سيد بريته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الآية 10] في الحديبية وهي بيعة الرضوان حين أرسل عليه السلام عثمان بن عفان إلى قريش ليعلمهم أنهم جاؤوا معتمرين لا محاربين فأخبر بقتل عثمان فبايعوا على الصبر إلى أقصى الجهد والإمكان ولذا قالوا إنا بايعنا على الموت⁽¹⁾ ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الآية 10] لأنه المقصود ببيعته والمراد أن عند الميثاق مع رسوله كعقد الميثاق مع ربه من غير تفاوت في حكمه فكان وساطة الرسول مرتفعة عن نظره.

وقال الأستاذ: أي عقدك عليهم هو عقد الله إليهم ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 10] استئناف مؤكد له على سبيل التمثيل والمعنى أن يد رسوله يده وهو منزّه عن اليد والأسلم عدم التأويل فلله سبحانه يد مناسب لذاته الأقدس وصفاته الأنفس وعن كثير من السلف نعمة الله عليهم بالهداية فوق ما صنعوا من البيعة للطاعة وقيل: قدرة وقوته فوق قوتهم وحركتهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الآية إشارة إلى الجمع كما قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلِكْرِيبَ اللَّهُ رَحِيماً﴾ [الأنفال: الآية 18].

﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ [الآية 10] نقض عهده في مقام وعده ﴿فَأَنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الآية 10] فلا يعود ضرر نكثه إلا على نفسه ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ [الآية 10] أي قام بما عاهد على التمام في البيعة ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً﴾ [الآية 10] هو الجنة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر فسنوفيه بالنون.

وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا كان بوصف إخلاصه يعامل الله/ في شيء 168/ب

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2958)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/386) رقم (36852).

وهو به متحقق وله بقلبه مشاهد فالوسائط التي عليها أمارات التفريعات محو عن أسرارهم والحكم راجع إلى الواحد.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [الآية 11] الذين واعدوا أن يرافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوافقوا في مسيره إلى مكة عام الحديبية وهم أسلم وجهينة ومزينة وغفار فاخلفوا الوعد واعتلوا بالشغل بأموالهم وأهاليهم وإنما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة في الإيمان والخوف عن مقاتلة قريش أن صدوهم عن ذلك المكان ﴿شَغَلَتْنَا﴾ [الآية 11] عن الوفاء بعهدنا ﴿أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الآية 11] إذ لم يكن لنا من يقوم بأمرهم إذا خرجنا ﴿فَأَسْتَغْفِرُ لَنَا﴾ [الآية 11] من الله على تخلفنا ﴿يَقُولُونَ بِاللَّيْنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 11] تكذيب من الله لهم في الاعتذار والاستئناس ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الآية 11] فمن يمنعكم من مشيئته ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ [الآية 11] نوع مضرة قتل أو هزيمة أو خلل في مال وأهل وعقوبة على مخالفة وقرأ حمزة والكسائي بالضم ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ [الآية 11] نوع منفعة كنصرة وغنيمة وسعة رحمة ودوام عافية والمعنى لا أحد يدفع ضره ولا نفعه فليس الشغل بالأهل والمال عذراً فلا ذاك يدفع الضر إن أرادته ولا ملاقاتة العدو تمنع النفع إن أرادته ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية 11] فيعلم تخلفكم مع اقتداركم وقصدكم في اعتذاركم.

قال بعض السلف: ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو شؤم عليك.

وأفاد الأستاذ: أن عذر المماذق وتوبة المنافق كلاهما ليس له حقائق.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الآية 12] لظنكم أن المشركين يستأصلونهم ﴿وَرَزَيْتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية 12] حتى أجبتم أن لا يرجعوا إلى أوطانهم ﴿وَوَظَنْتُمْ ظُرُقَ السَّوْءِ﴾ [الآية 12] بأنهم أكلة رأس لقريش وإخوانكم ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الآية 12] هالكين لسوء عقيدتكم وفساد نيتكم.

وأفاد الأستاذ: أن العدو إذا لم يقدر أن يكيد بيده تمنى ما يتقاصر عنه مكنت بقلبه وذلك صفة كل لئيم ونعت كل ملهم ثم الله تعالى يعكس ذلك

عليه في أمره حتى لا يقع على مراده ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: الآية 43].

﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ [الآية 13] لمن يموت على كفره ﴿سَعِيرًا﴾ [الآية 13] ناراً موقدة وعقوبة مؤبدة.

/ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 14] له الاختيار المطلق في الأشياء /169 أ
ويدبر في ملكه ما يشاء ﴿يَقْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 14] مغفرته ﴿وَيَضْرِبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 14] عقوبته إذ لا وجوب عليه في بريته ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية 14] لمن تاب ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية 14] لمن آب فالغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض في كائناته ولهذا جاء في الحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي»⁽¹⁾.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ [الآية 15] أي المذكورون ﴿إِذَا أُنْظِلَّتْ إِلَيْكَ مَفَازٌ﴾ [الآية 15] إلى جهة فيها غنائم ﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾ [الآية 15] وهي غنائم خيبر فإنه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم دون غيرهم ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الآية 15] في خروجكم إلى خيبر وحرابهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الآية 15] أن يغيروه وهو وعده لأهل الحديبية أن يعرضهم من مغانم مكة مغانم خيبر لا شريك لهم فيها والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كَلِمَ الله وهو جمع كلمة ولعل المراد بها قضاياه ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ [الآية 15] في سفر خيبر قيل: نفي معناه نهي ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 15] قبل أن تسألوا الخروج معنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ مُخْرَجُونَ﴾ [الآية 15] أن نشارككم في الغنائم وليس فيه أمر من الله جازم ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 15] لا يفهمون إلا فهماً قليلاً وهو فهمهم لبعض أمر دنياهم.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (15/2751).

﴿قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [الآية 16] كرر ذكرهم مبالغة في ذمهم
﴿سَدَعُونَ إِلَى قومٍ أُولَى بَأْسٍ﴾ [الآية 16] حرب ﴿شَدِيدٌ﴾ [الآية 16] أي هوازن
وثقيف وذلك في عهده عليه السلام أو بني حنيفة وأصحاب مسيلمة وذلك في
خلافة أبي بكر رضي الله عنه أو أهل فارس وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه
قال صاحب البحر هذه الأقوال تمثيلات للأعلام بل أخبر الله تعالى بذلك على
وجه الإبهام دلالة على قوة الإسلام وانتشار دعوته عليه السلام ﴿فَقَنَلُونَهُمْ أَوْ
يُسَلِّمُونَ﴾ [الآية 16] أي يدخلون في الإسلام وينقادون تحت الأحكام والجملة
استئناف ﴿فَإِن تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الآية 16] هو الغنيمة في الدنيا
والجنة في العقبى ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ تتخلفوا ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية 16] عن القضية ﴿وَمِن
قَبْلُ﴾ [الآية 16] أي عام الحديبية ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 16] / في الأولى
والأخرى.

وأفاد الأستاذ: أنه جاء في التفسير أن أهل الإمامة أصحاب مسيلمة
دعاهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالآية تدل على صحة إمامته وقيل
فارس: ودعاهم إليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فعلمت أن الآية
تدل على صحة خلافته، وإمامته تدل على صحة إمامة أبي بكر رضي الله
عنهما والمعنى أن أطعتم استوجبتم الثواب وإن تخلفتم استحققت العقاب
ودلت الآية على أنه يجوز للعبد بداية غير مرضية ثم يتغير بعدها إلى حالة
بهية كما كان لهؤلاء ولقد أنشدوا:

إذا فسد الإنسان بعد صلاحه فرج له عودَ الصلاح لعله⁽¹⁾
﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الآية 17]
لما أودع للمخلفين نفي الحرج عن هؤلاء المعذورين.

وأفاد الأستاذ: إنه كذلك من كان له عذر في المجاهدة مع نفسه فالله
يحب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمه.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (284 / 7).

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
 [الآية 17] في دار القرار ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ عِزًّا يُضِدِّدْ لَهُ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ [الآية 17] يعرض عن الطاعة ﴿يُعَذِّبُهُ عَذَابًا
 أَلِيمًا﴾ [الآية 17] في دار البوار وقدم الترغيب عن الترهيب لسبق رحمته على
 غضبه وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الآية 18] وكانوا
 ألفاً وأربعمائة وقيل وثلاث مائة وقيل وخمسمائة وكانوا قصدوا دخول مكة وهم
 محرمون فصددهم المشركون فبايعهم على أن يقاتلوا قريشاً ولا يفرؤا عنهم وكان
 جالساً تحت سمرة أو سدرة ثم صالحوه على أن يخلوا له مكة من القابل ثلاثة
 أيام وكان عليه السلام قد رأى في المنام أنهم يدخلون المسجد⁽¹⁾ الحرام آمين
 وبشر به المؤمنين فلما صددهم المشركون خامر قلوبهم شبهة وعناداً في قلوب
 بعضهم تهمة حتى قال الصديق لم يقل عليه السلام في هذا العام فسكنت
 قلوبهم واطمأنت نفوسهم ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 18] من الهم والأنفة لديهم
 ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الآية 18] وجازاهم فتح خيبر عقب
 انصرافهم من هذا السفر وقيل مكة أو هجر.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الآية 19] يعني عقار خيبر وأموالها ﴿وَكَانَ اللَّهُ
 عَزِيزًا﴾ [الآية 19] غالب القدرة والإرادة ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 19] مراعيًا مقتضى الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دلالة على أنه قد يخطر ببال الإنسان
 خواطر مشككة وفي الريب موقعة ثم لا عبرة بها فإن الله سبحانه إذا أراد بعبد
 خيراً أَلَزَمَ التوحيد قلبه وقارن التحقيق سره فلا يضره كيد الشيطان ومكره قال
 تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ
 مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 201].

﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ [الآية 20] هي الفتوحات إلى يوم القيامة
 ﴿تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الآية 20] أي مغانم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾

(1) مكرر مرتين في المخطوطة.

[الآية 20] أي أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان فإن المسلمين لما أخرجوا إلى خيبر همت اليهود أن يغيروا على عيال المسلمين بالمدينة فكدف الله تعالى الرعب في قلوبهم فانكفوا عن همهم ﴿وَلِتَكُونَ﴾ [الآية 20] هذه الكفة أو الغنيمة ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 20] علامة لهم على صدقك في مقام اليقين أو دلالة للمؤمنين يستدلون بها على حراسة الله للمسلمين ﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية 20] هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه وتفويض الأمور إليه.

وقال الأستاذ: معنى كف أيدي الناس عنكم هو أن يرزق العبد من حيث لا يحتسب لئلا يحتاج أن يتكفف على الناس بل يتعفف عنهم في الاستئناس.

﴿وَأُخْرَى﴾ [الآية 21] مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدَرُوا عَلَيْهَا﴾ [الآية 21] صفته وخبره ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [الآية 21] أي ومغانم أخرى لم تقدرُوا عليها بعد لما كان لهم فيها من قوة الجولة ولكم من قلة الشوكة والحيلة ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [الآية 21] علماً وقدرة فيفتحها لكم وقت تعلق المشيئة وهي مغانم هوازن أو فارس أو الروم أو جميعها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الآية 21] فلا تعلقوا بغيره قلوبكم لا كثيراً ولا يسيراً فإن من عداه لا يتصور أن يكون لكم نصيراً.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 22] من أهل مكة عام الحديبية ولم يصلحوا في القضية ﴿لَوَلَوْ أَدْبَرَ﴾ [الآية 22] لا نهزموا بالكلية ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلْيًا﴾ [الآية 22] يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية 22] ينصرهم في القضية.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 23] سن الله سنة الأنبياء المتقدمة 170/ ب إن عاقبة أعدائهم الخزي / والهزيمة ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 23] تغييراً أو تحويلاً.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [الآية 24] أي أيدي كفار مكة عن قتالكم ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الآية 24] في شدة حالكم ﴿بِطَّنِ مَكَّةَ﴾ [الآية 24] كائنين في داخل مكة معهم ﴿مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 24] أي أظهركم وغلبكم لديهم وذلك إن سبعين أو ثمانين أو ثلاثين رجلاً متسلحين هبطوا من جبل التنعيم

يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فأخذوا وعفا عنهم⁽¹⁾
فأطلقوا.

وأما ما رواه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وتبعه جمع كالقاضي من
أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة يوم الحديبية فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم
عاد⁽²⁾.

ففيه أن خالد بن الوليد لم يكن أسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين
كما ثبت في صحيح البخاري وغيره⁽³⁾ اللهم إلا أن يراد بذلك يوم الفتح
ويحمل الكف بصيغة الماضي على تحقق وقوعه لعدم تخلف إخباره سبحانه
في وعده ووعيده.

﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 24] من حربكم أولاً لإطاعته نبيه وكفكم
ثانياً لتعظيم بيته ﴿بَصِيرًا﴾ [الآية 24] عالماً خبيراً فيجازيكم عليكم قليلاً وكثيراً
وقرأ أبو عمرو بالغيبة.

قال سهل: المؤمن على الحقيقة من لا يغفل عن نفسه وقلبه ساعة من
ساعاته فيفتش حالاته ويراقب أوقاته فرأى نقصانه من زياداته فيشكر عند رؤيته
الزيادة ويتضرع عند المنقصة هؤلاء بهم يدفع الله البلاء والمؤمن من لا يكون
متهاوناً بأدنى التقصير فإن التهاون بالقليل يستجلب الكثير.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار كفوا أيديهم رعباً وخوفاً وأما المسلمون فهياً
من قبل الله لما في أصلابهم من المؤمنين ولما علم قوماً منهم يصيرون مسلمين

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (133/1808)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/318) رقم
(12611)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/386) رقم (3264)، والنسائي في
السنن الكبرى (5/202) رقم (8667).

(2) انظر تفسير الطبري (22/238) وتفسير ابن أبي حاتم (12/232).

(3) أخرجه البخاري في الصحيح (12731)، وابن حبان في الصحيح (11/216) رقم
(4872)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/387) رقم (36855).

والإشارة في الآية أن من الغنيمة الباردة أن يسلم الناس منك وتسلم منهم وإنما يفعل الله هذا بأوليائه فلا من أحد عليه حيف ولا منه على أحد جور ولا حساب ولا مطالبة ولا صلح ولا معاتبة ولا صداقة ولا عداوة وأنشدوا:

فلم يبق لي وقت لذكر مخالف ولم يبق لي قلب لذكر موافق

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا/ وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية 25] منعوكم عن الزيارة بالعمرة ﴿وَأَلْهَكُوا﴾ [الآية 25] ومنعوا الهدى وكان سبعين بدنة ﴿مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ [الآية 25] أي حال كون الهدى محبوساً ومحصوراً من أن يصل مكانه المعهود للمعتمرين وهو المروة ثم بين حكمة المصالحة بقوله ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ [الآية 25] من المستضعفين بمكة ﴿لَآتَى تَعْلَمُوهُمْ﴾ [الآية 25] لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين في بنيانهم ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ [الآية 25] أن توقعوا بهم وتقتلوهم في أثناء قتال أعدائهم ﴿فَتَضَيَّبِكُمْ﴾ [الآية 25] جواب النفي أو عطف على تطوهم ﴿بِنَهُمْ﴾ [الآية 25] من جهة مضرتهم ﴿مَعْرَةً﴾ [الآية 25] ندامة وملامة إذ لا إثم ولا دية في قتل مؤمن مستور بين أهل المحاربة ﴿بِفَيْرٍ عِلْمٍ﴾ [الآية 25] أي حال كونكم غير عالمين أو حال كونهم غير معلومين وهو حال مؤكدة لقوله لم تعلموهم وجواب لولا محذوف لدلالة صدر الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين أو مجهولين فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومضرة من قبلهم لما كف أيديكم عنهم وقد تؤخر لعقوبة عن الكفرة منهم ﴿يُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 25] ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم إلى دين المسلمين ﴿لَوْ تَزَكَّيْتُمْ﴾ [الآية 25] أي تفرقوا أو تميزوا ﴿لَعَدَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 25] في الدنيا فإن عدم التمييز لا يوجب عدم عذاب العقبي.

وأفاد الأستاذ: إن في هذا تعريفاً للعبد أن أموراً تتعلق وتفسر فيضيق الإنسان بها قلبه والله في ذلك سر ولأمر ما لا يجري كما يريد العبد كما قالوا:

كم مرة مرت بك المكاره ~~خار الله لك وأنت كاره~~
﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ [الآية 26] الأنفة ﴿حَمِيَّةً﴾

الْبَهْلِيَّةِ ﴿﴾ [الآية 26] التي تمتع إذعان الحق وقبول قول الصدق.

قال ابن عطاء: الحمية متابعة النفس الدنية في الانتقام من البريء في القضية ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 26] وذلك ما روي أنه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا جمعاً ليسألوه أن يرجع من عامه على أن يخلوا له مكة من قابل ثلاثة أيام فأجابهم وكتبوا بينهم كتاباً فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب / بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا: وما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال: اكتب هذا ما صالح رسول الله أهل مكة فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبدالله فقال عليه السلام: «اكتب ما يريدون فإني أشهد أنني رسول الله وأنا محمد بن عبدالله فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك»⁽¹⁾. وأن يبطنوا عليهم هنالك فأنزل الله السكينة عليهم فتوفروا وتحملوا وتحلموا لديهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ [الآية 26] أي اختار لهم الله ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الآية 26] كلمة الشهادة كما صرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم على ما رواه الترمذي وغيره⁽²⁾. وإضافة الكلمة إلى التقوى لأنها سببها أو لكونها سبب الوقاية من نار العقوبة ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ [الآية 26] من غيرهم في حقها ﴿وَأَهْلُهَا﴾ [الآية 26] المستأهل لها ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية 26] فيعلم أهلها ومن أولى بها.

قال أبو عثمان: كلمة التقوى كلمة المتقين وهي شهادة أن لا إله إلا الله ألزمها الله السعداء من أوليائه المؤمنين بها وكانوا أحق بها في علم الله إذ خلقهم لها وخلق الجنة لأهلها.

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (226 / 9) رقم (18610)، وابن حبان في الصحيح (214 / 11) رقم (4870)، وأبو يعلى في المسند (69 / 6) رقم (3323)، وأحمد في المسند (342 / 1) رقم (3187)، وابن أبي شيبه في المصنف (7 / 385) رقم (36851).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (67 / 2) رقم (1272)، وفي المعجم الكبير (199 / 1) رقم (536)، والترمذي في الجامع الصحيح (5 / 386) رقم (3265)، وابن حبان في الصحيح (1 / 451) رقم (218).

وقال الواسطي: كلمة التقوى صيانة النفس عن مطالعة غير المولى ظاهراً وباطناً.

وأفاد الأستاذ: أن كلمة التقوى هي التي معها الالتقاء من شرك السوي ويقال: هي سؤالك من الله أن يحرسك من المطاعم فيما سواه ويقال: هي التواصي بينهم بحفظ حقوق الله لهم وكانوا أحق بها في سابق حكمه وقديم علمه وهذا إلزام إكرام ولطف لا إلزام إكراه وعنف وإلزام برّ لا إلزام جبر.

وكم باسطين إلى وصلنا أكفهم لم ينالوا نصيباً⁽¹⁾

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 27] في المنام إذ رأى عليه السلام أنه وأصحابه الكرام دخلوا المسجد الحرام آمنين فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا في بابه وحسبوا أن ذلك يكون في عامه فلما تأخر قال بعضهم: والله ما رأينا البيت ولا حلقنا ولا قصرنا فنزلت: والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسة بالصدق فإن ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْأَحْرَامَ﴾ [الآية 27] جواب قسم محذوف / إن شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة تعليمًا للعباد وتنبهًا على أنه لا يجب عليه شيء فيما أرادوا قيل: إن بمعنى إذ وهو معنى لطيف وقيد شريف وسئل سهل عن هذا الاستثناء قال تأكيداً في الافتقار إليه وتأديباً لعباده في كل حال ووقت لديه وتنبهًا إن الحق إذا استثنى مع كمال علمه لا يجوز الحكم لأحد من غير استثناء مع قصور فهمه آمين حال من الواو والشرط معترض ﴿مُخَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُفَصِّرِينَ﴾ [الآية 27] حال مقدرة أي محلقة بعضكم ومقصر آخرون ﴿لَا تَخَافُوكُمْ﴾ [الآية 27] أي غير خائفين حال مؤكدة لقوله آمين ﴿فَمَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ [الآية 27] من الحكمة في تأخير المدة ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ [الآية 27] من دون دخولكم المسجد الحرام أو فتح مكة ﴿فَتَمَّ قَرِيبًا﴾ [الآية 27] هو صلح الحديبية أو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الموعود فيما قدر له من الحين.

172/أ

(1) نسب إلى العباس. انظر الشعر والشعراء (1/180).

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ [الآية 28] ملتبساً به أو بسببه ﴿وَيَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الآية 28] ويدين الإسلام وظهور أمره ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الآية 28] يغلبه ويعليه على جنس الدين جميعه بنسخ ما كان حقاً وفساد ما كان باطلاً ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الآية 28] على نبوته بإظهار معجزته.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الآية 29] جملة تامة مبينة للمشهود به ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الآية 29] من أصحابه ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 29] أي يغلظون على من خالف دينهم ويتزاحمون من وافق يقينهم كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 54] أي متواضعين أعزة على الكافرين أي متكبرين ﴿تَرَبَّيْتُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الآية 29] أي مصلين في وقت وحين ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية 29] بالعفو عن تقصراتهم ﴿وَرِضْوَانًا﴾ [الآية 29] بقبول طاعاتهم ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الآية 29] أي علامتهم يوم القيامة كونهم منوري الوجوه محجلي الجباه أو المراد خشوعهم وخضوعهم أو صفاؤهم وضيائهم من أثر انقيادهم.

وأفاد الأستاذ: أن الآية في المؤمنين عامة وفي التفسير ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أبو بكر ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عمر ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان ﴿تَرَبَّيْتُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: الآية 29] علي، رضوان الله عليهم أجمعين. ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 29] إشارة إلى الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ [الآية 29] أي صفتهم العجيبة المذكورة فيها ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الآية 29] مبتدأ خبره ﴿كَزْرَجٍ أَخْرَجَ سَطْفَهُ﴾ [الآية 29] / فراخه وفروعه ﴿فَتَأْرزُهُ﴾ [الآية 29] فقواه وعاونه وقرأ ابن ذكوان بالقصر كأجر في أجر ﴿فَأَسْتَقْلَطُ﴾ [الآية 29] فصار من الدقة إلى الغلظة ﴿فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ﴾ [الآية 29] فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سوقه بالهمز ﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ﴾ [الآية 29] بكثافته وقوته وغلظته وحسن بهجته وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابه الكرام قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا في بناء الأحكام بحيث أعجب الأنام ﴿لِيَقْبِضَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الآية 29] علة لتشبيهم بالزرع في زكاهه واستحكام بنائه ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ [الآية 29] لسيئاتهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية 29] لحسناتهم ومن للبيان لا للتبعيض كما توهم أهل العدوان إلا أن يراد به من ختم منهم بالإيمان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شبه النبي صلى الله عليه وسلم بالزرع حين يخرج طاقة واحدة حتى يثبت أصوله فيشتد كذلك كان عليه السلام وحده وقوى بالمسلمين دينه فمنهم مَنْ حمل الآية على الصحابة خاصة فمن أبغضهم دخل في الكفر لأنه قال: ليغيظ بأصحابه الكفار ومن حملها على المسلمين عامة ففيه حجة للإجماع لأن من خالف الإجماع فالله يغيظ بهم الكفار فمخالف الإجماع كافر مخلد في النار.

فهرس المحتويات

3 سورة الشعراء
33 سورة النمل
70 سورة القصص
112 سورة العنكبوت
141 سورة الروم
164 سورة لقمان
177 سورة السجدة
189 سورة الأحزاب
222 سورة سبأ
240 سورة فاطر
263 سورة يس عليه السلام
289 سورة الصافات
317 سورة ص
340 سورة الزمر
372 سورة غافر (المؤمن)
402 سورة فصلت
423 سورة الشورى
444 سورة الزخرف
465 سورة الدخان
475 سورة الجاثية
486 سورة الأحقاف
498 سورة محمد ﷺ
511 سورة الفتح

TAFSIR AL-MULLĀ 'ALĪ AL-QĀRĪ

AL MULLA ALI AL-QARI'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

by

Al-Molla Ali Al-Qari
(D. 1014 H.)

edited by

Dr. Naji As-souwayd



دار الكتب الحميمية

Dar Al-Kutub Al-Himiyah

DKI

أسستها مكتبة بيروت سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban